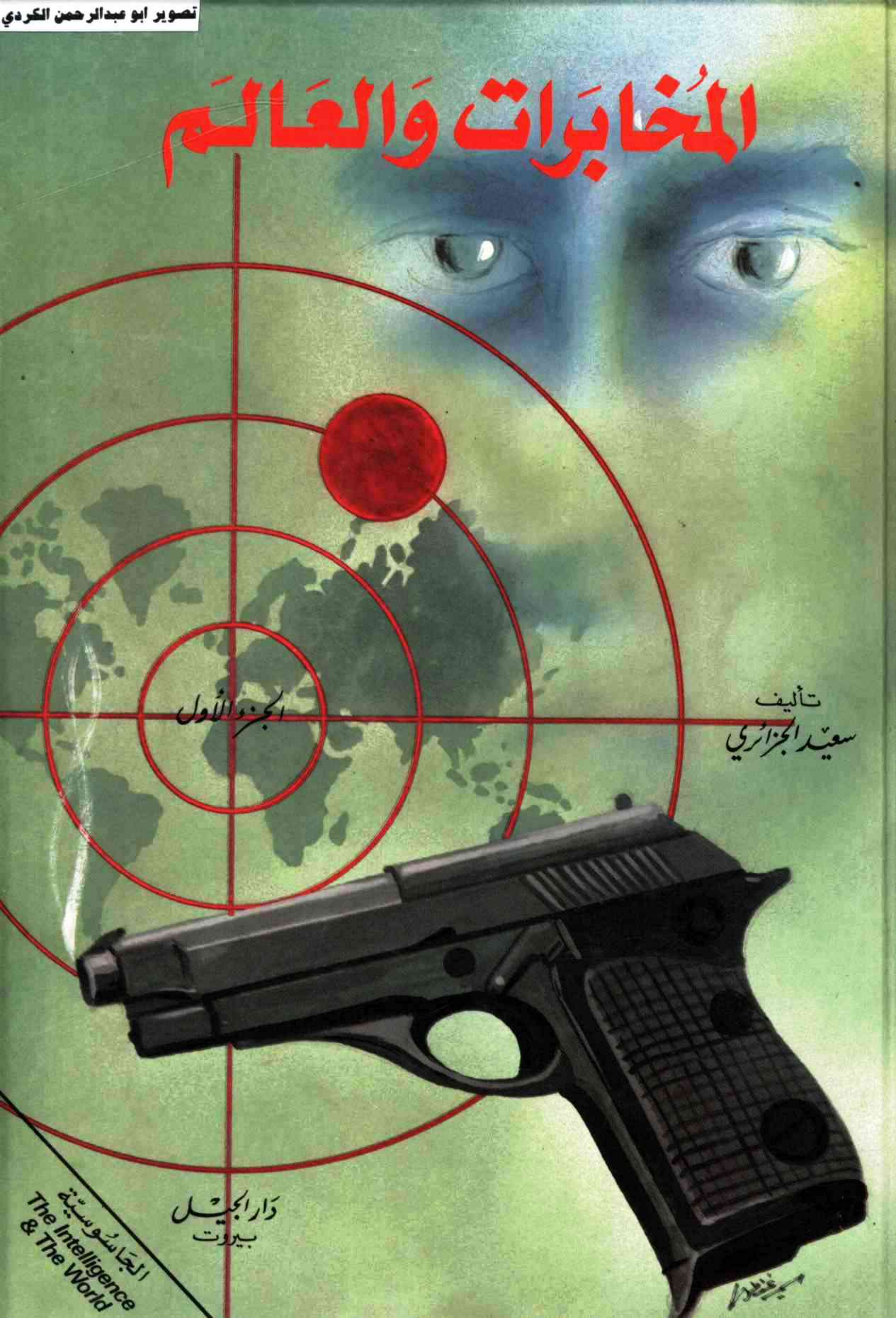

تصوير ابو عبدالرحمن الكردي
المُخابَرات وَالعَالَم
الجزء الأول
تأليف
سعيد الجزائري
دار الجيل
بيروت
الجَاسُوسِيَّة
The Intelligence
& The World

المُخابَرات وَالعَالَم

تأليف

سعيد الجزائري

الجزء الأول

دَار الجيل
بَيروت

الطبعة الخامسة
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

إهداء

إلى الرجال الساهرين على أمن وسيادة
البلاد العربية
إلى من نذروا أنفسهم وأرواحهم لخدمة
التراب العربي من المحيط إلى الخليج
إلى الأخوة الذين يقدمون لبلادهم
أسمى الخدمات من أملاكهم وجودهم
أهدي كتابي هذا

سعيد الجزائري

تقديم

من مجمل الاحداث والمؤامرات التي سوف يطلع عليها القارىء في هذا الكتاب الوثيقة لا بد من التاكيد على دور المواطن في احباط مخططات العدو في تجنيد الجواسيس لحسابه وعدم التورط في كل مامن شانه افادة هذا العدو المتربص بالامة العربية.

فتجنب الحديث عن الامور العسكرية والامنية ـ وخاصة من قبل العسكريين ومن في حكمهم ـ امام الاغراب وفي المحلات العامة كالمقاهي والمطاعم ووسائل النقل حبا بالتعالي والظهور.. واجب وطني وامني يقي البلاد من الاخطار التي يعمل العدو على الحاقها بوطننا.

وعند تعرض أي مواطن لسؤال حساس من اوضاع اقتصادية او اجتماعية، فعليه الا يرد على هذا السؤال فهدف العدو ليس مجرد الحصول على معلومات عسكرية او أسرار حربية ... بل تمتد جهوده الى محاولة استكشاف حقائق اقتصادية واجتماعية تتعلق بالبلاد، وحتى الحصول على معلومات قد تبدو لمواطنين كثيرين مجرد اشياء عادية لاينطوي التحدث فيها عن خطر يلفت الانظار.

ومن المعروف ان عملاء العدو يدخلون الاقطار العربية بشتى انواع الخداع، فمنهم من يدخل بصفة السواح او طلاب يحاولون دراسة الاوضاع في البلاد عن كثب ليعودوا الى اقطارهم الموهومة التي يحملون جنسياتها زيفا ويقدموا الاطروحات للجامعات التي ينتسبون اليها زورا عن النهضة التي تشهدها الاقطار العربية، وهم في الواقع ينقلون الى العدو الذي يعملون لحسابه هذه المعلومات التي يعدها دسمة يستفيد منها اكبر فائدة.

كما ان هناك من يدخل الاقطار العربية بصفة « رجال اعمال » ويؤسسون الشركات والمكاتب التجارية بالتعاون مع المواطنين العرب الذين يتورط بعضهم ويصبحون هم بالتالي عملاء للعدو.

وسائل العدو في ذلك عديدة ... وكل مسؤول يدرك أن الانسان معرض للخطأ ، أو الوقوع فيه ، ومن السهل أن يتعثر مواطن في حياته ، ولكن الخطر وغير المقبول ان ينساق هذا الانسان في تيار الانحراف والخطأ ، مما يجعله فريسة لاجهزة المخابرات العدوة التي تتصيد أمثاله مستغلة عثراتهم .

ومع التسليم بان كل انسان معرض للخطأ ، الا ان هذا – في حد ذاته – لا يدعو للانزعاج ، فالخطر يكمن في الانسياق خلف النزوات والشهوات والاحلام الطائشة ، وهو ما تبحث عنه مخابرات العدو لتنتقطه من بين عشرات المواطنين ، فيذعن لغرائزه وضعفه البشري ناسيا مسؤوليته الوطنية لفترة ، سرعان مايعود بعدها ليواجه النهاية المحتومة وهي عقوبة الموت حيث لا تنفع ساعة ندم .

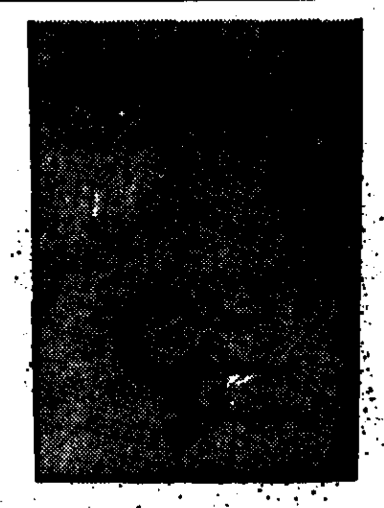
ولو أن كل انسان دفعت به الظروف او الضائقة المادية أو النزوات الشخصية الى التورط فعلا في التجسس للعدو ، ثم تقدم من تلقاء نفسه للمخابرات العامة واجهزة الامن المسؤولة وروى قصته لتبدلت النهاية تماما ، فعدم التقدم الى هـــذه الدوائر الامنية المختصة لكي تنقذه وتحمي الوطن من الخطر الذي يتهدده بوصول معلوماته وأسراره الى أيدي العدو سيؤدي حتما ان عاجلا او آجلا ، الى سقوطه بين أيدي سلطات الامن الساهرة التي لا تغفل فيواجه الموت في النهاية قصاصا عـلى ما اقترفت يداه .

ان المخابرات العربية لها دورها الهام بمقاومة محاولات العدو ... وعلى اي مواطن أن يساهم بدوره انجاح هـــذا الدور .. وهي تمد يد العون الى كل من يتقدم اليها طائعا مختارا يبلغها عما تورط به ، او عما اذا كان في الطريق الى اصطياده من قبل أجهزة العدو التجسسية ، وبذلك نحبط فرصة العدو في الحصول على أسرارنا كما يحظى هذا المواطن بالتقدير والاحترام .

المؤلف

تنويـــه

قريبـا سيصدر الجـزء الثاني
من كتـاب المخابرات والعالم
يحتوي على معلومات هامة من
الجاسوسية العالميـة واهم مؤامرات
المخابرات في العالم



إن جميع ما جرى ويجري في العالم من شرقه الى غربه ، ومن شماله الى جنوبه من حروب ومؤامرات وانقلابات وأحداث بالغة الأهمية ، بما في ذلك الحربان العالميتان الأولى والثانية ، وبالإضافة الى مهمة المحافظة على أمن الدولة وأسرار جيشها وصناعتها من أعدائها ومعرفة العكس عن هؤلاء الاعداء ...؟

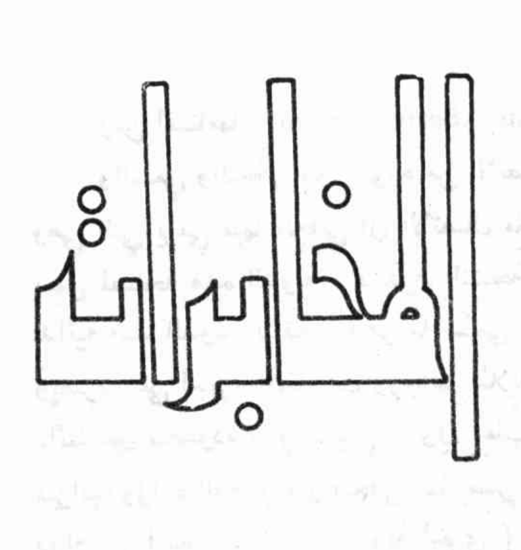
كل ذلك يجري ترتيبه واقراره والايعاز بتنفيذه في أماكن خاصة ومكاتب بعيدة عن الأعين من قبل رجال من نوع خاص ، أقوياء ، أذكياء ، منهم من يحمل أعلى الرتب العسكرية والدرجات العلمية وبيدهم وحدهم يتقرر مصير دول وشعوب . هؤلاء هم : « رجال المخابرات » الذين يحركون العالم ، ومن خلال دراسة أسباب معظم المؤامرات العالمية واكتشاف العديد من شبكات التجسس والجواسيس والاغتيالات ، وجدنا أن كل ذلك من عمل « المخابرات » .

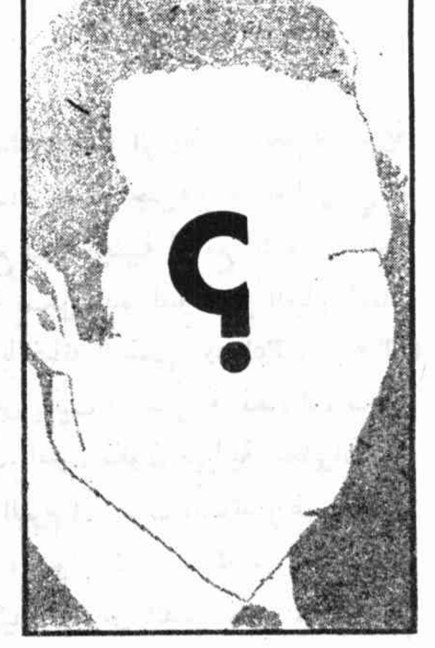
لذلك كانت الغاية من وضع هذا الكتاب الوثائقي بين يدي القارىء العربي لاطلاعه على معلومات هو بحاجة للاطلاع عليها ليكون على بينة من أمره وليتعرف على عمل المخابرات المعادية وتخطيطها وقد سميته (المخابرات والعالم) للدلالة على مضمونه وذلك بدافع من شعور وطني أولا ليتعلم القارىء العربي كيف يتجنب جواسيس الاعداء وبالتالي يتجنب الوقوع في حبائلهم ويطلع بنفس الوقت على معلومات وأسرار من انجاز المخابرات في مختلف دول العالم لا يصدقها العقل ولم يكن بالامكان الاطلاع عليها لولا الجهود التي بذلت للحصول على هذه المعلومات من مصادرها الموثوقة والمختصة مدعومة بالصور الحية ، مقدما ثمرة جهودي هذه الى السيد الفريق حافظ الاسد رئيس الجمهورية العربية السورية الذي حقق الوحدة الوطنية في سورية .

« والله من وراء القصد »



رجال المباحث في سوريا منذ نصف قرن ، تبين هذه الصورة الفريدة التي يحتفظ بها المجاهد أبو عبده العشي كيف كان جهاز رجال المباحث الذي كان برئاسة المدعو (حلمي عزيز) الملقب أبو رياح يبالغون في التنكر وتقمص الشخصيات المختلفة لكشف المجرمين ، والتاريخ يعيد نفسه الآن حيث يضطر رجال المباحث والمخابرات للتنكر حسب الظروف للوصول الى الاعداء وكشفهم ..





المخابرات ، وتسمى في بعض الدول (الاستخبارات) ، أو (الشعبة الثانية)، أو (المكتب الثاني) • ومعنى المخابرات هو التخابر لنقل المعلومات القيمة المنقولة والتي تكون على درجة كبيرة من الاهمية بين شخص وآخر ، وبين مركز وآخر • وأخيرا مقر شبكة التجسس والدولة التابعة لها هذه الشبكة والمخابرات في كل دولة ، تشمل جميع وسائط التجسس الداخلي والخارجي والتخابر معناه (خبّر كل واحد الآخر) أو كلمه أو باحثه (تباحث معه) وخبره بالشيء أي أخبره أو أنبأه عنه • والتخابر هو التفاهم بين شخصين في مختلف صوره ، سواء حصل ذلك شفاهة أو كتابة ـ صراحة أو رمزاً ، مباشرة أو بالواسطة ولفظ (التخابر) في معناه هو ما تعبر عنه القوانين بلفظ (Intelligence) أيضا ، وهو كل تراسل أو اتصال معناه تفاهم يتم بين شخصين أو أشخاص تتحد فكرتهم على خداع الغير والمراسلة قد تكون بالمحادثة التلفونية أو الشفوية أو السلكية أو اللاسلكية •

حتى إن كلمة المخابرات هي ما حددها الانجليز وبينوا أعمالها :

The Int. Dep : dealing with the Foreign countries and several parts of the world in trades, collecting information, and take action in regard to trade. commerce, they are attached slso to Forces :

ومن أقسامها Secret service ، Censorship الرقابة أو الخدمة السرية والسعي والتخابر هو صورة من الاتصال بدولة أجنبية (لقصد اجرامي) ، وهي التي يرمي فيها الجاني الى الاتصال مع دولة أجنبية أو مع الشخص الذي يعمل لمصلحة هذه الدولة . فتكون النتيجة تمكن هذه الدولة من القيام بأعمال عدائية ضد الدولة الثانية ، وهو ما سمّي بالخيانة العظمى (Treason Felony) ويصرف على أجهزة المخابرات ورجالها الملايين بحيث أن ميزانية المخابرات تكون دائماً غير محدودة و (سرية) . وفي أغلب الدول تكون ميزانية المخابرات من ميزانية وزارة الدفاع . والتخابر كما يفسر اليوم في الوقت السائد (هو حصول دولة من الدول على أسرار دولة أخرى) ، سواء كان ذلك بشراء الضمائر الضعيفة أو بواسطة رجال المخابرات الاذكياء المدربين الذين يطلق على أحدهم « لقب جاسوس » لدى خروجه من بلده الى بلد آخر .

الجاســـوسيّة

أمـا الجاسوسية فهي عمـل المخابرات تضه من الوصول الى الاسرار والاختراعات بحيث يتمكّن الجاسوس من التقاط أو معرفة الاسرار بالسمع أو التصوير أو بالتواطؤ مع عميل . وذلك من دون أن يلفت النظر اليه ، ثم يرسل ما يحصل عليه الى دولته ، حيث تتولى المخابرات الاستفادة منه عند العمليات العسكرية أو المناورات السياسية أو الصفقات التجارية .

اهمّيّة المخابرات

ترجع أهمية المخابرات الى حاجة الدولة أو القائد الى معرفة ما يخبئه لـه عدوه . ولدى مراجعة المستندات القديمة عن المخابرات وجدنا أن فن المخابرات (أي التجسـس) فن قديم جدا فالمصريون كان لهم نظام تجسـس منذ حوالي خمسة آلاف عام وكانوا يعتبرون التجسـس على أعدائهم فنا رفيعاً ولوناً من ألوان العلم الحربي ، بحيث استطاع أحد ضباط المخابرات المصرية القدماء ، ويدعى «توت» أن يرسل مائتي جندي مسلحين ضمن أكياس القمح على ظهر مركب الى مدينة (يافا) التي كانت محاصرة من قبلهم في حينه ، ولما استقر المركب في الميناء

خرج الجنود ، واستولوا على المدينة . كما أن المؤرخ (توليبوس) الذي عاش بين عام ١٢٠ — ٢٠١ ق.م قال :

«إن القائد يجب أن يواظب على دراسة ميول واتجاهات وشخصية خصمه».

وليس يبعد عنا ما قاله الشاعر «هوميروس» عن قصة «حصان طروادة» :

هذه الواقعة من روائع الجاسوسية القديمة ، حيث صنع هـذا الحصان من الخشب واقفا على قاعدة . وكان جوفه خاليا ، يتسع لعشرات من الجنود وقد حمل هذا الحصان الى قلب المدينة ، ومن ثم خرج الجنود ليلا ، وقضوا على حاميتها . وحتى اذا وصل بنا المطاف الى أيام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لوجدنا أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يرسل بعض أتباعه لكشف مواقع أعدائه المشركين . والدين الاسلامي الحنيف يحرم التجسس الضار كما جاء في الآية الكريمة : « ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ... » « صدق الله العظيم » ، كما أن النبي عليه الصلاة والسلام عندما علم بنية المشركين غزو المدينة بعد هجرته اليها ، أوعز بحفر خندق حولها ، وكان النصر من الله عز وجل . وفضل هذا الخندق أن ردت قريش على أعقابها .

وفي عام ١٨٥٧ نجد أن (فون مولتكه) رئيس أركان حرب بروسية ، والذي شغل هذا المنصب ثلاثين عاما، قال في خطاب وجهه الى ضباطه :«ستجدون أن هناك ثلاثة طرق مفتوحة أمام العدو ، ومع هذا فان العدو يختار الطريق الرابع ...؟ ومعنى كلامه أن للعدو عيونا وجواسيس أمدوه بمعلومات وافيـة عن الطريق الرابع ... ؟

وفي عهد لويس الخامس ، كان مدير البوليس السياسي ضابطا شديد البأس يدعى « غبريال دي سارتين » ، وقد أصبح فيما بعد (وزيراً للحربية). كان يبث جواسيسه بين الاهالي فيوافونه بأخبار المعارضين فيرفعها بدوره الى لويس الخامس الذي كان يوعز بالتخلص منهم كما أن « جوزف فوشيه » اعتبر في عهد نابليون بونابرت أخطر مدير للبوليس السياسي ، حيث قام بإحباط العديد من المؤامرات التي كانت كثيرة الشيوع في حينه . وقد وصف الكاتب المعروف « هانسون بولدوين » المخابرات الحديثة كما يلي :

ان نظام المخابرات الصحيح عبارة عن منشأة ذات امكانات هائلة لكل من الخير والشر ، ويجب أن تستخدم الرجال والنساء وكل الوسائل ، فهي رقيقة وشرسة تتعامل مع الابطال والخونة ، وهي ترشي وتفسد وتختطف وأحياناً تقتل • • انها تقبض على قوة الحياة والموت ، انها تستغل أسمى وأدنى العواطف وتستخدم في الوقت نفسه الوطنية حتى أعظم معانيها ، والنزوات حتى أحط مداركها • وهي تبرر الوسائل التي تحقق أغراضها ••• حتى القتل •

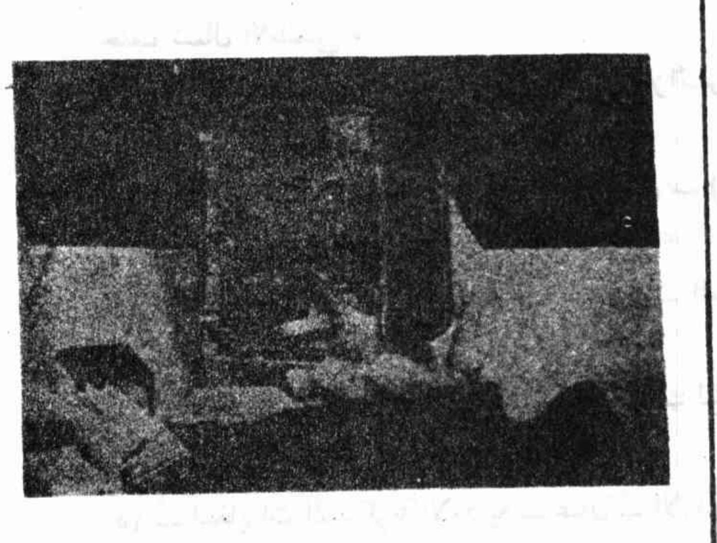
تحول المخابـــــــرات :

أما في العصر الحديث وفي الحربين العالميتين الاولى والثانية ، فاننا نسمع ونقرأ عن جواسيس رجال ونساء قدموا لبلادهم أعظم الخدمات وأجلها ، وأهم هؤلاء الجواسيس الجاسوسة « كثوكارزت » والجاسوسة « ماتاهـاري » التي ألقي القبض عليها أثناء تجسسها • وقد عذبت عذاباً مبرحاً للبوح بما تعرفه عن بقية زملائها فلم تعترف وتفذ حكم الاعدام فيها رميا بالرصاص • وقد صورت السينما الباحثة عن القصص الجاسوسية قصة هذه الجاسوسة فيلما عرض في مختلف البلاد العربية •

والجاسوس الروسي « ريتشاد سورج » الذي سنذكر في هذا الكتاب براعته في انشاء شبكة تجسس في طوكيو ، واستطاعته تحويل وتأخير الحرب بين روسية واليابان في حينه •

والجاسوس « فيلبي » الذي خدع المخابرات البريطانية ثلاثين سنة ، وهو يعمل فيها بينما هو في الاصل يعمل للاتحاد السوفياتي •







المخابرات في العالم

نقدم للقارىء تصنيف المخابرات في العالم ، وهذا التصنيف مقدر من قبل خبراء المخابرات العالميين حسب الترتيب الآتي :

١ ــ المخابرات السوفياتية ــ موسكو ــ الاتحاد السوفياتي

٢ ــ المخابرات المركزية الاميركية ــ واشنطن ــ الولايات المتحدة الامريكية

٣ ــ المخابرات البريطانية ــ الانتلجانس سرفيس ــ لندن ــ بريطانيا

٤ ــ المخابرات الصينية الشيوعية ــ بكين ــ الصين الشعبية

٥ ــ المخابرات الالمانية الغربية ــ بون ــ المانيا الغربية

٦ ــ المخابرات الحربية المصرية ــ القاهرة ــ

٧ ــ مخابرات حلف شمال الاطلسي ــ بروكسل ــ ولها فروع في البلدان التابعة لحلف شمال الاطلسي

٨ ــ المخابرات العسكرية الافرنسية ــ باريس ــ فرنسا

٩ ــ المخابرات العسكرية الايطالية ــ روما ــ ايطاليا

١٠ ــ المخابرات العسكرية التركية ــ أنقرة ــ تركيا ــ وتتعاون مع مخابرات

حلف شمال الاطلسي .

١١ ــ المخابرات العسكرية الجزائرية ــ الجزائر ــ الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية .

١٢ ــ المخابرات العسكرية السورية ــ دمشق ــ (ج . ع . س) واسمها (شعبة المخابرات) .

١٣ ــ المخابرات العسكرية العراقية ــ بغداد ــ العراق ــ واسمها (شعبة الاستخبارات) .

١٤ ــ المخابرات العسكرية اللبنانية ــ بيروت ــ لبنان ــ واسمها (الشعبة الثانية)

١٥ ــ المخابرات العسكرية الاردنية ــ عمان ــ الاردن .

كما يوجد تقريبا في جميع دول العالم (مخابرات) ، ولكن بحجم مالديها من جيش وحاجة للتجسس ، وكشف الجواسيس فاذا جاء ترتيب المخابرات العربية هكذا فاننا في هذاالكتاب نسجل تقديرنا واعترافنا بقوة المخابرات العربية بصورة عامة نتيجة انجازاتها من معرفة أسرار العدو ، واكتشاف العديد من شبكات تجسسه .

اصل الجواسيس

ان اغلب الذين ينخرطون في عمليات التجسس من خارج الجهاز الحكومي أي العملاء الذين يجندون للتجسس على بلادهم يكون لديهم في أغلب الاحيان عدة أسباب ، ومنها :

١ ــ معارضتهم لمذهب من المذاهب السياسية أو الدينية في بلدانهم .

٢ ــ حاجتهم الملحة الى (المال) بسبب الفقر أو ضعف الراتب .

٣ ــ حبهم الى حياة الليل والليالي الحمراء التي تتيحها لهم الجاسوسية .

٤ ــ وضعهم تحت الامر الواقع من قبل مخابرات عدوهم وتهديدهم بكشف اعمال سبق أن ارتكبوها ، واطلعت عليها هذه المخابرات بطرقها الخاصة .

صفات الجواسيس

يجب أن يكون الجاسوس يملك المؤهلات اللازمة لعمله ، لان التجسس يتطلب أذكى الرجال الذين يتحلون بالجرأة وضبط النفس مع التدريب الكافي على يد الاخصائيين في فنون التجسس . فالجاسوس ، يختلف عن رجل المخابرات لان الجاسوس يدرب خصيصا على يد رجال المخابرات ليرسل في مهمة الى خارج الحدود . بينما يبقى رجل المخابرات في مكتبه ينتظر ما يرسله اليه الجاسوس من بعد ذلك بمختلف الوسائل التي زود بها وتدرب عليها ، ويختلف تدريب الجواسيس في كل بلد من بلدان العالم عن غيرها .

ففي الاتحاد السوفياتي معهد خاص ، تابع لوزارة الدفاع يتخرج منه الجواسيس الذين يختارون بدقة . ومدة الدراسة فيه سنتان ونصف يتخرج بعدها الجاسوس ومدربوه متأكدون من نجاحه بفضل ما اكتسبه من خبرة أثناء الدراسة . وفي المعهد العالي للمخابرات السوفياتية ، يحصل الطالب الجاسوس على شهادة تعادل « اجازة الحقوق » ، ولكنه لا يستطيع تعليقها في المكاتب . ولهذا المعهد فريق كرة قدم خاص به يخوض المباريات الرياضية خارج الاتحاد السوفييتي . ونعرض أن الفتره الاخيرة من الدراسة في معهد التجسس السوفييتي ، يكون تدريبا عمليا واختبارا حيا للجاسوس الطالب ، حيث يتعرض لمختلف أنواع المطاردة والمراقبة . وحتى التعذيب والاعتقال المزيف . فاذا اجتاز هذه المراحل بنجاح منح لقب « جاسوس » . وأرسل بجواز سفر جديد واسم جديد الى عمل جديد مع الادوات الخاصة لمهنته الى البلد الذي اختير للعمل فيه . وفي بعض الاحيان ينضم الجاسوس الجديد الى شبكة تعمل في البلد المرسل اليه . ويتم التعارف بطرق أغرب من الخيال بينه وبين مستقبليه .

وفي لندن مدرسة خاصة لتدريب الجواسيس . وهذه المدرسة تابعة للمخابرات البريطانية « الانتلجانس سرفيس » وتقع في ضاحية (فوتشير) بلندن . ولا يدخلها سوى المختارون من الرجال الاذكياء ، الذين يزكيهم ضباط « الانتلجانس سرفيس » ، أو ضباط القوات الملكية . ومدة الدراسة في هذه المدرسة « سنتان » يدرس فيها الجاسوس علم التجسس وفنه والكتابة بالحـ

السري ، والاتصالات اللاسلكية والسلكية . واعطاء الاشارات بواسطة المصابيح الكهربائية . وفك الرموز ، ثم دراسة عادات وتقاليد أهل البلد التي سيوفد اليها بعد تخرجه ، وبانتهاء الدراسة يتعرض لاختبار التخرج ، ومن ثم يصبح جاهزا لارساله الى مقر عمله الجديد .

اما فيالولايات المتحدة الامريكية فيجري تدريب الجواسيس في مقر المخابرات المركزية الاميركية التي تبعد / ١٥ / كم عن واشنطن ، ولا تحدد مدة معينة لتدريب الجاسوس حيث يدرب الاخصائيون كل جاسوس حسب المهمة التي ستوكل اليه . والبلد التي سيرسل اليها .

وفي عهد مؤسس المخابرات المركزية الاميركية « ألن دالس » أدخل الى المخابرات عشرات من المثقفين ، كانت وزارة الدفاع الاميركية (بالاتفاق مع المخابرات) تعلن عن وظائف شاغرة لحمله بكالوريوس العلوم والاداب فيتقدم المئات من الشبان الاميركيين . فتؤخذ طلباتهم . وتدرس بعناية فائقة ، وينتقي الافضل ، وبين ليلة وضحاها يجدون أنفسهم من عداد المخابرات الاميركية (عدا عن طريقة تطبيق العملاء من غير الاميركيين) . (راجع فصل المخابرات المركزية الاميركية) .

أما في الصين الشعبية فالصينيون يجدون مشقة في اختيار جواسيسهم .لانه من الصعب على الجاسوس الصيني السير في شوراع اوربا وامريكيا . دون أن يلفت النظر اليه ، ومع ذلك وجد الصينيون حلا لهذه المشكلة بتكليف الذين هم من أصل صيني . ويعيشون في بلاد أجنبية بالعمل لدى المخابرات الصينية .

وفي المانيا أيام حكم هتلر والحزب النازي كان الجواسيس يختارون بمعرفة أركان الحرب والضباط المقربين للرايخ الثالث ، حيث تناط بهم المهمات التيترسم لهم في المخابرات الالمانية ، أما في المانيا الغربية حاليا فإن عناصر المخابرات فيها تدرب من قبل المخابرات المركزية الاميركية ، وفي فرنسا وايطاليا يختار الجواسيس بمعرفة ضباط المخابرات ، ولا دخل للسلطات المدنية بذلك .

وأما في البلاد العربية فجميع رجال مخابراتها من القوات المسلحة ، حيث الرجال الذين يتميزون بالذكاء والحنكة . بالاضافة الى القوة البدنية

واحتمالهم الصعاب ، ليصار الى اتباعهم دورات شاقــة لتعلــم فنون التجسس التخابر ، وليصبحوا جاهزين للمهمات التي توكل اليهم في أي مكان وزمان •

والمخابرات الاسرائيلية اذا كنا نذكر عنها شيئا فمن أجــل مبدأ (اعرف عدوك) ، وجميع رجالها ينتقون من العائلات اليهودية الغربية أو من أبناء وأقرباء الوزراء والضباط الحاكمين ، لان لها وباسمها يفعل المرء مايشاء دون رقيب أو حسيب • وان أي انجاز للمخابرات الاسرائيلية انما كان من جراء الملايين التي تدفعها لشراء الضمائر • ونحن نعرف من أين وكيف تحصل اسرائيل على الاموال • ولا يكفي أن يكون رجل المخابرات أو العميل ممن تنتقيهم المخابرات مــن الطلاب أو العسكريين أو من رجال المخابرات المحترفين ، بل ان هناك العديد من العملاء من الشخصيات السياسية ، نواب أو وزراء في بعض الاحيان ، بحيث يتم تجنيدهم على مستوى عال ، للاتصال بهم لدى زيارتهم للبلدان التي يعملون فيها فيما بعد • ويتم الاتصال بهم اما من قبل ضباط المخابرات شخصيا ، أو من قبل بعض الوسطاء الذيــن يقدمون الوعود الى هؤلاء ، بتنفيذ كــل مايهمهم تنفيذه في بلدهم في المستقبل ، عدا عن الدفعات المغرية التي تدفع لهم ، ليتمكنوا من الظهور سياسيا في بلدهم ، وليس المال كل شيء في اكتساب العملاء ، بــل هناك التعاطف أي أن يكون العميل الذي يجري الاتصال معــه للمساعدة على معرفة أمور بلده يعطف على الحكم الموجود في البلد الاخر فيقوم بالمساعدة،كما حصل مع النائب البريطاني « وليام أوين » البالغ من العمر /٦٩/ عاما ، والذي كان يزود المخابرات التشيكوسلوفاكية بالمعلومات منذ عام /١٩٦١/ حتى شهر شهر كانون الاول /١٩٦٩/،حيث كشف أمره نتيجة جرأة أحد ضباط المخابرات البريطانية « الانتلجانس سرفيس » الذي أعتقل (على مسؤوليته) فراش [١] السفارة التشيكية في لندن عند زيارته لهذا النائب فوجــد معه كتابا الى النائب البريطاني ، يطلب حضوره الى مكان معين في لندن ، وفي هــذا المكان شوهــد اثنــان مــن موظفي السفارة التشيكوسلوفاكية بالانتظار • عند ذلــك حصلت المخابرات البريطانيه عــلى الاذن القانوني باعتقال النائب (عــن طريق البرلمان

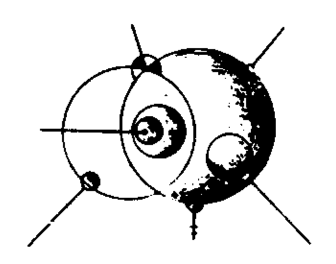
---

(١) كان هذا الفراش موضوع تحت مراقبة المخابرات البريطانية فكيف بتهمة أهتمام السفــارة ••• ؟

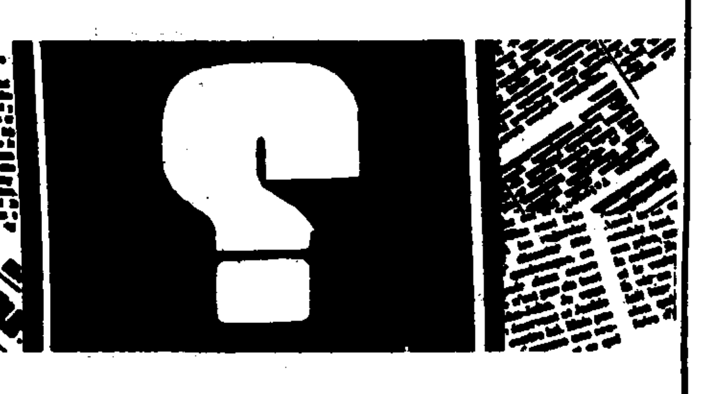
البريطاني نظرا للحصانة التي يتمتع بهـا) ، وبعد مداهمة منزله جرى اعتقاله وتقديمه الى المحكمة ، بعد التحقيق معه (اطلع مجلس النواب البريطاني في جلسة سرية على التهم والمستندات التي تدينه) • وفي أول جلسة لمحاكمته اعلن المدعي العام أن « أوين » كان يقوم بتقديم المعلومات العسكرية والسياسية والاقتصاديه عن بريطانيا الى اثنين من موظفي السفارة التشيكية لنقلها الى مخابراتهم • ومن ضمن هذه المعلومات (أوصاف الصواريخ الموجهة ودبابات شيفتن البريطانية الصنع ، أشهر دبابة صنعت في بريطانيا حتى الآن ، ومعلومات قدمت الى لجنة التقديرات المالية البرلمانية خـلال زيارتها للمؤسسات العسكريـة البريطانية ، (القواعد) في المانيا الغربية ، وسنغافورة ، وهونغ كونغ ، ومعلومات تتعلـــق بطائرات النقل وشؤون المستعمرات • وان أغلب هذه المعلومات كان يحمل طابع السرية التامة ، بل أقصى درجة من السرية • وكان النائب « أوين » يحصل على هذه المعلومات باعتباره (عضوا في لجنة التقديرات المالية البريطانية) • وهذه اللجنة مهمتها في البرلمان البريطاني بحث مخصصات الدفاع وغيرها من القضايا التي تتعلق بالناحية المالية والاعتمادات • وأضاف المدعي العام أيضا أن نقل هذه المعلومات الى المخابرات التشيكية يعني معرفة المعسكر الشرقي لهذه الاسرار التي تحرج بريطانيا على الصعيد الدولي (والاسباب عسكريـة واعتبارات تجارية واقتصادية عدا عن ضررها البليغ نتيجة الاطلاع عليها) •

أما النائب المتهم فانه نفى جميع هذه التهم بالهدوء الانكليزي المعروف ، وطلب اخلاء سبيله بالكفالة على لسان محاميه ، ولكن المحكمة رفضت طلبه •

وقد أذيع من لندن مساء ٦ /٥/ ١٩٧٠ أن المحكمة برأت « أوين » من التهم التي وجهت اليه • ونحن نعتقد أن هذه البراءة بالاتفاق مـع المخابرات البريطانية للابقاء على حسن سمعة النواب البريطانيين •



مراكز المخابرات في العالم



يجب أن يكون مركز المخابرات بمنأى عن الأعين والرقباء ، ولذلك نجد أن كل دولة تحرص على سرية مراكز مخابراتها وتحصنها ، وتجعل الدخول اليها مستحيلاً ، الا للمواطنين • وحتى الموظفين أنفسهم يخضعون لاجراءات أمن مشددة لدى دخولهم ، للتأكد من شخصيتهم • وتناط حراسة مراكز المخابرات بالقوات المسلحة ما عدا بعض الدول ، حيث يقوم بحراسة المراكز عناصر من رجال المخابرات أنفسهم ، وبالتناوب مثل المخابرات البريطانية • واذا بحثنا في مركز المخابرات في الاتحاد السوفياتي وجدناه في قيادات القوات المسلحة يتبعه مكتب متمم في مقر الحزب الشيوعي، لان الحزب هو السلطة العليا في الاتحاد السوفياتي • ومقر المخابرات السوفياتية يقع في شارع تشير شينكسي رقم ـ ٢ ـ على مقربة من الكرملين يقابله « سوبر ماركت للاطفال » • واسم المقر بالروسية (لوبيانكا) ، ويتألف من قسمين :

١ ـ سجن المخابرات السوفياتية ، وفيه ما لا يخطر على البال من طرق التحقيق مع المعتقلين والمحافظة عليهم

٢ ـ قسم المكاتب والادارة ويقال : ان هذا البناء كان في عهد القياصرة مكتب لشركة تأمين) .

وفي الولايات المتحدة الاميركية يقع مركز المخابرات المركزية في ضاحية لانغلي ، وتبعد /١٥/ كم عن واشنطن ، وفي مركز محصن تحصينا طبيعيا . عدا الحراسة المشددة عليه ، والكاميرات التلفزيونية المسلطة على المنطقة المحيطة به ليلا ونهاراً . وهذا المركز تبلغ مساحته ضعف مساحة مبنى القيادة الاميركية « البنتاغون » وتقدر هذه المساحة بـ / ١٢٥ / ألف متر مربع ، بينما بلغت تكاليف الانشاء ـ ٤٦ ـ مليون دولار وذلك ابتداء من عام ١٩٦١ .

ويحيط بمبنى المخابرات الاميركية سور يبلغ ارتفاعه أربعة أمتار ، وتعلوه أسلاك شائكة . ويقوم بالحراسة حرس مسلحون ، ومعهم الكلاب المدربة . أما المدخل الرئيسي ، ففيه شبكة من الحراس والاجهزة تمنع أي شخص من دخول المبنى ، دون أن يبرز البطاقة المسلمة له والتي تخوله حق الدخول . وهذه البطاقة عبارة عن شارة بلاستيكية توضع عليها صورة الموظف في مكان ظاهر للعيان طيلة وجوده داخل حرم المخابرات الاميركية .

وللمخابرات الاميركية عشرات التلفونات ، ولها دليـل سري خـاص لا يعطى للجميع . ولكن معظم موظفيها يستطيعون التوصل الى معرفة أرقام جميع الاقسام ، وتدوينها في مفكرتهم الخاصة ، رغم تعليمات الحذر الشديد بأن عليهم أن يتركوا مثل هذه المفكرات في خزائنهم لدى مغادرة مركز عملهم ، وتوضع في هذه الخزائن أيضا أشرطة الالات الكاتبة والاوراق السرية .

والموظف الذي لا يتقيد بذلك يتعرض للعقوبـة التي تبدأ بالتوبيخ وتنتهي بالطرد في بعض الاحيان . وبعد خروج الموظفين تبدأ عاملات التنظيف ممارسة عملهن داخل المبنى بمصاحبة حراس مسلحين ، ولا يسمح لأيـة

عاملة بالخدمة في المخابرات الا بعد اخضاعها لتحقيق ، ومن ثم منحها شهادة أمن تخولها حق الدخول وحمل شارة من شـارات المخابرات طيلـة وجودها بـالخـدمـة .

من دواعي الامن :

يطلب الموظفون الاداريون في المخابرات الأميركية من الموظفين الجـدد فيها أن لا يُعلنوا للناس عن عملهم في المخابرات الاميركية بل يدعون بأنهم موظفون في وزارة الدفاع أو وزارة الخارجية أو احـدى مؤسسات الجيش الاميركي الأخرى • ويمكن الحصول لهم على بطاقة (مزيفة) لعملهم التمويهي • ويُسمح لهم عند الاحراج أن يعطوا رقم هاتف عادي يتفق عليه مع المقسم الرئيسي للمنطقة التي يدعون العمل بها ، فتتحول المخابرة بطريقة فنية إلى « لانغلي » مركز المخابرات الاميركية •

وما دمنا في صدد شرح ما يجري داخل بناء المخابرات الاميركية ، فمن حق القارىء أن يعرف أنه يوجد داخل المخابرات الاميركية في « لانغلي » مطعم يعتبر من مطاعم الدرجة الاولى • ولكن العمل في هذا المطعم وارتياده يخضع لاجراءات أمنية تشبه اجراءات مراجعة أي مركز من مراكزها • وهذا المطعم مقسم الى أقسام سرية ، وأقسام مكشوفـة • فالاقسام المكشوفة تستعمـل للموظفين في دوائر حكومية أخرى ، تستدعي الضرورة زيارتهم لمركز المخابرات، وممثلي حكومات صديقة ، وأفراد عائلات الموظفين أنفسهم • والاقسام السرية تستعمل لموظفي الوكالة بعد أن يُبرزوا شاراتهم للحراس المسلحين الواقفين على مدخل كل قسم • وقد صُممت الاقسام للزوار ، بحيث لا يشاهد أيٌ منهم أيَّ رجل مخابرات مطلقا • أما الموظفين الكبار كالمستشارين أو ذوي الرتب العسكرية العليا فلهم أجنحة خاصة بالمطعم ، يقدم لهم فيها الطعام الخاص بكل منهم • وهذا يكلف الوكالة كثيراً ، ولكن المحاسب يبرر ذلك للمفتشين إذا وجدوا (أنه من دواعي الامن) • ورغم نقل معظم مكاتب المخابرات الاميركية الى (لانغلي) فانها احتفظت ببعض الابنية لاستعمالها تحت أسماء مستعارة، ومنها

١ ــ بناء في الشارع الثالث والعشرين شمال غرب واشنطن تحت اسم (مركز التسهيلات الطبية البحرية) •

٢ ــ بناء في شارع بنسلفانيا في واشنطن على مقربة من البيت الابيض ، ويشغله الآن (قسم العمليات الداخلية للمخابرات) •

٣ ـ بناء قسم الصور في المخابرات الاميركية ، ويقع في جنوب شرق واشنطن •

٤ ـ بناء بروبهيل في ارلنغتون ويستعمل لتدريب بعض العملاء والحالات الخاصة •

٥ ـ ستة مبان في منطقة « تايسون كورنز » في شمال فيرجينيا • وتستعمل للاعمال التقنية بسبب وجود آلات تقنية في هذه المباني ، لم تستطع المخابرات نقلها ، ووجود شركات أبحاث بالقرب منها تعمل لصالح المخابرات ووزارة الدفاع الاميركيـة •

أما المخابرات البريطانية « الانتلجانس سرفيس » فتقع في احدى ضواحي مدينة لندن (كورين آن غيت » وفي الصين الشعبية يقع مقر المخابرات الرئيسي في مكتب رئيس الوزراء بالذات ، الذي يطلع على كل شاردة وواردة في الصين

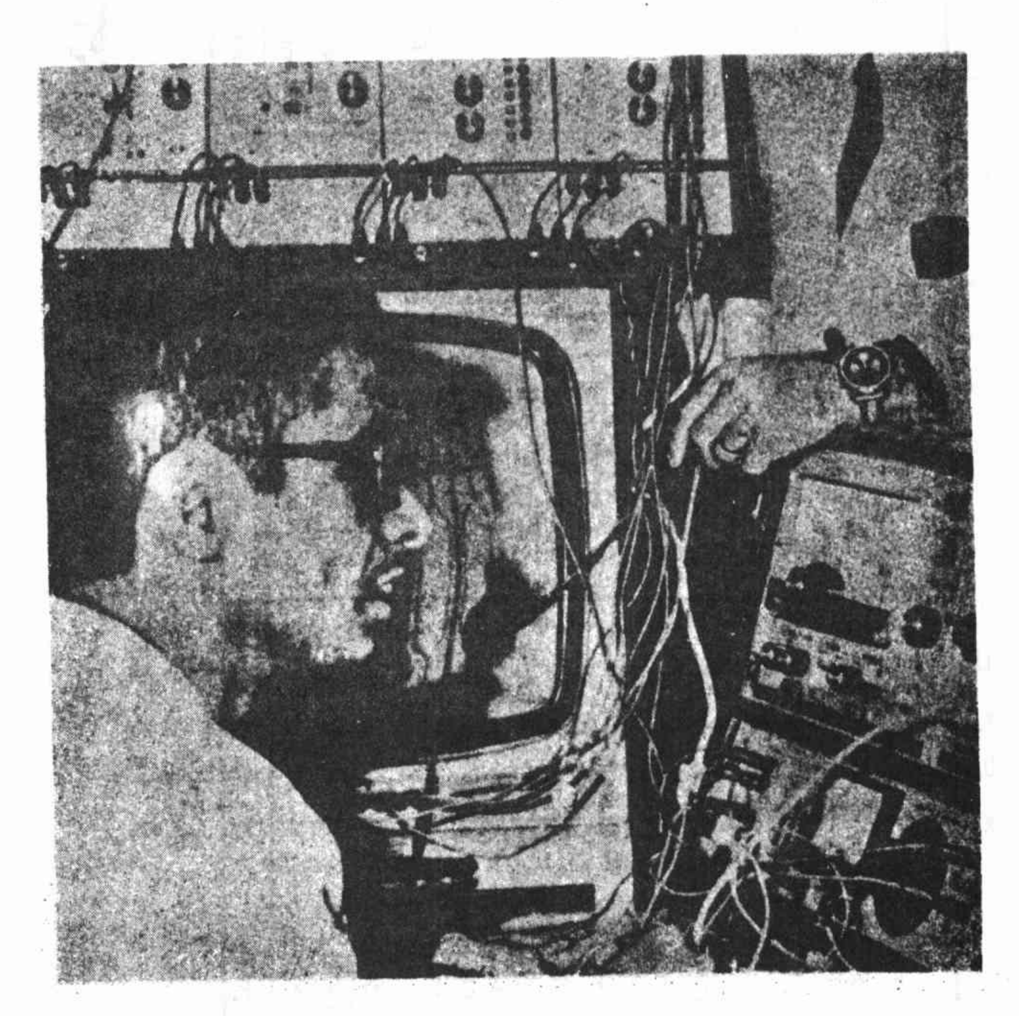
الشعبية بالرغم من تولية ادارة شؤون أكثر من (٧٥٠) مليون نسمة هو تعداد سكان الصين الشعبية • وتتبعه فروع متممة في كل من مكتب وزير الخارجية ، ومكتب وزير الدعاية الخارجية ، ومكتب مدير البوليس السري ، ومكتب في وزارة الامن الاجتماعي • وتنقل هذه المكاتب يوميا بصورة روتينية ملخص ما تحصل عليه من مصادرها الى المكتب الرئيسي لدى رئيس الوزراء •

أما في فرنسا وايطاليا فمراكز المخابرات في القيادات العسكرية •

وفي المانيا الغربية ، مركز المخابرات في مدينة (بون) ، ويرأسه الجنرال « جيرهارد فيسيل » • أما في اسرائيل فتقع ادارة المخابرات الاسرائيلية في تل أبيب ومكتب متمم في القدس بعد عام (١٩٦٧) • أما مخابرات حلف شمال الاطلسي فهي مخابرات انشأت مع انشاء الحلف ، ومركـز الرئاسة حاليا في بروكسل في بلجيكا بعد أن كان في باريس • وحين طلب الرئيس « الجنرال ديغول » نقل مركز الحلف وقواته من باريس ، وانسحاب فرنسا منه جرى نقل قيادة المخابرات الى بروكسل • ولها فروع متممة في (بون ـ أثينا ـ أنقرة ـ لندن)وفي كل من النرويج وهولندا ـ وكنداوايطاليا ـ والبرتغال ـ ولوكسمبوغ وايسلندافروع مخابرات تابعةللقوات الموجودةبها،والتي تتبع تصرف الحلف اداريا •

واذا علمنا آن الاسلحة الاتيــة مخصصة لتوضع تحت تصرف حلف شمال الاطلسي في حال تعرض الغرب لاي هجوم مفاجىء من قبل حلف وارسو أدركنا أهمية وجود مراكز (مخابرات) في كل دولة ، لمراقبــه وكشف الجواسيس السوفيات الذين يحومون حول دول الحلف ليلتقطوا كل صغيرة وكبيرة عنه ، ويبعثوا بما يعلمونه أو يشاهدونه الى موسكو .

وهذه نسبة الاسلحة والمعدات المخصصة للحلف حسب نشرات رسميــة صادرة عن الحلف ومؤكدة من خبراء المخابرات المحايدين . والعدد صحيح مائة في المائة ، وقد حصلنا عليه من آدق المصادر .



كشف بتعداد أسلحة حلف شمال الأطلسي

الدولة	عدد الجنود	الطائرات	السفن الحربية	الغواصات	الصواريخ	الدبابات
أميركا	٥ر٢ مليون	٠٠٠ر١٥ عادية	٩٤٠ عادية	٤٠ عادية	١٢٠٠	٣٧٠٠
أميركا		٥٧٥ فائقة		٤٠ بولاريس		
أميركا		٥٢، التي تحمل رؤوس نووية				
بريطانيا	٠٠٠ر٥٠٠	٦٥٠ عادية	١١٤ عادية	٥ بولاريس		
بريطانيا		٨٥ فائقة ثقيلة				
المانيا غ	٠٠٠ر٤٥٠	٦٠٠ اغلبها أميركية	٤٥ عادية			٢٩٠٠
تركيا	٠٠٠ر٥١٥	٥٠٠ عادية	١٨ عادية			
ايطاليا	٠٠٠ر٣٦٥	٤٥٠ عادية	٦٨ عادية			
كندا	٠٠٠ر١٠٠	٣٠٠ عادية	٤٨ عادية			
اليونان	٠٠٠ر١٦٠	٢٥٠ عادية	٢٠ عادية			٣٠٠
بلجيكا	٠٠٠ر١٠٠	١٤٠ عادية				٧٠٠
هولندا	٠٠٠ر١٣٠	١٤٥ عادية بعضها ميراج	٢٩ عادية			
النرويج	٠٠٠ر١٣٥	١٣٠ عادية	٢٠ عادية			
الدانمارك	٠٠٠ر٤٥	١١٥ عادية	١٢ عادية			
البرتغال	٠٠٠ر١٨٥	١٠٠ عادية	٢٧ عادية			
لوكسمبورغ	٥٦٠ جندي					
ايسلندا	٣ كتائب أميركية					

وان علمنا بعد معرفة كمية هذه المعدات والاسلحة أن القوات المطلوبة فعلا للحلف كي يستطيع الصمود أمام « حلف وارسو » هي خمسون لواء كامل من طائرات وسفن وغواصات وتوابعها ادركنا قلة أهمية هذه المعدات .

ننتقل من مراكز المخابرات الى تعداد رجال المخابرات، ذلك أن تعداد رجال المخابرات في كل دولة ، يتناسب مع عدد سكانها ، والحاجة الى المخابرات والجاسوسية لحماية تلك الدولة ، فيكفي أن نعرف أن عدد رجال المخابرات والامن في الصين الشعبية يقدر من قبل خبراء المخابرات العالميين باكثر من ثلاثة ملايين نسمة مهمتهم التجسس على الشعب الصيني في الداخل،واكتشاف الاسرار وما يدير ضد الصين الشعبية خارج الحدود . واذا علمنا أن سكان الصين الشعبية يبلغون أكثر من (٧٥٠) مليون نسمة عرفنا ان عدد رجال المخابرات والامن قليل . ففي عام ١٩٦٨ أعلنت المخابرات الصينية الشيوعية عن اكتشاف ٨ ملايين تمرد وثورة ونقد وعصيان ضد النظام الشيوعي ، كما أعلنت مخابرات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني أن نسبة ١٠٪ من الشعب و ٨٪ الموظفين هم فاسدون ولا يؤتمنون ، وهؤلاء المعارضون أو الفاسدون حسب تعبير المخابرات الصينية ـ يرسلون الى معسكرات (السخرة) . كما أن المخابرات المركزية الاميركية قد بلغ عدد أفرادها في يوم من الايام أكثر من نصف مليون موزعين في أركان العالم الاربعة .

وفي بعض البلدان لا يتعدى عدد موظفي المخابرات والامن العشرات بسبب هدوء ومحايدة تلك البلاد وقلة عدد سكانها ، حيث يقوم رجال المخابرات بالاعمال الروتينية . وفي الاتحاد السوفياتي لا يمكن تقدير أومعرفة عدد رجال المخابرات السوفياتية الحقيقيين ، لأن العقيدة الشيوعية تفرض أن كل عضو في الحزب يجب عليه طوعا أن يكتب جميع ما يرى أو يسمع من نشاط مناوىء للشيوعية الى رؤسائه ، وهذه الكتب تلخص وتجمع وترسل الى الرئاسة في « الكرملين » للاطلاع عليها ، ووضعها في المكان المناسب لاستغلالها فيما بعد .



تسليح رجل المخابرات

اسباب تسليح رجل المخابرات

منذ أن عرفت المخابرات بشكلها الحالي ، وفيما بعد الحرب العالمية الثانية وحتى أيامنا هذه ، ورجالها يحملون المسدسات داخل ملابسهم ، وذلك للدفاع عن النفس عند حدوث أي طارىء ، أو عند مداهمة أي مقر لشبكة تجسس مناهضة أو عند الانتظار ليلا ساعات طويلة في مراقبة عميل خطير موضوع تحت المراقبة ، ويحمل رجل المخابرات عادة مسدسه تحت ابطه الايسر محمولا بحماله من الجلد ، لها حزام يلتف على الكتف الايسر مع حزام آخر من البلاستيك يشد الحزام الاول الى الكتف الايمن لينحصر المسدس من تحت الابط الايسر، ويوضع المسدس بهذا الشكل وتحت الابط الايسر لسهولة استعماله باليد اليمنى باسرع وقت • ويلزم ثانيتين لرجل المخابرات المحترف لكي يُخرج مسدسه عند شعوره بالخطر أو مفاجأته في احدى مأمورياته ، أما طريقه وضع المسدس على الحزام الحامل للبنطال ومن الخلف الى الجهة اليمنى ، فهذه الطريقة لها مضارها الآتيـة :

١ ــ ظهور المسدس واضحا من تحت الجاكيت .

٢ ظهور مؤخرة المسدس من تحت الجاكيت ومن المؤسف أن بعض رجال المخابرات والامن الناشئين يعمدون الى ذلك حبا بالتباهي في وسائط النقل .

٣ ــ امكانية خطفه من حامله في الزحام .

٤ ــ التأخر في إشهاره من الخلف عن إشهاره من تحت الابط .

أما أنواع المسدسات التي يستعملها رجال المخابرات فتكون عادة من أحسن أصناف المسدسات المتداولة ، وأحسن وأخف صنف ممكن استعماله هو مسدس (لاما ٧) لصغر حجمه ومفعوله القوي .

متى يستعمل رجل المخابرات سلاحه

إن رجل المخابرات يحمل المسدس لحماية نفسه عند اللزوم . ولكن الى أي مدى يحق لرجل المخابرات أن يستعمله .

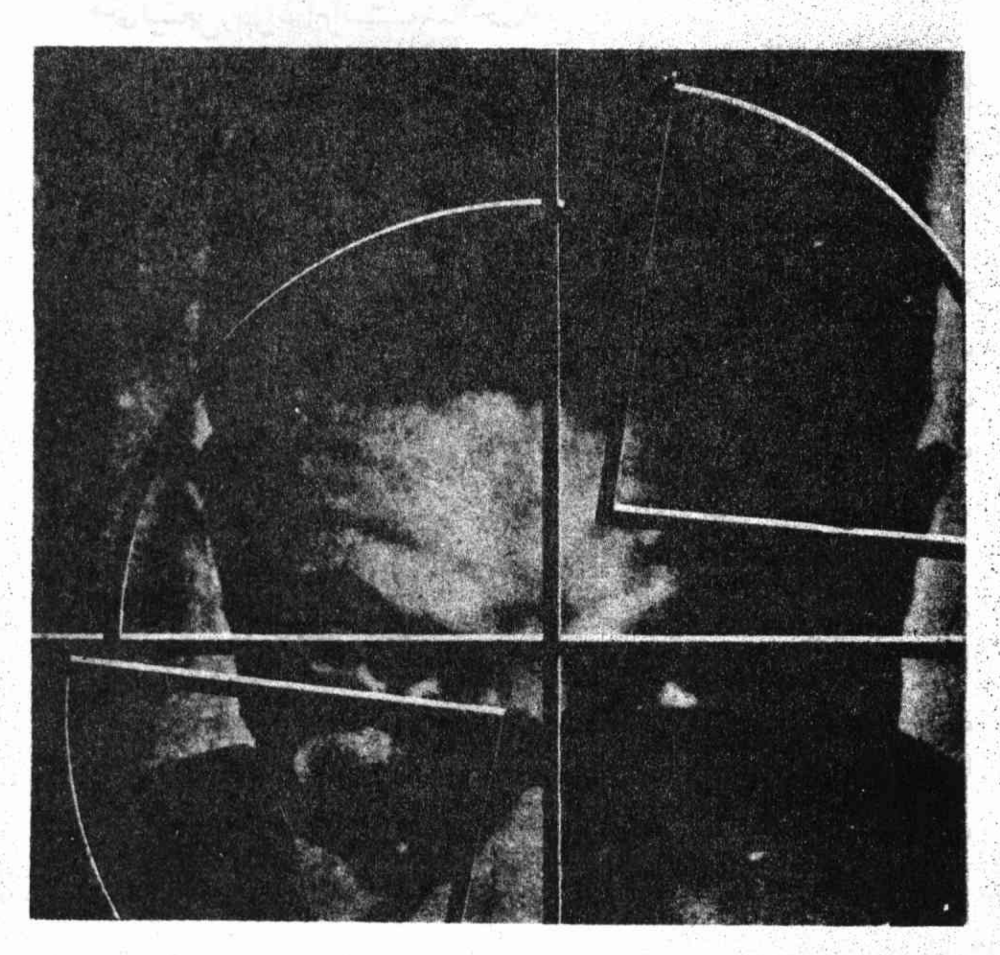
١ ــ يحق لرجل المخابرات أن يستعمل مسدسه أو التهديد به عند اللزوم ضد (جاسوس) مثلا أو شخص مشتبه بعمالته لبلد آخر ، وذلك عند مداهمته منزل هذا العميل حتى يستسلم . ويقيد يدأ بيد مع رجل المخابرات لخطورته : وفي حال مقاومته يحق لرجل المخابرات التصرف حسب الموقف . ويجب على رجل المخابرات أن يكون اطلاقه الرصاص في حال المقاومة اذا وجدت في أماكن غير قاتلة على الارجل في أغلب الاحيان لتعطيله عن الهروب . واذا كان رجل المخابرات من الدقة بحيث يصوب على يده ، اذا كانت مقامته للعميل من مكان ظاهر أو مضاء وكانت الرؤيا جيدة .

٢ ــ يحق لرجل المخابرات استعمال مسدسه في حال تعرضه للخطر أثناء قيامه بمراقبة أحد العملاء في ضواحي البلدة وفي الامكنة النائية التي غالبا ما يستعملها العملاء أوكارا لهم لبعدها عن المدينة وضآلة الاشتباه بها . ويكون استعماله لسلاحه ضمن حدود الاوامر المزود بها ، اذ أنه من الممكن أن يقتل هذا العميل ويضيع على المخابرات المعلومات التي كان من الممكن أن يدلي بها لدى اعتقاله ، ومنها الدلالة على بقية الاعضاء الذين يتعاون معهم .

٣ ـ يستعمل رجل المخابرات سلاحه للدفاع عن نفسه في كل زمان ومكان طالما يعمل في هذه المهنة . وبعض رجال المخابرات يسمح لهم باذن خاص بحملهم مسدس حتى بعد احالتهم على التقاعد ، وذلك حماية لهم مما قد يتعرضون له نتيجة عملهم السابق في المخابرات .

٤ ـ يستعمل رؤساء المخابرات (الضباط) أكثر من مسدس في منازلهم لتعرضهم أكثر من غيرهم للخطر .

٥ ـ في أغلب الاحيان تكون الاوامر الصادرة الى رجال المخابرات لدى توجههم لاعتقال عميل صريحة وواضحة كالآتي :



القيادة العامـة
المخابرات العربيـة
فرع مكافحة الجاسوسية
رقم/١٤٠/س٠م
تاريخ ١٩٦٥/١/١٤

(أمر مداهمة)

الى فرع الخدمات

ثبت أن العميل الاجنبي المدعو : روبين سكايدن هو عميـل المخابرات الاسرائيلية نتيجة مراقبته مما يستدعي القاء القبض عليه بعد أن استنفذت مراقبته أغراضها . ويخشى فراره خارج البلاد . لذلك يطلب اليكم القاء القبض عليه بتاريخ ١٩٦٥/١/١٥ في الساعة الثانية صباحاً لضمان مفاجأته .

العنوان : معروف من قبل النقيب (حسين) رئيس مفرزة المراقبة الـذي سيشترك في المداهمة .

تنبيه هام : يمنع قتل العميل اذا أظهر أية مقاومة ويجب احضاره حيا . وعلى آمر العملية مسؤولية المحافظة على حياة العميل وافهام العناصر ذلك .

المقيد (أ٠ح) موسى العيد
رئيس فرع مكافحة الجاسوسية

المرسل اليهـم :

ــ نسخة الى السيد قائد شعبة المخابرات (يرجى الاطلاع) .
ــ نسخة الى النقيت (حسين) .
ــ نسخة للحفظ في إضبارة العميل .
ــ نسخة لمقام النيابة العامة إشارة الى موافقتها رقم/٨٣/م تاريخ ١٤ــ١ــ١٩٦٥

القيادة العامــة
المخابرات العامــة
فرع الخدمات

رقم : ٧٢/س م
تاريخ ١٤/١/١٩٦٥
الموضوع : اعتقال عميل .
اشارة : كتاب السيد رئيس فرع مكافحة الجاسوسية رقم ١٤٠/ س م
تاريخ ١٤/١/١٩٦٥ .

امــر مهمـــــة

استنادا الى كتاب السيد العقيد رئيس فرع مكافحة الجاسوسية بتكليفنا باعتقال العميل الاجنبي (روبن سكايدن) وعنوانه معروف بالدلالة من النقيب (حسين) آمر مفرزة المراقبة ، تتحرك العناصر الآتية بقيادة الرائد عبد الجبار حمدي في الساعة الواحدة والدقيقة الثلاثين من صباح ١٥/١/١٩٦٥ باتجاه منزل العميل وهم :
(احمد ــ مصطفى ــ جورج ــ غازي ــ عمر ــ أنطون ــ محمود ــ كاظم ــ سالم) ، وتنفيذ عملية الاعتقال كما يلي :
١ ــ أحمدومصطفى وجورج يتمركزون في ثلاثة زوايا خلف المنزل خشية هروب العميل لدى شعوره بالمداهمة .
٢ ــ غازي ــ عمر ــ أنطون يصعدون على السطح احتياطاً لمحاولة العميل الهروب من على السطح .
٣ ــ حسين ــ محمود ــ كاظم ــ سالم للأقتحام وكسر باب شقة العميل بأي وسيلة ، وذلك لعدم ترك مجال لاي ردة فعل . كالمقاومة أو الهرب أو الانتحار لدى مداهمة الشقة .

الاجراءات التي تتخذ بعد القاء القبض على العميل :

١ ــ ارسال محمود لاستدعاء أحمد ومصطفى من الحديقة خلف المنزل وترك جورج فقط للمراقبة .

٢ ــ في حال تواجد النقيب (حسين) وأحمد ومحمد ومصطفى ــ كاظم ــ سالم في الشقة يرسل أحمد لاستدعاء غازي وعمر من السطح وابقاء انطون للمراقبة فقط حتى النهاية .

٣ ــ يقود النقيب (حسين) العميل ومعه أحمد ــ محمود ــ ومصطفى وكاظم سائق السيارة الى المركز حالا بعد عصب عينيه .

٤ ــ العناصر الباقية في الشقة بقيادة الرائد عبد الجبار تقوم بتفتيش الشقة تفتيشاً دقيقاً ، ويترك جهاز اللاسلكي في مكانه مع بقية الاشياء التي يشتبه بها حتى حضور الاخصائيين .

٥ ــ تسلح عناصر هذه المهمة برشاشات بريتا مع الذخيرة الكافية اضافة الى سلاحهم الفردي ، وعلى أمين المستودع تنفيذ هذه الفقرة .

المقدم فخري محمد
رئيس فرع الخدمات

اعتقال العميل

تلقى الرائد عبد الجبار حمدي أمر اعتقال من رئاسة فرعه ، استناداً الى طلب السيد رئيس فرع مكافحة الجاسوسية الذي أثبت أن العميل اتخذ من صفته واقامته ستاراً للتجسس لصالح المخابرات الاسرائيلية بدلائل واثباتات واضحة نتيجة مراقبته مدة كافية لكشفه، ومن ثم وضعت المخابرات هذه الدلائل تحت تصرف النيابة العامة التي وافقت على اعتقاله حسب الاصول المرعية الاجراء وهكذا توجهت هذه القوة من المخابرات بقيادة الرائد عبد الجبار حمدي الى المنطقة التي يقطن بها العميل ، ثم دخلت العمارة التي يسكن احدى شققها حسب

الخطة الموضوعة . فجرت مداهمتها ومفاجأة العميل وهو في فراشه ، فاعتقل وجرى تقييده يداً بيد مع أحد رجال المخابرات منعاً لأي محاولة منه وسيق الى مركز المخابرات ، ثم المحاكمة كغيره من الجواسيس الذين سقطوا في قبضة المخابرات العربية قبله ...

تقرير تنفيذ المهمة

سيدي العقيد رئيس قسم مكافحة الجاسوسية المحترم .

تنفيذاً للامر الصادر تحت رقم /١٤٠/ س م تاريخ ١٥-١-١٩٦٥ قمت مع العناصر المعينة التي حضرت جميعها ، وكان التنفيذ حسب الخطة الموضوعة من قبل سيادتكم حرفيا - ولدى مداهمة شقة الجاسوس وجد نائماً ، وقد اعتقل من فراشه ، وقد أصيب بالذهول والرعب نتيجة المفاجأة فشلت حركته ، وقد تم تسليمه الى الملازم الاول (صادق) في الساعة الثانية و ٣٥ دقيقة باعتباره الضابط المناوب ، وباشرت التفتيش مع العناصر فوجدنا في الشقة الاشياء التالية :

١ - راديو عادي على يمين سرير العميل من أحدث نوع ، اتضح بعد حضور الخبير المهندس أنه جهاز ارسال واستقبال ، كما أنه بنفس الوقت جهاز راديو عادي اذا استعمله شخص ما غيره ، وقد تم سحب (الاريال) الخاص به، والذي وجد موجهاً الى جهة شمال - شرق .

٢ - زجاجات أدوية مختلفة جرى تغليفها بمعرفة المهندس الخبير ونقلها الى المختبر .

٣ - مسدس بلجيكي نوع براونغ عيار ٩ مم وجد تحت وسادة العميل مع مخزن احتياط وعلبة ذخيرة تحوي ٢٥ طلقة ٩ مم وجدوا في درج صغير جانب السرير .

٤ - محفظة نقود (جلد أسود) تحوي ٣٤٠ جنيه استرليني و/٨٠/دولار وصور نسائية عدد /٤/ تقرير طبي باسم العميل صادر من سويسرا يشهد بأنه مصاب بقرحة . شهادة قيادة سيارة دولية صادرة من أنقرة بتركيا .

٥ ـ دفتر صغير للعناوين وأرقام الهواتف •

٦ ـ منافض للسجائر عدد /٣/ ظاهراً عادية ، ومن أسفلها يوجد أمكنة يمكن وضع أي شيء بداخلها كالافلام المصغرة •

٧ ـ كاميرا (كنون) جديدة وبداخلها فيلم (سيجري تحميضه بواسطة الاستديو) •

٨ ـ أوراق رسائل واردة عدد /٨/ منها رسالة مظهرة بالحبر السري تبين الطلب الى العميل بتنفيذ بعض المهمات التي لم يتمكن رؤسائه من مـن ارسالها له لاسلكياً •

٩ ـ أصابع معجون حلاقة ومعجون أسنان عدد /٥/ سلمت الى الخبير•

١٠ ـ أثاث الشقة ويحوي : خزانة ملابس عدد /١/ واحدة ، سرير للنوم /١/ فرشة ، سيرفك ، عدد ١ ، ملابس مختلفة ١٨ قطعة من قميص وبنطال وجاكيت ، وأحذية ٣ أزواج •

ومن ثم نقلت المصادرات رقم /٣ـ٤ـ٥ـ٦ـ٧/ الى مركز المخابرات ، والمصادرات ١ـ٢ـ٩ نقلت بمعرفة الخبير والمصادرات /١٠/ أبقيناها في الشقة تحت الحراسة بانتظار التفضل بالايعاز بما ترونه مناسباً •

١٩٦٥/١/١٦ — المقدم فخري محمد
رئيس فرع الخدمات

وبعد اجراء التحقيق مع هذا العميل تبين أنه من الجنسية الكندية ، وقد دخل البلاد بموجب تأشيرة دخول قانونية على جواز سفره ، وبعد اقامته المدة القانونيةالتي سمح له بها تقدم بطلب اقامة مدعيا بأنه يود افتتاح مكتبا للاعمال التجارية ، وعرض نماذج صناعات لعدة شركات يمثلها • وقدم لذلك عدة كتب اعتماد من شركات تجارية معروفة من قبل غرفة التجارة فجرت الموافقة على منحه الاقامة ، بنفس الوقت قام جهاز مكافحة التجسس لدى المخابرات بوضعه تحت المراقبة الدقيقة من أول يوم ، لافتتاح مكتبه الوهمي بل وكان أول زبون يتعامل معه من المخابرات العربية • واعترف بكيفية تعامله مع المخابرات الاسرائيلية منذ ثلاث سنوات • حيث تعرف على أحد ضباط المخابرات الاسرائيلية في أحد مقاهي

ميدان (دومينيون) في مونتريال بكندا ، ولما علم بحاجته الى عمل عرض عليه التعاون معه في جمع معلومات عن الحركات الهدامة ، وبعد أن وافق على العمل بحكم حاجته تسلم مبلغ /٣٠٠/ دولار كسلفة ، ثم وضع تحت الامر الواقع، وطلب منه السفر الى اسرائيل مدة ثلاثة أشهر تدرب خلالها على مختلف أنواع التجسس ، ثم أعيد الى كندا لينطلق منها كسائح اولا الى البلاد العربية ، ثم يطلب منحه اقامة لانه وجد أن الاعمال التجاريه رائجة ، وهكذا كان .

وجدت محكمة أمن الدولة أن ما قام به من تجسس لا يشكل خطراً على السلامة العامة ، لأن أغلب ما أرسله الى رؤسائه كان تحت اشراف المخابرات ، وانه كأجنبي لا يحمل في قلبه أي وفاء للوطن ، وانه تعاون مع فرع مكافحة التجسس تعاوناً كاملا لدى التحقيق ، وأظهر ندمه على عمله في جميع مراحل التحقيق ، وأكد ندمه في المحكمة وطلب الرحمة . لذلك جرى الحكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات وابعاده عن البلاد .

الكتابة بالحبر السري

هذه الرسالة التي صودرت مع العميل (روبن) من رسائل التجسس التي وردت اليه من رؤسائه في بروكسل . حيث كان يراسلهم . وقد ظهرت الكتابة رقم /٢/ بين سطور الرسالة بعد أن وضع عليها مادة خاصة بكشف الكتابة بالحبر السري .

بروكسل بتاريخ ٢/١٢/١٩٦٤ .

عزيزي روبن :

١ ــ خط عادي : أشكرك على رسالتك الاخيرة والصور الجميلةالتي أرسلتها لنا.
٢ ــ حبر سري من رقم /٢/ وصلت المعلومات وهي جيدة ــ تابع عملك .
١ ــ خط عادي : وأنت على ظهر الباخرة عند سفرك الجميع بانتظار اخبارك .
٢ ــ حبر سري : أعلمنا حالا عن حرك أي وحدات جديدة باتجاه ــ الجبهة .
١ ــ خط عادي: ويسالونني هل تحسنت صحتك في أجواء الشرق التي تحبها .

٢ ـ حبر سري : أعلمنا في حال التعبئة العامة لاسلكيا في ساعة ارسالك .
١ ـ خط عادي : وفي هذه السياحة التي رغبت أن تبقى بعدها للعمل التجاري.
٢ ـ حبر سري : وعند اختفاء الجنود من الشوارع سافر الى (٤) .
١ ـ خط عادي : وهل صحيح أنك ستبقى للصيف . نرجو لك إقامة سعيدة .
٢ ـ حبر سري : واكتب لنا جميع مشاهداتك العسكرية والاقتصادية على .
١ ـ خط عادي : وتنتظر عودتك محملا بالهدايا الشرقية الاثرية .
٢ ـ حبر سري : الطريق ذهابا وايابا ـ يصلك رسائل منا تباعاً .
١ ـ خط عادي : الجميع عندنا بخير وقد افتقدك الجميع خصوصا خطيبتك .
٢ ـ حبر سري : استعلم بحذر عن سبب إحالة اللواء (عمر) .
١ ـ خط عادي : (ماري) تعاقدت للعمل في مكاتب شركة (شل) لغاية .
٢ ـ حبر سري : على التقاعد دفعنا ٤٠٠ دولار حسب طلبك .
١ ـ خط عادي : ١/٥/١٩٦٥ سوف تتسلم منها رسالة قريبا اكتب لنا .
١ ـ خط عادي : مولر سكايدن
٢ ـ حبر سري : رقم /٨٢٠/ .

نصائح إلى رجل المخابرات

هذه النصائح المستمدة من الخبرة في أعمال المخابرات نقدمها الى السادة رؤساء المخابرات العربية :

١ ـ لدى ارسال أكثر من عميل الى بلد واحد . ننصح بعدم معرفة بعضهم بعضاً مهما كانت الظروف .

٢ ـ في حال وجود عملاء من عدة فروع في بلد واحد ومشاهدتهم لبعضهم في أثناء تأدية الخدمة ، ننصح بعدم الالتقاء ، وحتى التحية ، لكيلا يفوت فرصه المهمة ومن المحتمل أن يكون الطرف الآخر مراقبا من قبل مخابرات تلك البلد، فاذا حيا « زميله » جره معه الى الاعتقال . بينما يكفي لو اعتقل عميل واحد . لأن أكثر ما يبوح به تحت التعذيب هو اسم فرعه ورئيسه ، وما يعرفه عنهم . بينما يتابع العميل الآخر مهمته بدون اي ازعاج .

٣ ـ عدم السماح للعملاء والمخبرين بالتجول في فروع المخابرات المختلفة والتعرف على الموظفين ، لأنه في حال انتقال العميل الى الجهة المعادية ، وهذا محتمل الحدوث ، فان ما يعرفه عن المخابرات لا يتعدى معرفته بالفرع الذي كان يتعامل معه (وهذا لا يشكل خطرا كبيراً) •

٤ ـ اعطاء (طلب المعلومات) الى أكثر من عميل في نفس البلدة للتحقيق ومن ثم مطابقة هذه المعلومات عند ورودها من جميع الجهات (هذه الطريقة تكشف العميل أو الموظف الذي يقوم بعمله جيداً) •

٥ ـ نفس طريقة الفقرة السابقة ننصح باتباعها مع العملاء الذين يقدمون معلومات من خارج الدولة (طريقة المخابرات البريطانيه) •

٦ ـ طلب تحديد أماكن دائمة لوجود العملاء في البلد الذي يرسلون اليه بغية الاتصال بهم عند الضرورة ، ومثال على ذلك تحديد دار سينما للعميل ، ورقم الصف ، وساعة معينة يكون فيها موجودا مع كلمة السر ، ومن الممكن أن يكون العنوان الدائم في مقهى ـ فندق ـ حديقة عامة •

٧ ـ عندمايكون العميل متزوجاً ، ويرسل بمهمة ننصح بعدم رفقة زوجته، مهما كان السبب لأن بقاءها أضمن لانجازه المهمة •

٨ ـ الاتصال دورياً بالعملاء والمخبرين . والتعرف على مشاكلهم وطلباتهم إن وجدت والعمل على مساعدتهم قدر الامكان للرفع من معنوياتهم وتجديد الثقة بهم •

التدقيق في معلومات العملاء والمخبرين

بعض ضباط الامن (المخابرات) مباحث جنائية ـ يزينون مكاتبهم بالآية الكريمة (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) • « صدق الله العظيم » • هذه الآية الكريمة لا تنطبق على العميل أو المخبر الشريف الذي يقوم بتقديم المعلومات الصحيحة ، والتي تساعد على حفظ أمن الدولة من العابثين والجواسيس • اما اذا كان العميل أو المخبر ممن لا ضمير لهم ، عند ذلك يجب على رؤساء المخابرات

وفـروع المخابرات والمباحث الجنائية (تقييم) ما يقدم لهـم من الاخباريات والتقارير والتأكد من صحتها . ولدى اكتشاف أي دسيسة بقصـد الايقاع بمواطنين شرفاء لمآرب شخصية يجب ايقاف المسؤول فورا عن العمل واحالته الى القضاء اذا لزم الامر بجرم الافتراء ، واشغال السلطات والحاق الاذى بالغير مستغلا وظيفته أو صفته . وان مهنة المخابرات والمباحث الجنائية مهنة حساسة جدا ، ولا يجوز السكوت عن عميل أو مخبر يسخرها للانتقام أو لتحقيق مآربه الخاصة .

كما أن هنالك فئة من الناس درجت على ارسال رسائل الى المخابرات والمباحث الجنائية ، تتهم فلانا بالعمالة ، أو بيع المخدرات ، أو أي اتهام خطير يمس أمن الدولة ، وتختم هذه الرسائل بتوقيع (مخبر صادق) ، مثل هـذه الرسائل تشغل سلطات الامن فعلا ، فلا هي تهملها ولا تتهم من جاءت بحقه التهمة حالا . ولا بد من اجراءات روتينية تبدأ بالاستعلام والتحقيق عن الشخص المتهم . بما في ذلك وضعه تحت المراقبة الدقيقة حتى اذا ثبت شيء ضده (اعتقل) بعد اعلام النيابة العامة . واذا ثبت العكس يستدعى هذا المتهم لسؤالـه عن أشخاص يهمهم الحاق الضرر بـه ، ويستدعو وتؤخذ عينات من خطوطهم . بمعرفة خبراء الخطوط في المخابرات ، ثم تقارن مع الرسالة الموقعة (مخبر صادق) حتى ينكشف مرسل الخطاب ليلقى جزاءه القانوني ، لأن ما كتبه غير صحيح ولو صحيح أن مصلحته ومصلحة وطنه دفعته للكتابة كما يدعي . لكان وقع باسمه الصريح بل ولحضر بنفسه الى السلطات لاعلامهم .

كيفية اعتقال الجاسوس ومعاملته

جميع أجهزة المخابرات في العالم تعلم أحيانا بوجود جواسيس بالاخبار عنهم من قبل أشخاص حاولوا الاتصال بهم ، او باي وسيلة من وسائلها . فتعمد الى وضع الجاسوس تحت المراقبة الدقيقة ، حتى تعتقله متلبسا بالجريمة مثل وجود جهاز ارسال في غرفته او وجود تقارير جاهزة للارسال ، او وجود خرائط او أفلام مصورة عن المناطق الاستراتيجية ، ونظرا لدقة عملية اعتقال الجاسوس

نظرا لخطورته من جهه امكانية كونه مسلحا ومقاومته أو قيامه باتلاف أدوات التجسس بالتفجير أو الحرق قبل وصول رجال المخابرات اليه، أو قيامه بالانتحار عندما يشعر أنه لا مفر له ، لذلك يجب على رجال المخابرات مراعاة الامور التالية لدى التوجه لالقاء القبض على أي جاسوس :

١ ــ أن يكون وقتاعتقال الجاسوس في الساعة الثالثة صباحا ، لأن الجاسوس يكون في هذا الوقت مستغرقا في النوم ، ولا يتمكن من المقاومة حالا،

لأن أغلب الجواسيس يأوون الى الفراش بعد الثانية أي بعد منتصف الليل بعد التخابر باللاسلكي مع بلادهم ، أو كتابة تقاريرهم .

٢ تفتيشه تفتيشا دقيقا ، وتقييد يديه بعيدتين عن بعضها ، ووضع محرمة أو قطعة قماش في فمه حالا ، وترك تنفسه الطبيعي من أنفه وذلك احتياطا من وجود سن اصطناعية للجاسوس فيها سم . وهذه الاسنان يزود بها الجاسوس الخطر للانتحار عند القاء القبض عليه .

٣ ــ عصب عينيه لدى قيادته من مقر تجسسه ، الى مركز المخابرات، وذلك لاحتمال تبادله في المستقبل مع جاسوس آخر ، حتى لا يدل على مركز المخابرات.

٤ ــ وضعه في غرفة توقيف خاصة تكون جدرانها ملساء ليس فيها سوى حديد القيد لليدين فقط ، وتكون انارتها مخفية ومحفوظة جيدا ، لاحتمال قيام الجاسوس باجراء ماس في الكهرباء وانتحاره ، ويستحسن ترك رجل المخابرات معه في هذه الغرفة .

٥ ــ لدى إحضاره للتحقيق معه يجب إبقاؤه بعيدا عن النوافذ ، ومراقبته بدقة ويستحسن تقييده مع رجل المخابرات يدا بيد

٦ ــ تهيء المخابرات أماكن خاصة لتوقيف الجواسيس ، تستوفي جميع الشروط المذكورة أعلاه وذلك تحسبا من انتحارهم ، وضياع معلومات قيمة مدخورنها عما قاموا به قبل اعتقالهم .

كيفية اعتقال متهمة بالتجسس

ان نسبة عمل المرأة في الجاسوسية أقل بكثير من نسبة الرجل بسبب تعرض المرأة (كأنثى) الى طلب الرجل في أي وقت •وان أغلب النساء اللواتي سمعنا عن اشتراكهم في شبكات التجسس او العمالة لبلد ما ، كن يتعرضن الى الوقوع بين يدي الرجال من صناعيين او مسؤولين او تجار وحتى ضباط المخابرات ، والبعض منهن كن البادئات في انشاء (العلاقة الغرامية) ، بغية الوصول الى غرضهن • ولكن المرأة هي حواء الضعيفة عندما تتعرض الى منافسة لها تنسى نفسها ، وتدفعها غيرتها العمياء الى ارتكاب أخطاء يكون من نتيجتها اعتقال الجاسوسة نفسها . وتعرض مهمتها للخطر ، ومن كل هذه الاخطار المحدقة بأعمال الجاسوسية يعلن بين كل فترة وأخرى عن اكتشاف شبكة تجسس من ضمنها (امرأة) ، وفي هذه الحالة يجب مراعاة الامور التالية لدى الايعاز باعتقال أي امرأة مشبوهة بجرم التجسس :

١ ـ ايفاد من أمضى مدة طويلة في المخابرات للقيام بهذه المهمة الحساسة•

٢ ـ عدم التأثر من أي مظهر من مظاهر الخداع او الحركات التي تصدر عن المرأة ومنها التظاهر بالاغماء عند القاء القبض عليها •

٣ ـ تقييدها بالقيد الحديدي (الكلبشة) حسب مقياس معصمها بالضبط. وعدم تركها بدون قيد (مهما كانت صفتها قبل الاعتقال) •

٥ ـ عصب عينيها لدى نقلها من مكان الاعتقال الى مركز المخابرات ثم اعادة عصب عينيها لدى نقلها من المخابرات الى سجن النساء •

٦ ـ يراعى في المخابرات أو في سجن النساء اخلاء غرفتها في كل مايمكنها من الحاق الاذى بنفسها . وعدم ادخالها الغرفة الا بعد تفتيش دقيق من قبل سيدة مسؤولة في المخابرات أو السجن •

٧ ـ ارغامها على ارتداء بنطلون (بدون حزام) ، وذلك لمنع اظهار مفاتنها، اغراء من تحدث له نفسه بالسوء (أثناء التحقيق) •

٨ ـ سحب ما بيدها من مصاغ وخواتم وأدوات الشعر ، مهما كانت صغيرة ، وذلك لكيلا تؤذي نفسها بها •

أما بالنسبة لاعتقال الجاسوس ، فيختلف الامر لأن أهم نقطة يدرب عليها الجاسوس هي (انتحاره) لدى القاء القبض عليه في أول فرصة تسنح له ، وذلك لعدم الحاق الاذى ببقية أفراد الشبكة ، أو لعدم الحاق الاذى بنفس دولته ، لان الجاسوس معرض بعد القاء القبض عليه للتشهير به في الاذاعة والتلفزيون ، وطلب اعترافه أمام الجماهير بأنه كلف بالتجسس ، ويمكن انتحار الجاسوس بالطرق الآتية :

١ ـ بتناول كمية من السم تعطى له ضمن أحد أسنانه او مكان آخر لحين الحاجة[1] •

٢ ـ الانتحار شنقاً باي وسيلة ـ شرشف ـ حرام ـ طرف القماش ـ بالتعليق في شباك السجن او شباك التواليت أو الحمام •

٣ ـ الانتحار بالقاء نفسه من علو شاهق اذا كان مركز التحقيق في الطوابق العليا [2] •

٤ ـ قطع الشريان بأي وسيلة وبأي شيء حاد كالشفرات أو قطع الزجاج أو ما شابه ذلك •

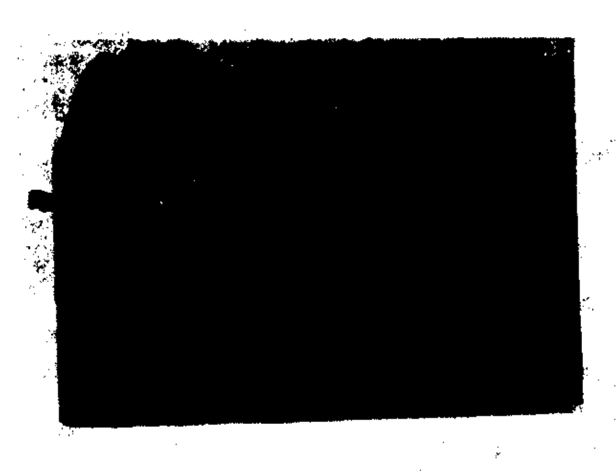
لذا ينصح باتباع جميع وسائل الاحتياط لحفظ حياة الجاسوس (الغانية)•

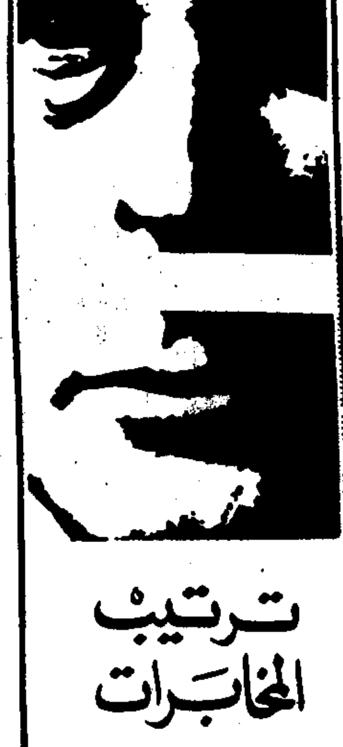


---

(١) وجدت مع الطيار الاميركي الجاسوس الكابتن (بورز) أنبوبة سم لم يستعملها

(٢) ألقى الجاسوس الروسي الياباني مياجي بوتوكا نفسه من علو عشرة أمتار لدى التحقيق معه في ادارة الامن اليابانية للانتحار • وحاول أحد جواسيس اسرائيل الانتحار عندما كنت مكلفا بالتحقيق معه من الطابق الثالث لولا أني ادركته وقمت بتقييده بالقيد الحديدي لانتحر كما دربته المخابرات الاسرائيلية •





ترتيب المخابرات

وفي هذا الكتاب لا نقدم سوى ما تمكنا من معرفته والاطلاع عليه من أعمال وانجازات المخابرات التي تحرك العالم فعلا ، وهي :

١ ــ المخابرات السوفيتية •
٢ ــ المخابرات المركزية الاميركية •
٣ ــ المخابرات البريطانية (الانتلجانس سرفيس) •
٤ ــ مخابرات الصين الشعبية •
٥ ــ مخابرات حلف شمال الاطلسي •
٦ ــ المخابرات الالمانية الغربية (الجستابو) قبل استسلام المانيا (حاليا المخابرات الاتحادية) •
٧ ــ المخابرات الفرنسية •

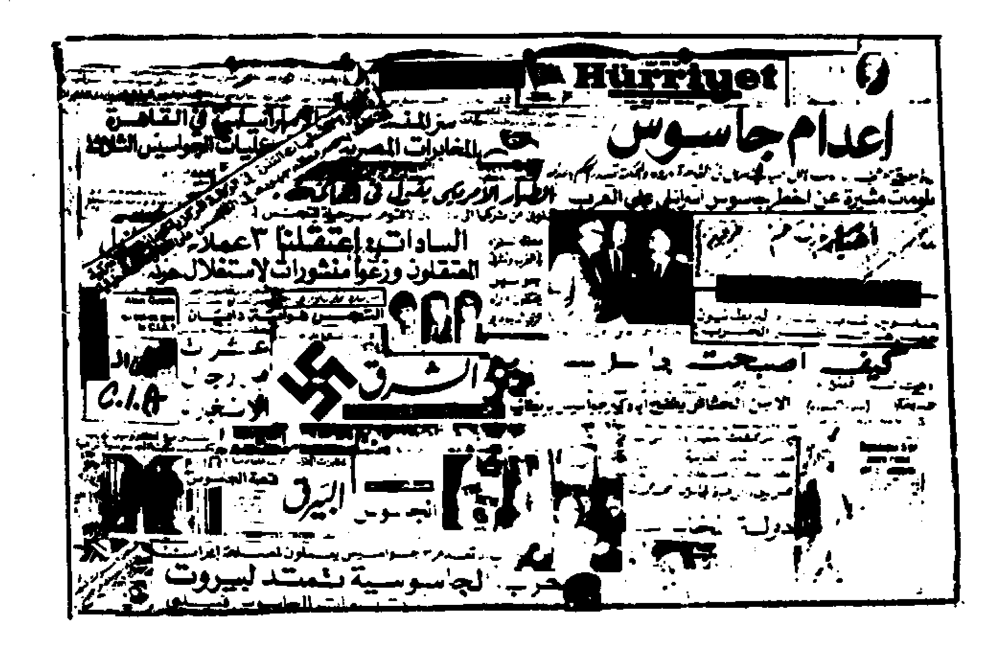
هذا الترتيب الى نسبة مكانة المخابرات وعملها وانجازاتها ، لا يعني أن مخابرات الصين الشعبية مثلا أقوى من المخابرات الافرنسية ، بل كان هـذا الترتيب من الناحية التقنية فقط •





يعرف الجميع أن المخابرات العربية قد أصبحت من القوة بحيث لها رجالها المحترفون ومنجزاتها في حقل التجسس . تضاهي المخابرات الاجنبية حتى انها تستعمل أحدث ما وصل اليه فن التجسس من مخترعات دقيقة ، وقد دربت رجالها على استعمال جميع هذه المخترعات والاجهزة منذ سنين اما بدورات تدريبية في الدول المنتجة لهذه الاجهزة ، واما باستخدام الخبراء من هذه الدول لنفس الغاية .

ولم يعد سراً بأن للمخابرات العربية الان شبكات تجسس منظمة على أحدث الطرق ، وموزعة في أماكن مدروسة ، تعمل في البلاد التي يهم الدول العربية معرفة أسرارها ، والاطلاع على ما يجري فيها وهذه الشبكات تعمل بانتظام تام وسرية مطلقة منذ انشائها ، ونادرا ما يتعرض بعضها الى الكشف وذلك بفضل حسن تدريب رجالها على أيدي أخصائيي المخابرات العربية وتقوم هذه الشبكات بتزويد المخابرات العربية بجميع ما يطلب منها أولا بأول ،



Hürriyet

اعدام جاسوس

الشرق

C.I.A

البيرق

حرب الجاسوسية تمتد لبيروت

وبمختلف الوسائل ، وأبطالها نذروا أنفسهم لخدمة بلادهم بصمت وصبر ،حتى يتحقق النصر بعون الله • وليس من دليل صادق على أن مخابراتنا العربية تقوم بواجبها خير قيام مما يطلع عليه القراء من هذا الكتاب أو غيره من الصحف والمجلات العربية والاجنبية أو قراءة أخبار اكتشاف بشبكات التجسس العديدة في سورية ــ لبنان ــ العراق ــ الاردن ــ جمهورية مصر العربية وحتى في بعض دول الخليج العربي •

أما في العراق ، فقد اكتشفت عدة شبكات تجسس أهمها (شبكة تجسس البصرة) والتي حكم على أغلب أعضائها بالاعدام شنقا ، ونفذ الحكم فيهم صباح ١٩٦٩/١/٢٧ ، وبعدها اكتشفت عدة حالات تجسس ، ونال جميع العملاء جزائهم العادل بفضل يقظة رجال شعبة الاستخبارات العراقية •

وفي الاردن اكتشف أفراد يقومون بالتجسس لصالح العدو ، وحكم على أغلبهم بالاعدام ، وقد نفذ الحكم في الساحة العامة قرب مسجد الحسين في

عمان • لان المعروف ان رجال المخابرات الاردنيه يقظون جدا ، ولا سيما • ان أغلبهم تلقوا تدريبهم خارج المملكة الاردنية الهاشمية وفي دورات خاصة •

وفي دولة الكويت لا يوجد مجال لقيام الاعداء بالتجسس لان جميع المقيمين في الكويت معروفين من قبل رجال الامن ، بالاضافة الى أن كل شخص مقيم في الكويت قد ضمنه مواطن كويتي لدى السلطات وهذا الضامن يسمى (الكفيل) ، يكون على اطلاع عما يقوم به من اعمال ، حتى اذا ظهر منه أي شك يكون الكفيل تلقائيا أول من يعلم السلطات عن هذا الشك لاسيما وقد كان سمو الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء يرأس وزارتي الدفاع والداخلية منذ سنوات وقد أرسى سموه بذلك دعائم الامن والطمأنينة بفضل اهتمامه شخصياً بجميع الامور المتعلقة بالامن مباشرة وقد استلم الامانة منه سعادة الشيخ نواف الاحمد فكان خير خلف لخير سلف لمتابعة السهر على أمن الكويت يعاونه في ذلك سعادة اللواء عبد اللطيف الثويني الذي يسهر الليالي ليرعى مصالح وزارة الداخلية ومنتسبيها والسيد العميد محمد الحمد مدير الامن العام الذي كان له الفضل في تفويت عشرات الفرص على أعداء الكويت عندما كان يرأس المباحث الجنائية ويعتبر العميد الحمد بحق العين الساهرة مع جميع رجال الامن والشرطة الكويتيين الذين يقفون بالمرصاد لكل من تسول له نفسه العبث بأمن الكويت حيث اكتشفوا العديد من جرائم التجسس وأحبطوا غيرها في مهدها بفضل سهرهم وقدموا الجناة للقضاء الكويتي العادل لينالوا جزاءهم بما اقترفت أيديهم بحق الكويت وطن الجميع •

وللمخابرات السورية (شعبة المخابرات) وقائع ثابتة في مراقبة العملاء ضمن الاراضي السورية ، والقاء القبض عليهم متلبسين بجرائم التجسس ، أو حتى لدى ابتداء مهماتهم التجسسية وتقديمهم للمحاكمة ونيلهم الجزاء العادل • وذلك هو الاعدام في أغلب الاحيان والحالات الثابتة •

ومن التراب الوطني في الجزائر يقف عشرات من رجال المخابرات التابعين لجيش التحرير الوطني في الجزائر بالمرصاد لجميع العملاء ، الذين يتربصون للنيل من المنجزات الثورية الضخمة في الجزائر ، أو الذين تدفعهم الامبريالية ومن ورائها الصهيونية للاطلاع على هذه المنجزات ، فيجدون أنفسهم في قبضة المخابرات الجزائرية • كقضية اكتشاف شبكة تخريب معادية للجزائر في ١٠/١/١٩٧٦ بعد القاء قنبلة على مكاتب مجلة المجاهد الجزائرية الرسمية بتاريخ

٣/١/١٩٧٦ • وقد سببت هذه القنبله بعض الاضرار المادية فقط بينما كان لها تاثير معاد فانطلقت المخابرات الجزائرية تبحث عن الفاعلين حتى اعتقلتهم بعد أيام رغم محاولاتهم الهرب • وقدموا للمحكمة في مدينة ميديا التي تبعد ٩٠ كيلو مترا الى الجنوب من الجزائر وهم :

١ ــ اسماعيل محمد جبر ــ جزائري •

٢ ــ سلبي جاي ــ ويحمل الجنسية الاميركية من ولاية بنسلفانيا •

٣ ــ نوبل شيريد افرنسي (صودر معه جواز سفر ايطالي مزيف وبطاقة جنسية اسبانية مزيفة أيضا) وهو من مواليد الجزائر •

وبعد المحاكمة صدر الحكم عليهم بالاعدام رميا بالرصاص ، عملا بالقانون الجزائري • وتستمر المخابرات الجزائرية عينا ساهرة ترصد العملاء ، وكل من تسول له نفسه بأمن الجزائر •

وفي ليبيا الثورة ••• أصبحت المخابرات الليبية تضم خيرة الضباط الليبيين المدربين ، خصيصا لمكافحة التجسس ، وتعتبر المخابرات الليبية الآن من أحدث المخابرات بحيث بدأت نتائج أعمالها بكشف العملاء والجواسيس الذين وفدوا الى ليبيا ، بعد أن أصبحت ملاذا للاحرار ، ومن أخبار المخابرات الليبية اعتقال أحد الجواسيس الخطرين في طرابلس الغرب ، واعترافه الكامل بالاعمال التجسسية التي قام بها في ليبيا من الاطلاع على المرافق العامة ، وتسقط الاخبار والدس • وقد أشرف على التحقيق مع هذا الجاسوس سيادة الرائد الخويلدي الحميدي ، عضو مجلس قيادة الثورة في ليبيا شخصيا •

والمخابرات اللبنانية (الشعبة الثانية) لها نشاط واضح في معرفة تحركات الجواسيس ورصد أعمالهم ، وقد اعترفت السلطات الاسرائيلية نفسها باكتشاف (عملاء) للمخابرات اللبنانية داخل اسرائيل •

ولعل أهم مخابرات بالنسبة للدول العربية هي (المخابرات الحربية) المصرية في القاهرة ، بحيث أصبحت هذه المخابرات من القوة لاكتشاف العملاء حتى في أوربا ، وقبل حضورهم الى مصر للتجسس •

وفي القاهرة اكتشفت معظم شبكات التجسس لصالح اسرائيل واميركا ، وأهمها اكتشاف الجاسوس الالماني (لوتز) الذي كان يقوم بالتجسس على العملاء الالمان الذين يعيشون ويعملون في المصانع الحربية المصرية •

وقد اعترف وحكم بالسجن المؤبد (لم يجر اعدامه كما هي العادة نظرا لقيمته وقد صح ذلك عندما سلمت اسرائيل (ج•م•ع) مقابلة خمسة آلاف أسير كانت ستسلمهم على كل حال • لكن اسرائيل فضلت مبادلة جاسوسها بالخمسة آلاف أسير ، لرفع معنويات جواسيسها الذين أخذوا يتساقطون بفضل يقظة المخابرات العربية • ودرجت المخابرات في أغلب الدول العربية على بذل جهودها لكشف الجواسيس • ومن جملة الاجراءات التي تتخذها هذه المخابرات (المراقبة الهاتفية) ، وطريقة المراقبة الهاتفية مأخوذة عن الدول الغربية وعلى رأسها أميركا فقد علمنا أنه في عام ١٩٦٥ فقط قامت المخابرات المركزية الاميركية بمراقبة وتسجيل (٣٩ مليون مخابرة) بطريقة غير شرعية ، منها مايتعلق بالتجسس على أشخاص موضع شك المخابرات ، ومنها ما يتعلق بالتجسس الصناعي ، أو ما يتعلق بالضرائب ، وبالاضافة الى رقابة المخابرات هذه على الهواتف هناك (مؤسسات خاصة) غير قانونية تقوم بالمراقبة الهاتفية لقاء أجر • وقد بلغ عدد الخطوط التي تراقبها احدى هذه المؤسسات في نيويورك وحدها (٦٠ ألف خط) ولم تكن هذه المراقبة تتعمد الاشخاص بقدر ما كانت تستعمل لمراقبة هواتف صناع وتجار الادوية .وحتى في بريطانيا تم اكتشاف مؤسسة كانت تقوم بمراقبة حوالي /١٢/ ألف خط من خطوط الهاتف ، وتقدم أسرار هذه الخطوط الى عملائها •

أما في البلاد العربية فلا يوجد سوى رقابة روتينية خاصة عندما يوجد (شك) في شخص أجنبي أو (وطني) مشتبه به ، فتوضع المراقبة الهاتفية على هاتفه ، وتسجل مكالماته لتكون دليلا عليه فيما بعد •

ولطالما كشفت بعض المكالمات الهاتفية (ضمن المراقبة) أشياء تمس أمن البلاد ، بحيث كان المتكلمون لا يشعرون أن كلامهم مسجل •

أما المراقبة البريدية فلا تتعجب عزيزي القارىء اذا وجدت على بعض رسائلك جملة (فتح بمعرفة الرقابة) أو حرفي (ر•ع) أي (رقابة عسكرية)،

فهذا يعني أن رسالتك فتحت ولكن ذلك اجراء روتيني ، وموظف المخابرات المسؤول عن المراقبة له (حاسة سادسة) يعرف بها الرسالة التي يجب أن تفتح وتراقب فعلا ....

هذا العرض الموجز الذي تسمح بنشره ضرورة الامن القومي للبلادالعربية عن بعض المنجزات للمخابرات العربية ، بينما نمسك عن أهم من ذلك بكثير حتى لا تستفيد منه المخابرات الاسرائيلية التي لها عيون وآذان من ذوي الضمائر الضعيفة مع الاسف .

إعتراف إسرائيل بالتجسس العربي عليها

خير دليل على وجود شبكات تجسس للدول العربية داخل المدن الاسرائيلية المختلفة وبشكل منتظم ، هو اعتراف اذاعة اسرائيل بنشرة أخبارها المذاعة في الساعة الثالثة والنصف من تاريخ — ١٩٧٣/٢/٢ عن اكتشاف شبكة تجسس تعمل لصالح سورية في قلب تل أبيب . واعتقال أفراد هذه الشبكة وبينهم بعض اليهود الذين ألحقوا ضررا بالغا بأمن اسرائيل . نظرا لما نقلوه من معلومات ووثائق سرية عن وحدات جيش الدفاع الاسرائيلي.وقواعد تدريبيةوحواجزالامن وبالاخص عن المظليين الاسرائيليين الى المخابرات السورية. وقد اعترفت السلطات الاسرائيلية فيما بعد بخطر هذه الشبكة، وقالت بأن اسرائيل منذ انشائها تعرضت للتجسس من قبل جواسيس . أغلبهم يعمل للاتحاد السوفياتي والكتلة الشرقية ، على أساس ايديولوجي . ولكن هذه المرة الاولى التي يظهر فيها شبان يهود يتجسسون ويحملون السلاح في شبكة مشتركة مع العرب (المخابرات السورية) وباختيارهم لدرجة الاستعداد للساهمة في أعمال تخريب . ضد أمن اسرائيل.

عملاء من إسرائيل

كتبنا عن وجود عشرات العملاء من اليهود أنفسهم يتعاملون مع المخابرات العربية طوعا وبدافع حقدهم على الحكام الاسرائيليين العسكريين.ومن ثم قبضهم الاموال الطائلة من المخابرات العربية . وذلك لتمكنوا من العيش داخل اسرائيل

في مستوى لايعادل حتى ثلث المستوى الذي كانوا يعيشون فيه في دول أوروبا عندما غررت بهم الدعاية الاسرائيلية ، وصورت لهم أن اسرائيل أصبحت جنة • وفاتها أن تذكر لهم أن الالاف من اليهود الذين غررت بهم بهذه الصورة ينوون العودة الى بلادهم لولا منع السفر من اسرائيل وقد أذاعت السلطات الاسرائيلية بتاريخ ٢٦ / ١٢ / ١٩٦٨ أنها اعتقلت المدعو (أندرية بن ياري) وهو يهودي مغربي عمره / ٢٧ / عاما لـدى وصوله الى حيفا بتهمة الاتصالات بالمخابرات العربية السورية طيلة خمس سنوات حسب اعترافه شخصيا • وهـذا اليهودي الشرقي خسرته المخابرات العربية ، ولكن بقي العشرات غيره في اسرائيل يبعثون الى مخابراتنا عن كل مايجري هناك • وبقي على مخابراتنا أن تحسن الاستفادة من معلوماتهم عن اسرائيل •

المخابرات العربية خدعت اسرائيل

ان أقمار التجسس الاميركية ولا شك أيضا السوفايتية تستطيع الان أن تلتقط صورة علبة سجائر من على ارتفاع ٨٠ ميلا في الفضاء • ومعنى ذلك أنها تستطيع التقاط الصور لاية أهداف تفصيلية على سطح الارض بوضوح الرؤيا المباشرة للعين ، الامر الذي يجعل اخفاء الاسرار عن الدول الاخرى شبه مستحيل •• ؟

الامر لا يقتصر على هذا الحد ، فليست المسألة مجرد تصوير الاهـداف بواسطة أقمار التجسس وانتظار الافلام لتحميضها ، بل ان الذي يحدث حاليا أن الولايات المتحدة أقامت شبكة متكاملة من الطائرات والمراكز الارضية ، بحيث يمكن الحصول على أي معلومات فوق أي مكان في الكرة الارضية خلال دقائق معدودة• وعلى سبيل المثال فان المحادثات التي تجري في الجو بين طياري المقاتلات السوفيايتية تصل فورا الى العقول الالكترونية في مركز المخابرات الاميركية في ضواحي واشنطن ، بحيث تترجم وتقدم للمسؤولين خلال ١٠ دقائق فقط •

والحقيقة أن المخابرات الاميركية بما لديها مـن اقمار صناعية للتجسس والمخابرات السوفياتية أيضا ، بأقمارها الصناعية الحديثة عـلى دراية تامة بما يجري فوق مناطق العالم ، وخصوصا الشرق الاوسط • وثمة خبر مبالغ فيه يقول

ان المخابرات الاميركية كانت تلتقط بواسطة الاقمار التجسسية أصوات مل ءساعات القادة السوفيات والصنيين لدى حضورهم تجارب اطلاق الصواريخ في المواقع السرية. وقد يظهر ذلك للقارىء كالسحر ، ولكنه ممكن جدا لان التقدم العلمي في هذا العصر أنجز مثل هذه الامور بل وأغرب منها حتى ماقبل حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ ، ومع ذلك فآجأ الجيشان المصري والسوري اسرائيل ، بما اتبعاه من خطط تمويهية أغرب من الخيال . ومنها على سبيل المثال الاعلان في وسائل الاعلام المصرية بالسماح لاعداد كبيرة من الجنود المصريين بأداء فريضة الحج الى الديار السعودية .. وعدم اعلان التعبئة في سورية واختيار (يوم الغفران) لدى اسرائيل ، ليكون موعدا للهجوم عليها . وغير ذلك من الامور التي لا يسمح الامن بنشرها الان ، وأهم من ذلك كله (وحدة الكلمة) ، والسرية المطلقة في تحديد ساعة الهجوم على اسرائيل (ساعة الصفر) ، التي لم يعلم بها سوى أشخاص يعدون على أصابع اليد ، ومنهم بالطبع الرئيسين انور السادات وحافظ الاسد والمرحوم المشير أحمد اسماعيل واللواء مصطفى طلاس والشخص الخامس كان المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز .. وهكذا دخلت حرب تشرين التحريرية (التاريخ) الحديث ، وتحدى الجيشان المصري والسوري غطرسة جيش اسرائيل الذي ملا الدنيا دعاية بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، بأنه الجيش الذي لا يقهر ، كما تحدى هذان الجيشان الاقمار الصناعية الاميركية ودقتها وخصائصها .. فهل يكرر الزمان .. حرب تشرين أخرى يكون من نتيجتها تنفيذ مقرارات مجلس الامن بالقوة ،وحصول الشعب الفلسطيني على حقوقه الوطنية بالعودة الى التراب الوطني الفلسطيني ، واعلان قيام (الجمهورية العربية الفلسطينية) دولة علمانية يتعايش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود ؟ ليعم السلام وتنتهي هذه المأساة ، ونعود للصلاة في المسجد الاقصى وقرب الصخرة المشرفة كما كان يتمنى المغفور له الملك فيصل وان غدا لناظره لقريب .

المخابرات الاسرائيلية تزرع وتصدّر المخدّرات

على أثر تعاون سلطات الامن في لبنان وجمهورية مصر العربية وتركيا للحد زراعة (حشيشة الكيف) ، ونجاح هذا التعاون بانخفاض موجة التهريب

وتعاطي المخدرات عمدت المخابرات الاسرائيليه الى زيادة مساحات الاراضي التي تزرعها بالحشيش في سيناء المحتلة، ومن ثم تهيىء المحصول من الحشيش لتسلمه الى عملائها بدون مقابل ، لكي يغرقوا الشعب المصري بالمخدرات التي تلهيه عن تحمس مسؤولياته تجاه التحرير حسب الخطة التي وضعوها •

كيف تنقل المخدرات إلى مصر؟

بعد عدوان عام ١٩٦٧ هاجر المواطن المصري سليمان سلمان سليمان من سيناء الى القاهرة أسوة بمواطنيه ، وعاش فيها عيشة فقر وحاجة نظرا لعدم امتهانه أية (صنعة) سوى النقل سابقا على ظهور الجمال في سيناء • وفي أحد الايام زاره (بدوي) من معارفه السابقين ومن سكان سيناء • ولما شاهد حالته دعاه الى سهرة في أحد الملاهي ، وقدم له الخمر والمأكولات الشهية بالاضافة الى صحبة احدى الخاطئات مما جعله يعيش في جو طالما كان يشتهيه • وفي أثناء الحديث عرض عليه أن ينشله من حالة الفقر التي يعيشها ، وسيجعله (يجاريه) في الثراء وصرف الاموال على الملذات فقبل (سليمان) عرض (البدوي) دون مناقشة ، وفي اليوم التالي توجها الى (سيناء المحتلة) حيث يتوافر الحشيش • ودهش سليمان عندما وجد (شريكه) يستقبل من احد ضباط المخابرات الاسرائيلية ، ويتسلم منه (مخدرات) قيمتها (آلاف الجنيهات) ولما سأل سليمان (البدوي) كيف يستطيع دفع قيمة هذه المخدرات ضحك ضابط المخابرات الاسرائيلي وقال له : اننا كل مانريده منك هو (كلام) فقط أي معلومات •

وافق سليمان حالا بدون تردد ، لانه سيحصل على مخدرات ، ويبيعها في مصر بآلاف الجنيهات بدون أن يدفع قرشا واحدا ، ويحقق أحلامه • أما الضابط الاسرائيلي فقد ضحك مرة ثانية في سره وهو يقول : (عصفورين بحجر واحد ، المخدرات تدخل مصر ليزداد المدمنون عليها ، وكسب عميل جديد للمخابرات الاسرائيلية) •

سلم في المرة الاولى كمية من المخدرات يستطيع نقلها الى القاهرة • وفعلا كان عند حسن ظنهم باعها سريعا الى بعض ضعاف النفوس ، وعاد الى سيناء ليدخل دورة تدريبية على أصول التجسس ، تعلم استعمال الحبر السري في كتابة

الرسائل ــ لقنوه شيفرة خاصة تعتمد على الحروف الابجدية كل حرف له معنى ــ جعلوا طريقة الاتصال به :

١ ــ موجة خاصة يلتقطها براديو ترانزيستور عادي في وقت معين وساعة معينة، ويكون البث بالشيفرة الابجدية التي تعلمها .

٢ ــ الكتابة له من بلد عربي عن طلباتهم وباسم شخص عربي غير موجود اصلا .

٣ ــ استلام رسائله بالحبر السري من بلد أجنبي .

كما لقنوه مايحتاجه من فنون التجسس وكيفية جمع المعلومات العسكرية والاقتصادية والاجتماعية، وعينوا له الاماكن العسكرية التي يهمهم أمر الحصول على معلومات دائمة عنها . كما طالبوه باتخاذ أصدقاء مهمين ، ومن اصطحاب المراكز الحساسة بغض النظر عن رتبهم .

المخابرات العربية بالانتظار

أنهى سليمان دورته التدريبية بنجاح،وعاد الى القاهرة محملا بكمية جديدة من الحشيش ، باعها ، وأبدل بثمنها اللباس (البدوي) باللباس (الموردن) . واستأجر شقة فخمة في مصر الجديدة ثم اشترى سيارة فاخرة . وأخذ يعيش كما اشتهى ، متنقلا بين الملاهي وبنات الخطيئة . اما زوجته البدوية الفقيرة فقد طلقها ، ليتزوج من حسناء تعرف عليها في لياليه الحمراء .

أرسل بعض التقارير بالحبر السري ، واستلم تعليمات جديدة بالراديو . وعندما زاره الجندي في القوات المسلحة المصرية فوزان سليمان حسين شقيق زوجته البدوية المطلقة ليستفهم منه عن سبب طلاق شقيقته ، أغدق عليه المال والهدايا ، وطلب منه امداده ببعض المعلومات عن وحدته . فلم يمانع وهكذا نسي الجندي ماجاء من أجله وانغمس في التجسس .

وسع سليمان دائرة معلوماته ، وأخذ يبعث الرسائل الى عنوان عميل للمخابرات الاسرائيلية في أثينا (باسم مستعار) وبالحبر السري . وكانت هذه الرسائل تقع بين يدي خبراء (المخابرات العربية) الذين استطاعوا قراءة

محتوياتها المكتوبة بطريقة الحبر السري ، (يكتب رسالة عادية فيها سلامات وأشواق ، ويكتب المعلومات المطلوبة بين السطور بالحبر السري) .

ألقي القبض على سليمان من قبل المخابرات العربية متلبسا بالجرم المشهود وهو يضع باحدى هذه الرسائل في صندوق البريد بعد مراقبته، واستئذان النيابة العامة . واقتيد الى شقته ، ليجد رجال المخابرات (المرأة الحسناء) بانتظاره وقد صودرت من الشقة جميع أدوات التجسس كما ألقي القبض فيما بعدعلى الجندي فوزان الذي اعترف بدوره في هذه العملية ، وقدم الاثنان الى المحكمة العسكرية في القاهرة التي حكمت عليهما بالاعدام واقتران هـذا الحكم بتوقيـع رئيس الجمهورية ، بسبب عدم وجود أي داع للرأفة بهما . ونفذ الحكم شنقا بسليمان في أحد سجون الصحراء ، بينما نفذت فرقة رماة مؤلفة من أمهر رماة البحرية ـ المشاة ـ الجو المغاوير حكم الاعدام رميا بالرصاص بالجندي فوزان في أحد السجون العسكرية بالقاهرة . وهكذا لقي الاثنان جزاء ما اقترفا بحق وطنهما . ليبحث ضابط المخابرات الاسرائيلي عن عملاء جدد من ضعاف النفوس .

تجنيد عميل جديد للمخابرات الاسرائيلية

حصل الطالب الاردني عبد الله أبو ندا من مواليد القدس ١٥ أيلول ١٩٤٧ على جواز سفر رقم ٥٩٠٣٦٧ بتاريخ ٤ نيسان عام ١٩٦٧ من دائرة الامن العام بالقدس ، وسافر الى القاهرة ، ليتلقى علومه في مدرسة مصر الجديدة الثانوية ومعهد التليوميونيكشتز . وبعـد ذلك حصل العدوان الاسرائيلي ، وخضعت القدس للحكم العسكري الاسرائيلي وحضر الطالب باجـازة في صيف عـام ١٩٦٩ . وعندما حاول العودة لاتمام دراسته في القاهرة توجه الى مكتب الحاكم العسكري في القدس للحصول على أذن بالسفر ، فلم يستطيع بسبب التعقيدات التي فرضت على المسافرين ، فتوجه الى رام الله لمقابلـة ضابط اسرائيلي يدعى (أبو ابراهيم) ، سبق أن تعرف عليه في محل تصليح تلفزيونات هناك . لكنه علم أن الضابط الاسرائيلي نقل الى القدس فعاد الى القدس واستقبله أبو ابراهيم الذي سبق أن عرض مساعدته عليه عند الحاجة ، وأمهله الى اليوم التالي ثم تكرر

امهاله ستة أيام كان الضابط خلالها يسأله عن حياته،وعن الوضع في مصر ويؤكد له صعوبة تأمين اذن سفر له • وفي اليوم السابع قدمه الى (رائد) في المخابرات الاسرائيلية يدعى (أبو سمير) الذي أمهله أيضا يومين وفي هذه الاثناء استفسر منه عن الوضع في مصر وعن حالته المادية شخصيا ، وفي اليوم الثالث فاجأ أبو سمير الطالب بقوله لقد حصلنا لك على اذن خاص بالسفر الى القاهرة بشرط أن تتعاون معنا في جمع المعلومات في القاهرة • ونحن نؤمن لك جميع نفقات الدراسة ، فلم يمانع الطالب بسبب (الجو) الذي وضع فيه • وبدأت المخابرات الاسرائيلية تدربه لمدة أربع ساعات يوميا على التمييز بين الاسلحة المختلفة وعلى الكتابة بالحبر السري وبعض فنون التجسس ولما انتهى تدريبه سافر الى القاهرة بعد أن طلبوا منه أن يبدأ رسائله بالرقم (١٤٣) ، ويوقعها بكلمة (فرحان) ، ويوجهها الى شخص يدعى : رمزي حسن وعنوانه اسكوتلنده ـ هـ ـ كارافان ١٤٦ ـ كامبهيل ـ غلاسكو •

Ranzie Hassan. Scotland. H. Crahvan 146. Camphill : Glasgow

وأن رسائلهم له تبدأ بالرقم (٢٤) أو (٣٧) أن يكون صداقات للمساعدة في جمع المعلومات كما طلبوا منه مايلي :

١ ـ ملاحظة التحركات العسكرية في القاهرة مهما كانت •

٢ ـ زيارة منطقة حلوان والمقطم •

٣ ـ التجول في العباسية •

٤ ـ السفر من القاهرة الى الاسكندرية ذهابا عن الطريق الزراعية وايابا عن الطريق الصحراويـــة •

ـ زيارة مدينة (المنصورة) •

ثم الكتابة لهم عن جميع مشاهداته بعد تنفيذ هذه التعليمات • وعندما استقر به المقام في القاهرة قام بجولة حسب طلب المخابرات الاسرائيلية • وأرسل

لهم رسالة تتضمن جميع مشاهداته • وفيها المعلومات العسكرية عن المواقع التي مر بها ، ثم بدأ البحث عن أصدقاء فعثر على أحد العسكريين من ذوي الضمير الوطني المخلص الذي بادر الى اعلام رؤسائه بما طلب منه ، فطلبوا منه موافقته لكشف الطالب الاردني • فأخذ يزوده ببعض المعلومات والوثائق (بمعرفة المخابرات العربية) • وطبقا لخطة المخابرات كان الجندي المصري يدعي العلم حينا ، وينفي معرفته أحيانا ، لكي لا يدع مجالا للشك به وقد بلغت رسائله الى المخابرات الاسرائيلية / ٦ / رسائل وبطاقة بريدية (تحت رقابة المخابرات العربية) •

النهاية

أعلمت النيابة العامة بكل ذلك وحتى يتم ضبط الطالب بالجرم حمل اليه الجندي احدى الوثائق ، فقبض على الاثنين بحضور النيابة العامة ، واعترف الطالب بما أقدم عليه وقدم للمحكمة بينما رقي الجندي الى رتبة ملازم تقديرا لاخلاصه لوطنه •

جاسوس جديد

جمال حسنين — من مواليد ٢٩ /١٠/ ١٩٤١ القاهرة أتم تعليمه الثانوي ثم حصل على دبلوم (في المساحة عام ١٩٦٢) ، وعين في مصلحة المساحة بالقاهرة براتب شهري — ١٦ — جنيها ، وفي أيام العطل الصيفية تمكن من متابعة الدراسة والحصول على دبلوم الدراسات الصيفية المعهد الاولمبي بالاسكندرية عام ١٩٦٨ •

لم يقنع جمال براتبه ، وما كان يحصل عليه من الأعمال الاضافية بالتدريس فقرر السفر الى الخارج ، لتحقيق أحلامه بالغنى السريع خصوصا بعدما كان يسمع من العائدين من بيروت والكويت واليونان •

تقدم بطلب الحصول على اجازة (بدون راتب) من عمله في مصلحة المساحة ، فسمح له بستة أشهر سافر خلالها الى بيروت ، وأخذ يبحث عن

عمل بدون فائدة ، أمضى في بيروت ثلاثة اشهر ، وهـو يتسكع في مقهى فاروق • عاد الى عمله ، وحاول الحصول على اجازة ثانية للسفر الى اليونان هذه المرة ، فرفض طلبه فقدم استقالته ، وتوجه الى اليونان • ونزل في أحد فنادق مدينة (بيريه) وظل يبحث عن عمل في البحر أو الفنادق • فلم يوفق حتى نفذت نقوده فاضطر للعمل (عامل بناء) لمقابل ما يعادل ــ ٧٥ ــ قرشا مصريا في اليوم لمدة شهر ، كان يشكو خلاله همومه وارهاقه الى صديق تعرف عليه بأنه (فلسطيني) واسمه (سمعان) • وعده هذا الصديق بمساعدته في الحصول على عمل أفضل ، واصطحبه الى القنصلية الاسرائيلية في (بيريه) بحجة وجود صديق له هناك حيث استقبله أحد ضباط المخابرات الاسرائيلية • وفعلا وعده بايجاد عمل جيد له وأقنعه ببيع جواز سفره المصري لقاء ــ ٢٠٠ ــ دولار • فلم يتردد جمال وسلمه الجواز وقبض القيمة مضافا اليها حوالي جنيهين ونصف مصاريف تكسي (جواز السفر تستعمله المخابرات الاسرائيلية بايفاد عميل لها الى مصر لتنفيذ أية مهمة تجسسية طالما أنهم متأكدون أن صاحب الجواز الاصلي بقربهم ••) •

أما بخصوص العمل فقد طلب منه ضابط المخابرات املاء (استمارة) خاصة بالوظائف ، اجاب فيها على أسئلة مكتوبة عن حياته وأسرته وأصدقائه ووظائفهم وعناوينهم [١] ، ووعده بالاتصال به بعد أسبوع •

ابتداء عمله بالتجسس :

مضى الاسبوع وجمال يقيم في فندق محترم ، يصرف مما قبضه ثمنـا لجواز سفره • فاتصل به شخص عرفه على نفسه باسم (يوسف) ، وأبلغه أنه مكلف بايجاد عمل له • وبعد حديث طويل عن أزمة الشرق الاوسط والاسلام واليهودية والسلام بين الشعوب قال له أثناء الحديث مشجعا أن على المرء

---

(١) من هذه الطريقة يتضح كيف تحصل المخابرات الاسرائيلية على معلومات اضافية (مجانية) ، فلا يستغرب من يجد أنهم يعرفون كل شيء عنه بدون علمه•

أن يعيش ويستمتع بحياته ولا سبيل الى ذلك سوى (بالمال) ، وودعه بعد أن منحه مايعادل ــ ٦ ــ جنيهات مصرية بالعملة اليونانية (الدراخما) ، ثم حضر الى فندقه شخص قدم نفسه أن اسمه (ابراهيم) وأنه (زميل) يوسف وأنه قد كلمه الكثير عنه كما أنه اطلع على استمارة التوظيف خاصته ، وهو يقدر مواهبه وقدراته وأخبره انهم قرروا أن يكون مجال عمله في القاهرة فوافق بدون تردد حيث سلمه ــ ٢٠٠ ــ دولار نقدا ، وطلب منه الانتقال الى فندق (درجة اولى) في بيريه ، لأنه سيتبع دورة تدريبية عن التجسس • وفي خلال خمسة عشر يوما تم تدريبه على الكتابة بالحبر السري وكيفية تمييز الاسلحة التي يشاهدها ، وطريقة وصف المباني والشخصيات الهامة التي يقابلها وعلى رسم الخرائط وبعض فنون التجسس الاخرى •

العودة الى القاهـــرة :

انتهت فترة التدريب بنجاح ، وأبلغ أن يستعد للعودة الى القاهرة وأن مهمته ستكون الحصول على معلومات عسكرية واقتصادية وسياسة عن مصر وان راتبه الشهري سيكون ــ ٢٠٠ ــ دولار ومكافاة (٤٠) دولار عن كــل رسالة فيها معلومات (قيمة) ، وأن عليه أن يبعث برسائله بالحبر السري الى عنوان روما ــ صندوق بريد /١١٧/ ــ الصديق كستالا يوستالي •

وصل القاهرة وهو يحمل ما تبقى معه من الدولارات الحرام ، وعقــد العزم على الزواج من آنسة كان يعرفها•وبمجرد وصوله أرسل بطاقة بريدية على العنوان المتفق عليه يعلمهم فيها بوصوله سالما وزواجه قريبا•وبعدها بدأ ممارسة نشاطه التجسسي ، فأخذ يتصل بأقربائه وأصدقائه من عسكريــين ومــدنيين سائلا كلا منهم على حدة عن أحواله وأعماله • فاستطاع الحصول على كثير من المعلومات العسكرية والاقتصادية ، وأرسلها برسالة بالحبر السري • ثم أخذ يتجول في جميع أنحاء البلاد للاستماع الى مختلف الآراء ، ومشاهــدة ما يمكن مشاهدته من التحركات العسكرية ، وهو يعتقد أنه نجح في مهنته الجديدة • ولا يدري أن رسائله كانت في طريقها الى خبراء المخابرات الحربية

المصرية الذين اكتشفوا الكتابة بالحبر السري فيها ، فاستأذنوا النيابة العامة في القبض عليه ، وكان ذلك بتاريخ ٢٩ –١١– ١٩٧٢ بعد أقصر فترة أمضاها (جاسوس) في عمله حيث اعترف ــ تفصيليا بمزاولته التجسس لصالح المخابرات الاسرائيلية وبيعه جواز سفره (استحصل على جواز سفر من القنصلية المصرية بدل عن ضائع ، وتمكن من العودة الى القاهرة) .

انسانية جاسوس :

أثناء التحقيق معه من قبل السيد العميد اسماعيل مكي رئيس النيابة العامة العسكرية سجل كلمة قال فيها : (ان أقاربي وأصدقائي ومعارفي الذين خدعتهم وحصلت منهم على المعلومات كانوا يتحدثون معي بما يعرفونه من معلومات عن أعمالهم وبلدهم وهم واثقون بي لأنهم لا يمكن أن يتصوروا أني أصبحت (جاسوسا لاسرائيل) ولو أنهم التزموا الحذر وتوخوا الحرص لعجزت عن الحصول على أية معلومات اني آسف على ما ارتكبته في حق بلادي وأطلب من والدي أن يسامحني) .

انتهت محاكمته بالحكم عليه بالسجن المؤبد مع الاشغال الشاقة ، ولولا ظروفه التي مر بها أثناء وقبل تجنيده لكان نصيبه (الاعدام) مثل أمثاله الذين سبقوه على هذه الدرب الشائكة .

وجود ضعاف النفوس في كل زمان ومكان :

شاكر فاخوري شاب عاش حياة البذخ بما لا يتناسب مع دخله فسافر الى الكويت ، وعمل فيها مدة لم يحصل على مبتغاه السريع ، وعاد الى بيروت ومنها توجه الى جزيرة قبرص وحل بأحد فنادقها ، وقد عقد العزم على الاتصال بالمخابرات الاسرائيلية ، وفعلا توجه في اليوم التالي الى سفارة اسرائيل وطلب مقابلة الملحق العسكري فيها وعرض عليه رغبته الصريحة في التعاون معهم بتقديم ما لديه من معلومات عامة حاليا ، وبما يطلب منه مستقبلا . أحاله الملحق العسكري الى ضابط المخابرات المسؤول في السفارة الذي أخذ منه كافة مالديه من معلومات

كتبها بخط يده ، ثم طلب منه الانتظار في الفندق • وبعد خمسة أيام قضاها شاكر في نيقوسيا طلب الى السفارة الاسرائيلية وهناك استقبله ضابط اسرائيلي يدعى ــ هيدار ــ المسؤول عن التجسس في جمهورية مصر العربية ، وأبلغه أنه أختاره للعمل في القاهرة • وطلب منه أن يستعد للسفر ، وسلمه مبلغ ــ ٣٠٠ ــ دولار وبطاقة سفر الى القاهرة وقال له وهو يودعه ، نحن بانتظارك بعد شهرمن الآن لنرى نتيجة عملك •

وقع في الفخ في ابتداء عمله التجسسي :

بعد وصول شاكر الى القاهرة وحسب طلب المخابرات الاسرائيلية منه بدأ يكون صداقات مختلفة منها مع نساء ليل ومع بعض رواد الملاهي ، وأهمها مع ضابط مصري تعرف عليه في صالون الفندق ، وأخذ يغدق عليه الهدايا بدون أن يسأله عن شيء •

سافر الى نيقوسيا من القاهرة عن طريق بيروت واتصل بضابط المخابرات في السفارة الاسرائيلية ، وسلمه ما لديه من معلومات (وخاصة) تعرفه على الضابط المصري وكل التفاصيل التي تتعلق بهذا الضابط • أرسل الضابط كل ذلك الى رؤسائه وطلب منه الانتظار في الفندق وسلمه ــ ٣٠ ــ جنيه استرليني (تحت الحساب) ، وبعد أربعة أيام اتصل بــه وطلب منه الحضور للسفارة الاسرائيلية حيث أبلغه رغبة المسؤولين في المخابرات الاسرائيلية بالتعرف عليه عن كثب ، وسلمه جواز سفر اسرائيلي عليه صورته وباسم (موشي ابراهيم) ومؤشر عليه بالدخول رسميا الى قبرص وسلمه بطاقة سفر على طائرة (العال) ذهابا وايابا الى (اللد) ، واحتفظ بجواز سفره الأصلي معه •

وصل شاكر الى (اللد) فوجد الضابط هيدار في انتظاره ونقله بسيارته الخاصة الى تل ابيب حيث اقام في شقة مفروشة مستاجرة من قبل المخابرات الاسرائيلية لمثل هذه الحالات ، وفي اليوم التالي استقبله رئيس المخابرات الاسرائيلية بحضور ضابط مخابرات اسمه أبو يوسف والضابط هيدار المسؤول عن التجسس في مصر وضابط مخابرات آخر مسؤول عن التجسس

في لبنان ، وبعد مناقشة معه تقرر اتباعه دورة تدريبية على أعمال التجسس •

ابتدأ تدريبه على يد مدرب مخابرات يهودي من مواليد الاسكندرية بالأصل على تصوير المستندات التي تعرض عليه أو يشاهدها بآلة تصوير دقيقة • ثم درب على تصوير المواقع من مسافات بعيدة ومن زوايا حساسة بالاضافة الى تدريبه على مختلف فنون التجسس ، وأثناء فترة التدريب عرض على جهاز اميركي لدى المخابرات الاسرائيلية (جهاز كشف الكذب) • ولدى انتهاء تدريبه أفهم عن مهمته في القاهرة وهي جمع معلومات وافية عن القوات الجوية المصرية والنشاط السوفياتي في مصر وعن معنويات الشعب المصري خصوصا بعد الغارات الاسرائيلية على ضواحي القاهرة (في حينه) •

عاد الى نيقوسيا واستلم جواز سفره ، واتجه منها الى القاهرة لينفذ تعليمات المخابرات الاسرائيلية • فاتصل فور وصوله بالضابط المصري ، وسلمه بعض الهدايا التي جلبها له من قبرص للذكرى وهي عبارة عن مصنوعات صدفية يدوية • ثم اتبع ذلك بدعوات وحفلات وهدايا ثانية لا تتناسب مع حجم علاقتهما ، مما أثار الشك لدى الضابط فاتصل فورا بالمخابرات العربية ، ونقل لها هذا الشك وهذا ما يجب على كل عسكري مخلص أن يفعله عندما يتعرض لمثل هذا الاغراء (فطلبت منه المخابرات أن يتظاهر بصداقته • فأخذ شاكر يطلب منه معلومات ووثائق بعد أن ظن أنه عثر على الشخص المقصود) • وكان الضابط لا يخل بما يطلب فيسافر فورا الى قبرص حيث يسلم ما لديه من معلومات ، ويقبض ما له من مكافآت ويعود الى القاهرة • وأخيراً طلبت منه المخابرات الاسرائيلية أن يحضر الضابط المصري الى قبرص فطلب منه ذلك ، ولكنه أخذ يماطله وفقا لطلب المخابرات •

بعد هذا القدر من الانغماس في التجسس أعلمت المخابرات الحربية المصرية ـ النيابة العامة ـ بواقع هذا الجاسوس • فوافقت النيابة على القاء القبض عليه • وعند آخر عودة له من قبرص طلب من (صديقه) الضابط أن يزوده ببعض الصور ومعلومات جديدة عن النشاط السوفياتي في مصر • هيأ الضابط له ما طلبه بمعرفة المخابرات وحضر الى شقته التي استأجرها لهده الغاية فأطبقت

عليهم المخابرات المصرية . وانتهى بذلك فصل من فصــول التجسس الفاشل للمخابرات الاسرائيلية . وقدم شاكر الى المحكمة العسكرية لينال جزاءه . بينما صرح الضابط المصري بقوله : أنا عندي مبادىء ، ولا يمكن تغييرها ، وكل انسان له ثمن . أما ولائي لمصر فلا يقدر بثمن حتى ولو دفعت لي المخابرات الاسرائيلية جميع ميزانيتها الحرام .

سقوط جاسوس جديد للمخابرات الاسرائيلية

جندت المخابرات الاسرائيلية المصري : محمد ابراهيم فهمي كامل للعمل معها بطريقة أغرب من الخيال ، ولا تحــدث سوى في الافلام السينمائيــة . ومحمد ابراهيم فهمي كامل الذي كان يلقب بـ (ماريو) كان يملك محلا لبيع قطع تبديل السيارات في الاسكندرية ، ويعيش مع زوجته في شارع محرم بــك ، وله زوجة ثانية أسكنها في الدقي بالقاهرة . وسبب لقبه بماريو أنه بدأ حياته ميكانيكيا في الاسكندرية ، وأغلب زبائنه من الايطاليين . حيث تعلــم اللغــة الايطالية وأخذ يتكلمها بطلاقة حتى أطلق عليــه أصدقائه لقب (ماريو) . ولكن حالته المادية ساءت بعد سفر الايطاليين من الاسكندرية لاسيما وهو يعيل زوجتين .

استخرج حالا جواز سفر وتوجه الى (ميلانو) . وهناك بحث عن أصدقائه القدامى الذين ساعدوه على بيع ما حمله من هدايا (خان الخليلي) ، وابتياع قطع سيارات . والعودة بها الى الاسكندرية بعد تهريبها من الجمارك . وبعد عدة سفرات أوجد له أصدقاءه عملا في شركة (رلواتيكس) ، واستحصلوا له على تصريح عمل واقامة في ايطاليا . فتحسنت أحواله بعض الشيء وأخذ يتنقل من روما الى ميلانو ، الى الاسكندرية .

ابتداء عمله في التجسس :

في احدى رحلاته التجارية الى روما ، وفي المطار تقابل مع صديق يهودي قديم سبق أن غادر الاسكندرية في عام ١٩٥٢ واسمه (ليون لابي) . وبعد العناق والسؤ عن الاحوال تواعد الاثنان على اللقاء في ميلانو مقر عمل

(محمد) أو (ماريو) . وبعد اسبوع اجتمعا فدعا لابي صديقه القديم لتناول الغداء في مطعم فاخر من مطاعم ميلانو . وأثناء الحديث سأله لابي (في براءة) عن حالته المادية ، وعن سبب اقامته في ميلانو ، وأيضا عن الحالة الاقتصادية في مصر فأجابه (ماريو) بسوء الاحوال (زي الزفت) . ثم شكا له الفقر وعدم استطاعته تحقيق آماله . فأبتسم (لابي) في نهاية الحديث وطلب منه أن يزوره في مكتبه الكائن في ميلانو ـ شارع أوربا رقم ـ ١٢ ـ الدور الثاني .

ذهب ماريو في اليوم الثاني الى العنوان ، ليجد فوق الباب (نجمة اسرائيل السداسية) وعلى اليسار لوحة نحاسية كتب عليها باللغة الانكليزية (القنصلية الاسرائيلية) . ومع ذلك قرع الجرس ففتحت له سكرتيرة جميلة الباب . سألها عن لابي ، فأدخلته مبتسمة الى مكتبه الفخم واستقبله لابي بقوله : (ماريو) أنت صديق قديم يمكن الوثوق به ، وأنا أحتاج اليك في عمل . وستربح كثيرا من المال ، وتحقق جميع آمالك التي حدثتني عنها بالأمس . وقبل أن يصحو ماريو من المفاجأة ، أردف لابي قائلا : قابلني في روما في فندق (ريتز) ، وودعه بابتسامة عريضة .

في روما توجه (ماريو) الى الفندق ، فوجده من أفخم فنادقها ، بينما كان يظنه من فنادق ميلانو التي كان يتردد اليها ، ويدفع مابين ٢٥٠٠ لير و ٧٥٠٠ لير في الليلة .

حضر لابي حسب الموعد ، وحجز له جناحا في هذا الفندق ، وأعطاه ـ ١٠٠ ـ دولار ، وطلب منه أن يستريح هذا اليوم . وفي اليوم الثاني حضر لابي في الساعة العاشرة صباحا ، ومعه يهودي آخر يتكلم اللغة العربية بطلاقة تامة ، وقدمه لماريو باسم ـ ابراهيم يعمل في المخابرات الاسرائيلية لمكافحة الشيوعية في البلاد العربية . فرحب به ماريو ، فتكلم معه ابراهيم بصراحة قائلا : لقد حدثنا عنك صديقك لابي ، الذي يعرفك منذ زمن طويل . ونحن نعمل في مكافحة الشيوعية في المنطقة . ولا نريدك أن تخون وطنك ، كل ما هو مطلوب منك لقاء راتبك الذي سيكون ٣٠٠ دولار شهريا هو بعض المعلومات عن خطر الشيوعية فقط .

وافق ماريو فورا على حديث ابراهيم المغلف بمكافحة الشيوعية . وهنا أفهمه ابراهيم أنه يجب أن يتبع دورة لتعلم أصول المهنة . وتولى مع ضابط آخر اسمه فوراحي مهمة التدريب على استعمال الحبر السري ، والتصوير باستخدام كاميرا (كارل زايس) . وسلماه كاميرا من نفس النوع لاستعمالها ، وعلماه كيفية قياس المساحات والارتفاعات . وتعلم أيضا بعض فنون الحرب النفسية من اطلاق الشائعات (التريقة) . باعتبار أن الشعب المصري يحب النكتة والضحك (باعتراف الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ...) .

انتهى الشهر الاول بالتدريب ، وقبض ماريو أول راتب حرام من المخابرات الاسرائيلية ، وعاد الى القاهرة ليمضي بعض الوقت بين زوجتيه ؛ ويعود الى ايطاليا ليكمل عمله . وبناء على طلب المخابرات الاسرائيلية بدأ بالحصول على المعلومات من المصريين الذين أخذوا يتوافدون الى ايطاليا لشراء السيارات وهم من جميع فئات الشعب ـ أطباء ـ مهندسين ـ ورجال أعمال وميكانيكيين . كلهم بحاجة الى السيارة ، يتلقفهم ماريو ويساعدهم في الشراء وتسهيل أعمالهم ويستغل الظروف أحسن استغلال بتبادل الاحاديث معهم ، ويحصل منهم على المعلومات التي تريدها المخابرات الاسرائيلية .

زادت ثقة رؤسائه به ، فطلبوا منه تجنيد من يراه مناسبا من المصريين للعمل معهم ، فتذكر فتاة مصرية مثقفة سبق ان قابلها في القاهرة ، وأخبرته برغبتها في شراء سيارة من ايطاليا لتشغيلها (تكسي) . تستعين بايرادها على الحياة كما أنها لا تمانع في العمل اذا وجد لها عملا مناسبا . فكتب لها رسالة مضمونة طلب منها الحضور حالا الى ايطاليا، وفعلا أحضرت الفتاة معها ماادخرته من مال وحضرت الى روما فاستقبلها ماريو . وأخذ يتجول بها على الاماكن التي تبيع السيارات . وكان يتعمد رفع أثمان السيارات (لأنها لا تلم باللغة الايطاليه) . واخيرا اشترى لها سياره (فيات ١٢٥) بجميع ما لديها من مال ولم يبق معها شيء لأجرة الشحن .

أوقفت السيارة امام الفندق ، ودارت الدنيا بها كيف تتصرف ، وهي لا تملك شيئا . وكان ماريو يتعمد تركها عدة أيام وحيدة بدون مال معها لكي يتمكن من تسخيرها في النهاية لخدمة المخابرات الاسرائيلية .

ظهر ماريو فجأة بعد غياب عدة أيام ، واعتذر لها بانشغاله ، ثم دعاها الى العشاء في مطعم فخم ، واثناء العشاء كان يجلس بالقرب منها شخص وسيم خط الشيب شعره ، تقدم منها بأدب وسألها هل يزعجها لو طلب من ادارة المطعم اغلاق جهاز الحرارة لكي لا يصابوا بالبرد عند الخروج من المطعم . فوافقوا : وبعد الشكر جرى التعارف فاصر ماريو على دفع الحساب ، ولكن الآخر رفض ذلك الا اذا قبلا دعوته للعشاء في اليوم التالي . وقبلا الدعوة ، وبعد العشاء أوصلهما بسيارته . وفي الطريق جرى الحديث باللغة الانكليزية التي تجيدها الفتاة عن حاجة الفتاة الى وظيفة فوافق الرجل على مساعدتها للحصول غدا على وظيفة . ولكن ماريو اعتذر بحجة انشغاله ، وقابلت الفتاة الرجل لوحدها في أحد المطاعم ، واخبرها بأن لديه مؤسسة مالية تستثمر اموالها في مشاريع انمائية، وأنه سوف يجعلها مندوبة لمؤسسته في القاهرة ولا يطلب منها الآن سوى السفر على حسابهم الى القاهرة وموافاته بمعلومات عن الحالة الاقتصادية هناك . لانهم يريدون الاطمئنان قبل أن يفتتحوا فرعاً في القاهرة . فوافقت الفتاة على ذلك وودعها الرجل بعد أن سلمها بطاقة سفر الى القاهرة ، ومن ثم وجدت أنه دفع عنها حساب الفندق المتراكم عليها ، وهنا ظهر ماريو وأخبرها أنه شحن لها السيارة ، فأعلمته بأمر الرجل فوافق بحرارة ، وتمنى لها التوفيق .

نهاية ماريو :

نسي ماريو وصديقه ضابط المخابرات الاسرائيلي الذي طلب من الفتاة المعلومات عن الحالة الاقتصادية في مصر ان البشر ليسوا من طينة واحدة . فاذا كان ماريو قدباع وطنه بمبلغ /٧/ آلاف دولار مجموع ما قبضه من أموال المخابرات الاسرائيلية الحرام ، فان هذه الفتاة المثقفة المصرية والتي لا عمل لها وتعيل أسرة كبيرة رفضت أن تبيع أسرار وطنها . ولو بما كان سيصلها من الملايين ، فتوجهت فور وصولها القاهرة الى ادارة المخابرات بعد أن اقتنعت بأن

ماعرض عليها هو التجسس على وطنها،فرجل المطعم صاحب المؤسسه الماليه تقرب منها بطريقة تدعو للشك ، طلب منها معلومات قيمة عن بلدها ، ودفع عنها حساب الفندق ، وحجز لها في الطائرة . ماريو بعد أن أوقعها في حبائل المخابرات الاسرائيلية قام بشحن سيارتها على حسابه بدون أن يطالبها لدى وداعها باي شيء . كل ذلك قدمته للمخابرات المصرية ، فوجدت أن لدى المخابرات ملفا كاملا عن (ماريو) . وعرضوا عليها صورا التقطت له في أماكن مختلفة في ايطاليا من قبل المخابرات العربية التي كانت على علم بامره . بل وكانت تراقبه وتنتظر الدليل لادانته ، وهاهو الدليل بين يديها .

رسمت المخابرات خطة بارعة للفتاة للايقاع بماريو . وما هي الا أيام حتى وصل ماريو الى القاهرة، واتصل بالفتاة، وبلغها تحيات صاحب المؤسسة المالية ، وأعلمها بانه ينتظر منها المعلومات التي طلبها ، لكي يقوم على ضوئها باعتمادها مندوبة لمؤسسته بالقاهرة فوعدته خيرا ، وكتبت تقريرا مفصلا عن الاحوال الاقتصادية في مصر مؤلفا من عدة صفحات (بمعرفة المخابرات) ، فاعجب ماريو بالتقرير كثيراً وشكرها وشجعها على السفر قريباً، وذهب يجمع المعلومات والصور لينقلها الى المخابرات الاسرائيلية .

خرج ماريو من منزله صباحا وهو يحمل حقيبته المملوءة بأسرار بلده متوجهاً الى منزل الفتاة ، ليصطحبها معه فاعتقله رجال المخابرات العربية بعد اعلام النيابة العامة ، واقتيد الى المحكمة العسكرية ليحاكم على ما ارتكبه من خيانة وتجسس بحق وطنه ، وقد نسبت اليه الجرائم التالية :

١ ـ حصوله بصورة غير مشروعة على أسرار عسكرية وافشاؤها الى المخابرات الاسرائلية .

٢ ـ التخابر مع العدو لمعاونته في الاضرار بمصر حين العمليات الحربية .

٣ ـ تقاضي مبالغ من المال (٧ الاف دولار) مقابل إفشاء الاسرار .

٤ ـ تحريض مواطنة مصرية على ارتكابها التخابر ، والحصول على أسرار هامة بقصد افشائها للعدو .

٧ آلاف دولار تساوي راس الجاسوس :

المواطنة المصرية أدت واجبها كاملا تجاه وطنها ، والمسؤولون في المخابرات لم يبخلوا عليها بالمساعدة لقاء وطنيتها • عينت في وظيفة تتناسب وثقافتها لتأمين مستقبلها بينما سيارتها التي اشتراها لها ماريو تعمل (تكسياً) كما رغبت ، وايرادها يساعدها على العيش موفورة الكرامة ، بينما وقف ماريو أمام المحكمة العسكرية التي يرأسها العميد أسعد محمود اسماعيل وعضوية المقدم فاروق عبد الستار خليفة والمقدم أحمد جمال عيسى غلاب وممثل النيابة العسكرية العميد مكي والمقدم عــز الدين رياض ، كما عين للدفاع عن المتهم المحامــي علي الرجال •

كرر المتهم ماريو اعترافه أمام المحكمة فقضت بالحكم باعدامه شنقا ، واكتسب الحكم موافقة رئيس الجمهورية لعدم وجود ما يستدعي الرحمــة بالمتهم • ونفذ الحكم في أحد السجون بالقاهرة ليضع خاتمة قصة ماريو العجيب الذي سيتذكره بعض الذين قابلهم في ايطاليا ، ولم يخطر في بالهم بأنه جاسوس •

جاسوس آخر للمخابرات الاسرائيلية

المخابرات الاسرائيلية تصطاد دائما ، وكما هو معروف عنها ضعاف النفوس ومحبي التظاهر بالعظمة والليالي الحمراء ، وها هي تجند المدعو نبيل النحاس من مواليد ١٩٣٦ السويس ومن أب لبناني هاجــر الى مصر مع بعثة تبشيريــة واستقر فيهــا •

أتم نبيل دراسته الثانوية ، ثم دخل الجامعة بالقاهرة ، وحصل على دبلوم التجارة وعين للعمل في منظمة الشعوب الافرواسيوية ، وعمل أيضاً في وكالــة (الاسوشيتدبرس) للانباء بالقاهرة . وكان دخله من هذه الاعمال حوالي ١٢٠ جنيها شهريا ، وهذا المبلغ في القاهرة يؤمن لصاحبه عيشا محترما • لكن ما العمل اذا كان نبيل بحاجة الى أضعاف هذا المبلغ ليصرف على ملذاته وسهراته الحمراء ، وأسفاره المتعددة ما بــين القاهرة ــ بيروت ــ باريس ، وفي باريس جندتــه

المخابرات الاسرائيلية بعد أن وجدت فيه ضالتها المنشودة ، واخذ يقدم لهم المعلومات عن جمهورية مصر العربية التي آكرمت وفادته لقاء مبالغ مالية كان يستلمها منهم بالتتابع منذ عام ١٩٦٠ الى عام ١٩٧٣ ، فوضع تحت المراقبة نظراً للشك فيالمصروف الذي كان يصرفه ، بما لا يتناسب مع دخله حيث ألقي القبض عليه متلبسا بالتجسس عقب حرب تشرين ١٩٧٣ ، واعترف اعترافا كاملا بما اقدم عليه ، وقدم الى المحكمة العسكرية التي أدانته بما يلي :

١ ـ السعي لدى دولةأجنبية والتخابر معها،ومع أشخاص يعملونلمصلحتها ولمعاونتها في عملياتها الحربية ، والاضرار بالعمليات الحربية المصرية •

٢ ـ السعي لدى دولة أجنبية في زمن الحرب والتخابر معها ، ومن شأن ذلك الاضرار بمركزمصر الحربي والسياسي والاقتصادي •

٣ ـ طلب لنفسه وقَبِلَ واخذ من أشخاص يعملون لمصلحة دولة أجنبية نقوداً ومنافع أخرى ، بقصد ارتكاب عمل ضار بالمصلحة القومية وذلك في زمن الحرب •

٤ ـ سلم وأفشى لأشخاص يعملون لمصلحة دولة أجنبية سرا من أسرار الدفاع عن البلاد[1] •

من لايستحي يفعل مايشاء

فصل جديد أيضاً في حلقات التجسس لصالح المخابرات الاسرائيلية بطله خائن جديد لم يستح ، ولم يردعه ضمير ولا حب الوطن الذي رباه وأكرمه ، ففي أول فرصة توجه محمد عمر حمودة الى استانبول ، واتصل بالقنصلية الاسرائيلية فيها عارضا (خدماته) ، فاستقبله معاون الملحق العسكري الاسرائيلي والمسؤول عن التجسس والمخابرات في القنصلية النقيب : سامي • طبعا ليس

(١) القي القبض على هذا الجاسوس بتاريخ ١٤ تشرين الثاني ١٩٤٣ في داره بالقاهرة • وصودرت منه أدوات تجسس كاملة بالاضافة الى اعترافه الصريح • ولم نطلع على نتيجة محاكمته ومن المحتمل أن تكون عقوبته الاشغال الشاقة وليس الاعدام كما هو مفروض لانه ليس مصريا ، وبالتالي لا يدين بالولاء لمصر ، ويعتبرها في قرارة ضميره لدى ارتكابه التجسس عليها بانها ليست وطنه •

.سمه الصحيح ، وتباحث معه عما يمكن ان يخدمهم به فطلب منه املاء استمارة معدة عن حياته (السابقه) ، حتى لحظة المقابلة ، ثم كتابة ما يعرفه (بصورة عامة) ليكون اختباراً له ففعل ، وقدم لهم الاستمارة ، وفيها كل شيء عن حياته مما لم يعرفه عنه (حتى أهله) ، ومن ثم قدم لهم (التقرير رقم ١) مؤلفا من ست صفحات كتب فيها كل ما يعرفه عن وطنه ، وعن المقاومه ، وبعد اطلاع النقيب سامي على (البضاعة) أعجبته لما حوت من دقائق الاسرار ، فقام بدفع حساب الفندق عنه باعتباره فندقاً شعبياً ، ونقله الى فندق درجة أولى ، وحجز له جناحاً خاصاً ، وأخذ يتردد عليه يوميا يدربه على أعمال التجسس ، فنجح نجاحا باهرا لم ينجحه في مدرسته ، وكلف بالسفر الى لبنان ، وجمع معلومات عن الفدائيين بشكل عام بعد أن منح مبلغ /٣٠٠/ دولار مصاريف سفر ، وسددت المخابرات الاسرائيلية بالطبع عنه جميع فواتير الفندق والمطعم والمكوى .

التجسس على المقاومة الفلسطينية :

في بيروت قدم نفسه الى مندوب احدى المنظمات الفدائية ، وهذا المندوب قدمه الى قائد المنظمة عارضاً خدماته ، فقبل مع الاسف وجرى تدريبه في معسكر تابع للمنظمة لمدة شهر ، اعتبر بعدها (فدائيا) ، وأخذ يقوم بمهمته الجديدة ، ونفذ بعض العمليات البسيطة للتضليل ، مما أتاح له التنقل بين مواقع الفدائيين، ثم معرفة أغلب قادتهم ومنازلهم (كان كلما خلا الى نفسه) قام بكتابة ما شاهده وسمعه ورسم المخططات التي مر بها (كما دربته المخابرات الاسرائيلية في استانبول) ، وخلال فترة جمع معلومات لا تقدر بثمن ، فقرر نقلها الى المخابرات الاسرائيلية ، فاستأذن منظمته بالسفر الى القاهرة من أجل تصديق الثانوية العامة التي يحملها ليتسنى له الالتحاق بجامعة بيروت العربية لزيادة ثقافته خدمة للمقاومة على حد تعبيره ، فوافقوا له .

نقل البضاعة المحرمة :

استقل الجاسوس محمد عمر حمودة التكني من مكتب سفريات بلانكو في ساحة البرج في بيروت الى دمشق ومنها الى حلب ــ ثم الى أنطاكية في تركيا

حيث توجه بالبولمان بعد ذلك الى استانبول فوصلها ليلا ، ولم يشأ ان يزعج (معلمه) ، فتوجه الى ملهى (أومبيا) الكائن في شارع الملاهي في استانبول ، ويسمى (تقسيم) ، بعد أن حجز غرفة في الفندق الذي تتعامل معه المخابرات الاسرائيلية لمثل هذه الحالات . وفي الصباح رن الهاتف في غرفة النقيب سامي الذي رحب به ودعاه للحضور فورا ، وما هي إلا دقائق حتى أصبح الجاسوس داخل القنصلية الاسرائيلية . يسلم البضاعة المحرمة معلومات عن أماكن وجود الفدائيين ــ أغلب الاسماء للفدائيين ، وحتى بعض الاسماء المستعارة ــ عناوين ــ مكاتب المنظمات وعناوين بعض قادة المنظمات . خرائط من تخطيطه عن الطريق التي يسلكها الفدائيون من سورية الى لبنان • سر النقيب سامي كثيرا لهذا الصيد الوفير وأعطاه مبلغ /٥٠٠/دولار مقابل هذه المعلومات ، وطلب منه البقاء في استانبول عدة أيام حتى تصل آوامر جديدة بخصوصه من اسرائيل •

نقل مهمة الجاسوس للقاهرة وسقوطه :

زاره النقيب سامي في الفندق ، وطلب منه الاستعداد للسفر الى القاهرة حسبما تقضي الاوامر الجديدة التي تلقاها بخصوصه وأخذ يتباحث معه عن امكانية الحصول على المعلومات الآتية :

١ ــ أماكن الصواريخ على القناة •
٢ ــ التركيز على الحركة الطلابية في مصر •
٣ ــ الحصول على نسخ من المنشورات التي يوزعها قادة الاتحادات الطلابية
٤ ــ ردود الفعل لدى رجل الشارع وبقية الفئآت عن حركات الطلاب •
٥ ــ معلومات على العناصر التي تسيطر على الطلبة وتحركها •
٦ ــ معلومات عن الوضع الاقتصادي •
٧ ــ معلومات عن الوضع السياسي •
٨ ــ معلوماث عامة عن تأييد الشعب المصري للحل السلمي أو العكس •
٩ ــ علاقة جمهورية مصر العربية مع المقاومة الفلسطينية

١٠ معلومات عن كيفية استدعاء المسرحين للاحتياط وتحديد الزمن والعدد •
١١ ــ معلومات عن الوحدة الاندماجية •
١٢ ــ معلومات عن أجهزة الامن ــ المخابرات ــ المباحث العامة ••• الخ
ونصحه النقيب سامي بتمزيق الورقة التي سجلت عليها هذه الطلبات ، وحفظها في الذاكرة ، فوعده بأنه سيمزقها • ولكنه لم يفعل (حتى ضبطت معه فيما بعد) وأعطاه مبلغ ٢٠٠ دولار أخرى ، وطلب منه الحرص الشديد ، وتغيير ملامحه (التنكر) ، ثم سافر الجاسوس الى القاهرة فوصلها في أول نيسان ١٩٧٣ وبدأ فوراً مهمته ، فكتب تقارير عن الفقرة (٢) والفقرة (٤) والفقرات (٦و٧و١٠)، وكاد يتابع مهمته •••

السقوط :

مهما أوتي الجاسوس من ذكاء وخبرة وتفان في خدمة أسياده تجاه المغريات (التافهة) مقابل الوطن ، فان كل ذلك يزول عندما يحاول استدراج مواطن شريف للسير معه في هذه الطريق الشائكة •••؟

توجه الجاسوس الى المدينة الجامعية لمقابلة شقيقه : عبد الحميد حمودة الطالب بالسنة الاخيرة ــ كلية التربية ــ جامعة عين شمس ، ولكنه لم يجده فاستضافه زملاؤه : الطالب حسن محمد حسن والطالب أحمد ابراهيم ، حتى اليوم التالي حيث حضر شقيقه فشكرهم على حسن وفادتهم له ••

في الغد استأذن الشقيق الطالب شقيقه الضيف وتوجه الى الجامعة لحضور احدى المحاضرات ، فتوجه الجاسوس الى الطلبة الذين أكرموه أيضا لانه شقيق زميلهم ، ولكنه استغل هذا الكرم ، وحاول اقامة علاقات معهم مثل الارتباط بأعمال كتابية عن أوضاعهم الطلابية في الاتحادات فاظهروا له الموافقة بعد أن (شعروا) بأن ما يطلبه من المعلومات هو (التجسس) وفي نفس اليوم كان هؤلاء الطلاب الشرفاء في مكتب اللواء سيد فهمي نائب وزير الداخلية مدير مباحث أمن الدولة الذي رحب بهم وبوطنيتهم،وطلب منهم المتابعة مع الجاسوس وكلف اللواء أحمد رشدي رئيس فرع مباحث أمن الدولة بالقاهرة رسم خطة معهم ، للايقاع بالجاسوس ، وكانت الخطة تقضي بما يلي :

١ ـ استئذان النيابة العامة بعد تقديم افادات المخبرين (الطلاب)•

٢ ـ تزويد الطلاب بجهاز تسجيل لوضعه خفية في الشقة لتسجيل أقوال الجاسوس •

٣ ـ تكليف مفرزة من مباحث أمن الدولة لتبقى على اتصال ، وبالقرب من مكان إقامة الجاسوس وتحت تصرف الطلاب •

٤ ـ تعميم اسم الجاسوس حالاً على جميع نقاط الحدود براً وبحراً وجواً خشية فراره •

عاد الطلاب الى شقتهم بالمدينة الجامعية ، ونصبوا جهاز التسجيل في مكان خفي ، وجلسوا ينتظرون ، وما هي الا مدة وجيزة حتى حضر الجاسوس ، وبعد شرب الشاي أفاض بالحديث عما يمكنه أن يقدمه لهم من خدمات فيما لو أمدوه بالمعلومات التي يطلبها ، وكان الحديث يسجل بالطبع وأهم ما سجل فيه :

١ ـ طلبه المعلومات منهم بصراحة •

٢ ـ تهجمه على الاوضاع في مصر •

٣ ـ شتمه بعض المسؤولين •

٤ ـ اقراره بأنه (عمل حاجة جامدة ••) وفسر ذلك بأنه اشترك في حرق القنصلية المصرية في بنغازي أثناء المظاهرات المعادية لمصر التي وقعت في ليبيا وبتكليف (من المخابرات الاسرائيلية) • صراحة •

ولما ذكر (المخابرات الاسرائيلية) صراحة فوجيء الطلاب ، وسألوه هل صحيح أن المخابرات الاسرائيلية كلفته بحرق القنصلية المصرية في بنغازي ، فأجابهم بكل فخر واعتزاز : (أمّال !) • واستمرت جلسة السمر هذه الى منتصف الليل حيث انصرف الجاسوس الى شقة شقيقه ، ونام بينما أسرع الطلاب الى الدورية الموجودة بالقرب منهم . وسلموها الشريط (الادانة) ، فنقل هذا الشريط حالاً الى اللواء سيد فهمي ثم الى النيابة العامة،التي أمرت باعتقاله فوراه

توجهت القوة الملكفة باعتقاله في الساعة الثالثه من صباح ١٩/٥/١٩٧٣ الى المدينة الجامعية ، واصطحبت معها المسؤول عن المدينة الى شقة الطالب عبـد

الحميد حمودة الذي فوجىء باعتقال شقيقه واعتقاله على ذمة التحقيق ، حيث أفرج عنه فيما بعد نظرا لثبوت عـدم مسؤوليته أو اشتراكه بأعمال اخيـه الجاسوس ، وقد عثر بحوذة الجاسوس على لائحة بطلبات المخابرات الاسرائيلية منه ورقم تلفون القنصلية الاسرائيلية في استانبول مع فاتورة الفندق ، وقد سجل عليها باللغة التركية (دفع من قبل القنصلية الاسرائيلية ٠٠) ، كما عثر معه على بطاقة جامعية مزورة (بالاصل لشقيقه) ، وإقرار جمركي مزور أيضاً ٠٠

بعد التحقيق واعترافه الكامل واجراء مقابلة بينه وبين الطلاب الشرفاء الذين حاول ايقاعهم في حبائل التجسس ، حكمت عليه محكمة أمن الدولة العليا برئاسة السيد المستشار مصطفى عبد الوهاب خليل بالاشغال الشاقة المؤبدة ، وبغرامة (١٠٠٠) ألف جنيه مصري ، وبما أن الاشغال الشاقة المؤبدة (٢٥ سنة) هي أقسى العقوبات في جمهورية مصر العربية بعد حكم الاعدام ، فاننا نرى بأن هذا الحكم في محله لان الجاسوس لم ينقل الى العدو أية معلومات عن مصر ، وأن المعلومات التي ضبطت معه قدرت بأنها ليست من الخطورة بمكان، فيما لو وصلت الى المخابرات الاسرائيلية لانها معلومات عادية كتبها عن مشاهداته الخاصة ، واستنتاجاته ، أو نقلها من الصحف ، أما المعلومات التي نقلها (سابقا) الى المخابرات الاسرائيلية عن المنظمات الفدائية وحصل مقابلها على أموال من العدو مما ألحق الضرر بالقضية الفلسطينية ، فانه من الجائز لو حكم عليه بأقل من المؤبد لكان بالامكان تسليمه الى لبنان ، باعتباره الدولة التي وقع عليهـا التجسس ضد المنظمة الفدائية ، وذلك لمحاكمته هناك مجدداً ٠٠ ولكن يظهر أنه لن يخرج من سجنه في ج٠م٠ع ٠

إغراءات المخابرات الاسرائيلية

درجت المخابرات الاسرائيلية على اغراق المحرمات على من تتعامل معهم من مال وملذات ، وحتى منحهم الرتب العسكرية الفخرية تشجيعاً لهم على تنفيذ مآربها في الوصول الى أسرارنا ٠

منح جاسوس رتبة (رائد) اي رئيس اول (صاغ) :

رجب عبد المعطي من مواليد ١/١٠/١٩٣٧ ـ قسم القباري ـ الاسكندرية لـم يتمكن لسوء حالته المادية من اتمام تعليمـه الثانوي ، فعمل في ميناء (الاسكندرية) كاتبا ثم معقبا لمعاملات التجار • ولما توسعت أعماله افتتح

(شركة الخدمات البحرية) ، ولكن كساد العمل عقب حزيران ١٩٦٧ دعاه الى تصفية شركته ، والوقوع تحت طائلة بعض الديون فسافر الى اليونان للعمل هناك وفشل أيضا ، ووقع تحت عجز ايجار الفندق ، وعوضا عن أن يطلب المساعدة من سفارته ومواطنيه ليعود الى أرض الوطن ، ويبحث عن عمل شريف سولت له نفسه المريضة الالتجاء الى أعداء بلده وأمته العربية ، فكتب خطابا ضافيا الى السفارة الاسرائيلية في أثينا ، يعرض عليها خدماته ومعلوماته ، فحضر اليـه مندوب السفارة ، وصحبه اليها ، وهناك كالعادة طلبوا منه أن يملأ استمارة يكتب فيها (سيرة حياته) ، وأسماء أصدقائه ، ومعارفه • ولما وجـد ضابط المخابرات أنه أمضى عدة سنوات في العمل في ميناء الاسكندرية طلب منه تقريرا مفصلا عما يعرفه عن هذا الميناء الحيوي من الناحية الاقتصادية والعسكرية ، فكتب رجب تقريرا مفصلا عن جميع ما يعرفه عن الميناء ، وقد أعجب مسؤولو المخابرات الاسرائيلية والسفارة بهذا الفيض من المعلومات فقاموا بتسديد حسابه في الفندق ، ثم نقلوه الى فندق أفخم بالاضافة الى تسليمه /١٥٠/ دولارا تحت الحساب •

سفرة الى تل ابيب :

بعد اتصال ضابط مخابرات السفارة الاسرائيلية في أثينا بالقيادة العامة للمخابرات الاسرائيلية في تل أبيب وعرضه أوصاف الجاسوس الجديد ، طلبوا منه العمل على ارساله اليهم في تل أبيب ، فزاره في فندقه وعرض عليه السفر الى تل أبيب ، فوافق فورا ، فطلب منه عـدة صور ، ودعـاه للحضور للسفارة الاسرائيلية في اليوم التالي ، وهناك استلم ضابط المخابرات الاسرائيلي جواز سفره المصري ، وسلمه (وثيقة سفر اسرائيلية) تثبت أن حاملها من الجنسية الاسرائيلية واسمه : دافيد ماشول شالوم ، وقد فقد جواز سفره في أثينا مـع

بطاقة سفر على طائرة (العال) محجوزة أثينا ــ تل أبيب ــ أثينا • وفي تل أبيب استقبله ضابط مخابرات (يرتدي اللباس المدني) ، وتوجه به من المطار الى بناء في تل أبيب معد لأمثاله من الجواسيس ، وبعد استراحة قصيرة انتقل به الى قيادة المخابرات الاسرائيلية حيث أخضع لاجتماع مغلق حضره كبار القادة في المخابرات الاسرائيلية ، وجرت مناقشته عما كتبه في تقريره في أثينا عن ميناء الاسكندرية ، ولما وجد المجتمعون أنه ميال للنزعة العسكرية ، ويضع أجوبته بلهجة عسكرية مدعومة بما يشبه الستراتيجية في التفصيل والاقناع عرضوا عليه منحه رتبة (رائد) في المخابرات ، فوافق مبتهجا[1] ، وخلال الاسبوعين اللذين قضاهما في ضيافة المخابرات الاسرائيلية تم تدريبه على استعمال الحبر السري ، وشيفرة خاصة للمراسلة ، ونظرا لأهميته لديهم تقرر بصورة استثنائية تسليفه مبلغ /٢٠٠٠/ دولار ليتمكن من احياء شركته المفلسة ، ولكن نبه بأن يعود الى أثينا ، ويمكث بها عدة أشهر ، ويشيع أنه يتعاطى أعمالا مربحة أثناء تردده الى الاسكندرية ، ثم ينهي أعماله ويعود الى ممارسة نشاطه في شركته ، وبالتالي تنفيذ طلبات المخابرات الاسرائيلية •

بقي في أثينا المدة الكافية حسب تعليمات المخابرات الاسرائيلية ، وكان لا يضيع وقتــه سدى ، فكان يتردد الى المطار والاماكن التي يتواجد فيهــا (المصريون) عارضا عليهم خدماته ، وبنفس الوقت يسألهم عن الاحوال في البلد •••؟ ومن جملة خدماته لمواطنيه المصريين كان يؤمن لهم العمل في الشركات البحرية (بمساعدة المخابرات الاسرائيلية ••) أخذ يرسل الهدايا مع كل من يسافر عائدا الى الوطن ، ويبعث الرسائل لاعلام أهله وأصدقائه عن حسن

---

(١) اتبعت المخابرات الاسرائيلية في منحه رتبة رائد لاشباع غروره نفس طريقــة أساتذتها في المخابرات الاميركية الذين (منحوا) سابقا الجاسوس السوفياتي الهارب الى الغرب (اوليغ بنكوفسكي) رتبة (كولونيل) في الجيش الاميركي تشجيعا لــه واشباعا لرغبته وقديما قيل (اقلب الجرة على فمها •••)

احواله . وأعلم ضابط مخابرات السفارة الاسرائيلية في أثينا بأنه قد هيأ (الجو) لعودته ، فوافق وصفى له جميع أتعابه في أثينا اضافة الى الـ ٢٠٠٠ دولار التي قبضها من تل أبيب .

ازدهرت أعماله بعد عودته من اليونان ، خصوصاً بعد ان أدخل تحسينات جديدة على شركته كالديكور الفخم والاعلان بالنيون والاعلان بالصحف واستلامه (وكالات) لشركات جديدة (بايعاز من المخابرات الاسرائيلية) ، وازداد البريد الوارد اليه ومنه بريد (رؤسائه) في أثينا وتل ابيب ، واعتقد في قرارة نفسه أنه نجح في التمويه ، وسها عن باله بأن المخابرات العربية هي العين الساهرة له ولامثاله بالمرصاد ، ولها العديد من الوسائل لكشف تجسسه .

اكتشاف (الجاسوس الرائد) :

لم تنجح توصية المخابرات الاسرائيلية له بالبقاء في أثينا مدة طويلة لتغطية ثرائه المفاجيء وتجديد شركته المفلسة . ومن أول الطريق وضع تحت المراقبة الدقيقة وجرى الكشف على رسائله العديدة وصورت وأعيدت له بدون أن يشعر ، وقدمت للنيابة العامة كدليل على ضلوعه في التجسس فوافقت النيابة على اعتقاله بعد ثبوت تجسسه ، فتوجهت قوة من المخابرات العربية بتاريخ ١٩٧٥/١/١٣ في الساعة الثامنة صباحا الى مكتبه في الشركة ، واعتقلته وبعد تفتيش مكتبه عثر فيه على مختلف أدوات التجسس المزود بها ، ، والتي كان يستعملها ، ومن قبيل الصدف وصول رسائل له من المخابرات الاسرائيلية (بالشفيرة) أثناء وجود رجال المخابرات في مكتبه حيث طلبوا منه حلها ، ففعل وأضيفت كمستندات ضده أثناء محاكمته بالتهم الآتية :

١ ــ باع نفسه ووطنه للعدو مقابل المنفعة المادية .

٢ ــ أمد العدو بمعلومات عسكرية واقتصادية تضر بأمن الدولة ومصلحة البلاد .

٣ ــ ارتضى لنفسه أن يحمل اسماً يهودياً وجوازاً يهودياً ورتبة عسكريه يهوديـة .



● الجاسوس جمال [illegible] يشرح للعميد اسماعيل مكي رئيس النيابة العسكرية جهاز « كاميرا » زوده بها العدو ●
(صورة من [illegible])

٤ ــ التخابر مع دولة معادية (اسرائيل) بقصد الاضرار بالعمليات الحربية لمصر .

٥ ــ التخابر مع دولة اجنبية معادية لتسليمها سرا من أسرار الدفاع عن البلاد

٦ ــ الحصول على أموال من دولة اجنبية معادية هي اسرائيل للاضرار بالمصالح القومية للبلاد .

وبعد المحاكمة حكم عليه بالاعدام شنقاً ، وجرى التصديق على الحكم وبانتظار التنفيذ حدث ما سبق أن نبهنا اليه من دواعي التشدد في مراقبة الجواسيس ، فقد أقدم هذا الجاسوس بقطع شرايين يديه بزجاج نظارته الطبية وانتحر في سجنه قبل تنفيذ الاعدام بـه بعدة أيام ، وهذا سبب جديد يدعو المخابرات العربية الى الانتباه والتشدد في حماية الجواسيس من أنفسهم حتى لو اضطر الامر حرمانهم من نظاراتهم الطبية .

من غرائب التورط في التجسس :

لم يكتف الابن الفاشل في التورط بالتجسس لصالح المخابرات الاسرائيلية، بل جر معه أباه أيضا الى هذه الطريق الشائكة ...؟

سمير وليم باسيلي ــ ١٩٣٨ القاهرة نال شهادة البكالوريا بصعوبة ، وكان فاشلا يعيش مع أبيه الذي عقد له حياته من كثرة توبيخه له وضربه ، فقرر الهرب من حياته السابقة في القاهرة .

سافر الى المانيا الغربية عام ١٩٦٢ وفي مدينة (ميونيخ) حط الرحال ، وساعده بعض المصريين الذين سبقوه الى هناك فهيؤوا له عملا في شركة(سيمونز) براتب جيد ، وعاش سمير الحياة التي كان يرغب بها ، فلا توبيخ ولا ضرب من أبيه ولا وجع دماغ من الدراسة ، بل هناك عمل وفي الليل ما يشاء من المحرمات، وقد تعود أن يمضي بعض الاوقات في مقهى (برنسيس) على الطريقة الالمانية فيشرب (البيرة) ، ويتناول السندويش ، ثم يعود الى غرفته التي استأجرها لدى عائلة ألمانية .

رجل اعمال في طريق سمير :

تقدم شخص في العقد الرابع من العمر الى الطاولة التي يجلس اليها سمير في مقهى (برنسيس) ، وقدم نفسه معتذراً بسبب ازدحام المقهى : (هانز مولار) رجل أعمال ، هل تسمح ياسيد بالجلوس معك ؟ فرحب به سمير (التخاطب كان باللغة الانكليزية التي يجيدها سمير) ، وبعد الاستفسار منه عن الاحوال في مصر انطلق سمير يهاجم بلده ، ويعلق على الامور بطريقة سرّ منها هانز كثيرا فقرر أن يخلع قناعه بعد أن وجد في سمير استعدادا طيبا للتعاون . فقدم نفسه على حقيقته (الرائد موسى من فرع المخابرات الاسرائيلية في ميونيخ) ومع ذلك لم يظهر على سمير أي تعجب ، بل نظر اليه نظرة الموافق ، وهنا صارحه (هانز) ، وقد اتفقا أن يبقى على اسم هانز التجاري للمستقبل بان كل مايرغب منه هو : تسقط أخبار مصرمن المصريين الوافدين الى (ميونيخ) ثم انتقاء من تراه (مثلك) لنتعامل معه .

وهنا صدرت عن سمير حركة تشبه الاستفهام عما سيتقاضاه ، فأجابه (هانز) : سأحصل لك على /٥٠٠/ مارك شهريا وبامكاني اعطاؤك ٣٠٠ مارك عن كل شخص تجنده للعمل معنا ، فوافق سمير وفي اليوم التالي كان يزور هانز في مكتبه ويقبض منه راتب أول شهر (مقدما) ، ليتمكن من التفرغ لمهمته الجديدة كجاسوس

نشاط سمير التجسسي في ميونيخ :

في مطار (ميونيخ) كان سمير يعرف أوقات وصول أية طائرة من القاهرة سواء كانت تابعة لشركة مصر للطيران ام لاي شركة طيران أخرى ، وقد أسس صداقات مع بعض موظفي مكتب شركة مصر للطيران وبعض المضيفين والمضيفات وكان يستقبل كل مصري يكون قادما الى ميونيخ ، ويعرض عليه خدماتـه وخبرته ، وبالطبع فان أي مصري يجد مصريا آخر في هذه البلاد النائية يقدم له مثل هذه المساعدة ، فانه يقبلها شاكرا من تأمين فندق متوسط ، الى شراء سيارة ، الى (ترجمة) حين التجول في ميونيخ ، كل ذلك مقابل أن يسأله سمير أسئلة عادية جدا في ظاهرها البراءة :

١ ــ ازاي الحال في بلدنا ؟ (ويترك الجواب من القادم على سجيته كعادة المصريين في التحدث) .

٢ ــ انشاء الله كله كويس وحنحارب .

٣ ــ ازاي انتو عايشين ، فيه عندكم كل حاجة (يقصد التموين) .

ولا ينسى أن يأخذ من الوافدين الصحف المصرية التي سبق أن احضروها من القاهرة أو اشتروها من الطائرة ، ويعود سمير الى غرفته ليكتب ما علم من أخبار (وطنه) ، ويسلمه في اليوم التالي الى (هانز) .

تجنيد ابيه في التجسس :

استقرت الامور مع سمير فراتبه من شركة (سيمونز) جيد وراتبه الثاني من شركة (المخابرات الاسرائيلية) جيد أيضا ، وهنا أخذ أبوه في الظهور في حياته مجددا بتردده الى ميونيخ ، لينظف جيوب سمير بحجة الصرف على اخوته وعائلته ، وهنا قرر توريطه معه في التجسس فقدمه الى هانز الذي رحب كثيرا بعدما شرح له سمير الفوائد المرجوة من ابيه ، وهي :

١ ــ كبير السن لايدعو للريبة والشك .

٢ ــ صاحب عمل إداري سابقا ولديه امكانيات لادارة الاعمال

٣ ــ تكون جميع سفرياته الى (ميونيخ) بحجة زيارة ابنه (سمير).

قام هانز بطريقته الخاصة بتعريف نفسه الى الاب وليم بانه رجل أعمال مهم ، وأن جميع أعمال ابنه سمير مزدهرة بفضله ، وأن بامكانه التعاون معه لتأسيس عمل مماثل لعمل ولده ، فوافق بلا تردد .

أعلم الاب بصراحة بان عمله سيكون جمع المعلومات العسكرية والسياسيه والاقتصادية عن مصر وارسالها الى بعض العناوين في سويسرا او ايطاليا او احضارها شخصيا الى ميونيخ . وسيكون عمله منوطا بنجاحه في الحصول على معلومات دسمة لانهم سوف يدفعون له /١٠٠٠/ مارك عن كل تقرير ، وذلك تشجيعاً له ، ونظرا لمكانته وكبر سنه .

انغمس الاب وليم بالتجسس، وتردد عدة مرات الى ميونيخ يقدم المعلومات ويقبض الماركات ، فكف عن مطالبة سمير بالمصروفات ، وفي كل مرة كانت المخابرات الاسرائيلية تزوده بطلبات جديدة . ومن جملة تعليماتهم المهنية له :

١ ـــ لا تقرأ أي قضية تجسس تنشرها الصحف المصرية .

٢ ـــ تجنب الخطا في عملك . لأن الخطأ يؤدي للوقوع بين يدي المخابرات الحربية في القاهرة ، وهده المخابرات معاملتها قاسية جداً ...

٣ ـــ وسائل المخابرات الاسرائيلية (حسب زعمهم) لا يمكن الكشف عليهـا .

٤ ـــ أسلوب عمل المخابرات الاسرائيلية لا يمكن لاحد أن يعرفه .

٥ ـــ كانوا يطمئنوا (العم وليم) حتى ولو حصل ما لم يكن بالحسبان وقبضوا عليك فسوف (نرعى أولادك) .

نهاية مؤسسة وليم باسيلي وولده سمير للتجسس :

طلبت المخابرات الاسرائيلية من سمير مضاعفة عمله بتجنيد اكبر عدد من المصريين للتعاون معهم . فبدأ بتقديم بعض المصرين الوافدين الى ميونيخ الى هانز واحداً واحداً حتى بلغوا خمسة طلب منهم جميعاً التجسس على (وطنهم)، فعاد ثلاثة منهم الى مصر واما الاثنان فقد انتقلوا الى بلد آخر للعمل به ، فلاهم عادوا الى مصر وأخبروا ، ولا هم بقوا في ميونيخ وتجسسوا . أما الثلاثة الذين عادوا الى مصر فكانوا عند حسن ظن وطنهم بهم ، هذا الوطن الذي وضع

فيهم هذه الدماء وهذه الكرامة ومع أن الثلاثة عادوا بأوقات متفاوتة وأخبروا (المخابرات) عما تعرضوا له ، وما طلب منهم فقد جمعت معلوماتهم في (ملف واحد) ، مضافاً اليها ما لدى هذه المخابرات من معلومات عن تاريخ سفر سمير ، ومكان عمله وبعض الصور عن مراسلاته (لذويه) ، ومن ثم تاريخ أول سفرة لابيه وبعدها عدد السفرات الى ميونيخ ، كل ذلك قدم ملفا كاملا الى النيابة العامة التي وافقت على تتبع نشاط الاب وولده واتخاذ ماتراه المخابرات الحربية مناسبا.

تنكر أحد ضباط المخابرات بشكل ثري ، واخذ يتزد على مكتب وليم باسيلي يطلب الاستفسار عن امكانية فتح بعض المشاريع العمرانيه بمناسبه عودته من الكويت ، ومعه مبلغا ضخما من المال نتيجة أعماله وتعهداته السابقه ، وكان لابد للاب أن يستشير ابنه وشريكه فطلب منه الحضور لتدارس الامر ، فحضر سمير ومعه صديق الماني وصديقته لا دخل لهم بالتجسس واصطحبهم الى الاهرامات ثم أسوان ، ولدى عودتهم بالقطار وجد المخابرات المصرية بانتظاره في المحطة ، فاستاذن من ضيفيه بلباقه على ان يلحق بهما الى الفندق ، وفي مركز المخابرات فوجىء بأبيه قد سبقه وبعد ذلك فوجىء الاثنان بدخول (الثري القادم من الكويت وصاحب المشاريع العمرانية والذي احضر سميرا الى الفخ بسببه) مرتديا البزة العسكرية ، وقد أدى له الموجودون التحية العسكريه .

اعترف الاب وابنه بالتجسس،وبما اقدما عليه من نقل المعلومات العسكريه والسياسية والاقتصادية عن مصر الي المخابرات الاسرائيلية قام بالتحقيق الاولي السيد العقيد عز الدين رياض (رئيس النيابة العسكريه) ، ثم قدم الاثنان الى (المحكمة العسكرية العليا) المختصة بجرائم التجسس والخيانة ، وبعد تكرار الاعتراف حكم على الابن سمير وليم فريد باسيلي بالاعدام شنقا لتخابره مع دولة معادية لمعاونتها في عملياتها الحربية والاضرار بالعمليات الحربية لمصر ، ومعاونة العدو عمدا بتقديمه بعض المصريين لتجنيدهم للعمل لصالح المخابرات الاسرائيلية . وحكمت على الاب وليم فريد باسيلي بالاشغال الشاقه مدة ١٥ سنة بتهمة التخابر مع عملاء دولة معادية لمعاونتها في عملياتها الحربية ، ومعاونة العدو بتقديم بعض المصريين لتجنيدهم للعمل لصالح المخابرات الاسرائيلية . وبراءة المصريين الثلاثة الذين أخبروا المخابرات عملا بالمادة (٨٤) من قانون العقوبات

(يرجى مراجعة البحث القانوني في هذا الكتاب) التي تعفي من العقوبة كل من بادر من الجناة بابلاغ السلطات الادارية او القضائيه قبل البدء في تنفيذ الجريمة ، وقبل البدء في التحقيق . ويجوز للمحكمة الاعفاء من العقوبة اذا حصل البلاغ بعد تمام الجريمة ، وقبل البدء في التحقيق ، ويجوز لها ذلك اذا مكّن الجاني في التحقيق السلطات من القبض على مرتكبي الجريمة الآخرين او على مرتكبي جريمة أخرى مماثلة لها في النوع والخطورة .

يوم لا ينفع الندم :

أثناء التحقيق مع الجاسوس الابن في هذه القضية سمير باسيلي كتب بخط يده : انني اشعر الآن انني أخطأت بحق وطني الحبيب ... . وقد حفظت في ملفه الذي سيحفظ نهائياً بعد تنفيذ حكم الاعدام به ...

وفاء المخابرات العربية لعملائها داخل اسرائيل

المخابرات العربية مثل جميع المخابرات في العالم تتميز بالرجال الاقوياء الاذكياء ذوي القدرة والخبرة ، كما يتوفر لمعظم مخابرات الدول العربية الميزانية الكافية لاتمام أعمالها بدقة تامة . لا تنقص بأي حال من الاحوال عن مخابرات أية دولة من الدول . حيث توجد مدارس للمخابرات في كل دولة عربية يدخل فيها الشباب القوي المختار ، ليتخرج ويخدم بلاده عن طريق الجاسوسية ، وأنا شخصيا اتبعت في أول عهدي بالمخابرات العربية دورة تدريبية لمدة طويلة في مدرسة المخابرات العربية . تعلمت في هذه الدورة مختلف وسائل العمل في مكافحة التجسس ، وفك الرموز والشيفرة وحتى الدفاع عن النفس بطريقة المصارعة اليابانية (الجيدو) على يدي متخصصين مدربين ، وعرفنا خصائص رجال المخابرات الاسرائيلية بصفة خاصة،وشاهدنا عشرات الافلام التي التقطها مخبرونا المنتشرون في داخل اسرائيل لمختلف الاماكن الحساسة حتى أدق اعلانات النيون كانت واضحة في أحد الافلام التي صورها أحد عملائنا داخل طبريا ويتبع عملاؤنا داخل اسرائيل نفس الطريقه العالمية في ارسال ما يحصلون عليه من الاخبار والاسرار . كما يقومون بتجنيد العديد من اليهود للعمل لقاء مبالغ

باهظة تسلم اليهم ، اما بالدولارات أو بالليرة الاسرائيلية المتوفرة بين يدي عملائنا داخل اسرائيل للدفع حالا لاي عميل تتوفر فيه النية في التعاون لعدة أسباب أولها الحصول على المال ، وثانيها الحقد على الحكام الاسرائيليين • ونادرا ما يقع أحد عملائنا في قبضة السلطات الاسرائيلية • ومع ذلك فقد خان الحظ مفرزة من المخابرات عندما كانت هذه المفرزة متوجهة الى لقاء أحد عملائنا داخل الارض المحتلة • وكان أحد المواطنين في الارض المحتلة مع الاسف الشديد يتعامل مع المخابرات الاسرائيلية ، وشاهد هذه المفرزة ، وهي متجهة الى هدفها، فأخبر المخابرات الاسرائيلية التي راقبت المفرزة حتى وصلت الى منزل العميل العربي ، حيث تقدم أحد العناصر وطرق الباب بينما بقي الباقون يقومون بحمايته • وعندما خرج العميل ليسلم الطارق الامانه ، لان الطرقات على الباب كانت من العدد بحيث عرف العميل ان الطارق رسول المخابرات العربية • وعند فتح الباب فوجيء الجميع بأنهم محاصرون من الجيش الاسرائيلي والمخابرات • فقام أفراد المفرزة حالا باطلاق النار من مكان اختفائهم حمايه لزميلهم ، وللعميل اللذين زحفا حتى انضما الى زملائهم تحت وابل من نيران الاسرائيليين وانسحبوا حالا • تأكد العميل من مقتل الخائن مع بعض الجنود الاسرائيليين ، واستشهد في هذه المعركة اثنان من المخابرات العربية بينما تمكن الباقون من العودة بالعميل ، وما معه من معلومات الى مركز المخابرات العربية ، حيث أذاعت اسرائيل عن الحادث في اليوم التالي من اذاعتها ، وصرح العميل أنه عمل مع المخابرات العربية ست سنوات كاملة كان يرسل المعلومات بمختلف الطرق ، ومنها ذهابهم اليه لاستلام المعلومات • كما أنه بحضوره معهم الى مركز المخابرات العربية قد حفظ حياة وكيل ضابط في الجيش الاسرائيلي ، كان قد جنده معه، وكان يزوده بمعلومات وأوامر عن تحركات الجيش الاسرائيلي كانت جميع هذه الاخبار صحيحة بعد مطابقتها مع غيرها من الاخبار الواردة من اسرائيل من مصادر ثانية • وقد علمنا أنه أعطيت التعليمات بالاتصال مع وكيل الضابط الاسرائيلي مع عميل آخر لتسليم راتبه من المخابرات العربية ، وليستمر في التعاون معها •

لدى وصول العميل العربي للمخابرات العربية اتضح أنه ترك زوجته

وولده في اسرائيل رهن الاعتقال بعد فراره ، ولكن المخابرات العربيــة قامت بواجبها نحوه خير قيام حيث منح جواز سفر عربي باسم جديد ، وأعطي مبلغاً من ميزانية المخابرات ، وسافر الى احدى دول أميركا اللاتينية لينضم هناك الى الجالية العربية • وبعد مدة طلبت لجنة الهدنة مبادلة زوجته وولده عن طريقها مع جاسوس اسرائيلي معتقل ، وبالفعل وافقت اسرائيل ، وأحضرت زوجتــه وولده الى ضيافة المخابرات العربية . وأرسلوا بالطائرة الى أميركا حيث عادوا عائلة كاملة وهذا خير دليل على وفاء المخابرات العربية •

اشهر الجواســيس

في العالم مشاهير من العلماء والاطباء والمهندسين والفنانين تتناقل أخبارهم الصحف ومحطات الاذاعــة يوميا ، وتشرح ما قدموه للبشرية من اختراعــات وبحوث نافعة من الازل حتى عصرنا هذا وهناك مشاهير للجواسيس أيضا ، وهؤلاء يكونون أنفع لبلادهم في كثير من الاحيان من العلماء وغيرهم ، ذلك لانهم يقدمون لبلادهم الخبر اليقين عما يجري • ويرتب ضدها من البلد الذي يوفدون اليه مخاطرين بحياتهم ، بينما يقبع العالم في مكتبه أو مختبره يقــوم بأبحاثه ، وهو مطمئن البال والخاطر يتمتع بمبــاهج الحياة وترفها ، لايفكر بانكشاف أمره والقبض عليه مثل الجاسوس ، وقد شرحنا كيفية انتقاء الدول للجواسيس وتدريبهم وتكليفهم بالمهمات الصعبــة في بلاد نائيــة ، فيقومون بمهماتهم خير قيام • ونادرا ما يقعون بأيدي المخابرات • وفي أغلب حالات كشف الجواسيس لعبت الصدفة دورها بينما يأتي دور خطأ الجاسوس بالمرتبة الثانية لتــي تــؤدي لكشفــه •

وتتابع المسير مع أحداث العالم بصورة عامة لنجد أن أغلب الاحداث كانت (المخابرات) ورائها ، فالجواسيس منتشرون في جميع أنحاء العالم ، وهناك عدة طرق لعمل هؤلاء الجواسيس وبقائهم بشكل مموه في البلاد التي توفدهم اليها (مخابراتهم) • ومن أهم صفات الجواسيس وأعمالهم :

١ ـ فتح مكاتب تجارية بالتعاون مع أفراد البلاد التي يعيشون فيها •

٢ ــ عرض رؤوس أموال لتأسيس (شركات) وتنفيذ مشاريع عمرانية ــ انشائية بالتعاون مع أبناء البلاد •

٣ ــ المشاركة في الصحف ودور النشر •

٤ ــ شراء فنادق جاهزة أو انشائها بنفس الطريقة •

٥ ــ الانتقال الى البلد المطلوب التجسس فيه ، والتظاهر بممارسة مهنة معينة يحتاج اليها أبناء ذلك البلد (تصليح ساعات) أو (راديو) ••• الخ •

يضاف الى هؤلاء الملحقون الثقافيون والعسكريون ، وحتى الملحقون الصحفيون والتجاريون • كلهم يعمدون الى جمع المعلومات من مختلف المصادر وبذلك يتعدون عملهم ، حتى أن بعضهم يجند من أبناء البلاد لمدّه بالمعلومات مقابل بعض المال ، وكثيرا مايقع هؤلاء الملحقون ضحية وطنية أبناء البلاد التي يعملون بها ، والذين يخبرون السلطة المختصة (المخابرات) لدى أول اتصال بهم ، فتعمل المخابرات على مراقبتهم والقاء القبض عليهم ، متلبسين بجريمتهم ، فتطردهم من بلادها مثلما نسمع كثيرا ويوميا من الاخبار ونقرأ في الصحف (بسبب حصانتهم الدبلوماسية) •

واذا استعرضنا أحداث الحرب العالمية الثانية وما جرى بين الدول من معاهدات ، ومن ثم حروب وصلح وهزيمة ، ونجد أن المخابرات والجواسيس وراء كل ذلك ومهما كانت الجيوش قوية ومجهزة بأحدث وأفتك الاسلحة لا يمكن لها أن تنتصر الا بنتيجة مجهود المخابرات والجواسيس الذين يقدمون المعلومات والخطط والخرائط ، وحتى انهم يتمكنون من معرفة ساعة وتاريخ الهجوم كما سنعرف من قصة أجرأ وأخطر جاسوس للاتحاد السوفييتي ، وهو « ريتشارد سورج » ، هذا الجاسوس الذي تسببت شبكته التي أنشأها في طوكيو فيما بعد في تغيير مجرى الحرب العالمية الثانية •

ريتشارد سورج

ولد ريتشارد سورج في مدينة (باكو) الروسية من أب الماني وأم روسية ، وكان والده الالماني مهندسا في شركة (بترول القوقاز) • وعندما بلغ ريتشارد الثالثة من العمر انتقل مع والده ووالدته الى برلين ، مسقط رأس ابيه • وكانت

حال ابيه لاتسمح بتدريسه ، لذلك وقبل أن يتم دراسته الثانوية عام ١٩١٤ جند في الجيش الالماني • فاشترك بالحرب حيث أصيب بجروح خطيرة ثلاث مرات ، وفي آخر مرة أصيب بها كانت اصابته أخطر من اصابته السابقتين ، لذلك حصل على فترة نقاهة يقضيها في منزله • وفي خلال هذه الفترة بـدأ يفكر في الاسباب السياسية والاقتصادية التي تسبب مثل هذه الحروب ، وأغرق نفسه في مطالعة كتب الادب (اليساري) • حتى خرج مـن الحرب مؤمنـا ومعتقدا بالماركسية ، حيث تخلى عن مشروعاته السابقة بالاشتغال بالطب ، وتوجه الى متابعة دراسته الثانوية ، ومن ثم الجامعيـة فحصل على دكتوراة في العلوم السياسية من جامعة (هامبورغ) ، ثم انضم رسميا الى الحزب الشيـوعي ، وخدمه باخلاص عميق • ولم يتافف وهو يحمل هذه الدرجة العلمية من العمل كعامل مناجم ، ثم جامع تبرعات ، ثم ممرض واخيرا (صحافي) حتى اكتسب خبرة تامة في الشؤون العالمية سياسيا واقتصاديـا وعسكريـا • مـا حمـل (الكومنترن) أي المخابرات السوفياتية الى أن يطلب اليه المساعدة في انشاء مكتب للمخابرات بمقر الحزب الرئيسي في موسكو (لا يزال هو المقر الرسمي للمخابرات السوفياتية الى يومنا هذا بعد توسيعه أضعاف ما كان عليه) •

أظهر سورج صلاحية واسعة بانشـاء مكتب المخابرات ، ووضع كـل ما اكتسبه من خبرة في نجاح هذا المكتب • وبعد أن استقر في موسكو واصبح (سرا) مواطنا سوفياتيا نقلت خدماته الى القيادة العامة (الجيش الاحمر) • وفي النهاية أرسل الى (شانغهاي) حيث أدار شبكة تجسس هامة • وفي أوائل عام ١٩٣٣ استدعي الى موسكو ، وعهد اليه بمهمة انشاء (شبكة تجسس في طوكيو) • وكانت هذه المهمة عملية تجريبية بحتة اذ لم يكن هناك من يعرف ما اذا كانت ممكنة أم لا • كما أن سورج كان اكثر المرشحين بعدا عنها . اذ أنه ولا شك سيكون ظاهرا باعتباره أجنبيا في اليابان • مع ذلـك فـان رؤساءه السوفييت قرروا أنه أصلح رجل لهذه المهمة . وأنه سوف يستغـل مظهره الواضح كالماني ستارا لعمله من ورائه بل سوف يبرزه . فيذهب الى طوكيو كصحافي يستطيع أن يذهب الى أي مكان ،ويقابل كل انسان ويوجه اي سؤال•

وفي استطاعته ان يختفي عدة أسابيع ثم يظهر فجاة في آي مكان دون آن يثير اي شك حوله ، فان عمله يكفل له آكمل وأنجح عملية (للتجسس) • ولكن كان من الضرروري العودة الى المانيا للحصول على أوراق الاعتماد المناسبة ودور النشر التي يمثلها . وسيكون ذلك أشبه بالسير على حبل مشدود فوق الكارثة، فمنذ شهر يناير وعندما أصبح هتلر مستشارا لالمانيا تعرض الشيوعيون لهجوم وحشي هناك . وحل الحزب الشيوعي الالماني ، ودمرت صحفه وسجن اعضاؤه . وتعرضوا للمضايقات. وكان (سورج) ذا نشاط في الحركة السرية الشيوعية في أماكن كثيرة من المانيا •

ولكن يبدو أحيانا بأن الحظ يخدم ذوي الجراة . فقد أتاحت له الاوراق المناسبة التي اعدتها له موسكو (المخابرات السوفياتية) آن يدخل دون آي حادث إلى العالم العجيب الذي كان يجتاح المانيا •

جوازسفر

واستطاع الحصول على جواز سفر الماني ، وجمع خطابات توصية لكثير من ذوي النفوذ في طوكيو . ورتب أمر ارسال برقيات من صحيفة (فرانكفورت زيتونج) .وكذلك لصحيفتين من صحف برلين ومجلة (ذيتشريفت نورجويوليتك) وكانت أصعب مشكلة هي اكتساب ثقة اعضاء الحزب النازي الحاكم • ومن أجل هذه الغاية قرأ الكثير من الدعايات النازية ، وحفظ كل الكلمات الشهيرة والدارجة في المانيا، وقرأ كتاب (كفاحي) لهتلر عدة مرات حتى استطاع آن يسرد صفحات بأكملها من الذاكرة ، وسرعان ما أصبح يجادل أفضل النازيين • ورحب أصدقاؤه الجدد من أتباع الصليب المعقوف بهذا المجند الذي يبشر بالامل في صفوفهم . وصحبوه الى كثير من مآدب حانات البيرة الالمانية • ولكنه كان يتوقف عن احتساء الكحول خوفا من أن يشي به لسانه •

وعندما قدم طلبا في النهاية للانضمام الى الحزب النازي أمسك أنفاسه ، لان الجستابو يفحص كل الطلبات ، ويحقق عن أصحابها • ولكن حظه كان مايزال قويا فقد غادر برلين للالتحاق بمهمته الجديدة في طوكيو ، وهناك لحقت به بطاقة عضوية الحزب النازى الالمانى •

سفر سورج إلى طوكيو وابتداء مهمته

وصل سورج الى طوكيو ، وأخذ يظهر بمظهر الالماني الصالح ، فقد انضم الى سلك الصحفيين الاجانب • ومن ثم توجه الى السفارة الالمانية في طوكيو ، وأطلع على أوراق اعتماده كمراسل (فرانكفورت زيتونج) • وكان وسيما طويل القامة ، ذا بشرة سمراء وعينين زرقاوين صافيتين • وكان قد بلغ من العمر في حينه ـ ٣٧ ـ عاما وأخذ ينتقل بلا مبالاة ، وحتى درجة الدكتوراة في العلوم السياسية التي يحملها تتيح له أن يخاطب بلقب (هر ـ دكتور) • وقد لقي ترحيبا شديدا في السفارة ، وبدأت اتصالاته الصحفية ، حيث خضعت الصحيفة التي يمثلها للحزب النازي وسلطته وكانت تعتبر أفضل صحيفة في برلين واستطاع خلال الاشهر التالية أن يثبت وجوده كصحفي ، وذلك بالعمل الجاد الذي ضمن له النجاح • وكانت أول مفاجأة له في طوكيو هي التقاؤه بالصحفي الياباني (آريتومي ـ ميتسوكادو) الذي يعمل مخبرا في صحيفة (جيجي شمبو) ، والذي أصبح لا يفارقه ، عارضا عليه نصائح مفيدة من خبرته ، وفعلا طلب منه سورج أن يجد له غرفة سكن في أحد الفنادق ولكن مدير الفندق أخبره بأن آريتومي كان يعمل مخبرا ، مع أن سورج وحاسته السادسة في التجسس قد استنتج أن آريتومي يعمل مخبرا للبوليس وأن البوليس قد وضعه تحت المراقبة فعلا كاجراء روتيني بالنسبة لجميع الاجانب • وكانت محاولات آريتومي لكشفه ومعرفة ما لديه ، وسورج ينظر اليه نظرة استاذ الشطرنج الى طفل يتحداه ، وهو في العاشرة من عمره ، حيث ان سورج جاسوس محترف ، وأحد أبطال مخابرات الجيش الاحمر • وهكذا تخلى البوليس الياباني عن مراقبته تلقائيا ، بعدما وجد أمامه مواطنا المانيا صالحا وصحافيا يبحث وراء الخبر والكلمة ، أما سورج فأخذ يدعم مكانته بين الجالية الالمانية في طوكيو ، فصادق موظفي السفارة ، وحضر كل حفلات النادي الالماني • وكان من رواد جمعية شرق اسيا الالمانية في طوكيو ، وبذل جهودا جبارة لتعلم اللغة اليابانية حتى ادرك معظم معانيها • وكانت له جولات غراميه مع النساء ، حيث كان يغزو قلوبهن برشاقته • ومن ثم

يتخلص منهن بدون صعوبة . وكانت موسكو قد امهلته عامين ، لكي يؤسس شبكته بحذر . وكان عليه ان لا يقوم بأي عمل خطير خلال هذين العامين . وقد بدأ شبكته بثلاثة أعضاء وهم :

١ ــ برنارد وهو الماني ، خريج مدرسة موسكو للاسلكي ، وستكون مهمته بناء وادارة جهاز اللاسلكي .

٢ ــ برانكودي فوكليتش ، وهو يوغسلافي ويعمل ظاهرا كمصور لاحدى المجلات الفرنسية .

٣ ــ مياجي بوتوكو وهو ياباني ، فنان في الثلاثين من عمره . وكان قد هاجر الى كاليفورنيا وهو في السادسة عشرة من عمره ، وهناك التحق بالحزب الشيوعي .

وبعد مضي أربعة أشهر من وصوله الى طوكيو وصله أول رسول للمخابرات السوفياتية . وهو شخص من اسكندينافيا ، حيث تحدثا باللغة الانكليزية في فندق طوكيو ، ثم اتفقا على القيام بجولة سياحية في اليوم التالي في ضواحي طوكيو . وهناك سلمه سورج المعلومات المتوفرة لديه . واستلم منه مبلغا ضخما من المال نفقات الشبكة لبضعة شهور .

وكانت أمثال هذه الزيارات المتقطعة التي يقوم بها رسول المخابرات السوفياتية ، هي اتصال سورج الوحيد مع موسكو الام في أول عمل الشبكة .

وفي عام ١٩٣٤ أي بعد مضي حوالي عام على تأسيس الشبكة قام بحركتين ، دفعتا أطماع شبكته للامام :

١ ــ استأجر منزلا من طابقين في حي ازابوكو رقم ٣٠ في نجازاكي ــ منشي . وكان المنزل مخربا بحاجة الى طلاء كما كانت حديقته ملأى بالحشائش مما يجعله مكانا طبيعيا لصحفي بوهيمي غير منظم . واستأجر مدبرة منزل عجوز . طلب اليها أن تحضر للعمل في الصباح الباكر، وتنصرف حوالي الثالثة بعد الظهر، وقد أتاح له ذلك أن يبقى في البيت وحده بعد الظهر . وفي المساء لكي يستقبل الزوار أعضاء شبكته أو ممارسة نشاطه الاجتماعي ، وكان وجود المنزل على مسافة

قصيرة من مركز بوليس (توريزاكا) يجعله ستارا رائعا لتغطية نشاطه ••• اذ ليس من المعقول أن يقيم جاسوس عن عمد في ظل قسم البوليس •

٢ ــ قام من تلقاء نفسه بتجنيد ياباني آخر في شبكته الجاسوسية ، وهو صحفي بدين يدعى (اوزاكي هوكوسي) سبق أن عمل معه في شنغهاي • وكان يعرفه شخصا مريضا وداهية • كما أنه شيوعي مخلص وان لم يكن عضوا رسميا في الحزب • وقد أصبح أوزاكي من أكثر اعضاء الشبكة قيمة فيما بعد •

وفي مايو ١٩٣٥ استدعي سورج الى موسكو فذهب عن طريق نيويورك حيث حصل من بعض الشيوعيين على جواز سفر زائف حتى لا يظهر سفره الى روسيا على جوازه الاصلي • وقد حمل معه كميـة من الاوراق ، متحديـا التعليمات التي تمنع هذه المجازفات واستقبلـه الجنرال سيمـون بتروفيتش اورتيسكي رئيس الادارة الرابعة (المخابرات الروسية) استقبالا وديا ، وبدأ خلال المشاورات التي تلت ذلك متفائلا بشأن مستقبل شبكة الجاسوسية في طوكيو، فقد تمت مراحلة الافتتاح وسيركز جهوده بعد ذلك على مسألتين هما :

هل تنوي اليابان مهاجمة الاتحاد السوفياتي ••• ؟ واذا كان الامر كذلك فما هو مدى استعداد اليابان لشن الحرب ••• ؟ •

وفيما عدا ذلك كان لديه تفويض مطلق لاختيار المسائل التي يعمل بها ، وفقا لتطورات الموقف ، كان الشيء الوحيد الذي تحتاج اليه شبكته الآن هو عامل لاسلكي جديد ، فقد تبين ان برنارد غير صالـح تماما ، اذ أخر تركيب الاجهزة اللاسلكية عدة أشهر بعد أن ساوره الفزع من هذه المخاطرة ، ولـم يرسل بعد ذلك الا أقل عدد ممكن من الرسائل • وكان يصاب بالذعر بعد كل ارسال • ودفعه التوتر الى الافراط في الشراب ، وأخيرا وافق سورج بدافع من سخطه على اعفائه من العمل ، واعادته الى الاتحاد السوفيتي ، وطلب بدلا منه ماكس كلاوزن وهو ميكانيـكي الماني شاب ضخم ، الجسم رث الهيئـة ، كان قد عمل معه في شانغهاي كعامل لاسلكي ، أنشأ علاقة في شانغهاي مع أرملـة فنلندية حسناء تدعى (آنا والنيوس) • وقد أجل الزواج منها خوفا مـن أن تثير الاجراءات الرسمية بعض التعقيدات المركبة • ولم تكن (آنا) شيوعية

وكان السوفييت الذين يستخدمون ماكس لا يرتاحون الى حالات الزواج أو العلاقات التي تتم مع الغرباء . وعندما طلب سورج ارساله الى اليابان كانت موسكو على استعداد للتغاضي عن خرقه للنظام نظرا لمهارته الخاصة الثمينة ، وفي أواخر نوفمبر ١٩٣٥ وصل ماكس الى طوكيو ، ومع أنه كان فنيا فحسب فان الشبكة لم تمارس عملها حقا الا بعد أن فتحت اصابعه البارعة طريق الاتصالات مع موسكو . كان اول اختبار شامل للشبكة في أوائل عام ١٩٣٦ عندما نشبت ثورة غريبة لا معنى لها في طوكيو . ففي ٢٦ فبراير قام حوالي ٢٤٠٠ جندي بزعامة بعض ضباط الجيش باحتلال كثير من المباني الحكومية ، بينما حاولت فرق خاصة للقتل مسلحة بالمدافع الرشاشة ان تغتال كبار المسؤولين الحكوميين في بيوتهم ، وقتل اثنان من الوزراء ، بينما افلت الاميرال أوكارا ، كيزدك رئيس الوزراء من الموت لانجلاديه أطلقوا نيرانهم خطأ على شقيق زوجته ، وعندئذ أصدر الضباط الثائرون بيانا حماسيا طويلا بدا للاجانب شيئا غير مفهوم .

كانت هذه الضجة تثير أهمية بالغة وعلى الفور طلب سورج الى فريق من جواسيسه مساعدته في ادراك سببها ، وفي ذلك الحين شرعت الشبكة تعمل بكل طاقتها ، ولم يعد فوكليتش مجرد مصور فوتوغرافي بل كان ايضا مخبرا يعمل لحساب وكالة الانباء الفرنسية الرسمية (هافاس) . وقد أتاحت له تلك الصلة فتح أبواب كثيرة أمامه . أما الفنان الشاب مياجي الذي لم يكن يعرف شيئا عن الجاسوسية عندما استدعي من كاليفورنيا . فقد اظهر موهبة عظيمة كعميل ، وتخصص في المسائل العسكرية كقوة وأسلحة وحركات الوحدات العسكرية اليابانية وروحها المعنوية . وحصل أوزاكي على وظيفة استراتيجية هامة في مشروع للأبحاث تحت رعاية صحيفة (اساهي سيمبون) . وهذا المشروع الذي عرف باسم (جمعية استقصاء مشكلات شرق آسيا) ، يستخدم كغرفة مقاصة للآراء عن النواحي المختلفة لعلاقات اليابان بكل من الصين ومنشوريا ، وقد تضمنت عضويتها خبراء في المشكلات الاقتصادية والتحليلات الاقتصادية ، ومندوبين عن وزارات الخارجية والبحرية والجيش وممثلين عن هيئات أركان الحرب العامة وغيرهم من مندوبي الحكومة والصناعات اليابانية والمثقفين ، ولو أن سورج نفسه وضع تخطيط هذه العملية لما فعل أفضل من ذلك ، وبينما كان

هؤلاء الثلاثة يحاولون استقصاء حقيقة حادث ٢٦ فبراير من زواياهم الخاصة ، أخذ سورج يعالجه عن طريق السفارة الالمانية ، اذ قال لهم انه من الاهمية بمكان الوصول الى أعماق الازمة ، ولقترح أن يقوم هو ، والسفير (هربرت فون ديركسن) والملحق البحري الكابتن (بول فينكر) ، والملحق العسكري الكولونيل (أوت) بتحقيقات مستقلة على أن يجمعوا نتائج تحقيقاتهم في النهاية .

وكانت منزلته رفيعة في السفارة الى حد أن اقتراحه قبل فورا ، بل تبناه السفير بالذات . وحصل من الملحق العسكري بصفة خاصة على معلومات ثمينة عن العسكرية اليابانية، وكان قد عقد أواصر صداقة وثيقة مع الكولونيل (يوجين أوت) ، وتضمنت هذه المعلومات أنواعا مختلفة من النشرات والكتيبات ، التي تثير فضائح . وكانت هذه الوثائق وغيرها التيجمعتها السفارة بالغة الاهمية بالنسبة له ، حتى انه أغلق باب المكتب المخصص واستخدم كاميرا صغيرة في تصويرها صفحة صفحة لارسالها الى موسكو ، وثبت أن التحليل الذي وضعه مياجي دقيقا للغاية ، فقد ذكر أن الثورة نشبت قبل أوانها ، وأنها ضعيفة التكامل التسليح ، سوف تنتهي سريعا ، وفي تقرير آخر أشار مياجي الى أن السياسة اليابانية حيال الاتحاد السوفييتي (وهي أهم مسألة) سوف تتوقف على العناصر التي ستكسب المعركة ، ونظرا لان أي شخص يسيطر على الجيش يسيطر على اليابان كلها ، فان العصبة التي تتولى الحكم سوف تملي سياستها الخارجية ، وتنبأ مياجي بأن المعتدلين تحت زعامة الجنرال (اوجاكي كازوشيجي) ـ وكان سكرتيره صديقا قديما لمياجي ـ ما زالوا يمسكون بزمام الموقف ، ومن ثم فان الاتحاد السوفييتي ليس في خطر مباشر من ناحية اليابان ، وضع سورج كل هذه المعلومات في تقرير طويل قدمه للسفارة الالمانية ، فبعث الكولونيل (اوت) المعجب نسخة منه الى رؤسائه في برلين الذين اعجبوا به ، وطلبوا المزيد من مثل هذا العمل الرائع ، ولم يرفع هذا التقرير من أسهم سورج في عين السفير وأوت فحسب ، بل انه أتاح له عذرا محكما لاستخدام مصادر السفارة في أبحاثه المستقبلة ، وفضلا عن ذلك فان مقالاته المليئة بالمعلومات عن الثورة رفعت من قدره بين زملائه الصحفيين والجالية الالمانية في اليابان .

لقد نجح سورج في اختياره الاول الحقيقي كجاسوس سوفييتي فيطوكيو، وكشف كفاءة نادرة في استيعاب المعلومات واستغلال الفرصة وتحويلها لصالحه. وقد أثبت تقريره الذي بعث به الى رؤسائه في المخابرات السوفياتية عن طريق رسول خاص أنهم كانوا على حق في اختياره ومنذ ذلك الحين وشبكة التجسس التي أقامها تمضي قدما الى الامام طوال الاعوام الخمسة التالية أي الىعام١٩٤١.

بقيت آنا والنيوس بضعة شهور في روسيا بعد رحيل ماكس الى طوكيو ويبدو أنها كانت بمثابة رهينة في أيدي المخابرات السوفياتية ، ولم يسمح لها باللحاق به إلا بعد أن أنشأ اتصالات لاسلكية مرضية ، وأظهر انه لا يزال في قبضتهم تماما ، ولكنها التقت في النهاية بماكس وتزوجا .

طلب ماكس استئجار مبان خشبية ذات طابقين في مناطق مزدحمة بالسكان، كما أن ارتفاع المبنى يساعده في الارسال ، والمناطق المزدحمة تجعل من الصعب على البوليس التفتيش لكل مسكن عندما تشير أجهزة الكشف البدائية التي لديهم الى منطقة عامة . وكانت كل الرسائل ترسل بالانجليزية من أجل الامان. إذ لو استخدمت اللغةالروسية وحلل اليابانيونالشيفرة،فان ذلك سوف يحرج موسكو ، وكذلك إذا استخدم الالمانية فان ذلك يعرض مركز سورج في السفارة الالمانية للخطر .

وقد أنشأ ماكس لنفسه عملا كستار يعمل من ورائه،وذلك بطبع الرسومات الهندسية وقد نجح في عمله منذ البداية مما أبهج (آنا) ذات الميول الرأسمالية ، ولم تكن آنا تخفي المعاداة للشيوعية . ولعل هذا هو السبب الذي جعل زوجها يقرر استخدامها حاملة رسائل ، وربما أراد أن يورطها في نشاطه ونشاط الشبكة ليضمن سكوتها ، وعلى أي حال فانها ذهبت الى شانغهاي تحمل /٣٠/ لفة من الافلام الدقيقة ، وعادت الى طوكيو بقبعة جديدة من الفراء ، مكافأة من ماكس على رحلتها الخطرة .

أما سورج فلم يستخدم عشيقته الخاصة كحاملة رسائل قط أو أي هدف يتعلق بالجاسوسية . وكانت ايشي هاناكو فتاة يابانية حسناء تعمل جرسونة في بار يمتلكه ألماني ، يدعى رينجولد ، يرتاده سورج كثيرا ، وحدث في احدى

أمسيات ١٩٣٥ أن جاءت لخدمته فأعجبته وبدأ يخرج معها ، وسرعان ما أنشأ علاقة معها كان يخلص لها بقدر ما تسمح له طبيعته الجاسوسية ، وكان سخياً ، وعندما علم أنها تهتم بالموسيقى اشترى لها بيانو الماني الطراز ، وجعلها تتلقى دروسا في العزف والغناء ، بل استأجر لها منزلا ، لان مسكنها الصغير لا يتسع للبيانو ، وكتم عنها طبيعة عمله •

أصبح مركزه في السفارة الالمانية مركزا ممتازا ، وهو نجاح يدين به جزئيا الى اوزاكي ، وعندما غزت اليابان الصين في يوليو ١٩٣٧ كتب اوزاكي مقالا تنبأ به بحرب طويلة ، تلي ذلك ، ولم تكن وجهه نظرة شائعة في اليابان ، حيث كان المعتقد على نطاق واسع أن الصين سوف تكون (دفعت للامام) • ولكن بينما كانت الحرب مستمرة شهراً بعد شهر ، ظهر بوضوح ان اوزاكي كان على صواب ، وزادت هيبته تبعا لذلك وكان سورج يتفق مع اوزاكي حول (احداث الصين) ، وكان قد تردد في السفارة الالمانيه صدى تقرير اوزاكي بان الحرب ستكون حربا طويلة ، وكانت النتيجة ان اسهم سورج ارتفعت من جديد ، بل لقد دعي لالقاء محاضرة على موظفي السفارة عن الموقف في الصين فلم يمانع ، ولكن الحظ كان عاملا ضخما أيضا ، ففي أوائل عام ١٩٣٨ ساعده الحظ بطريقة يصعب تصديقها ، عندما عين صديقه الملحق العسكري (يوجين أوت) ليخلف كسن المريض في منصب السفير ، وكان اوت وسورج صديقين منذ البداية فقد حارب الاثنان معا في الجبهة الغربية وكلاهما يهوى الشطرنج ، وبموافقه موسكو كان سورج قد اطلع أوت على ما يمكن اطلاعه عليه من المعلومات التي حصل عليها من اوزاكي ومياجي ، وأتاح هذا لاوت نافذة على اليابان ، لم يكن ليستطيع أن يفتحها عن طريق الوسائل الدبلوماسية والعسكرية العالية ، وكانت المعلومات التي اكتسبها أوت عن شؤون اليابان بلا شك عاملا في تعيينه سفيرا ، وهو تكريم عظيم لان ترقية ملحق عسكري الى هذا المركز الدبلوماسي الكبير أمر غير عادي في تلك الايام •

وازداد اعتماد أوت على سورج بعد أن أصبح سفيراً ، وراح الملحقان العسكري والبحري يستشيرانه في مشاكلهما ، ويعرضان عليه صور البرقيات الهامة ، والتقارير ، ليقول لهما مقترحاته فيما ينبغي عمله حيالها ، وكان السفير

أوت قد أخذ يستخدمه كحامل رسائل الماني ، مرسلا إياه الى مانيلا وكانتون وهونج كونج بعد أن منحه جواز سفر دبلوماسي متمتعا بصفة دبلوماسية لكيلا يتعرض للفحص من رجال البوليس أو الجمارك ، وقد وقع حدث جديد جعل تغلغله في السفارة أمرا دفيمة خاصة للسوفييت وذلك هو فرار الجنرال (ليوشكوف) الذي غادر منصبه وهرب عبر حدود مانشوكولكي ليقع في أيدي جيش كوتنج الياباني الذي أرسله سريعاً الى طوكيو لاستجوابه استجواباً سريعاً ودقيقاً ، وكانت تصريحاته غزيرة وكاشفة للاسرار الى حد أن السفارة الالمانية التي كانت تتلقى المعلومات عن أركـان الحرب اليابانية اقترحت أن ترسل برلين بعثة خاصـة لاستجواب ليوشكوف في المسائـل التي تتعلق بالمصالـح الالمانية ، ووافقت المخابرات الالمانية على ذلك ، وسأل سورج رؤسائه الروس (هل تحبون رؤية تقرير هذه البعثة) ، وكان الرد قاطعا أن الشبكة يجب أن تبذل أقصى جهـد للحصول عليه ، وقال لموسكو إنه سيكون من الصعب تماماً الحصول على مثل هذه الاشياء ، وكان معتادا أن يبالغ في صعوبة عمله ، والواقع أن المسألة لم تكن فيهـا أية صعوبة ، فعندما وضعت البعثة الخاصة تقريـرا من بضع مئات من الصفحات تلقت السفارة نسخة منه وعرضته فورا عليه ، وقد كشف التقرير عن وجود عناصر معارضة في سيبيريا ، وأن المعلومات عن وجود الجيش الاحمر في سيبيريا مذكورة بتفصيل مدهش ، فقد ذكر مثلا أن هناك حوالي ٢٥ فرقة من الجيش الروسي في سيبيريا ، بما في ذلك منغوليا الخارجية ، ووصفت أماكن وتكوين وعتاد هذه الفرق ، ووجد سورج أن حوالي نصف التقرير يستحق التصوير لارسالـه الى المخابرات الروسية ، وقد أدى خدمة عظيمة للاتحـاد السوفييتي عندما حدد فورا ما عرفه عن العدو المحتمل بالضبط ، كما أن تقريره الذي ذكر أن ليوشكوف قد أفشى سر الشيفرة العسكرية كان بحد ذاته لا يقدر بثمن ، إذ أتاح للروس فرصة لتغيير الشيفرة ، وهكذا سدوا ثغرة خطيرة في سد مخابراتهم في الشرق الاقصى بفضل سورج •

عندما أصبح الامير كونوي فوميما رئيسا للوزراء في منتصف عام ١٩٣٧ ، استفادت الشبكة فائدة بالغة • فقد كان مياجي صديقا قديماً لسكرتير الجنرال أوجاكي كازوشيجي وزير الخارجية الجديد ، كما استخدمت الوزارة الجديدة

اوزاكي مستشارا في الشؤون الصينية ، كما أصبح عضوا في الهيئة الاستشارية غير الرسمية لرئيس الوزراء ، وهي تضم تشكيله من الرجال البارزين ، وكانوا يتناولون الاخطار معا كل شهر لمناقشة المشكلات الراهنة ، ومن ثم فانهم كانوا مصدرا ثمينا للمعلومات بالنسبة لاوزاكي ، ولقد أطلق على هذه الهيئة اسم (فريق الاخطار) مثل هذه الاتصالات آتاحت له أن يرسل لموسكو تقديرات عن اتتاج اليابان الزراعي ، وما يمكنها الحصول عليه من صيد الاسماك وقوة صناعتها العسكرية ومعلومات أخرى،بينما تنبؤات ملخصة عن نواياهم السياسية، مما جعل موسكو أفضل العواصم اطلاعا في العالم على شؤون الشرق الاقصى •

بعد /١٨/ شهرا في الحكم سقطت وزارة كونوي ، ولكن اوزاكي ظل عضوا في الهيئة الاستشارية لرئيس الوزراء ، وبعد بضعة شهور حصل على وظيفة في ادارة التحقيقات بسكة حديد جنوب منشوريا ، وهو منصب أكثر استراتيجية من منصبه كمستشار لمجلس الوزراء ، اذ كان للشركة علاقات وثيقة مع جيش كواتتونج ، كما أن وظيفته في الشركة أتاحت لـه الحصول على معلومات عن السياسة والاقتصاد والسياسة الخارجية وتحركات جيش كواتتونج العسكرية اليابانية والواقع أنه كان لاوزاكي مقعد في الصفوف الامامية يتيح له أن يرى أية خطوة هامة قد تفكر اليابان في الاقدام عليها ضد الاتحاد السوفييتي •

وفي سبتمبر ١٩٣٩ عندما هاجم هتلر بولندا، وألقى في أتون الحرب أوربا، ازداد الجو في السفارة الالمانية بطوكيو توترا ، وكان السفير (أوت) قد قضى شهورا يحث سورج على أن يصبح موظفا رسميا في السفارة • واستطاع سورج أن يرفض دون أن يؤذي مشاعر أوت •

وفي الاول من شهر اكتوبر عام ١٩٣٩ بدأت ادارة الامن اليابانية الخاصة بمراقبة الافكار الخطرة تراقبه بهدوء ، وحيث لم يكن هناك شك خاص به . ولكن من وجهة نظر ادارة الامن لها ثلاثة أسباب طبيعية لوضعه تحت مراقبتهم وهـي :

١ ــ كونه صحافيا •

٢ ــ أجنبي عن اليابان (حيث يراقب الاجانب البارزين بشكل روتيني) تجب مراقبته بين الحين والحين .

٣ ــ يتردد كثيرا على السفارة الالمانية (ومن الفقرة الثالثة نعرف بطبيعة الحال أن السفارة الالمانية في طوكيو كانت تحت مراقبة ادارة الأمن اليابانيـة ، حتى تمكنت من متابعة تردد سورج) • وادارة الامن اليابانية (توكو) تعتبر الاجانب مثقفين حملة جراثيم الافكار المادية لليابانيين ، وتخشى افساد الشباب الياباني ، كما أنهم يعرفون أن الصحفيين يتدخلون في أمور ليست من شأنهم وهم يعتقدون أن هناك مؤامرات تدبر وراء أبواب أي سفارة •

عهـدت ادارة الامن الى شاب في الثامنة والعشرين من عمره ، يدعى سيتوهارد تسوجو ، وهو شاب ذكي وسيم يفاخر بنفسه كأحد رجال توكو ، ولم يندفع في مراقبة سورج بل راح يسجل بهدوء عاداته ، وفي بعض الاحيان كان يقتفي أثره من البيت ، كما كان ينتظره في احدى الحانات التي كان يتردد عليها وكان سيتو شديد الحذر بحيث لا يدع سورج يراه ، ولم يقض في مراقبته سوى ساعة كل يوم ويتركه لليوم الثاني ، وهكذا نترك سورج لنعود الى سير الاحداث الدولية حيث نجد أن رسولا خاصا من برلين حضر الى طوكيو وهو الكولونيل اوسكار ريترفون يدرماير وسبب حضوره هو اجراء تحقيق حول مدى استعداد اليابان بالاشتراك في الحرب ضد روسيا ، وكان الرسول يحمل رسالة تعريف الى سورج من السفير السابق ديركسن ، وتحت سحره وكرم ضيافته أسر اليه الرسول بأن الحرب الروسية الالمانية أضحت حقيقة ، وأن المانيا لهـا ثلاثة أهداف :

١ ــ احتلال منطقة القمح الاوربية في أوكرانيا •
٢ ــ الحصول على مليون أسير للعمل في الصناعة والزراعة في المانيا •
٣ ــ ازالة الخطر القائم على الحدود الالمانية الشرقية •

وكان هتلر يعتقد بوجوب محاربة روسيا في هذا الوقت بالذات •وساعدت المعلومات المتفرقة التي جمعها سورج على رسم صورة كاملة للموقف ، فقـد توقف الكولونيل شول الذي كان مساعدا للملحق العسكري في طوكيو ، وهو في طريقه الى منصبه الجديد في تايلاند ، وكشف بسذاجة عن تعليمات على درجة من الخطورة ، وهي أن الحرب بين روسيا والمانيا ستبدأ يوم ٢٠ يونيو ، وقد تؤجل بضعة أيام ولكن الاستعدادات لها بدأت فعلا ، فقد تجمعت حوالي ١٨٠

فرقة المانية على الحدود الشرقية وكلها مزودة بالدبابات والاجهزة الميكانيكية ، وأضاف أن الهجوم سيقع على طول الجبهة ، وستوجه قوة من الجيش الالماني الاساسية الى موسكو ــ وستالينغراد ، ومن ثم الى أوكرانيا وقد ينهار الجيش الروسي خلال أشهر (شهر أو شهرين) ، وتسقط الحكومة الروسية ويفتح خط حديد سيبيريا شتاء ، ويصبح الاتصال مع اليابان ممكنا .

وكانت هذه الانباء مثيرة جدا لان هتلر كان قد وقع في عام ١٩٣٩ ميثاق عدم اعتداء مع ستالين (اتفقا سرا بينهما على اقتسام بولندا ، وهاهو هتلر يستعد لخداع الزعيم الروسي) .

دفع سورج بهذه المعلومات الى كلاوزين وأمره بارسالها حالا ، وانتظر بعدها أي جواب من موسكو حول استفادتها من هذه المعلومات ولكن شيئا من هذا لم يحدث حتى إنه لم يتلق أي شكر أو طلب المزيد من التفصيلات ، وكان كلاوزين قداختصر التقرير كثيرا حسب عادته . ولكن جواب موسكو جاء مخيبا للامال ، وكان عبارة عن برقية موجزة تقول (نشك في صحـة معلوماتكم)، وصدف أن كان سورج بجانب كلاوزين عندما جاءته هذه المعلومات والرد الفظ، فانتابته نوبة غضب جارفة وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابا ، ورأسه بين يديه وهو يصيح « لماذا لا يصدقني هؤلاء التعساء كيف يتجاهلون رسالتنا .. ؟ ».

بينما كان سورج ينتظر الهجوم الالماني في يأس راح يشرب باسراف ، وكان أحيانا يعرب عن يأسه المطلق ، كان يبدو وكانه ليس هناك طريق يستطيع أن يخطر به وطنه اللاهي ، وعندما وقعت الضربة تبين ان معلوماته كانت دقيقه، فقد شن هتلر هجومه في ٢٢يونيو بنجاح خيالي حتى بدا أن وجود روسيا أصبح في شك من معلوماته التي حذر بها من هذا الهجوم ، وعند ذلك أخذ القلق يتمكن من الاتحادالسوفياتي، فهل تنتهز اليابان هذهالفرصة لطعنه ..؟ وأبرقت موسكو الى سورج (ما هو قرار الحكومة اليابانية حيال روسيا ، والحرب الالمانيــة الروسية ، وهل هناك تحرك للقوات اليابانية نحو بلادنا ؟) .

حمل سورج السؤال للسفارة الالمانية التي لم تستطع أن تجاوب عليه اذ بالرغم من أن اليابان والمانيا كانتا حليفتين (اسما) بعد توقيع الميثاق الثلاثي

مع ايطاليا في ٢٧ سبتمبر ١٩٤٠ ، فان اليابان كما يظهر لا تريد ان تشتغل لخدمه الاهداف الالمانية . وعندما حاول السفير (أوت) اقناع الحكومة اليابانية بأن هذا هو الوقت المناسب لمساعدة حليفتها المانيا بالهجوم على روسيا من الشرق أخذ اليابانيون يراوغون ، ورفضوا بادب التقيد بأي التزام ، وقد علم فيما بعد أن اليابان قد وقعت ميثاق حياد مع روسيا ، مما أثار دهشة الالمان .

نوايا اليابانيـــين :

كانت الهيئـة الاستشارية لرئيس الوزراء تجتمـع ومن ضمنها أوزاكي اسبوعيا ، ففي الاجتماع الاول بعد الغزو ناقشت اللجنة الاحداث بآراء مختلفة وكان الاعضاء « يرقبون تقدم الالمان ويخشون أن لا تتوقف الجيوش الا بعد أن يرفرف الصليب المعقوف على (فلاديفوستوك) . كمـا كان بعض الاعضاء يجدون أن هذه فرصة لا تعوض لضرب روسيا في سيبيريا . والحصول عـلى شقة واسعة من الارض للشمس المشرقة . وربما للتخلص من الخطر الروسي الى الابد ، وكان رأي هذا الفريق سلبيا حتى إن (ماتسوموتوشيجهارو) رئيس تحرير وكالة أنباء (دوماى) اليابانية يومئذ قال : حتى إذا انضمت اليابانللحرب بجانب المانيا فمن الصعب جدا هزيمة روسيا ...

وكانت الدلائل تشير الى أن اليابان بدأت فعلا التعبئة العامة ــ ربما ..؟ استعدادا للهجوم على روسيا ، وظهر من الواضح أن العسكريين أصحاب الكلمة الاخيرة يميلون الى الغزو وكان هناك فريق ــ كان أوزاكي يؤيده بشدة أثناء مناقشات الهيئة ــ يؤيد تجاهل روسيا ، والتوسع نحو الجنوب « حيث يكمن في الاراضي الخصبة مثل جزر الهـند الغربية والملايو والفلبين واندونيسيا » « البترول والمواد الخام الاخرى لتعزيز الامبراطورية اليابانية الى جانب إتاحـة فرصة العمل للملايين اليابانيين » لذلك لم يستطع سورج ابلاغ موسكو عن نوايا اليابانيين لان اليابانيين أنفسهم لم يستقروا بعد على شيء .

عودة الى التوكو :

كان الحظ قد أخذ يتخلى عن الشبكة (شبكة سورج) بالسابق، ولسنوات خلت كانوا يعملون بهمة ونشاط دون أن تحدث لهم أية حادثة ، وهاهم الآن

يعيشون على حافة الخطر ، وهاهو الفنان مياجي قد أصيب بالسل ، وطواه الحزن واليأس وأسلم نفسه لحكم القضاء والقدر ، وراح يضاعف احتياطاته ، وأخذ في قرارة نفسه ينتظر اللحظة التي يضع فيها البوليس الياباني يده على كتفه (ومعناها النهاية بالنسبة للجاسوس) • أما ماكس كلاوزين فقد أصبح عصبياً خصوصاً بعدما أعلمته خادمته أن جاره (أويا شيجيرو) من البوليس السري الياباني كان يأتي مرارا لسؤالها عنه وعن نشاطه •

بداية النهايـــــــة :

أما الشخص الذي وجه البوليس الياباني الى الشبكة وهو لا يدري فهو (ايتورتيسو) ، والذي كان يعمل مساعدا لاوزاكي في سكة حديد جنوب منشوريا ، وقد اعتقل بتهمة الشيوعية ، وتحول الى مرشد للبوليس حيث سئل إذا كان يعرف أحدا من الشيوعيين اليابانيين الذين عادوا أخيرا من اميركا وهم جماعة كانت تحوم حولها الشبهات بصفة خاصة ، وتذكر ايتو على الفور أن عمته مديرة منزل منعزلة عادت منذ سنوات من أميركا ، وكانت تفاخر بشيوعيتها فذكر اسمها للبوليس وهو يعتقد أنها شخصية صغيرة لا تضر التضحية بها (وكانت المرأة وتدعى كيتابایاش تومو) تقيم في طوكيو شارع أوند اشيبوباكو ، وتدير مدرسة لوس انجلوس لتعليم الخياطة ، وبعد مضي حوالي الشهر زارها شابان من ادارة الامن الياباني (القسم الاجنبي) ، وهما يمسكان بعض الدفاتر ولعتذرا اليها بلباقة قائلين انهما يقومان بمسح دوري للمنازل ووجها اليها بعض الاسئلة الروتينية • كما زارا بقية المنطقة بنفس الاسلوب لكي لا يثير سؤالهما الى كيتاتومو بالذات أي ريبة في نفسها ، لان ادارة الامن لم تكن تنوي اعتقالها، بل وضعتها تحت المراقبة الدقيقة ، وهم لا يشعرون بأنهم يقتربون من أخطر شبكة تجسس •

آخر اذاعة للشبكة :

كان (سورج) مشغولا بكشف المشكلة التي كلفته بها موسكو وهي : ماذا تنوي اليابان أن تفعل ••؟ وقد أبلغهم عن التعبئة العامة ، وكل المعلومات التي حصل عليها ، وعن ارسال القوات الى سيبيريا ، وعندما علم أوزاكي بالقرار

الذي اتخذ في المؤتمر الامبراطوري الذي عقد في /٢/ يوليو بأن اليابان تتحرك جنوبا ، أو أنها ستضرب روسيا اذا اضطرت ، لذلك نقله الى سورج الذي أرسل الخبر الى موسكو حالا .

كما أن السحب أخذت تتجمع فوق علاقات اليابان بأميركا ، وكان اعتقاد سورج بأنه من الممكن وقوع الحرب بين الدولتين ، فاذا اعتزمت اليابان قتال لميركا،فانها ، ولا شك ، تريد التحرش بروسيا . وجاء تأكيد ذلك عندما اجتمع جنرالات جيش كوانتونج بالقيادة العليا في مؤتمر استمر أربعة أيام ، وبعدها صرح أحد العاملين معأوزاكي فيسكة حديد جنوب منشوريا أن جيشكوانتونج قرر ألا يدخل الحرب مع روسيا ، وهذا هو سبب وجود ممثلين في طوكيو للتحدث مع السلطات المركزية ، وعندما ذهب أوزاكي بحكم منصبه الى (ديرن)، ومن هناك انتقل الى شنكتنج وهوتين مراقبا حركة القطارات بعناية ، ابتهج عندما لاحظ عدم وجود تحركات كبيرة للجنود أو العتاد وساعده حظه في هوتين عندما حصل على ثقة مدير احصاءات فرع المكتبالعام ، وبلغه الرجل أنه قبل التعبئة العامة في يوليو مباشرة كان جيش كوانتونج قد أمر السككالحديدية بأن تستعد لنقل (١٠٠ ألف طن من الشحنات العسكرية يوميا) ولمدة /٤٠/ يوما ، وطلبوا أيضا جمع ٣٠٠٠ من عمال السكك الحديدية المدربين ، وانتظار شن هجوم على الجيش الاحمر ، وقد نفذ الامر في البداية فقط ، ثم أخذ عدد العمال يتناقص تدريجياً حتى أصبح ١٥٠ لم يستخدم منهم سوى (عشرة فقط) .

إن معزى هذه المعلومات بالنسبة لأوزاكي لا يمكن الشك فيه ، فهاهو لأول مرة يحصل على دليل حقيقي ملموس من مصدره الصحيح عن عملية ضخمة كانت تدبر ضد الاتحاد السوفياتي والتخلي عنها فيما بعد ، وقدم أوزاكي هذه المعلومات الى سورج كهدية له في عيد ميلاده الواقع ١٤ أكتوبر ١٩٤١ ، الذي صاغها بشكل تقرير موجز وقام بارسالها الى موسكو عامل لاسلكي الشبكة (كلاوزين) ، مؤكدا لهم أن الوطن الشيوعي في أمان مؤقتا من الهجوم الياباني حتى نهاية الشتاء المقبل على الأقل .

استلمت موسكو هذه المعلومات ، أما سورج فانه لم يكن يعرف بالضبط أثر هذه المعلومات على الاستراتيجية السوفياتية حتى نهاية عام ١٩٤١ •

نقلت رُوسيا أكثر من نصف قواتها على حدود اليابان الى الغرب للقتال ضد الجيوش الالمانية بعد أن اطمأنت ، ومع ذلك لم تكن هذه القوات والقوات السابقة كافية لوقف التيار الزاحف على موسكو حيث كان الالمان يدقون أبوابها فعــلا •

وكانت هذه المعلومات من شبكة سورج في طوكيو هي آخر رسالة تصل الى موسكو •

الوصول للشبكــة :

عندما قررت ادارة الامن لعتقال المسز (كيتابایاش) نتيجة مراقبتها توجه اليها بعض رجال الامن ، وكانت أسئلتهم مؤدبة وغير عاجلة ، كما ضبطوا معها بعض الدولارات الاميركية • وكان ذلك مفتاح كشف شبكة سورج[1] وكان أول سؤال وجه اليها •• من أين حصلت على الدولارات الاميركية ؟ أجــابت (المسز كيتابایاش) على السؤال بصدق قالت « إن صديقها مياجي بوتوكو العضو الثالث لشبكة سورج » كان يعطيها هذه النقود نظرا لمعرفتها القديمة عندما كان ينزل في منزلها بلوس انجلوس • وأخبرتهم أن معرفته استمرت بعد عودته لليابان، وقد استعملت الادارة معهما بعض الضغوط فاعترفت بأنها ومياجي كانا عضوين في الحزب الشيوعي بأميركا ، عند ذلك أخرج سجل مياجي المحفوظ بادارة الامن فتبين أنه من مواليد اوكيناوا ، ومن أسرة مهاجرة ، ثم انتقل الى كاليفورنيا وهو في السادسة عشرة من عمره ، ثم عاد الى اليابان كرسام محترف، وأنه مصاب بالسل ، وليس ثريا حتى يتمكن من تقديم النقود في مثل هذه الكمية

---

(١) من الخطأ أن يدفع رجل المخابرات أو الجاسوس دراهم الى أي صديق أو عميل من غير دارهم البلد التي يعمل بها ، لذلك حرصت المخابرات في جميع الدول على تزويد عملائها بعملات البلاد التي يوفدون اليها وكيفية صرفها ، حتى أن المخابرات العربية تعمل المستحيل للحصول على الليرة الاسرائيلية لدفع رواتب العملاء في اسرائيل •

الى المسز باياش وحتى ذلك الحين لم يكن لدى ادارة الامن أي فكرة عن كون مياجي جاسوسا ، ومع ذلك قرروا استدعائه للتحقيق ، وتوجه ثلاثة من رجال الامن الى منزله بصحبة المسز كيتا باياش فوجدوه في فراشه . فقال له أحدهم بالادب الياباني المعروف : لدينا بعض الاشياء نريد أن نسألك عنها فهل تتفضل بالذهاب معنا ؟

وأذعن مياجي للاعتقال في عزة وكبرياء ، فقد كان يتوقع أن توضع هذه اليد على كتفه منذ شهور ، وبينما كان يرتدي ملابسه أخذ رجال الامن يفتشون غرفته ، فعثروا على وثائق موضوعة على المكتب وتبدو للعين بسهولة ، وكانت هذه الوثائق تحوي دراسة كاملة عن مخزون اليابان من البترول. وهي معلومات على أعلى درجة من السرية ، ومترجمة من اللغة اليابانية الى الانكليزية على الآلة الكاتبة بدقة متناهية .

وهكذا حضر رجال الامن يبحثون عن سمكة صغيرة لاقيمة لها ، واذا بهم يصيدون (سمكة قرش) .

اقتادوا مياجي الى الادارة (توكو) ، ولم يكونوا هناك رقيقين ، بل كانوا يهددونه، ويصيحون فيه ويشتمونه ويلعنونه،ثم أخذوا يتملقونه تارة ويتلاطفون معه أخرى ، ولكن دون فائدة حتى أصيبوا بالارهاق عند الظهر فتوقفوا لتناول الغذاء وتركوه بحراسة اثنين ، وفي لمح البصر قفز مياجي واقفا ودار على عقبيه ، ثم ألقى نفسه من النافذة المفتوحة الى الارض التي تقع على علو عشرة أمتار ، وشاهده المخبر تاما سو فصاح طالبا محاصرة البناء ، ومن ثم قفز ورائه من النافذة مباشرة[1] وعلى الارض وجد الطريد والمطارد مستلقيين وقد فقداوعيهما، ولكنهما ما زالا حيين ، استدعوا عربة الاسعاف ونقلوهما للمستشفى حيث تبين بعد الفحص أن مياجي أصيب بجروح سطحية وكدمات مع التواء عظم فخذه بسبب سقوطه على بعض الاشجار ثم هبوطه على الارض ، وعند ذلك أعيد الى ادارة الامن لمواصلة استجوابه ، وهناك وجدوه رجلا آخر ، فقد قفز من النافذة

---

(١) تدل عملية القاء موظف الامن الياباني تاماسو نفسه وراء الجاسوس الهارب مياجي من نافذة مكتب التحقيق على أسمى أنواع الاخلاص للوظيفة .

للانتحار وفقا للتقاليد اليابانية متوقعا أن يموت معه السر الكامل لشبكة سورج، وعندما خذله الموت أصابته ردة فعل عقلية وجسمانية عنيفة ، فقد أحس بأنه بعث حيا من جديد ، وأحس بالحاجة الى الاعتراف ليبدأ حياة جديدة وصفحة نظيفة ، وهكذا سجلت (توكو) نصرها من هذه الحادثة بكشف شبكة سورج، حيث تكلم مياجي ، وكشف كل شيء عن الشبكة ورجال (توكو) يستمعون اليه (في ذهول تام) ، ، وبعد ذلك توجهوا لاعتقال اوزاكي في السادسة من صباح ١٥ اكتوبر في منزله ولم يقاوم ، بل سار معهم ، لاعتقاده بأن اعتقاله نتيجة كتاباته كمثقف ، ولكن ضابط (توكو) المكلف بالتحقيق معه قال له بصراحة :

اننا لا نستجوبك باعتبارك يابانيا ، بل بصفتك اوزاكي جاسوس الكومنترن ، ولكن أوزاكي ظل معتصما بالصمت ١٨ ساعة ، وعند منتصف الليل انهار وقال للمحققين ، سأذكر لكم الحقائق فدعوني اليوم أفكر قليلا وأستريح ، ووافقت ادارة الامن ، فقد أحس المحققون بالارتياح لانهم يعرفون أنه بدون اعتراف اوزاكي لن يستطيعوا اتخاذ أي اجراء ضد الاجانب الثلاثة في وهم : ريتشارد سورج ، وبرانكوفوكليتس ، وماكس كلاوزين •

أما سورج فنراه قلقا في نفس اليوم الذي اعتقل فيه (اوزاكي) ، وقد أعطى كلاوزين عندما جاء لزيارته مظروفا أخيرا من البرقيات لارسالها باللاسلكي، وكان في قرارة نفسه يشعر بأن مهمته قد انتهت ، فقد نقلوا الى موسكو من حين انشاء الشبكة حتى الان معلومات لا تقدر بثمن عدا عن أن اليابان لن تهاجم الاتحاد السوفييتي ، أما البرقيات التي أعطاها سورج الى كلاوزين لارسالها الى موسكو فهي تتضمن الطلبات الاتية :

١ ــ طلب عودة الشبكة الى روسيا لان بقاءها في اليابان لم يعد له معنى•

٢ ــ طلب الموافقة على الانتقال الى المانيا لبدء نشاط جديد هناك •

وقلب كلاوزين البرقيات ثم أعادها الى سورج قائلا : « لم يحن بعد وقت ارسال هذه البرقيات أرجو تأجيلها • ومن المفروض أن يثور سورج في وجه كلاوزين لرفضه ارسال البرقيات ، ولكن بطل المخابرات الروسية استبد به القلق

بسبب عدم حضور أوزاكي ومياجي في الميعاد المتفق عليه ، وأخذ يسأل نفسه هل اعتقــلا ؟••

وفي الواقع بعــد اعتراف مياجي أمرت ادارة (توكــو) ساتيو الملكف بمراقبة سورج أن يضاعف مراقبته بشتى الوسائل ، ولا يتركه يهرب خارج البلاد أو ينتحر ، وبنفس الوقت لا يتركه يشعر بأن اعتقاله وشيك • فاستأجر غرفة في الطابق الاعلى لمنزل يقابل منزل سورج ، وفي ١٦ اكتوبر عاد سورج الى منزله بعد أن تناول الغذاء مع ماكس في مطعم ياماتو وترك سيارته في الجاراج الذي كان جــزءا من شبكة البوليس التي تحيط به وفي كل مرة كــان يترك سيارته كان البوليس يفتشها بدقة ، ولكن هذه المرة كشف التفتيش السريع عن وجود مبلغ كبير من النقود في مظروفات أخذت الى ادارة البوليس حيث صورت وأعيدت الى مكانها ، وطلب البوليس أن يذهب صاحب المنزل الى سورج ليعيد له المبلغ ويخبرهم عما يشاهده عنده ، وفعلا طرق الباب وكــان لديه كل من كلاوزين وفوكليتش يتباحثون حول غياب عضوي الشبكــة الغائبين اوزاكي ومياجي ، ودعــا سورج صاحب المنزل الى الدخول وأحصى المبلغ ، وشكــره وأعطاه مكافأة طيبة •

وفي الساعة السادسة من صباح ١٨ اكتوبر وبعد استكمال الادلة اللازمة عن الشبكة انطلقت ثلاث فرق من المخابرات اليابانية واعتقلت سورج وكلاوزين وفوكليتش وهم في فراشهم •

رد الفعل في السفارة الالمانية :

أثار اعتقال سورج بالذات ردود فعل عنيفة وسريعة في السفارة الالمانية ، لأن اليابانيين لم يعلنوا حالا عن الاتهامات الموجهة له فغضب السفير (أوت) غضبا شديدا وقدم احتجاجا الى وزارة الخارجية اليابانية بالطرق الدبلوماسية ، وقدم طلباً بمقابلة سورج ، ولكن المدعي العام الياباني أجل هذه الزيارة الى أن حصل على اعترافه بالتجسس وهو أمر مفروغ منه لان آلادلة ضده ساحقة ، ولأن بقية أفراد الشبكة اعترفوا وتحدثوا بحرية ، كما عثرت ادارة الامن على دفتــر الشيفرة التي كان يستخدمها كلاوزين وجهاز الارسال ومجموعة رسائل مطبوعة

باللغة الانكليزية (لم يتم ارسالها) واقتنع سورج بأن لا فائدة من الانكار ، لكنه لم يرغب في مقابلة السفير الالماني خوفا من الحرج الذي يشعر به تجاه هذا الرجل الذي خدعه طيلة هذه المدة الطويلة .

نهاية جاسوس مخلص :

عاش سورج في السجن عيشة ترف وبذخ لأن القانون الياباني يسمح للسجين أن ينفق من النقود التي تكون بحوزته حين القاء القبض عليه ، وكان وقت اعتقاله لديه ١٠٠ ين و ٤٠٠٠ دولار أميركي ، ومثل هذا المبلغ كان يفعل الكثير في اليابان ، ولم تذع الحكومة قصة اعتقال شبكته للصحف الا في مايو عام ١٩٤١ ، وفي مايو ١٩٤٣ بدأت المحاكمات حيث توفي مياجي الذي كان مصابا بالسل أثناء المحاكمة وحكم على المصور اليوغسلافي فوكليتش بالسجن المؤبد مدى الحياة ، وقد توفي بالسجن متأثرا بالالتهاب الرئوي بعد ١٦ شهرا من الحكم عليه .

وحكم على كلاوزين بالسجن المؤبد مدى الحياة ، بينما حكم على زوجته آنا بالسجن ثلاثة سنوات ، أما مسز كيتا باياش حكم عليها بالسجن خمس سنوات ، وقد حررهما الاميركيون لدى تحرير السجناء عام ١٩٤٥ حين استسلام اليابان بعد القاء القنبلة الذرية عليها وهما الان يعيشان في المانيا الشرقية . أما رئيس الشبكة سورج فقد حكم عليه بالاعدام ، وحكم على أوزاكي بالاعدام أيضا فتقبلا الحكم بهدوء . وقدما طلبات استئناف بموجب القانون الياباني ، وعاش سورج أيامه الاخيرة على أمل أن يقوم الاتحاد السوفييتيبأيةبادرة لاطلاق سراحه ، وينقذه من الاعدام وكان في قرارة نفسه يعرف آن آغلب الجواسيس الذين يعتقلون تفضل دولهم التضحية بهم خشية أن تواجه الاحراج ، الا انه كان (يعتقد) بانه ذو أهمية خاصة للاتحاد السوفييتي ، وأن ستالين سوف يعمل من أجل تخفيف الحكم عنه أولا ثم ايجاد مخرج لانقاذه .

ولكن ستالين وزعماء الكرملين والمخابرات السوفياتية لم يتفقوا معه في ذلك ، فقد تجاهلته الحكومة السوفياتية وأنكرت أن هناك شيئا اسمه (شبكة سورج للتجسس) ، كما نشرت الصحف اليابانية وأكدت وزارة الخارجية السوفياتية أن المسألة هي من ترتيب (المخابرات اليابانية) لاحراج الحكومة

السوفياتية والحط من قيمة اليابانيين الاحرار الذين يعيشون في الاتحاد السوفييتي مما دفع الحكومة اليابانية الى تنفيذ حكم الاعدام بسورج واوزاكي شنقا صباح ٧ نوفمبر ١٩٤٤ في ساحة السجن المركزي في طوكيو ، وذلك لاثبات تجسس الاتحاد السوفيتي للرأي العام .

وبعد مرور عشرين عاما على اعدام سورج اعترف الاتحاد السوفياتي به وكرمه باطلاق اسمه على شارع رئيسي في مدينة باكو مسقط رأسه ، وأطلق اسمه أيضا على باخرة روسية ضخمة كما صدر طابع بريدي يحمل صورته كبطل للاتحاد السوفيتي كل ذلك في ١٥ / ١١ / ١٩٦٤ أي بعد مرور عشرين عاما وأسبوع واحد على اعدامه .

وهكذا نكرر ما كتبنا من أن الصدفة وحدها أغلب الاحيان تكشف الجاسوس . وفي سردنا لقضية تجسس سورج نجد أن الصدفة في تخاذل (ايتورتيسو) الذي اعتقل بتهمة الشيوعية فقط وكان من المفروض فيه أن يطلق سراحه بعد التحقيق الروتيني معه ولكنه (تحول) تلقائيا الى (مخبر) لدائرة الامن اليابانية ، مما سبب بالتالي كشف واعتقال جميع أفراد (شبكة سورج ...) :

طرائف في التجسس :

طالب يكشف جاسوسا :

[illegible]

واذا تابعنا البحث والتدقيق في دراسه حياة واعمال اشهر الجواسيس في العالم وجدنا أن الجاسوس البريطاني (كيم فيلبي) هو أشهر جاسوس كشف النقاب عنه فيما بعد الحرب العالمية الثانية • وهذا الجاسوس الذي خدع بريطانيا مدة ثلاثين عاما ، وهو يعمل لصالح الاتحاد السوفييتي، حتى قررت المخابرات الروسية احالته على ما يشبه التقاعد نظرا لخدماته الجليلة للاتحاد السوفييتي • فاستدعته روسيا عن طريق بيروت حيث يعيش الان عيشة عز واحترام •حتى أن الكاتب البريطاني المعروف (غراهام غرين) دافع عنه في مقال صحفي بعنوان (انطباعات عن شخصية فيلبي)، حيث قال الكاتب أن فيلبي لم يكن يقوم بالتجسس للاتحاد السوفييتي لمصلحة شخصية، بل انه كان يتجسس ليقوم بخدمة قضية، حيث أن الجميع يعتبرون فيلبي قد خان بريطانيا وطنه ، بينما غرين يعتبره كان يعمل لنظام آت أو مرتقب ، تستطيع بلاده أن تجني منه فائدة ، وقال غرين في مقاله ان فيلبي كان على ثقة وطيدة جدا بأن حكمه على الامور كان صحيحا بقوة المنطق الجامحه للرجل الذي فقد الايمان ، ومن ثم وجده ، وبات لا يريد أن يفقده من جديد بسبب المظالم التي نالها على أيدي القوى البشرية الضالة والمعتديه• وتابع غرين تحليل روايه فيلبي نفسه بأنه دهش من السهولة التي دخل بها الى خدمة المخابرات، وهو يقول ان الاستفسار الوحيد الذي أجري عنه وعن ماضيه هو (كتاب من دائرة م ــ ى ــ ٥) بشكل روتيني ، حتى كان يشعر فيلبي في قرارة نفسه بالعجب فيما اذا كانت المخابرات البريطانية التي دخل في خدمتها فعلا ، وقدم لها تقارير واقعية لا تعرف عنه شيئا • وهو لايزال يعتقد بأنه دخل هذه المنظمة خطأ ، (كان ميله نحو الاتصال بالسوفييت) منذ ذلك الحين ، وكانت مهمته في المخابرات دراسة الاشخاص، وكان يقيّم السياسيين بصدق وأمانة، حتى نقل الى قسم آخر كان عليه أن ينظم خطة جديدة لمقاومة الجاسوسية السوفياتية ، وكان فيلبي يقول : ان هذا القسم سيكون أفضل من أي قسم آخر في هذه المخابرات الفوضويه• وأخذ ينتقي الرجال لهذا القسم بحماس شديد ، وهو يقول :كان الشيء المهم أن نمسك بالرجال ، وهم مازالوا متوفرين ، فمع ترقب اقتصاديات السلم سيكون التخلص من فائض الموظفين أسهل من ايجاد أناس فيما بعد لملء الشواغر التي قد تظهر •

ويعود الكاتب غرين الى مديح فيلبي فيقول ان فيلبي يخدم قضية، ولم يكن يخدم نفسه وهذا مما يزيد في حب الكاتب لفيلبي حتى انه ذهب لزيارته في منزله بالقرب من لندن ، فوجد أن منزله شبه مهجور ، وأن اوراق الدعاية التي يقذفها البائعون تحت الباب عندما لا يجدون صاحب المنزل قد غطت الارض ، وشاهد من نافذة المطبخ بعض الزجاجات الحليب الفارغة وفنجانا وسخا وصحنا واحدا في المجلى ، وعندما لم يجد أحدا في المنزل عاد وهو لا يدري أن فيلبي رحل الى بيروت في رحلته الاخيرة الى موسكو ، الوطن الذي خدمه في العمل السري مدة ثلاثين عاما ، ولم يكن رآه حيث أصبح من حقه أن يستريح .

ولنترك فيلبي يستريح من عناء العمل على أعصابه لصالح الاتحاد السوفياتي ، ونعود بالقراء الى عام ١٩١٢ ، حيث ولد كيم فيلبي في مدينة (أمبالا) في الهند ، وكان الابن الوحيد للمستر هاري سانت جون بريد فيلبي الذي كان موظفا لدى حكومة الهند، وأطلق عليه والده اسم كيم تيمناً ببطل رواية رود يارد كيبلينغ الشهيرة التي خلد فيها الكاتب أمجاد الامبراطورية البريطانية ، ثم انتقل المستر فيلبي الاب للعمل كمستشار لوازرة الداخلية في العراق ، ابان الاحتلال البريطاني ، ثم كمندوب للحكومة البريطانية في شرقي الاردن ، وأخيرا حصل على وظيفة كمستشار للملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية ، وكان قاسيا في منزله مما سبب لفيلبي لعثمة اللسان التي لازمته حتى الان . وحتى والد فيلبي كان ساخطا على سياسة بريطانيا في الشرق الاوسط ، وهذا السخط ورثه ابنه فيما بعد .

التحق فيلبي في كلية (ترينتي) التابعة لجامعة (كمبريدج) ، وفي أيام دراسته عصفته الاضطرابات الاشتراكية التي سرت بين المثقفين ، وأصبحت الماركسية موضة ، والانتساب للحزب الشيوعي دليل الجرأة والشجاعة . ويعتقد بأنه انضم في هذه الاثناء الى الحزب الشيوعي وتكتم على الامر ، وكان معه زميلان هما : (دونالد ماكلين) و (جاك بيرجس) وكلاهما منتسبان الى الحزب الشيوعي ، ومعتنقان المذهب الماركسي عن عقيدة راسخة ، حيث تتلمذ كيم على يد بيرجس مع أن بيرجس كان مصابا بالشذوذ الجنسي ، ومدمنا الخمر ، ومع ذلك كان له نفوذ عظيم في الاوساط الطلابية الجامعية .

تخرج كيم من الجامعة في عام ١٩٣٣ ، وامتهن الصحافة ، وسافر الى اوربا حيث تعرف على فتاة تدعى (ليز) ، وتزوجها • وهي من أصل بولندي ،وانتقل معها الى باريس حيث استأجرا منزلا ، جعلاه مقرا للشيوعين حتى عام ١٩٣٦• وقد تم لقاؤه مع (أندريا يتوفيتش) في باريس ، وهو الذي نظمـه في شبكة الجاسوسية منذ ذلك الحين • وهو يقوم بمراسلة جريدة (التايمز) اللندنية ولم تبق ليز عنده فقد انفصلا بالطلاق ، وسافرت مع زوجها الثاني الى الاتحـاد السوفياتي •

أراد فيلبي أن يشترك في القتال،ولكن لعثمة لسانه حالت دونه ودون قبوله كضابط • وبعد عودته الى لندن ، وكان قد كبر بعض الشيء مخفيا شيوعيتـه ساعده أصدقاؤه بالحصول على منصب كبير في المخابرات البريطانية ـ الفرع M.I.6 ، المختص بالتجسس عبر البحار • (وكنا قد ذكرنا في فصل سابق) أن فيلبي نفسه قد تعجب من سرعة قبولـه في المخابرات البريطانية ، ولم يصدق نفسه في باديء الامر • أما مهمته الجديدة في الفرع فقد كانت أن يضع الخطط لمقاومة الجاسوسية السوفياتية ، وبما يتطلبه عمل الجواسيس الذين يقومون بمهمة مزدوجة في تحضير معلومات زائفة لهم ليقدموها للروس ومع الايام أصبح فيلبي (رئيس قسم مقاومة الجاسوسية) • وكان عمله هذا يتطلب اتصاله بالمخابرات الروسية أو مندوبها ، واتصالاته معهم كانت علنية تتم دون أي شك من رؤسائه ، مما ساعد على اعطاء الروس أكبر قدر من المعلومات الصحيحة • ومع ذلك فقد أنعم عليه بوسام الامبراطورية البريطانية لاخلاصه ••• الخ ومنح منزلا مجانيا بميدان كرليل ليعيش فيه عيشه ترف ورفاهية •

ترشيح فيلبي لرئاسة المخابرات البريطانية :

لم يبق بين فيلبي وبين رئاسة المخابرات البريطانية شيء ، فقد كان جميع رؤساء الاقسام الستة في الانتلجانس سرفيس يتوقعون أن يصبح فيلبي رئيسا للمخابرات البريطانية • وقد أرسـل الى واشنطن عـام ١٩٤٩ برتبة سكرتير أول للسفارة البريطانية • وكانت مهمتـه الاتصال مع الحكومـة الاميركيـة فيما يتعلق بمشاكل الامن • واتصالاته محصورة على نطاق واسع مع وزارتي

الخارجية والدفاع بالاضافة الى وكالة المخابرات المركزية الاميركية . (لذلك فوجيء) الاميركيون لدى هروبه للاتحاد السوفييتي ، وتأكدوا أنه نقل للروس جميع ما سمع وشاهد وعلم في أميركا أثناء عمله هناك .

عودة صديق الدراسة للظهور :

في شهر آب من عام ١٩٥٠ عاد (صديق الدراسة الجامعية) جاك بيرجس للظهور في حياة فيلبي ، فقد نقل أيضا الى واشنطن كسكرتير ثان للسفارة البريطانية واستقبله زميله فيلبي وأعطاه غرفة لديه يقيم فيها، وعمل جاك بيرجس ودونالد ماكلين الذي لحق به فيما بعد مدة في واشنطن حتى شهر نيسان ١٩٥١، حيث شعر بيرجس وماكلين أن مكتب المباحث السياسية في أميركا يشك في أنهما يتجسسان لحساب الاتحاد السوفياتي . ولما كان فيلبي هو الشخص الوحيد المطلع على موضوع الشك بهما ، والتقرير الوارد عنهما لذلك فقد تعرض الى استجواب مرهق من روسائه في المخابرات البريطانية عن دوره في اعلام بيرجس صديق الدراسة فحوى التقرير الخاص فاعترف فيلبي أنه تصادف وجود بيرجس في مكتبه أثناء ورود التقرير بحقه مباشرة فقال له : هل يمكنك أن تتصور أن المباحث السياسية الاميركية تدعي أنك جاسوس سوفياتي ؟ . وصرح فيلبي للمحققين انه اشترك مع بيرجس في السخرية والضحك .. باعتبار أن فيلبي وجه الكلام لصديقه بيرجس من قبيل الدعابة والثقة بينهما ، ولا يقصد أن ينبهه الى مضمون التقرير .... ومع ذلك ما ان عاد فيلبي الى منزله كان بيرجس وماكلين قد رحلا الى غير رجعة.

عندما تأكد فيلبي من أن بيرجس ودونالد قد غادرا لندن الى الاتحاد السوفييتي قام باعلام السفير البريطاني . وهكذا عرض فيلبي مركزه للخطر بتحذير بيرجس بصورة عفوية وقد قامر باعترافه على أن رؤسائه سوف يصدقون تفسيره هذا ، وبالفعل فقد وقف زملاؤه في سفارة (واشنطن) الى جانبه وبرروا عمله بقولهم بأن أي شخص انكليزي مهذب كان سيفعل ذلك لصديق الدراسة القديم ، وقدروا ماضي فيلبي . وانطلت عليهم الحيلة .

طلب التخلص من فيلبي :

استحوذ الغضب على أعضاء مكتب المباحث السياسية الاميركي ووكالة المخابرات المركزية الاميركية حيث طلب الجنرال (ولتر بيدل سميث) مدير المخابرات في حينه ــ التخلص من فيلبي ، بل ومحاكمته . وكان تهديده من القوة بحيث لا يمكن للبريطانيين أن يتجاهلوه . وفي عام ١٩٥١ استدعي الى لندن فعلا ، وفصل من وظيفته ، وظل يعيش عيشة متواضعة مدة عام كامل . وبعد بقاء فيليبي في منزله بدون عمل شعر بعض البريطانيين أنه أصيب بظلم شديد ، ومع ذلك تابعت دائرةالمخابراتالبريطانية ــ القسم الداخلي ــ التحقيق في ماضي فيليبي . وبدأوا يجدون شكوكا بعلاقاته مع الروس ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، وفهموا سبب اعطائه السر الى زميل الدراسة بيرجس ليمكنه من الهرب ... الخ .

وبدأوا يديرون خطة لمعرفة ما يمكن معرفته ، وكشف ما يمكن كشفه عنه ، واقترح أحد زملائه في القسم الداخلي اعادته للعمل ، ووضعه في مكان قريب من النشاط الروسي . وفعلا تقرر وضعه في العالم العربي الاكثر نشاطا وتقربا للروس . ووافق مدير المخابرات البريطانية مبدئيا على اعادة الاعتبار أولاً لفيليبي ، ومن ثم اتاحة فرصة العمل له ، حتى لا يكون لديه أي شك .

ففي عام ١٩٥٥ تقدم عضو مجلس العموم البريطاني (ماركوس لبتون) متهما فيلبي بصراحة بأنه وراء هرب بيرجس ورفيقه الى الاتحاد السوفييتي ، ولكن هارولد ماكميلان وزير الخارجية ــ في حينه ــ رد على الاتهام بقوله : ان المستر فيلبي قد أدى واجبه في خدمة الحكومة بكفاءةوضميرحي ، ولستأرى ما يدعو للاستنتاج أنه خان مصالح بلاده في أي وقت ...

كان مكميلانيعرف أنالشكوك تحيط بفيليبي،ولكنه برأه في مجلس العموم بناء على طلب المخابرات البريطانية نفسها . وهذا يؤكد لنا أن سلطة المخابرات في بريطانيا فوق كل السلطات ، وذلك بفضل شعارها وهو (خدمة الامبراطورية والملكة باخلاص) . وعندما برأ ماكميلان فيلبي علنا ، وأعاد له اعتباره كان يعرف أنه سوف يتعرض الى اتهام صريح من المعارضة ، ولذلك اتصل مقدما

بعض زعماء المعارضة ، وأفهمهم الاسباب الكامنة وراء بيانه • واستمراراً في خطة المخابرات البريطانية فقد سحب لبتون اتهاماته بعد بضعة أيام ، حتى تتمكن المخابرات البريطانية من المضي في تنفيذ خطتها ، واعادة فيلبي • وهكذا طلب أحد موظفي المخابرات (القسم الخارجي) الى رئيس تحرير مجلة (الاوبزرفير) أن يجد مكانا لفيلبي في المجلة ، وأفهمه أن طلبه له طابع رسمي (تنفيذ خطة معينة) ، وطلب من رئيس التحرير أن يعلم فيلبي أن وزارة الخارجية البريطانية ترى أنه من الظلم أن لا يجد فيلبي فرصة لممارسة مهنته الاصلية ، وهي الصحافة رغم تبرئته • وهكذا تم اقناع (الايكونوميست) بنفس الطريقة لاستخدام فيلبي • وبالفعل فقد استلم فيلبي عمله رسميا في بيروت كمراسل لمجلتين من أكبر المجلات البريطانية ، وذلك في شهر أيلول ١٩٥٦ •

بدأ عمله في بيروت فيبادىء الامر في فندق النورماندي في منطقة الزيتونة، حيث سجل عنوانه في الفندق الى المجلتين اللتين يعمل لهما والى اصدقائه ، ومن ثم لم يتمكن من البقاء في الفندق لأن مورده كان قليلا نسبيا ، فترك الفندق لكنه أخذ يتردد عليه يوميا من أجل البريد والرسائل التي تصله • ولم يكن لأحد يدري أين يعيش في بيروت • ومع ذلك استمرت مراقبته (مراقبة هادئة) • ونظرا لكونه مراسلاً لمجلتين من كبرى المجلات وسمعتها محترمة جدا ، فقد اتيحت له فرص كثيرة للتحري عن المسائل السرية • وكان يتردد الى السفارة البريطانية بهدوء ، ولم يظهر أي فضول ، ولم يطلب أي شيء لا يمت لعمله كصحفي بصلة (لم يقع في أي فخ نصب له حيث أفلت منها جميعا ببراعة) • وكان يتحاشى الايقاع به بذكاء نادر •

زواجه في لبنان :

التقى فيلبي أثناء عمله الصحفي ببيروت (باليانور برور) ، وكانت زوجة مراسل جريدة (النيويورك تايمس) ، وانفصلت عنه بالطلاق عام ١٩٥٨ ، وبقي فيلبي على صداقته معها حتى تزوجها في كانون ــ ٢ ــ ١٩٥٩ وأقام معها في سكن انيق • وأخذت عليه ملامح الابهة والثراء • فطلب ولديه من زوجته الاولى ليقيما معه في بيروت • وعندما علمت جميع الاوساط الصحفية والدبلوماسية بزواج فيلبي أخذت توجه اليه ولزوجته الدعوات لحضور جميع الحفلات

الاجتماعية في بيروت بمناسبة الاعياد الوطنية المختلفة • ومع ذلك كان فيلبي لا يزال تحت (المراقبة الهادئة) ، لكن مراقبيه لم يجدوا ما يؤيد شكوكهم • فقد كان مثال الصحافي الناجح ، وكانت مقالاتـه في الاوبزفر والايكونومست تعرب عن التخوف من تسلسل النفوذ الشيوعي الى البلدان العربية حتى عام ١٩٦٢ أقنع الجميع بأنه ليس جاسوسا بفضل ذكائـه وتحاشيه الوقوع في أى خطـأ حتـى تـاريخـه •

الجميع يخطئون :

في نهاية عام ١٩٦٢ اتصل فيلبي مع شخصية لبنانية سياسية مشهورة ــ ونمتنع عن ذكر الاسم حفاظا على مبدئنا في الكتاب بعدم التشهير بأحد ، حتى لا يستفيد الاعداء من ذلك ــ وطلب فيلبي من هذه الشخصية عقد صداقة معه ، ومن ثم طلب منه أن يساعده في الحصول على معلومات معينة تهم الحكومـة البريطانية ــ حسب زعم فيلبي ــ وبصراحة لصالح المخابرات البريطـانيـة ، وسايره السياسي اللبناني حتى اتفق معه على مبلغ معين لقاء ما طلبه فيلبي منه• وتشاء الصدفة أن يكون السياسي اللبناني يعمل فعلا للمخابرات البريطانية من قبل ، وهذا أبلغ السياسي الضابط المسؤول في فرع المخابرات البريطانية في بـيروت عن طلب فيلبي ، مما أحيـا موضوع نشاطه من جديـد واستنتجت المخابرات البريطانيـة في بيروت ان فيلبي يعمـل عـلى تأسيس شبـكة تجسس لصالح الاتحاد السوفييتي ، ويجمع لها العملاء • وهو يزعم لهم أن العمل لصالح بريطانيا • فقررت وضعه تحت المراقبة الشديدة عوضا عن المراقبة الهادئـة • وكانت المخابرات البريطانية تقوم بمراقبة عدد من أمثال فيلبي في المنطقـة • وهذا معروف لدينا ، ولكنها في هذه المرة قررت الاستعانة بالبوليس اللبناني ، فاتصلو بـ (العقيد توفيق جلبوط) مدير الامن العام اللبناني ، وفعلاً وضـع فيلبي تحت مراقبة الامن العام اللبناني • وكانت نتيجة المراقبة اللبنانية أن فيلبي يتصل مع شخصيات مشكوك فيها من الناحية السياسية ،وبالنسبة لمراقبة منزله فقد خرج في ليلتين متتاليتين الى شرفة منزله ونظر الى ساعتـه ، ثم أخذ يلوح بشيء ما في يده • وبعد التدقيق اتضح أن فيلبي يعطي الاشـارات لشخص أرمني تقع شقته مقابل شقة فيلبي ، لينقلها الى شخص آخر • دون أن يدري

معنى لهذه الاشارات • وكل همه قبض الاجرة • فوضع في السجن • وهكذا قطع اللبنانيون اتصال فيلبي بعد اختفاء الشخص الارمني الذي كان يتسلم اشاراته •

الخطأ الاخر لفيلبي في بيروت :

بعد اختفاء الرسول الذي كان يتلقى الشيفرة من فيلبي ، لم ينتظر فيلبي بل صمم على الاتصال المباشر مع المخابرات السوفياتية في بيروت ، وهكذا توجه الى منطقة الزيتونة في بيروت ، والتي تضم معظم النوادي الليلية • ومن هناك استقل سيارة أجرة الى شارع متفرع ونزل الى محل بقال حيث أجرى مخابرة قصيرة ، ثم عاد وركب سيارة الاجرة ثانية الى حي البسطة ، ثم نزل وركب سيارة ثانية نقلته الى (منطقة فرن الشباك) • حيث ترجل ودخل الى مسكن مظلم يقع فوق دكان لبيع الحلويات اللبنانية ، ويملكه أحد الارمن ، وبعد نصف ساعة انضم اليه أحد موظفي السفارة الروسية • وبالرغم من جميع احتياطات فيلبي وتغييره سيارات الاجرة عدة مرات لم يفلت من مراقبة البوليس اللبناني الذي يضم نخبة من الرجال المحترفين • وقد أبلغت المخابرات البريطانية نتيجة مراقبة فيلبي ، واجتماعه هذا • فأحضر فيلبي الى السفارة البريطانية وواجهه المسؤولون بالشكوك فيه وما عرفوه عن اتصالاته ، وطلبوا منه عدم مغادرة بيروت ، فلم يجبهم بأي كلمة بل بقي هادئا متزنا كعادته • وأبرقت المخابرات البريطانية الى لندن ، فحضر فورا الى بيروت اثنان من كبار ضباط المخابرات في لندن ، وقاما باستجواب فيلبي • وكان استجوابه فوق أرض أجنبية (لبنان) ، ولا يمكن للسلطات اللبنانية أن تسلمه لهم ، لان عدم الولاء لأي دولة ثانية لا يعتبر جريمة في لبنان مع أنه لا يوجد اصلا بين لبنان وبريطانيا أية اتفاقيات بهذا الخصوص • فخرج فيلبي هذه المرة من السفارة البريطانية في بيروت ، وهو يؤكد لنفسه أن لعبته انتهت

اسرار الهروب الكبير :

بعد خروج فيلبي من السفارة البريطانية أخذ يفكر بهدوء ، هل ينتحر ، أو يفر •• ؟ ولكنه استقر على الرأي الاخير ، وهو الهروب الى الاتحاد

السوفييتي ، بعدما آتاه الجواب بأنهم بانتظاره .. ففي مساء ٢٧ ــ ١ ــ ١٩٦٣، وكانت الانباء لم تتسرب بعد عن التحقيق معه من قبل الضباط الوافدين من لندن دعي مع زوجته (اليانور) الى الحفلة التي أقامهـا المستر (غلين بلفور) السكرتير الاول للسفارة البريطانية في بيروت ، ولكن اليانور ، وصلت الى الحفلة وحدها وصرحت للذين سألوها عنه أنه اتصل بها هاتفيـا ، وطلب منهـا الذهاب بها وحدها للحفلة لانه سوف يلحق بها . هناك ونظرا لان فيلبي سبق له أن فعل ذلك معها عدة مرات ، فقد ذهبت بمفردها للحفلة ، وهي مطمئنة أنـه سوف يلحق بها كعادته . ولكن الحفلة انتهت ولم يحضر فيلبي . فتطوع أحد اصدقائه بتوصيلها للمنزل ، لعل فيلبي كان مشغولا في تتبـع خبر صحفي . وانصرف هذا الصديق ، وطلب منها تطمينه لدى وصول فيلبي . ولكن مضى الليل طويلا على اليانور ، ولم يعد فيلبي حتى الصباح ، واستبدبها القلق لانها كانت قد لاحظت منذ أيام أن زوجها يبدو كئيبا ، ويشرب زيادة عن عادتـه . وفي الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي اتصلت اليانور برجل أعمال أميركي على اتصال بالسلطات اللبنانيه ، وطلبت مساعدته في البحث عن زوجها . وحالا اتصل الاميركي بالعقيد توفيق جلبوط الذي كان مطلعا على قضية فيلبي حيث أجرى جرداً على جميع مخافر الحدود اللبنانية براً وبحراً وجوا ، فاتضح أن فيلبي لم يغادر لبنان من أي مركز حدود رسمي ، كمـا أجرى فحصـا شاملا للمستشفيات والسجون ، فلم يعثر له على أثر .. لقد اختفى فيلبي تماما... ؟

انهارت أعصاب اليانور ، وعادت الى منزلهـا لتستريح بعض الوقت . ولكنها قفزت من مكانها فورا عندما تذكرت البريد الذي كان يرد الى زوجها عن طريق فندق (النورماندى) ، وركبت سيارة أجرة حالا الى الفندق ، فوجدت رسالة من زوجها يقول لها انه بخير ، ويودعها مؤقتا لانه سيقوم بجولة صحفية سريعة في الشرق الاوسط . عند ذلك اطمأنت اليانور ، وعادت الى منزلها هادئة الاعصاب حيث اتصلت بالعقيد جلبوط ، وطلبت منه كف البحث عن زوجها ، وأعلمته بالرسالة التي حضر وشاهدها . ومع ذلك أصر العقيد جلبوط على أن زوجها لم يغادر لبنان بصورة مشروعة .

بعد اختفاء فيلبي من بيروت أخذت الصحف اللبنانية تنشر تفاصيل خيالية عنه ، منها من ذكر أنه انتحر ، ومنها من ذكر أنه سافر للقاهرة ، •ومنهامن ذكر أنه اختطف من قبل المخابرات البريطانية • لكن صحيفة واحدة اصرت أنه هرب الى الاتحاد السوفييتي ، ولا ندري من أي المصادر استقت هذه الصحيفة معلوماتها التي كانت هي أصح المعلومات •••

بعد مغادرته لبنان بشهر كانت اليانور قد تلقت منه رسائل بخط يـده ، يطمئنها فيها ويعدها بأنهما سيلتقيان قريبا • وفي شهر نيسان تلقت منه رسالة فيها خطة مدروسة لمغادرتها بيروت كما يلي :

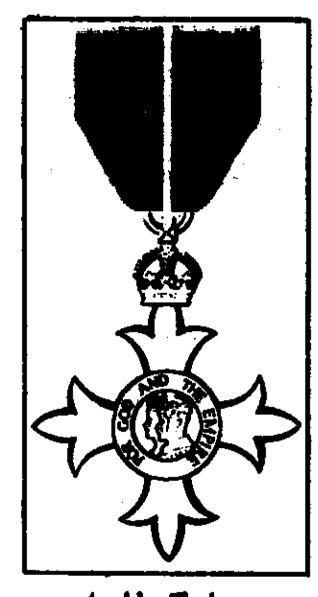
١ ــ عليها أن تشتري بطاقة طائرة لها ولولديه على طائرة الخطوط الجوية عبر البحار الى لندن ، وحدد لها التاريخ •

٢ ــ عليها أن تتوجه خفية الى مكتب شركة الخطوط الجوية التشيكية في بيروت ، وتعلن عن اسمها الى مدير المبيعات ، فستجد بانتظارها تـذاكر طائرة لهـا ولـلاولاد •

٣ ــ يعلمها فيلبي أنـه انتظر هذه الفرصة لأن موعـد مغادرة الطـائرة البريطانية في نفس الوقت الذي تغادر فيه الطائرة التشيكية • وعليها أن تكون في المطار قبل ساعة ، وأن تتجاهل سفر الطائرة البريطانية ، وتصعد حالاً في الطـائرة التشكيـة •

٤ ــ اذا احتاجت أية خدمة ضرورية فما عليها الا ان تضع (اناء معينا فيه ورد في نافذة مطبخها) ، فيأتي صديق موثوق به لخدمتها فورا •

قرأت الرسالة بتعجب • وقررت أن تجرب موضوع الانـاء ، فوضعته في نافذة المطبخ حسب طلب زوجها • وبعد أقل من ساعة قرع باب شقتها شخص مؤدب قدم نفسه قائلا لها : (هل تريدين رؤيتي يا مسز فيلبي ؟) •وعرفـت أنهموظف في السفارة الروسية ، وسوف ينفذ لها أي طلب فشكرته واكتفت بأن قالت له انها اطمأنت الآن على زوجها منه ، وبنفس الوقت اكتشفت ما أخفـاه عنها زوجها من عمله للاتحاد السوفياتي ، وهو الذي يفخر بحمل وسام الملك



وسام الامبراطورية

وسام العلم الأحمر : اعتراف بجميل

جورج السادس ، وهذه من أهم صفات رجال المخابرات والتجسس الطيبة لان بعض النساء لا يتوانين عن التبجح بأعمال رجالهن • مما يخشى منه في هذا المجال •

أما على الصعيد الرسمي في لبنان ، فقد وجد العقيد توفيق جلبوط شاهدا صرح بأنه شاهد رجلا يشبه فيلبي الذي عرضت أوصافه في جميع وسائل الاعلام • يركب في الباخرة الروسية (دولماتوفو) المتوجهة الى (أوديسيا) بتاريخ ٢٧ ــ ١ ــ ١٩٦٣ •

أما اليانور فقد قررت أن تسير بخطة غير خطة زوجها • فطلبت من السلطات اللبنانية السماح لها بالسفر الى لندن ، فسافرت حيث أعادت طفلي فيلبي الى ذويه ، وعاشت في عزلة •

أما المخابرات البريطانية التي تأكدتمن هروب فيلبيالى الاتحادالسوفياتي، وخشيت أن يقدم في موسكو في مؤتمر صحفي ــ فأعلنت أنه فعلا كان (الرجل الثالث) في قضية هروب (بيرجس وماكلين) ، وأنه كان يعمل لحساب الاتحاد السوفياتي ، وقررت المخابرات البريطانية كبادرة منها لجعل (فيلبي) أن يكون أقل فضحا للأسرار التي عرفها أن تبعث له بزوجته • وفعلا استقلت اليانور الطائرة من لندن متوجهة الى موسكو حيث التقت بزوجها الذي بقيت مخلصة له ، بينما أعلنت صحيفة أزفستيا السوفياتية أن الاتحاد السوفياتي قرر منح (كيم فيلبي) حق اللجوء السياسي • ومنذ لجوئه الى موسكو ، وحتى تاريخه رغمبلوغهسن الثالثة والستين من عمره فانه لا يزاليقدمخدماتهللمخابرات السوفياتية • ففي كل صباح يستلم من رسول المخابرات الصحف البريطانية (التايمز ــ الدايلي اكسبرس ــ والاوبزفرر ــ والايكونومست) ، التي تصدر في لندن ، ويقرأ مقالاتها الافتتاحية ، ويضع تقريرا مفصلا بذلك ، ويرفعه الى المخابرات السوفياتية • وحتى انه تزوج من (روسية) تصغره بعشرين عاما تدعى (نينا) ، ويعيش معها عيشة هانئة رغم أنه طلق قبلها ثلاث نساء • ويظهر أنزواجه من هذه الصبية كان من جملة مكافآته على خدماته لهم ، لانه طيلة تعامله السابق مدة ثلاثين سنة لم يقبض مقابل أتعابه أي ثمن ، لأنه كان مؤمنا بعقائده ، وبالقضية التي كان يعمل لها •••

وتترك كيم فيلبي يقضي حياته هانئا ، لنعود للتأكيد على ما سبـق أن نوهنا عنه في هذا الكتاب ، بأن المخابرات وبالتالي (الـدولـة) أن تكون (وفية) مع من يقدمون لها الخدمات الضرورية • وأهمها الخدمة التي يقدمها رجال المخابرات والجواسيس الذين يقضون معظم أيامهم ولياليهم في خـوف وحذر ، ويعيشون على أعصابهم المتينة • ولولا اختيـارهم من بـين اقوياء الاعصاب والموثوقين لما كان هناك شيء اسمه تجسس أو مخابرات •••

جورج بـليك

(جورج بليك) كان يشغل منصب نائب القنصل البريطاني في كوريـا الجنوبية • وأثناء الحرب الكورية وقـع أسيرا لدى قوات كوريا الشماليـة (كان عمره ثلاثين عاما) • ثم اطلق سراحه وعاد الى لندن ، حيث عين في وظيفة ديلوماسية جديدة في برلين لتغطية عمله كوكيل للمخابرات البريطانية • وبقي يقوم بمهامه التجسسية حتى عام ١٩٦٩ ، حيث ألقي القبض عليـه من قبـل السلطات البريطانية ، وأعيد الى لندن حيث جرت محاكمتـه بجرم التجسس لصالح كوريا الشمالية • واعترف بليك بأنه (جنـد) للعمل مـع المخـابرات الشيوعية أثناء أسره حيث عومل معاملة خاصة جدا ، ومن ثم اطلـق سراحه ليعود الى عمله الدبلوماسي ثم المخابرات وبنفس الوقت كان يقدم المعلومات الى الشيوعيـين ، حيث أدت هذه المعلومات الى كشف حوالي ٤٠ ـ عميـلا وجاسوسا بريطانيا في الدول الاشتراكيـة ، أودعوا السجون ، واعدم بعضهم • وانتهت المحاكمة بالحكـم عليه بما مجموعـه /٤٢/ سنة من مجمل الجرائـم التجسسية التي ارتكبها ، وأحيل الى سجن /ورم وود / لتنفيذ الحكم بـه • وفعلا أمضى بليك الخمس سنوات الاولى من حكمه (٩٦١ ــ ١٩٦٦) كمثال للسجين الهادىء المهذب ، حتى لم يخطر على بال أحد من مسؤولي السجن /أنه كان يخطط للهرب مع السجين (بورك) المحكوم مدة أربع سنوات بتهمة ارسال قنبلة بالبريد الى أحد ضباط الشرطة ، حيث تقابلا لاول مرة وبورك ايرلنديـا متحمسـا ضد جميع أنواع السلطة في بريطانيا • بينما كان بليك رجلا كاملا هذبته

تسع سنوات ، قضاها في السلك الدبلوماسي البريطاني • وكانا يقيمان في جناح واحد ، ويتبادلان الزيارات وشرب القهوة ، وحاول بليك في بادىء الامر أن يشرح منافع الطريقة الشيوعية الى بورك ، ولكنه لم يتقبل منطقه ومع ذلك بقيا صديقين لا يفترقان • حيث استخدم بورك فيما بعد في مشغل خياطة السجن ، وخاط قمصان بليك • واستمرت صداقتهما ١٨ شهرا • وفي ظهر أحـد الايام وقف بليك وراء بورك في الصف للحصول على الطعام ، وفي مكان بعيد عـن الحراس والسجناء فاجأ بليك صديقه بهذا السؤال الواضح : هل تساعدني على الخروج من السجن (الهرب) أجابه بورك : نعم • وعند ذلك عرف بليك انه اختار الرجل المناسب ، لانه حتى ولو رفض طلبه فانه على الاقل يضمن سكوته عن الموضوع وبدأ الاثنان في مناقشة علىطريقة الهروب حتى انهم كانوا يسمحون لبعض المساجين بتجاوزهم ، ليتسنى لهم المزيد من الوقت لمناقشة بعضالنقاط ثم وضع خطة الهرب ببطء وعناية •

بـدء التنفيـذ :

في مطلع عام ١٩٦٦ أطلق سراح بورك قبل انتهاء مدة حكمه نظرا لحسن سلوكه • وعمل بعد خروجه من السجن في مصنع للمعلبـات ، وأخذ يوفر كل فلس يكسبه حتى تجمع لديه ــ ٥٠ ــ جنيه اشترى بها سيارة همبر مستعملة • ومع أنه لا يعرف القيادة لكنه لم يستطع الحصول على رخصة بسبب الحكم عليه (بجناية ارسال قنبلة الى ضابط بوليس وتهديد حياته) • فعمد الى قيادة السيارة بدون رخصة حتى أتقن القيادة • وبعد ذلك اشترى سلما من الحبال ، وجهازيلاسلكي من صنع ياباني من الحجم الصغير • حيث تمكن من تهريب أحدهما الى بليك داخل السجن • واختار بورك لسكناه منزلا يبعد ميلا فقط عن السجن • وظل يتدرب على قيادة سيارته بين منزله والسجن • وكان يدرس كل التفاصيل على الطريق ، حيث وجد أن المسافة تقطع من السجن الى البيت بدقيقتين • قرر أن يبدأ العملية فأجرى نداءات تجريبية الى بليك كانت ناجحة • وهكذا اختير يوم ٢٢ تشرين الاول ١٩٦٦ • وكان يوم سبت تقف فيه عشرات السيارات بجانب حائط السجن للزيارة في مستشفى (همر سميث) حيث أحضر بورك سيارته ووضعها بين تلك السيارات دون أن يلتفت أحد اليها • وكان قد

وصع جهاز اللاسلكي ضمن باقة ورد ، واستعد للاتصال مع بليك الذي كان في تلك اللحظة قد ترك حفلة مصارعة في التلفزيون قبل أن تنتهي (بحجة انهـا رديئة) ، وطلب من الحراس أن يعود الى غرفته قبل الوقت المحدد • فسمح له طبيعيا نظرا للثقة التي كان يتمتع بها • وفور رجوعه الى الغرفة اتصل مع بورك الذي كان ينتظره بفارغ الصبر • وعندما تأكد بورك من وجود بليـك وراء الحائط ألقى بسلم الحبال فوق الجدار ، وبعد لحظـة ظهر رأس بليـك وراء السياج • وأثناء مروره فوق السياج فقد توازنه بسبب المطر فسقط من أعلى الحائط على أرض الرصيف ، واصطدم بالحجارة، وظل ملقى على الارض كالميت• فسارع بورك وحمله للسيارة ، وسار به دون أن يعرف أنه حي أو ميت • ولكنه استفاق قبل نهاية الطريق الى منزل بورك • وعندما اطمأن عليه بورك سارع الى اخفاء سيارته في مكان مهجور • وبعد ذلك عمل المستحيل على شفاء صديقه •

وفاء المخابرات السوفياتيـة :

استمر بورك في جلب الطعام والشراب والصحف التي تتحدث عن هروب ضيفه (بليك) • بينما كان الأخير يتماثل للشفاء كانت جميـع أجهزة الامـن البريطانيـة (الانتلجـانس سرفيس ـ اسكتلند يارد ـ الشرطـة ـ العملاء المحليين ـ المخبرين السريين) تبحث عنه وتشدد الحراسة على المطارات والموانيء وتفحص بعناية فائقـة كل مسافر على حدة اصيبت هذه السلطات باليـأس ، لاعتقاد المسؤولين أن (بليك) قد هرب رأسا خارج البلاد ، وذلك بعدما تأكد لهم بأنه لم يكن وحده حين الهرب • لذلك خفت حدة البحث بعد الاقتناع برأي المسؤولين عن المخابرات البريطانية ، بأنه أصبح في الاتحاد السوفياتي ، أو لاحدى الدول الاشتراكية • وانقطعت الصحف عن التحدث عنه • فوجد أن الفرصـة أصبحت مواتية للسفر ، حيث أعد له بورك الاوراق الخاصـة ، وجوازي سفر ايطاليين مسجل فيهما أنهما دخلا البلاد للعمل منذ ثلاث سنوات • وبينما كانت الباخرة تبتعد بهما في عرض البحر كانا يتبادلان نظرة تعبر عـن الفرحة بنجـاح عمل عظيم قاما به • وما هي الا أيام أصبحا في أرض الاتحاد السوفياتي •

وهكذا هرب أخطر جاسوس بريطاني مزدوج لا يقل خطورة عن فيلبي •
ولم تعترف السلطات السوفياتية بوجوده في موسكو الا مؤخرا حيث ظهر مع زميله كيم فيلبي في حفلات الفنانين السوفياتيين والحدائق العامة ••• وفي مثل هذه الحالة يصبح بورك تلقائيا من ضيوف المخابرات السوفياتية بسبب مساعدته لبليك ، وانقاذه من السجن أولا ثم اخراجه من بريطانيا ثانياً ، ومداواته بالاصل عند سقوطه أثناء الهرب ثم تركه وطنه بريطانيا نتيجة جريمته هذه• ومن جملة المساعدات التي تقدم في مثل هذه الحالة استدعاء الزوجة والاولاد ان وجدوا مهما بلغت المصاريف تشجيعا لغيره من الجواسيس أو الذين يتعرضون لمساعدة جواسيس آخرين •

وهذه القاعدة تسير عليها جميع مخابرات دول العالم ، وليست دعاية للمخابرات السوفياتية كما تبادر الى ذهن البعض •

إصطياد المخابرات العملاء من خارج جهازها

تعمل جميع أجهزة المخابرات في العالم على اصطياد بعض العملاء لتسخيرهم على العمل لصالحها ، بالاغراء تارة ، وبالتهديد بمختلف الوسائل حتى اللا اخلاقية في بعض الدول كاسرائيل وبريطانيا ابان الحرب العالمية • كما نجد في قصة الجاسوسة البريطانية (فلور) الحسناء الجميلة التي كانت جذابة وجريئة ، بالاضافة الى اتقانها عدة لغات ، حيث كانت تكلف بالمهام الصعبة • وكانت تدعى الى أغلب الحفلات الاجتماعية بترتيب من المخابرات البريطانية • وكانت تصاحب عليّة القوم لتحصل على أدق الاخبار • وعلمنا بان أحد كبار المسؤولين الفرنسيين وقع في حبها ، وعرض عليها الزواج ، تاركا أولاده وبيته • ولكنها صدته بأدب قائلة انها لا تريد منه هذه التضحية ، وستبقى له صديقه مخلصة ، (بالطبع للحصول على المزيد من الاسرار التي كان يحدثها بها في ساعات صفائهما •••) وان أحد رؤساء الوزارات الايطالية أيضا وقع في حبائلها ، وأصبح لا يفارقها • وفي عام ١٩١٥ علمت المخابرات البريطانية أن أحد كبار الجواسيس الالمان يقيم في سويسرا (تحت اسم الاستاذ أهردات) ، فأرسلوها اليه لتكتشف حقيقته وتساعد على اعتقاله • كان يقطن في غرفة

خاصة استأجرها في فندق ، وكان لا يسمح لاحد بدخول غرفته بحجة خوفه من أن أحدا يعبث في مجموعة الآثار التي جمعها.واذا أراد الخادم تنظيم الغرفة فليكن ذلك بحضوره . والحقيقة أنه لم يكن بالغرفة آثار قديمة ولا جديدة بل كانت هناك أدوات التجسس (جهاز لاسلكي ـ ولوائح بأسماء عملاء ألمانيا في سويسرا ، الذين يتصل بهم ويتعاون معهم . هذا بالذات ما رغبت المخابرات البريطانية به) .

توجهت فلور بأمر من المخابرات البريطانية الى مدينة زوريخ في سويسرا ، ونزلت في نفس فندق (هيرشن) الذي ينزل فيه . وبدأت تحلول لفت نظره حتى وقع في حبها كما كان مرتبا . وبعد أيام دعاها الى غرفته لتناول كأسا من الويسكي ... الخ .. وفعلا لبت فلور دعوته بسرور زائد ، وأخذا يتبادلان الشراب حتى تأكد لها أنه اصبح تحت سيطرتها ، طلبت منه أن يذهب الى غرفتها في الطابق الاول ، ويحضر لها البوم الصور من خزانتها لتطلعه عليها. وحالا توجه الى غرفتها [1] . وبعد خروجه قفزت الى أوراقه وحاولت وضعها في حقيبتها . وفي هذ اللحظة دخل سكرتيره الذي كان يشك في تصرفاتها مع أستاذه ، ويراقبها من ثقب الباب لدى خروج الاستاذ وقيدها ، حتى حضر الاستاذ ليفاجأ بذلك الامر ، وصحي من سكرته وأقسم على تسليمها للسلطات . ولكنها كانت من الذكاء والتدريب بحيث تمكنت من الافلات سابقا من العديد من مثل هذه المآزق، فوعدته باعطائه أسماء الجواسيس البريطانيين في المانيا ، وأماكن وجودهم مقابل أن يطلق سراحها . ورضي بذلك وأخذ يكتب ما تمليه عليه من أسماء (بعد مدة بعثت برلين كتابا الى الاستاذ تلومه فيه لوما شديدا على تقريره الخاطىء الذي ليست فيه سوى أسماء وهمية لا قيمة لها) .

واذا فشلت فلور في مهمة ، فانها نجحت في العديد من المهمات . وكانت تنتقل من برلين ، الى ميونيخ ، الى هامبورغ وهي تحمل جواز سفر هولندي وطلبت منها المخابرات البريطانية الحصول على الشيفرة الالمانية البحرية وصبت جهدها حتى أوقعت أحد ضباط البحرية الالمان في غرامها . وحصلت منه على

(١) هذا الخطأ الذي ارتكبه امرادات ينبه عليه في تدريس المخابرات لأنه من المفروض به أن لا يبتعد عن الفريسة واذا اضطر أن لا يفقد شعوره واذا تعرض للنساء ان يكون حذرا في علاقته معهن .

الشيفرة التي تتخابر بها المدمرات الالمانية في البحر . وقد ساعدت الشيفرة على معرفة استعداد الالمان في معركة (جوتلند) البحرية المشهورة .

كما نجد في تاريخ الجاسوسية الطويل أسماء العديد من الشخصيات المشهورة التي كانت تتعاطى التجسس برضاها أو التهديد، لان من طرق المخابرات في بعض الدول دراسة ماضي وحاضر الاشخاص البارزين في الدولة والمجتمعات الراقية ، ومعرفة من سيكون له شأن في المستقبل ، فتحوم المخابرات حولهم لانه من المحتمل أن أحدهم سوف يصبح نائبا في الانتخابات أو موظفا ذا شأن في وزارة الخارجية مثلا أو وزيرا في وزارة مقبلة ، ويوضع تحت المراقبة من قبل شخص مختص حيث يسجل عليه أحاديثه واتصالاته مع الجميع ، حتى علاقاته الغرامية ان وجدت . وأخذ الصور له في حالات السكر والعبث مع النساء ، حيث تجمع جميع هذه الاخبار ، وتوضع في ملف خاص [1] بهذا الشخص وتخرج عند الحاجة اليها . أو عندما يصبح الشخص المقصود صاحب مركز لتهديده بماضيه المحفوظ ، ولنأخذ مثال على ذلك أن أحد الامراء الهنود عندما مرّ في ايطاليا نزل في أحد الفنادق الفخمة ، وهناك تعرف على راقصة مشهورة حيث قضى معها بعض الايام من العبث والمجون . ولما عزم على السفر قدم لها شيكا بمبلغ مائة ألف فرنك ، وهو مبلغ بسيط بالنسبة لمركز الامير . فما كان من الراقصة الا أن ألقت الشيك في وجهه وقالت له : هل تحسبني احدى محظياتك .. اما أن تعطيني شيكا بمليون فرنك والا الفضيحة .. وخشي الامير من الفضيحة حفاظا على مركزه ، فوقع لها شيكا بطلبها . وعاد الى بلاده وهو متأثر من الحادث ومن جسامة المبلغ . ولدى وصوله الى نيودلهي ، تقدم منه شخص بكل احترام ، وسلمه مظروفا كتب عليه : (مع تحيات الانتلجانس ـ سرفيس) المخابرات البريطانية ، واختفى ذلك الشخص .وعندما فتح الامير المظروف وجد

---

(١) كما فعلت المخابرات المركزية الاميركية مع الامير فيصل بن مساعد آل سعود عندما كان طالبا في الولايات المتحدة عام ١٩٦٨ ، حيث صور مع صديقته (كريستين نورما) بأوضاع مخزية ثم انقذته هذه المخابرات من قضية مخدرات كانت ستطيح بمستقبله ...؟

فيه الشك الذي حرره بمبلغ مليون فرنك للراقصة كماهو؟ سر"الامير باسترجاع الشيك ، ولكنه لم يدر أن المخابرات البريطانية قدمت له هذه الخدمة مقابل خدمات طلبوها منه أيام استعمارهم للهند بعد ذلك . وفعلا كان عند حسن ظنهم . كان هذا نموذجا من طرق المخابرات في اصطياد العملاء ، وهم لا يفرقون في ذلك بين أمير أو وزير أو موظف أو تاجر أو مهندس أو طبيب ، حتى العامل وخادم المقهى وماسح الاحذية ... يوجد منهم عملاء تم استدراجهم بالطرق المختلفة .

واذا تابعنا البحث في تاريخ الجاسوسية نجد أناسا مرموقين في هذه الايام ، قد وصلوا الى أعلى المراتب ، بينما كانوا في السابق عملاء للمخابرات ، ومنهم (آرثر غولد برغ) مندوب اميركا الدائم لدى الامم المتحدة سابقا بالذات.ومن ماضيه نجده ابان الحرب العالمية الثانية برتبة ميجر في الجيش الاميركي ورئيس فرع مخابرات انشيء أثناء الحرب في سويسرا . ولعله لا ينسى أول عملية تدمير قام بها هو ورجاله عندما دمروا جسرا يربط سكة الحديد بين براغ وبيلسن داخل تشيكوسلوفاكيا ، عندما وصل القطار المقل لمئات الجنود الالمان الذين جيء بهم من الجبهة الشرقية ، لمساعدة القوات الالمانية في ايطاليا . مما تسبب في مقتل أغلب الجنود ، بينما اصيب من بقي منهم على قيد الحياة بعاهات مستديمة . فهذا فقد ساقه ، وذاك فقد ساعده . بينما عاد آرثر برغ الى مقر عمله التجسسي ، ليبعث برقية الى رؤسائه يقول فيها (تمت عملية جودكس) . ونحن بانتظار تعليماتكم لعمليات جديدة ...) .

أما الآن ، وبعد هذه السنين الطويلة نجد آرثر قد أصبح مندوبا لبلاده في الامم المتحدة عدة سنين ، ليتابع عمل التجسس . ولكن هذه المرة بصورة مختلفة عن ماضيه ، وعلى نطاق واسع . بحيث كان حتى نهاية عمله في الامم المتحدة مثال المدافع عن اسرائيل ، بالرغم من جميع ما ارتكبته من جرائم وخرق لمعاهدات الامم المتحدة نفسها .

ومن الاشخاص المرموقين الذين وصلوا الى أعلى المناصب ، وسبق أن تعاملوا مع المخابرات الرئيس السابق ريتشارد نيكسون الذي تعامل مع المخابرات

الاميركية في مطلع عام ١٩٤٧ ، وكان اسمها في حينه (FBI) ، وسرح بعدها بسبب تخفيض الميزانية .



الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون وهو يحمل الرقم ١٢ في فريق رياضي وكان بنفس الوقت يمثل معتبرا

ومن الماضي القريب تطل علينا صورة المطربة السورية (اسمهان) واسمها الكامل (آمال فهد الاطرش) التي ذهبت ضحيــة لتعاملهــا مع المخــابرات البريطانية . فقد جندها قائد سلاح الطيران البريطاني في الشرق الاوسط للعمل معهم . وكان بنفسه رئيس المخابرات للجيوش البريطانية ، ومهمه معرفة جميع الامور في المنطقة . وبرعت اسمهان في تقديم المعلومات للبريطانيين براعتها في الغناء ، حتى حكم عليها بالاعدام من قبل الالمان لشدة ما ألحقته بهم من أضراره فنقلت للعمل في فلسطين وبيروت . وكــان يرافقها في القدس أثناء حضورهــا (كانت برتبة ضابط فخرية) جاويش (رقيب) من الجيش البريطــاني أردني يدعى ــ م ــ ط أثناء اتصالاتها . وحين أصبح الالمان على أبواب مصر خشيت المخابرات البريطانية أن تقع أسمهان في الاسر فقرروا التخلص منهــا خشية أن تفضح ما شاهدته وسمعته وعلمته من الاسرار .

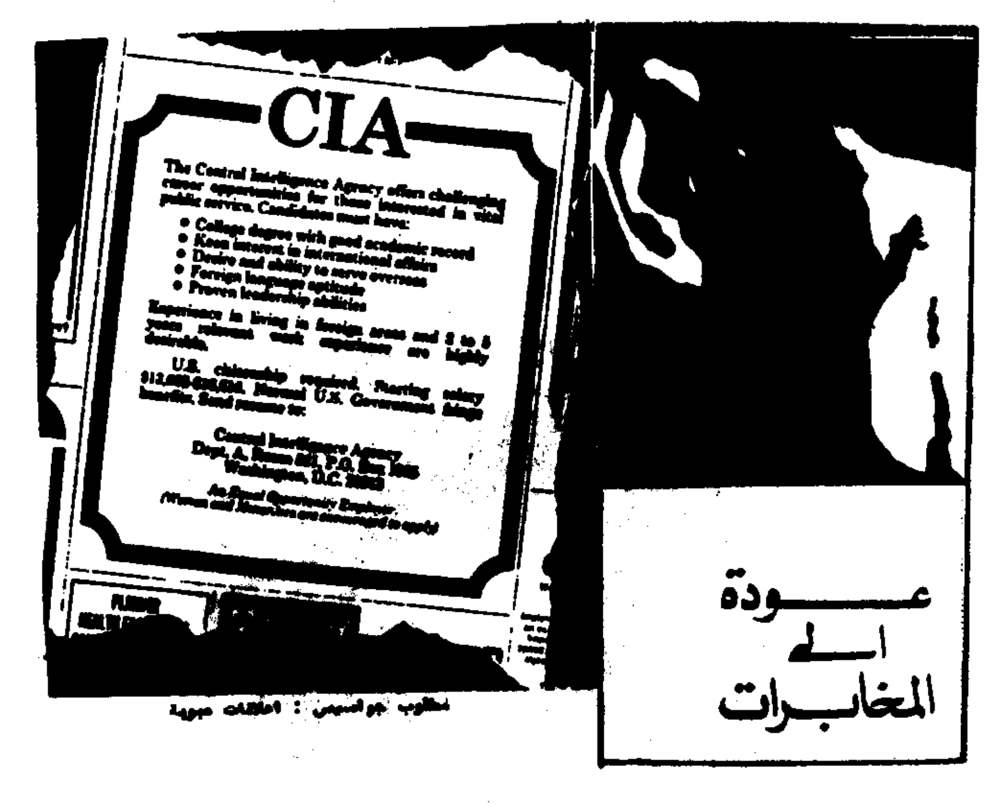
وهكذا صورت نهاية اسمهان بأن سقطت سيارتها في ترعة للري . وهذه الطريقة ليست غريبة عن المخابرات البريطانية التي تتخلص من عملاءها ، حفاظا على أسرارها (خصوصا وأن سائق السيــارة نجــا بنفسه ، وتركها تسقط بأسمهان في الترعة) .



الاميرة امال الاطرش وعدد من القواد والضباط بعد دخول الحلفــاء سوريــا ولبنـــان



المطربة السورية إسمهان الأطـرش ضحية المخابرات البريطـانيـة



مطلوب جواسيس : اعلانات مبوبة

عـــــودة الـــى المخابـــرات

بعد هذا القدر من الشرح عن مشاهير الجواسيس ، وعن طرق اصطيـــاد الجواسيس من قبل المخابرات نعود الى التفصيل والتعمق في حياة وخبايا رجال المخابرات والصفات التي يجب إن تتوفر في رجل المخابرات ٠ وكمـــا شرحنا في صفحات سابقة عن كيفية اختيار كل دولة من الدول لرجال مخابراتها ٠ نعود الى التأكيد بأن رجل المخابرات يجب أن يكون مخلصا لوطنه في الدرجة الاولى ، وذا ضمير حر ، واستقامة ، ونزاهة حيث من الممكن أن يتعرض لشتى المغريات أثناء عمله من مال وفير ونساء جميلات ووعود واغراءات فاذا لم يكن ذا مناعة طبيعية ضد كل هذه الامور انغمس في الملذات ، ونسي مهمته مما يضيع عـــلى دولته الفائدة المرجوة من ذلك ٠ لذلك يجب أن تعطى هذه الناحية بالذات العناية الفائقة لدى اختيار الرجال للعمل في المخابرات ٠ ثم يجب على الدولة أن تجعل راتب رجل المخابرات مضاعفا ليعيش عـــلى مستوى يجعله في غنى عـــن التورط في الديون أو عروض الاعداء ، كما يجب على الرؤساء المباشرين لرجـــال المخابرات الاهتمام الشخصي في كل رجل مخابرات على حدة ، وتفهم مشاكلهم

ومساعدتهم على حلها،ليكون انصرافهم الى واجبهم كليا ، ثم على الدولة أن تسارع الى منح كل رجل مخابرات أو عميل لها قام بكشف أي خطر يتهدد أمن البلد من تجسس أو تخريب أو دعايات مغرضة لتفرقة الصفوف أن تمنحه المكافأة الفورية تشجيعا له ولزملائه ولرفع روحه المعنوية • كما يوجد أيضا واجبات وصفات ضرورية على رجل المخابرات أن يتقيد بها دون طلب ، وهي كونه مثال التهذيب والاخلاق في معاملة المواطنين ليعطي انطباعا طيبا عن المخابرات في بلده، كما يجب عليه المحافظة على سرية عمله،وذلك بعدم البوح أمام أقربائه وأصدقائه بأي نوع من أنواع مهمته التي يكلف بها ، بقصد التعالي أمامهم • كما يجب عليه أن يتفادى قدر الامكان معرفة الناس به أنهمن رجالالمخابرات لكي لاتضيع عليه الفرصة التي تسنح لمعرفة الاخطار المحدقة بالوطن ، كما أنه من المؤسف أن بعض رجال المخابرات يعمدون الىاظهار قسم من مسدساتهم التي يحملونها بقصد الدفاع عن النفس عند مداهمة أي خطر لهم ، وذلك في وسائل النقل العامة أو في الطريق ، وذلك للتباهي أمام الاخرين • وأنا أعرف صديقا من المخابرات العربية بقي طيلة ثلاث سنوات وأهله يعتقدونه موظفا في البلدية بسبب حيطته وتكتمه • وهناك الكثير من النصائح التي تفيد رجال المخابرات • وأنا واثق أن رجال المخابرات ومسؤوليتهم في الدول العربية قد تلافوا الاخطاء الماضية ،وهذا يظهرواضحامنالنشاطالملحوظالذيطرأ على أعمالهم،حيث لا يمر يوم الا ونسمع عن كشف شبكة تجسس أو عميل لاسرائيل وأميركا ، وهما الدولتان الوحيدتان اللتان يهمهما معرفة أسرار وقوة الدول العربية ، وبقي حقيقة واحدة نقولها ، وهي أن اسرائيل منذ وجودها عام ١٩٤٨ ليس لها سوى طلب معرفة ما يجري في البلاد العربية من تسلح ، وما لديها من قوات وعتاد ، لذلك لجأت منذ تأسيسها الى شراء العديد من ضعفاء الضمائر في البلاد العربية ، وجعلتهم يعملون لحسابها، وينظمون شبكات التجسس العديدة في عواصم الدول العربية جميعا ، حيث تعمد المخابرات الاسرائيلية الى ابقاء أكثر من شبكة تجسس في كل من دولة عربية ، حتى اذا صدف أن كشفت احدى هذه الشبكات تبقى الاخرى تتابع عملها التجسسي ، بالاضافة الى أن اسرائيل تدفع ألوف الدولارات للصرف على هذه الشبكات ، وأن أهم أسباب تورط بعض أبناء الدول العربية في العمل

لصالح المخابرات الاسرائيليــة هو ضعف الحالة المادية ، والرغبة لــدى بعض المتهورين بالعيش في الملذات والملاهي . لذلك فقد أعلنت المخابرات الحربيــة بالقاهرة في شهر كانون الثاني ١٩٦٨ بأنها ستساعد كل من تورط مع العدو وبنشاط تجسسي بالتهديد أو الاغراء ، وأنها على استعداد للتغاضي عن كل ما أقدم عليه أي مواطن عربي ، وما عليه الا أن يتقدم باعلامها أواعلام أيــة سفارة عربية في الخارج عن تورطه وسيصار الى مساندته للخلاص مهمــا كان منغمسا في التجسس وذلك لتفويت الفرصة على المخابرات الاسرائيلية ، وحبذا لو تحذو جميع المخابرات العربية حذو المخابرات الحربية بالقاهرة عن التغاضي عن المتورطين في أمور التجسس ، وطلب اعلامهم المخابرات حالا ، مع تأمين مستقبلهم وضماناتهم ، وبذلك سوف تخسر اسرائيل من اعتقدت أنها اشترتهم الى الابد .

وقد أسفرت هذه الخطة من قبل المخابرات العربية عن ثمارها ، حيث تقدم سبعة من المواطنين الى المخابرات العامة بمعلومات ، يوضحون فيها عن تورطهم مع المخابرات الاسرائيلية ومع مخابرات بعض الدول . كما علمنا أن شخصا آخر كان قد تورط في العمل مع المخابرات الاسرائيلية تقــدم من نفسه الى وزارة الداخلية ، تحت الاجراءات الكفيلة بحمايته والتغاضي عنه . كما جاء في بيــان السيد رئيس الجمهورية العربية المتحدة الرئيس جمال عبد الناصر الذي وعــد بضمانة وحماية كل من تورط بالتجسس لاي سبب . ومن المعروف عن اسرائيل أنها لا تدع وسيلة من الوسائل للحصول على المعلومات الا واتبعتها مهما كانت. وليس أوثق من اعتراف كبير مراقبي الهدنة في فلسطين سابقا الجنرال (فون هورن) في مذكراته التي نشرت أخيرا ، بأن بعض اليهوديات الجميلات حاولن اصطياد ضباطه بالطرق اللاأخلاقية ، وان احداهن طلبت من أحد ضباط الهدنة اصطحابها معه الى القدس العربية (قبل الاحتلال) كزوجــة ، ولكنه رفض ، وأعلم الجنرال بذلك .



الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وقد أعلن بنفسه حماية كل من يتورط في التجسس شريطة أن يتقدم للسلطات المختصة بكل ما وصل إليه

كما أننا نجد أن هروب المجند أ ـ ع الى اسرائيل عام ١٩٥٧ حيث استقبله الملازم الاول موسى رئيس فرع مخابرات طبريا حينئذ ، ورحب به وجعله موضع حفاوة المخابرات الاسرائيلية • وفي اليوم التالي على وصول هذا المجند لاسرائيل فاجأه الملازم الاول بنبأ منحه رتبة رقيب، وقبوله في جيش الدفاع الاسرائيلي مقابل هروبه من الجيش ومنحه اجازة شهر مقدما ، مع تسليمه الراتب الكامل لرقيب في

الجيش الاسرائيلي ، وهو مبلغ ٣٨٠ ليرة اسرائيلية وتعيين عريف يهودي كمرافق له ، لكي يتعرف على للمعالم والاحياء الاسرائيلية في المدينة والثكنة الى حين التحاقه بالخدمة الفعلية لدى انتهاء اجازته ، التي منحها باعتباره بحاجة الى إجازة نظرا لاجتيازه للحدود ، وتعرضه لاطلاق النار عليه .. الخ .

هذه الطريقة من قبل المخابرات الاسرائيلية تعتبر من الطرق الجديدة في الحصول على ثقة عملائهم . حيث أخذ يتجول مع مرافقه في طبريا ومنتزهاتها وأماكن اللهو فيها . وفي احدى الليالي دعاه مرافقه الى السهر مع فتاة يهودية جميلة في أحد الملاهي ، فتعلق أ ــ ع بالفتاة اليهودية التي كانت من المخابرات الاسرائيلية ، وأصبح يطلب من مرافقه يوميا السهر معها ، حتى صرح له مرافقه بأنه اذا أراد الزواج منها فما عليه الا أن يقدم طلبا بذلك ، وفعلا تقدم بطلب ، وجرت الموافقة عليه . وجرى عقد زواجه في الثكنة على يد خاخام الجيش (زواج صوري) ، ومنح بعد ذلك منزلا من منازل الرقباء ، التي تقع على اليمين من مدينة طبريا . وكان الخائن سعيدا بهذا الزواج . وبعد يومين حضر الملازم الاول موسى ، ليطلب مرافقته الى الثكنة نظرا لطلب مندوب اذاعة اسرائيل اجراءمقابلة معه . وفعلا أجريت المقابلة بترتيب من المخابرات الاسرائيلية التي لقنت الخائن الجواب ، حيث كان في حالة نفسية طيبة بالنسبة لما حصل عليه من رتبة ومال ومنزل ، وفوق كل ذلك امرأة جميلة ، يحسده عليها حتى الضباط الاسرائيليون أنفسهم.فقد كانت تملي عليه الاجابات التي يريدها رجال المخابرات الاسرائيلية.

رجع الى زوجته التي أخذت تستجوبه بدقة من حيث لا يشعر عن الاماكن الاستراتيجية في الخطوط الامامية ، وكان بطبيعة الحال يعتقد حسب ثقته فيها كزوجة أنها انما من حقها أن تسأله مثل هذه الاسئلة ، وهو لا يدري ، بأن نص الغرفة التي يقيم فيها مع زوجته المزعومة مملوءة بالميكروفونات اللاقطة التي تنقل كل كلمة يتفوه بها الى آلات التسجيل المنصوبة في غرفة مجاورة . والتي يديرها ويراقبها ضباط المخابرات الاسرائيلية . حيث أخذ يفيض بالحديث عن جميع ما يعرفه عن الاماكن العسكرية . وبعد مضي عدة أيام على ذلك لم يبق مكان في المنطقة الا ودل عليه ، وعلى ما يوجد فيه من أسلحة مختلفة . وعندما لم يبق في ذاكرته أية معلومات عن هذه المنطقة فوجىء بأمر نقله الى منطقة ثانية

مقابلة للخطوط العسكرية أيضا • واتبعت معه زوجته نفس الطريقة الماضية في استدراجه للتحدث عن نوعية الاسلحة الموجودة في هذه المنطقة أيضا • وهكذا جرى نقله مع زوجته على طول الخطوط الامامية • وكان يعطي المعلومات عن جميع ما يعرفه بصورة عفوية ، ومضى على هذه الحال حوالي الشهرين ، حتى تأكد للمسؤولين في المخابرات الاسرائيلية أنه لم يعد ذا نفع لهم لانتهاء مالديه من معلومات ، فوجد نفسه بين ليلة وضحاها يعتقل ويوضع في زنزانة منفردة في سجن طبريا العسكري • واذا رجعنا للخطوط الامامية المقابلة ، وعرفنا ما حصل نتيجة هروبه الى السلطات الاسرائيلية لتعجبنا ، لان السلطات العسكرية عندما اكتشفت هروبه الى اسرائيل اتخذت احتياطات أمن مشددة ، وهي تعرف أن إسرائيل سوف تحصل منه على المعلومات بأي طريقة كانت • ولذلك وفي نفس الليلة التي اكتشف هروبه فيها لم تبق قطعة سلاح في الجبهة، الا وجرى تبديل مكانها حيث كلفت الخزينة آلاف الليرات قيمة محروقات الاليات التي تحركت ، لتبديل أمكنتها•هذا ولم تستفد اسرائيل من المعلومات التي حصلت عليها منه بهذه الطريقة اللاأخلاقية ، بينما قامت اسرائيل بتسليمه للسلطات العربية عن طريق لجنة الهدنة المشتركة مقابل استرجاعها بعض العسكريين المعتقلين • وجرى التحقيق معه حالا من قبل المخابرات العربية ، حيث تكلم عن الطريقة التي ذكرناها ، والتي أتبعتها معه المخابرات الاسرائيلية ، عوضا عن التعذيب وقلع الاظافر والارهاب • وجرى الحكم عليه بالاعدام من قبل المحكمة العسكرية العرفية ، بموجب الاحكام العرفية ونفذ فيه حكم الاعدام في احدى قرى الحدود ليكون عبرة لمن تسول له نفسه السير في هذا الطريق ، طريق الخيانة ـ واذا كان لدينا من تعقيب على هذه القضية ، فانه يكون عن نفسية الحكام الاسرائيليين ومخابراتهم في استعمال هذه الاساليب الدنيئة التي لم نسمع بها من قبل مطلقا •

خبير بريطاني عميل للسوفييت

ولمتابعة البحث في موضوع اصطياد العملاء ، وجعلهم يعملون لصالح دولة ثانية نجد الكثير من الادلة على مختلف مخابرات العالم • وكل منها لها طريقتها الخاصة في اكتساب العملاء • فنجد أن المدعو دوكلاس ورنلاد برتين (كبير الخبراء التقنيين في سلاح الجو الملكي البريطاني) قد تورط بالعمل مع المخابرات السوفياتية طوال ست سنوات • والمذكور سبق أن عمل مع السلاح الجوي البريطاني في العراق قبل الاستقلال ، ثم في قناة السويس وأخيرا في قبرص •

كيفية اصطياده :

كان دوغلاس قد تزوج من احدى المتطوعات في سلاح الجو البريطاني في قبرص وعند عودته الى لندن تراكمت عليه الديون ، مما أثر في حياته الزوجية وسعادته • وبينما كان يتجول في أحد الايام في متحف لندن اقترب منه شخص وعرفه على نفسه بأنه روسي ، ومن هواة الاستماع الى أجهزة اللاسلكي خصوصا الموجات القصيرة • وقد سأله عن امكانية تزويده بنسخة من كتاب صدر أخيرا في لندن عن المحولات من طراز (١١٥٤) مقابل عشرة جنيهات استرلينية • مع أن الكتاب ثمنه في المكتبات العامة (نصف جنيه استرليني) • وفعلا اشترى له الكتاب بمعرفة احد أصدقائه ، وتقاضى منه العشرة جنيهات • وبعد مدة صدر الامر بعودة دوغلاس الى قبرص ، فأعلم الروسي بذلك بعد أن أصبحا صديقين• فقال له ، انه سيزوده بكتاب الى أحد معارفه في (فاما غوستا) • وبالفعل اجتمع دوغلاس بالرجل في قبرص وركب معه في سيارة تحمل اللوحة الدبلوماسية ، وفي الطريق طلب منه تزويده بمعلومات ذكر أنه لا ضرر منها لقاء بعض المال الذي يحتاجه •

طلب المعلومات عن الاسرار الجنسية للضباط البريطانيين في قبرص :

كانت المعلومات التي ذكرها بأنها لا ضرر منها تتعلق بمسلك الضباط البريطانيين • ومن منهم له عشيقة واسم عشيقته اذا أمكن ، من منهم يمارس

الشذوذ الجنسي ، ومن من زوجات هؤلاء الضباط تمارس البغاء ، سواء مع الانكليز أصدقاء أزواجهن أو مع السكان المحليين • وفعلا اجتمع دوغلاس معه مرة ثانية ، وكان بصحبته امرأة حسناء ذكر له أنها زوجته ، فأعطاه أسماء ثلاثة من الضباط الذين لهم أسرار جنسية • وبالمقابل أعطاه الرجل الروسي مبلغا من المال • وقد حاول دوغلاس الانسحاب من منتصف الطريق من هذا العمل ،ولكن حاجته للمال كانت تدفعه لتلبية أول طلب من الروس حتى انغمس كليا في العمل معهم • حيث جرى تزويده بأوعية لاخفاء المعلومات فيها • ومن بينها صحيفتا بيرة لهما قعر مزدوج ، ووعاء مغناطيسي يلصق تحت المقعد أو في أي قطعة حديدية ، وزود بآلة تصوير (ميفركس) حديثة • وطلبوا منه تصوير مركز عمله من الداخل لقاء بعض المال ، ففعل حتى عام ١٩٦٦ ، حيث أعيد الى لندن • وفي لندن عاد الى التعامل معهم لقاء مبالغ متفاوتة ، حيث كان يجتمع مع شخص يدعى (يوري)[1] أخذ يهدده بفضحه اذا لم يعطهم ما يطلبون منه • فأذعن دوغلاس للامر ، وزوده هذه المرة بجهاز لاسلكي ، قاموا بتدريبه على استعماله بعض الوقت في بلدة (أرنوس غروف) • وبعد ذلك أعطوه طول الموجة التي يتصل بها مع موسكو مباشرة (المخابرات الروسية) • وبقي يتصل معهم ، ويزودهم بالمعلومات حتى تم اعتقاله في منزله • ولم تعلن (الانتجانس سرفيس) المخابرات البريطانية عن كيفية اعتقاله،بل أعلنتعن العثور على جهاز اللاسلكي في منزله وآلة تصوير (ميفركس) ومختلف أدوات التجسس ، وفك الرموز التي ترد له بواسطة جهاز اللاسلكي الذي يشبه جهاز الراديو العادي•

أما دوغلاس فقد اعترف اعترافا كاملا بتوريطه في العمل مع الروس ، لقاء مبلغ حوالي /٨٠٠/ جنيه استرليني بالاضافة الى التهديد الروسي الذي لم يعفه من الحكم عليه (٢١ سنة) ، بتهمة اعطاء الروس أسراراً تضر بالامن البريطاني ، وتفيد الاتحاد السوفياتي خاصة في مجال الطيران • وليس دوغلاس

---

(١) اتضح أن يوري هو الاسم المستعار للملحق الثقافي الروسي في السفارة السوفياتية بلندن المدعو الكسندر ايفانوفتش بوريستكو الذي غادر لندن بعد القاء القبض على دوغلاس مباشرة •

هو الوحيد من الذين تورطوا في العمل لصالح المخابرات الروسية تحت ظروف معينة ، فهناك العشرات الذين تم ويتم تجنيدهم للعمل في المخابرات من خارج سلك المخابرات ، حيث تتوفر فيهم أدق الاسرار • وهؤلاء تجري مراقبتهم بدقة واسعة ، حتى تعرف المخابرات نقطة الضعف لديهم ، فتنقض عليهم بطرقها المختلفة • ونحن إذ نقدم للقارىء الكريم هذه الوقائع من أوثق المصادر ، ومنها أقرب الناس الى هذه الاسرار والوقائع ، وهو نفس جهاز المخابرات • ولكننا راعينا في المادة التي ننشرها ليطلع عليها المواطن العربي في كل مكان ، أن تكون هذه المادة غير مفيدة للعدو • لذلك أدرجنا ما قد مضى الوقت عليه ، وراعينا الرموز للدلالة على بعض الاشخاص • بينما بقيت مواد الكتاب العلمية والتاريخية ثابتة ، وجرى استقاؤها من مصادرها الاصلية •

نعود الى شرح موجز عن كل جهاز مخابرات في العالم على حدة ، ونبدأ في شرح كاف عن المخابرات السوفياتية في الاتحاد السوفياتي • والتي اعترف النقاد العسكريون وكبار رجال المخابرات الغربيين بأنها أحدث جهاز مخابرات في العالم • حيث يضم الجهاز الرسمي للمخابرات أكثر من سبعين ألف موظفا ، عدا عن واجب الجميع بالتجسس الطوعي ، واعلام المخابرات السوفياتية أولا بأول ، عن كل ما يمس بأمن الاتحاد السوفياتي •

دائرة معارف للجاسوسية العالمية :

أصبح للجاسوسية مؤخرا دائرة معارف تقص سير أعلامها من جواسيس عصرنا المبرزين • مؤلف هذه الموسوعه التي تقع في نحو ٧٠٠ صفحة جاسوس انكليزي سابق اسمه رونالد سيت • مارس الجاسوسية وأعمال التخريب أثناء الحرب العالمية الثانية . ووضع عددا من الكتب حول هذا الموضوع ، ثم عاد فغربل كتاباته وتخير أجودها وأودعه في هذا الكتاب •



المخابرات السّوفييتيّة منشؤوها

يرمز الى المخابرات السوفياتية NKVD ، وموظفوها من العسكريين والمدنيين الروس المختارين بدقة متناهية ، لانــه من المعروف أن انتقاء رجال المخابرات الروس لا يتم بتقديم الطلبات وانتقاء البعض من المتقدمين ، مثل المخابرات الاميركية • بل كان من قبل المسؤولين في المخابرات ، والذين يختارهم الكبار في الحزب الشيوعي • وهم بدورهم يختارون ما يريدون من الموظفين الاذكياء في وزارة الداخلية والخارجية والتربية والتعليم،على أن يكونوا من الحزب الشيوعي أو مرشحين للحزب ، أو من أعضاء منظمات الشباب الشيوعية • كما يراعى في اختيارهم أن يكونوا من عائلة معروفة ليس فيها خائن ، أو مشبوه عرف بعدائه أو انتقاده للثورة الشيوعية ، والشاب الـذي يحصل على مركز في المخابرات السوفياتية يعتبر من الاشخاص المحظوظين ، ويعتبر من فئة خاصة [illegible] المو[illegible] حتى ان الذي يحصل على هذا المركز يكون له من الصفات أكثر [illegible] [illegible] عسكري ، وينال من العطايا والمخصصات المادية مالا يحصل عليه أي موظف [illegible] في الوظائف الثانية،عدا عن مميزات [illegible] [illegible]ته الخاصة

بعد ذلك في الحزب. وجهاز المخابرات الروسي تضخم مع الايام ، وامتدت أعماله الى مختلف بلاد العالم حتى اكتسب الصفة العالمية . ولما كان هذا الجهاز من اختيار الحزب الشيوعي الحاكم ، لذلك فهو يتمتع بثقة الحزب والحكومة القائمة بنحو أفضل من جهاز مخابرات الجيش التابع للقيادة العامة للقوات السوفياتية المسلحة . ومنذ عام ١٩٤٨ كان جهازا المخابرات يعملان معًا كجهاز واحد، ولكن سيطرة المخابرات الحكومية كانت واضحة على المخابرات العسكرية . أما اذا نظرنا الى مهمات الجهازين فنراها مهمات لا حدود لها ، تشكل كافة أعمال المخابرات لصالح الاتحاد السوفياتي في جميع أنحاء العالم .

وفي عام ١٩٥٨ وضع خرشوف أخلص رجاله في رئاسة المخابرات السوفياتية العسكرية ، وهو الجنرال (ايفان سيروف) ليطمئن اليه في نقل كافة حركات كبار ضباط الجيش . أما نظام المخابرات الاخر والخاص بالحزب فقد بلغ من التضخم،حيث امتدت شباكه الى أطراف العالم . وأصبح العين الساهرة للحكومة السوفياتية في روسيا ، والخارج . وهذا الجهاز يعمل في الخفاء ، وعلى استعداد لتنفيذ رغبات الحكومة السوفياتية ، مهما اختلفت هذه الرغبات بما في ذلك التدخل في شؤون الدول التي يهم الحكومة السوفياتية التدخل فيها أو لها مصلحة في ذلك .

اصل المخابرات السوفياتية

ان نظام المخابرات، أو ما يسمى : (البوليس السري) كان مما ورثه الحزب الشيوعي الحاكم عن القياصرة الذين قصدوا من انشاء البوليس السري في حينه (المخابرات) حماية العائلة المالكة . ولهذه الغاية قام الجهاز بالاطلاع على كل شيء من داخل روسيا ، وحتى في خارجها بواسطة مخبرين محترفين ، حيث كان الثائرون خارج الاتحاد السوفياتي وداخله ينظمون أنفسهم (الشيوعيون) ،حيث علمنا أنّ لينين عندما كان في براغ عام ١٩١٢كان يقيم معه جاسوس من البوليس السري القيصري ، يتابع حركاته ، وينقلها الى رؤسائه في العهد القيصرى . وكان غرض القياصرة في ارسال هؤلاء الجواسيس الى الخارج معرفة نشاط المقاومة والعمل الثوري (الشيوعية) ، وبث التفرقة بين الشيوعيين .

الشيوعيّون في الحكم

وعندما ظفر الشيوعيون بالحكم عام ١٩١٧ أنشأوا جهاز بوليس يدعى جهاز (الشيكا) مهمته مطاردة أعداء الثورة الشيوعية ومعارضيها . وكان مدير هذا الجهاز هو (فلمكس زربهنكي) ، واستطاع هذا الجهاز بما جمع لديه من مخبرين القضاء على جماعات كثيرة ، بحجة عدائهم للثورة ومعارضتهم للحكم الشيوعي الجديد . ولما فشل أعوان القياصرة والثوار البيض في معارضتهم مع الشيوعيين هربوا الى خارج الحدود ، وأصبح الان دور الشيوعيين في ارسال العيون والجواسيس لمعرفه الوسائل التي تساعد فيها الدول الاجنبية خصومهم ، واستعمل الشيوعيون للوصول الى غاياتهم هذه بعض الوسائل القاسية،كاستعمال الوسائل غير المشروعة من خطف، وقتل للخصوم في الداخل والخارج ، سواء في باريس عام ١٩٢٦ حيث قام الجواسيس السوفييت بقتل الجنرال (تبليورا) الذي كان قائدا للوطنيين الاكرانيين ، ولجأ الى باريس لدى استلام الشيوعيين الحكم، وأرسلوا جواسيسهم حتى تمكنوا منه في نفس باريس . وفي عام ١٩٣٠ قام الجواسيس السوفييت بخطف الجنرال (كوتيوف) الزعيم الروسي الابيض وأحد مشاهير المعارضين للثورة الشيوعية عام ١٩١٧ ، حتى تروتسكي الشاعر الروسي المشهور الدي هرب من روسيا لم ينج من الاغتيال بأمر ستالين بالذات، حيث قتل بفأس في مدينة مكسيكوسيتي تنفيذا لخطة موضوعة من المخابرات السوفييتية .

وفي عام ١٩٣٤ تطورت المخابرات السوفياتية خصوصا بالنسبة للشؤون السياسية ، وأصبح اسمها المصلحي (M K F D) وفي هذه السنة بدأت الجهود لجمع مختلف الاجهزة البوليسية في وزارة واحدة .

من حيث تضخم المسؤولين على المخابرات في الداخل والخارج بتضخم الجهاز ، حتى أشيع في عهد ستالين أنه من بين كل خمسة أشخاص كان يوجد (مخبر) . وهذه أعظم نسبة تجسس سمعنا به في العصر الحديث . والواقع أن السوفييت قد ارتقوا بفن الجاسوسية الى غاياتهم المطلوبة ، وسبقوا بذلك معظم الامم الاخرى . مما دعا أميركا وحلفاءها الى توسيع مخابراتها وجهازها ، لمواجهة نشاط المخابرات السوفياتية .

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية قام المسؤولون السوفييت بتعديل نظام المخابرات ، فأصبح مجددا يقسم الى قسمين : القسم (K.G.B) والقسم M.F.D أعمال القسم K.G.B كانت الاهتمام بالتجسس الخارجي ، والتحقيق في الامور الداخلية الخطيرة .

أما أعمال القسم M.F.D كانت الشؤون الداخلية العادية والتجسس على المشبوهين في الداخل ، وهذا لقسم كان يتبع زعيم البلاد . لذلك كان الرؤساء يحاولون دائما اضعاف هذا الجهاز ، حتى لا يتمكن من السيطرة على الرؤساء أنفسهم .

ستالين يعتمد على المخابرات

استفاد ستالين من المخابرات M.F.D بالقضاء على حركة الفلاحين ومن ثم القضاء على حركة المعارضين والمخالفين . حتى اذا تم له ما أراد ، قام بتصفيه القسم M.F.D ،والذي قام بالتصفيات الماضية لان مدير هذا القسم وكبار موظفيه، كانوا يعرفون كل شيء عن ستالين وأعماله،مما دعاه الى اقصائهم ،ليبقى على حياته وحكمه .

وبعد وفاة ستالين عام ١٩٥٣ ترك جهاز مخبرات قويا جدا،مما دعا خلفاءه في الحكم الى اقصاء رؤسائه المشهورين مثل (لافرتي وبريا) وانصارهما ، ونقلهم من المخابرات الى مراكز مدنية ، لشل حركتهم . وعندما كان خرشوف يخطب أمام الحزب الشيوعي عام ١٩٥٦ منتقدا سياسة ستالين كان انتقاده منصبا على المخابرات . وبعد ذلك قام بتنظيف الجهاز . وأعلن تبديل اسم (وزارة الشؤون الداخلية) الى وزارة العدل والنظام . كما وعد بان لا تحدث في عهده محاكمات سرية ، كما كان يحدث أيام ستالين ، وأن تنشر المحاكمات على الناس في وضح النهار . ومن ذلك فقد استمرت المراقبة العادية وصدر قانون في عام ١٩٦٣ تضمن نظام المراقبة حيث جعل من كل عامل في البلاد رقيبا على تنفيذ الاوامر للحزب والحكومة السوفياتية ، وعين (الكسندر شيلين) لرئاسة تنفيذ القانون الجديد .

جهاز المخابرات السوفياتي الخارجي

اكتسبه جهاز المخابرات السوفياتية الخارجي خلال هذه السنين الطويلة بعد الثورة كثيراً من الخبرات والتجارب التي حملها اليه رجال من جميع أنحاء العالم . ومما زاد في مكانته احتفاظه بالاسرار رغم جميع الاحداث التي جرت في الاتحاد السوفييتي ، بالاضافة إلى أن هذا الجهاز يضم اليوم بين أعضائه رجالا أقوياء وذوي خبرة طويلة ، نتيجة عملهم المختلف الاغراض ، مما زادهم خبرة وحنكة . وتجد منهم من قضى حوالي ٢٠ أو ٣٠ سنة في الخدمة . كما أحيل للتقاعد مؤخرا ضابط من هذا الجهاز امتدت خدماته إلى أيام القيصر قبل الثورة الشيوعية .

مكافحة المخابرات السوفياتية لأجهزة استراق السمع

بعد تفشي وكثرة أدوات استراق السمع الحديثة عمدت المخابرات السوفياتية حين استئجار أبنية ومكاتب في البلدان الاجنبية الى بناء جدران وسقوف وأرضيات جديدة بالمرة ، تغطي الجدران والسقوف والارضيات القديمة للغرف الرئيسية ، اذا كان البناء مستأجرا ليصبح سفارة . فان هذه العملية تتم لغرفة السفير ، ثم غرفة الملحق العسكري ، واللاسلكي ، ومكاتب المخابرات وغرفة (مقسم التلفون) . وتتبع ذلك الغرف الاخرى حسب أهميتها[1] وهذا يقضي على امكانية وجود أجهزة استراق سمع تكون قد زرعت فيها ...

---

(1) بالنسبة لاستراق السمع التجسسي اذا اشتبه شخص ما بأن هناك من يستمع اليه عبر ميكروفون مزروع في غرفته ، فما عليه سوى فتح الراديو أو جهاز التسجيل ورفع صوته الى أعلى درجة لان الموسيقى العالية تطغى على صوت الحديث الذي يفترض بالجهاز التقاطه لان الجهاز خلافا للاذن البشرية لا يستطيع تمييز الاصوات .

صفات الجواسيس السوفييت

واذ استعرضنا على مر الايام بعض رجال المخابرات السوفييت ، نجدهم جواسيس من الطراز الاول في علم التجسس لان أغلبهم من مدرسة المخابرات التي جاء ذكرها في مكان آخر من هذا الكتاب ، وهم يحبون عملهم كثيرا ، بل يضحون بأنفسهم في سبيل الاتحاد السوفياتي . ومنهم من يعتنق مبدأ (الغاية تبرر الواسطة) للوصول الى مهماتهم التي تطلب منهم . وقد علمنا أن بعض الامور التي تهم أمن الاتحاد السوفياتي ، دعت الى وجود ضابط كبير برتبة جنرال في احدى سفارات الاتحاد السوفييتي في الخارج ، ولم يكن هناك مجال في السفارة لقبول الجنرال برتبته لتنفيذ مهمته مما دعا المسؤولين عن المخابرات الى تكليفه (بمهمة سائق) في السفارة . مع أنه أعلى رتبة من السفير بالذات . وهذا دليل على اخلاص السوفييت في العمل في مخابراتهم . ومن الامثلة الاكثر غرابة في ذلك أن شقيقة الجنرال (ف٠س٠أ) قبض عليها أثناء الحرب العالمية الثانية بتهمة الاتجار بالسوق السوداء ، واتصل المسؤولون بشقيقها رغبة منهم في توسطه لاخلاء سبيلها ، ولكنه غضب غضبا شديدا وقال لهم : ألا تعرفوا أن عقوبة الاتجار بالسوق السوداء هي الاعدام ؟ وفعلا نفذ فيها حكم الاعدام .

ونفس الجنرال (ف٠س٠أ) كانت نهايته مشابهة ، فقد جرى تطهيره بعد وفاة ستالين مع العديد من أعوانه .

إعداد الجاسوس السوفياتي في أمريكا المصغرة

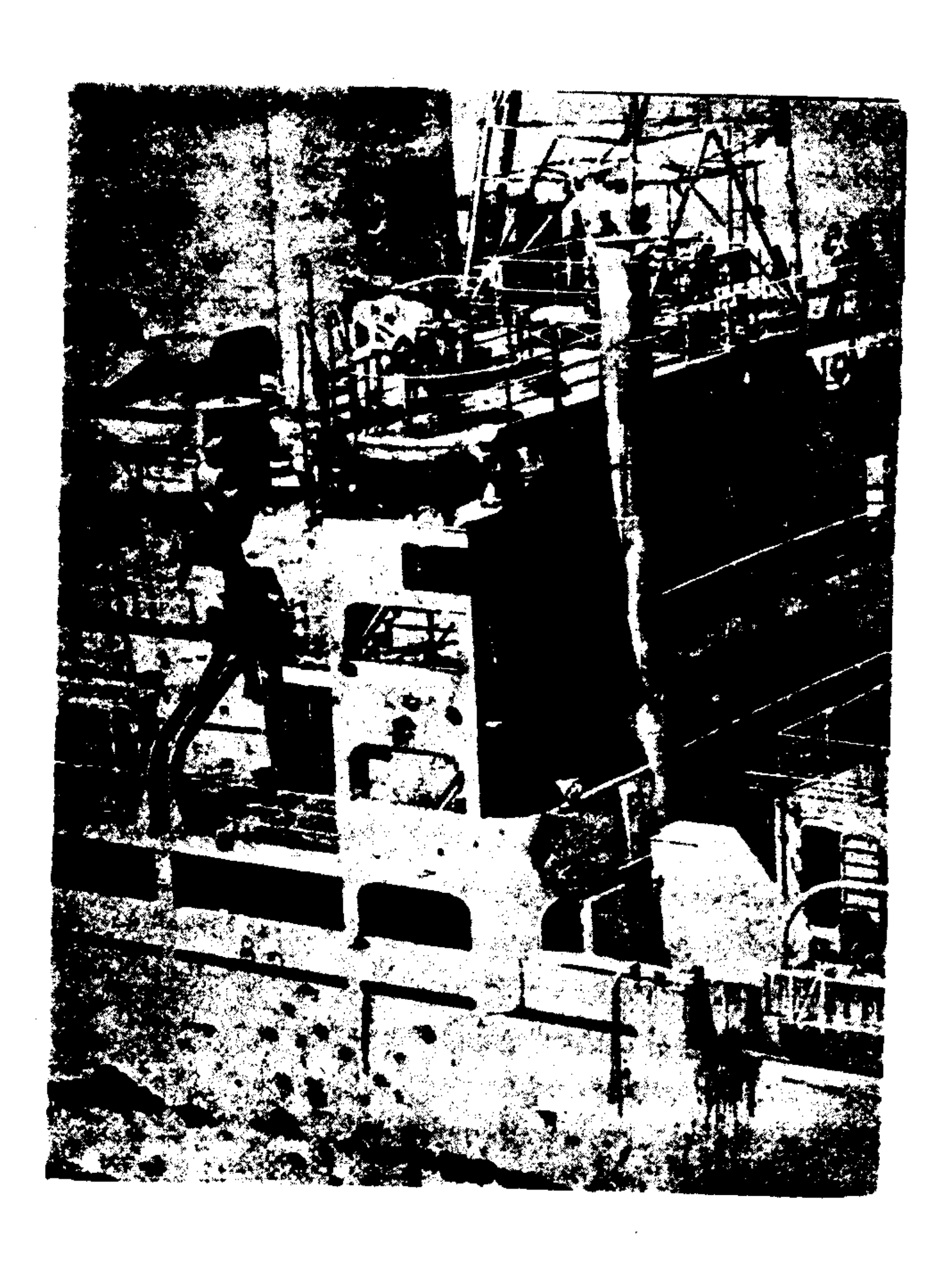
عمدت المخابرات السوفياتية الى مضاهات المخابرات المركزية الاميركية بكل جديد ومبتكر من التجسس وزرع الجواسيس . وبالاصل تدريبهم في جو مثل جو الولايات المتحدة نفسها . فانشأت (أميركا مصغرة) على بحر البلطيق ، مخصصة بكاملها لتكون نسخة طبق الاصل عن الولايات المتحدة . ويتعجب المرء حين يدخلها من مركز المراقبة : هنا نيويورك ، وهناك سان فرنسيسكو ، وهذه شيكاغو ، وتلك ميامي .

سكان هذه الولايات المتحدة أو الذين اختيروا ليكونوا من سكانها (رجال المخابرات) ، يبدأون صباحهم بترويقة حليب مع الكورن فليك ، ويشربون

القهوة الاميركية ،يتغدون الستيك أو الهمبرغر أو التشيز برغر مع الفرنش فرايز، ويشربون الآيس تي ، أو يلحقون بعد ذلك الساندي أو الآيس كريم ، ويدفعون ثمن كل ذلك بالدولار ، والسنت والحديث دائما باللهجات الاميركية الصرفة ؛ النيويوركي يتحدث بلهجته الخاصة ، والتكساسي بلهجته المميزة والنيويوركي يعرف منهاتان وبروكلين وكوينز وبرونكس ؟ ويتحدث بالبرامج الثقافية والمسرحيات التي تمثل كل يوم في برودواي شارع الملاهي • ويتأفف من كثرة الزحام ، وينزعج من الهيبين في سنترال بارك ، ويتمشى في (ولهستريت) في داوتنان ، ويقود سيارته البويك الى الاوبتان عند جامعة كولومبيا مارا بحي (هارلم) يوما ويتجنبه يوما آخر (نيويورك المصغرة) ، هذه تقع ضمن الاراضي

السوفياتية (لتدرب رجال المخابرات السوفياتية ، مثلها سان فرانسيسكو وديترويت وسينسناتي) •

السوفياتي الذي يختار للاقامة في (الولايات المتحدة) المصغرة بمجرد أن يدخلها ، ينسى أنه سوفياتي (برنامج التدريب) ، لا ياكل طبخة سوفياتية ، ولا يرتدي بزة سوفياتية ، ولا يركب سيارة سوفياتية ، ولا يسكن في منزل سوفياتي • وهنا كل شيء أميركي في البيت ـ في المطبخ ـ غرفة النوم ـ التدفئة والتبريد المركزيين ، أفلام رعاة البقر، الموسيقى الحديثة جميع المجلات والصحف الاميركية الصادرة في أميركا تصل تباعا الى أمريكا السوفياتية عن طريق السفارة الروسية في واشنطن ، اللباس الاميركي المتجدد ، مغازلة النساء في السيارات ، المبيع بالتقسيط السوبر ماركت • باركينغ السوفياتي في (أميركا المصغرة) يشتري الاسهم عبر (البروكر) في وول ستريت نرى اسهم كرايزلر ارتفعت ، وأسهم لوكهيد هبطت قيمتها ، وأسهم بنسلفانيا سنترال على وشك الانهيار • (كل ذلك تدريب) وبعد ذلك يدور نقاش في الكافتريا حول الاسهم بين هذا (الاميركي) وذلك (الاميركي) • والاثنان (روس) عند انتهاء فترة اقامة الجاسوس في أميركا الصغرى يستعد للسفر الى أميركا الحقيقية ، التي سيدخلها بمئات الوسائل المختلفة • وكأنه من أبنائها الذين ولدوا فيها ، وترعرعوا في ربوعها ، ودرسوا في مدارسها مثل هذا الجاسوس السوفياتي ، ينتهي به المقام



الباخرة (ليبرتي) ويظهر عليها جليا ثقوب عشرات الطلقات التي ضربتها بها الطائرات الاسرائيلية وهي على بعد ١٢ ميلا من سيناء ـ لماذا ضربت ٠ ولماذا اعتذر الضاربون وعوضوا ٠٠ لماذا ٠٠٠ ؟

في الولايات المتحدة الحقيقية وباسم (أميركي)، ويصبح (مزروعا) هناك للقيام بما يطلب منه مستقبلا من أعمال التجسس .

كيف يدخل الجاسوس السوفياتي إلى الولايات المتحدة ؟

طبعا يوجد في اميركا منذ الاربعينات رجال مخابرات سوفياتيون مقيمون بين ظهراني (العم سام) حتى تاريخه ، ولا تكشفهم سوى الصدف أو هروب بعضهم الى أميركا(بمعنى تسليم أنفسهم،وهكذا يحدث مع كل مخابرات العالم). وهؤلاء يقومون بالتفتيش عن جوازات سفر (اميركية) يكون أصحابها من المتوفين ، أو بغير ذلك من الوسائل السرية ، وترسل هذه الجوازات الى موسكو بالبريد الدبلوماسي ، وهناك توضع عليها صور المتخرجين من اميركا الصغرى ، ويتجهوا بها الى بلادهم بشكل (طبيعي) . فاذا قال (الروسي) منهم انه من نيويورك ، فهو فعلا من نيويورك يعرف أحياءها وأرقام شوارعها حتى أصغر أزقتها (الذي يقيم فيه) ، لهجته وتصرفه فرحهوحزنه ، كل ذلك تابع الى جو نيويورك.واذا قال (روسي آخر)انه من شيكاغوفهو منشيكاغوحقا،وهكذا،مع سان فرنسيسكو وميامي ونيوأورلينز ومينابوليس الاميركي صاحب الاسم الاصلي (مات)، أو يقيم خارج الولايات المتحدة لسبب ما، والروسي (يحل محله).رجل الامن العام في المطار أو المرفأ يرى أمامه جواز سفر أميركي ، وشخصا أميركيا بلباسه ومنطقه وتفكيره وحركاته ، فيختم له الجواز بجملة (قادما الى الولايات المتحدة) حسب الاصول وصحة الخروج ، ولا يستطيع أن يقرر او حتى يخطر على باله أن صاحب الجواز — متوفي) وهذه الحالة بالذات تطبق على القادمين للدول العربية أمثال (كوهين) الذي دخل سورية ...

وقد اعطيت (أميركا المصغرة) أفضل النتائج والخدمات للمخابرات السوفياتية . ومن أهم خريجيها أصبحوا من المشاهير في الولايات المتحدة ، ومنهم (روده لف آبل) ، والعشرات (المزروعون) في شتى أنحاء الولايات المتحدة حتى كتابة هذه السطور . وما دامت الحياة يقومون بعملهم حسبما دربوا ، وحسبما يطلب منهم . وهم بالظاهر يمارسون أشغالا عادية مثل سائر مواطني الولايات المتحدة الحقيقيين ، الموظف في شركة طيران (أية وظيفة)

التاجر ـ المعلم ، موظف بلدية ، موظف مالية (مأمور الضرائب) ، شرطي ، سائق تكسي ، وللدلالة على مدى نجاح السوفييت في هـذا المضمـار من المخابرات • لنعد الى عام ١٩٦٠ فقد تعرض (كولونيل) في الجيش الاميركي لحادث اصطدام سيارته مع شاحنة ، وفقد الكولونيل الوعي من الاصابة ، ونقل الى المستشفى • وهناك صعق الاطباء لهذا الكولونيل الذي أخذ ينطق الروسية بطلاقة غريبة أثناء غيبوبته،وتحكم العقل الباطن،فقد تبين أن هذا الكولونيل الذي حارب في كوريا باسم الولايات المتحدة،ويحمل عدةأوسمة حربية تقديرا لشجاعته وأعماله البطولية الفذة لم يكن سوى رجل من المخابرات السوفياتية•وقد زرع في الولايات المتحدة بعد تخرجه من الولايات المتحدة المصغرة ، وقد تدرج في رتب الجيش الاميركي حتى وصل الى رتبة (كولونيل) • كمـا حارب ضـد الشيوعين في كوريا ، وربما قتل العديد منهم وما ذلك الا للتمويه عن حقيقته، لينقل معلومات أهم وأثمن • بل لا تقدر بثمن في بعض الاحيان • ولولا حادث التصادم الذي حصل له لبقي في الولايات المتحدة الى ماشاء الله • •

مدرسة المخابرات السوفياتية الأكاديمية

اما مدرسة المخابرات في الاتحاد السوفياتي ، فتقع في منطقـة غوركـي بالقرب من موسكو ، وتسمى (مدرسة ماركس انجلز) • وهـذه المـدرسة خرجت وتخرج عشرات الجواسيس السوفييت سنويـا • وتعتبـر بالنسبة للجواسيس كمدرسة ابتدائية ، لانهم يقضون فيها أربعة أشهر ، يتعلمون فيها :

١ ـ تاريخ الحركة العمالية •
٢ ـ تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي •
٣ ـ النظام والانضباط والطاعة •

وبعد النجاح ينقل (الطلاب الجواسيس) الى مدرسة لينين التقنية الكائنة في فيركوفنوى بالقرب من حدود جمهورية (التتر) السوفياتيـة • وهنـاك تبدأ فترة التدريب العملي وأول مادة تدرس لهم هي (الرياضة) ، ولمدة شهر كامل لان السوفيات يؤكدون أن العقل السليم في الجسم السليم ، ومـادة

(الرياضة) هذه تشبه ما يتعلمه (الكوماندوس) في اي جيش ، لكي يتعلم الطالب تحمل اصعب الظروف التي يتعرض لها • وتقوم الفتيات المنتسبات للمدرسة بنفس التمارين بدون استثناء ، ولا يخلو الامر من بعض الاصابات الطفيفة بين الجنسين أثناء التمرين • ثم يأتي دور (الرماية واستعمال الاسلحة المختلفة) بما فيها المتفجرات ، فيتعلم الطلاب كيفية الرماية أولا ، ثم أعمال تفجير الجسور والعمارات والسكك الحديدية ووضع القنابل الموقوتة • وابطال مفعول نفس القنابل عند العثور عليها ، بالاضافة الى تفجير الاقفال الاوتوماتيكية والصناديق الحديدية المنيعة • ونقل المتفجرات في علب السجائر والولاعات وأقلام الحبر • ثم يتعلمون تحضير السموم أو المخدرات، ووضعها في المشروبات والسجائر والسيجار • وبالطبع يطلعون على أنسب أنواع المخدرات التي تستعمل لاغراض معينة والوقت اللازم لتأخذ مفعولها مع مميزاتها الخاصة ، ثم تكون الخطوة التالية من التدريب هي كيفية التنصت على الخطوط الهاتفية ووضع ميكروفونات لاقطة عليها لتسجيل المخابرات على آلات تسجيل ، يصل مدى تسجيلها الى خمس ساعات • وتكفي لاستيعاب أي مكالمة ، ومهما كانت طويلة• ثم يأتي التدريب على الشيفرة ، وحلها ، واستعمال أجهزة الارسال (اللاسلكي)، واصلاحها اذا دعت الحاجة • ومن ثم التدريب على التقاط الصور من مختلف (الزوايا) والابعاد والتقاط صور المستندات بكاميرات ميكرونية • وتعتمد ادارة المدرسة اجراء امتحانات نظرية ، وعملية دقيقة قبل نهاية كل مادة دراسية للتأكد أن للطلاب القدرة على استيعاب ما يدرس لهم ، والطلاب الذين يحصلون على علامات ضئيلة تفرض عليهم فترة تدريب اضافية • ونادرا ما يكون أحد هؤلاء (الطلاب الجواسيس) المختارين بدقة غير صالح (للمهمات الخاصة) •

يضم برنامج التدريب دراسات عن الامن الداخلي والقانون بشكل عام ، والاستراتيجية العسكرية ومكافحة التجسس ومراقبة الجواسيس وكيفية التهرب من (مراقبة الآخرين) مع دراسات كاملة عن اللغات الانكليزية والفرنسية والعربية والتركية واليونانية والصينية والالمانية والاسبانية •

وبعد الانتهاء من دراسة هذه المواد ، وخلال مدة سنتين ونصف يقضيها الطلاب في هذه المدرسة تبدأ الامتحانات العسيرة من قبل ضباط المخابرات

والمختصين (المدرسين والخبراء) في المقر العام ، ويصنف الناجحون بعد ذلك في قسمين :

١ ـ قسم يؤهل للعمل خارج الاتحاد السوفياتي ٠
٢ ـ قسم يؤهل للعمل داخل الاتحاد السوفياتي ٠

ثم يمنح الطلاب اجازة مدتها (شهر) يقضونها في معسكر خاص قرب الينابيع المعدنية في القوقاز ليعودوا ويضعوا أنفسهم تحت تصرف (ادارة المخابرات السوفياتية) ٠

التدريب لم ينته :

التدريب المفاجىء في المخابرات السوفياتية والذي لم يكن بالامكان معرفته ولا يوجد سوى في هذه المخابرات هو الاعتقال التدريبي ٠ فقد ظن جميع (الطلاب الجواسيس) أنهم انتهوا من التدريب ، وقضوا عطلة ممتعة استعدادا لبدء العمل ٠ ولكن قبل ان يسند اليهم أي عمل تقوم اللجنة الفاحصة بآخر مرحلة من مراحل اختبار (جواسيس المستقبل) ٠ فيجري اعتقال الطلاب بشكل افرادي ومنظم ، ولا يعلم (الطالب الجاسوس المعتقل) اذا كان طالبا آخر يشاركه الاعتقال ٠ ولا يدري سبب اعتقاله المفاجىء ٠ وفي قسم التحقيق يجبر الطالب على الوقوف أمام حائط بدون حركة ٠ وأن يمسك يديه خلف رأسه ، ويبقى هكذا عدة ساعات متتالية وكافية لكشف ما يخبئه في نفسه ، لان هذه الوضعية المؤلمة لشخص حساس وحسب اعتقاده انه مؤتمن حزبيا تجعله يكاد ينفجر ، ويتصبب منه العرق ٠ وعندما يحاول القيام بأي حركة يهدده الحارس وينهره ٠

عندما يقرر المحقق المختص أن هذا التعذيب الخفيف لم (يثمر) ، أي لم يكشف أي شيء ، يطلب احضار المعتقل الى مكتبه ٠ وهناك يتهمه بأنه (عميل أجنبي) ، تسلل الى المخابرات السوفياتية عن طريق التحاقه بمدارس المخابرات، ليتمكن فيما بعد من تزويد رؤسائه بالمعلومات ٠ فيدهش الطالب ، ويدافع عن نفسه بتأثر ويؤكد للمحقق بأن هناك خطأ كبيرا ٠ ولكن ذلك يقابل من المحقق بغضب وصياح وتهديد ، ويطلب مجددا من الطالب الاعتراف (لانهم

علموا كل شيء) • وعندما لا ينصاع الطالب للتهديد ، ويصر على براءته يؤخذ الى زنزانة (منفردة) ، ويقفل عليه • وما ان يحاول النوم من شدة ارهاقه حتى يدخل عليه الحارس الذي كان يراقبه من نافذة خاصة ، ويقوده الى التحقيق مجددا بالاتفاق مع المحقق نفسه • وفي هذه المرة يتبدل التحقيق فيوضع الطالب أمام نور قوي ، يسطع في وجهه • ويعلن له المحقق بكبرياء وانتصار بأنه لم يعد يكترث به سواء اعترف أم لم يعترف ، لانه أصبح يملك اعترافا موقعا من شريكه، وأن القوانين تسمح بقتل الخائن بدون أي اعتراف •

يتعجب الطالب مجددا من توجيه مثل هذا الاتهام الخطير له وهو الشيوعي الثقة ، ويحاول الدفاع ولكن المحقق يضرب الطاولة بيده بحركة تمثيلية ، ويعيد التهديد ويدوم هذا التحقيق ٢٤ ساعة يتبدل المحقق حسب الدوام • وكل محقق يوضح الى زميله (المراحل) التي وصل اليها التحقيق مع (المتهم) • وبعض المحققين يستعمل العنف لتحطيم مقاومة المتهم ولكن هذا العنف من النوع المعتدل ، اذ لا يمكن الحاق اضرار جسمانية بالطلاب الجواسيس الذين يبدون مقاومة شديدة • اذ ليس من المسموح أن يصاب عملاء المستقبل بالاذى ، ولكن للتأكد من أن قواهم العقلية والجسمانية كافية لمجابهة أي ضغط (مشابه في المستقبل) على أيدي المحققين الاجانب (فيما لو اعتقلوا) • وآخر مرحلة من مراحل هذا التدرب العجيب في المخابرات السوفياتية هي التهديد بالقتل ، اذا لم يوقع المتهم اعترافا يوضع أمامه • وبالطبع يرفض المتهم توقيعه بعد الذي عاناه أثناء التحقيق عند ذلك يعاد الى زنزانته •

بعدما تنتهي عملية التحقيق مع الجميع ويطمئن المسؤولون في المخابرات السوفياتية بأن طلابهم غير قابلين للتحطيم يسمحون باجتماعهم معا في قاعة الاجتماعات • وهنا يخطب بهم أحد ضباط المخابرات شارحا لهم أن ما تعرضوا له كان لمصلحة المخابرات السوفياتية،ولضمان معرفة مدى تحمل كل منهم لمثل هذه التحقيقات ، مؤكدا لهم أن هذا الاختبار كان لصالحهم •

وقبل أن يطلق سراحهم يوقع كل منهم على وثيقة بأن لا يبوح بما تعرض

له طوال مدة التدريب وخاصة عملية (الاعتقال الكاذب) لاي شخص كان تحت طائلة المسؤولية . وبعد ذلك توضع العلامات النهائية ، ويقرر لكل منهم عمله ومكانه في عالم التجسس والمخابرات.لينضم طلاب جدد الى مدارس المخابرات السوفياتية ...

الخيانه

والمخابرات السوفياتية كغيرها من المخابرات يوجد بين عملائها ضعاف النفوس ، وهذا نادر . ومع ذلك فقد انهار أحد عملاء المخابرات الروسية في باريس ، وسلم نفسه لمندوبي المخابرات الاميركية فيها . وهذا العميل يدعى (رنوهابهانن) ولقبه (ماكي) . سوفييتي من مواليد قرية (كاسكيسلرى) الواقعة بالقرب من لينيغراد ، وكان يجيد اللغة الفنلدية فعين مدرسا لها ثم جند في البوليس السياسي ، وأدخل دورة تدريبية في مدرسة الجواسيس . وعندما نشبت الحرب بين روسيا وفنلندا عام ١٩٣٩ أرسل الى الجبهة لترجمةالوثائق التي يستولي عليها الجيش السوفياتي وترجمة التحقيق مع الاسرى الفنلديين بالاضافة الى عمله في تجنيد العملاء ، ومراقبة ولاء العمال للشيوعية . ثم كلف بمهمة الكشف عن العناصر المعادية للاتحاد السوفييتي داخل المخابرات . حيث أصبح خبيرا في المخابرات السوفياتية في عام ١٩٤٣ .

ابتداء عمله بالتجسس خارج الاتحاد السوفياتي :

استدعي هابنهانن الى موسكو ، وطلبت منه المخابرات السوفياتية قطع علاقاته بأهله نهائيا استعدادا لارساله في مهمة جديدة . وبدأوا يعلمونه اللغة الانكليزية التي كان يجيد بعضها .

ثم تدرب على استعمال الشيفرة واستعمال كاميرة (ميرفكس) لتصوير المستندات . وبعد انتهاء تدريبه هذا أصبح اسمه الجديد (نيكولاي ماكي) من مواليد مدينة اينافيل في ولاية ايداهو الاميركية ، جاء برفقة والده الفنلدي وأمه الاميركية الى استونيا عندما كان في الثامنة من عمره وهو لا يدري ما حل بصاحب الاسم الحقيقي ، لان أسرته كانت تبعث له برسائل من استونيا تشكو

فيها من سوء الحالة هناك ، ورغبتهم في العودة الى الوطن (أميركا) وفي شهر تموز عام ١٩٥١ زار (هابهانن) أو (نيكولاي ماكي) سفارة الولايات المتحدة الاميركية في هلسنكي وقدم شهادة ميلاد صادرة عن مكتب ولايـــة مدينة (ايداهو) الاميركية جاء فيها أنه من مواليد اينافيل ٣٠ مايس ١٩١٩ وطلب منحه جواز سفر على هذا الاساس لانه يريد العودة الى وطنه (اميركا) مع زوجته وبالفعل جرى منحه الجواز بعد الاجراءات القانونية التي استغرقت حوالي سنة حيث وصل نيويورك بتاريخ ٢١ /١٠/ ١٩٥٢ على ظهر البـاخرة كورين ماري المشهورة وبعد اربعة أشهر لحقت به زوجته •

وبعد أن استقر في نيويورك مع زوجتـه استدعي الى موسكو ، فسافر اليها بجواز سفر آخر حتى لا يظهر دخوله موسكو في جوازه الاميركي • وفي موسكو تعرف على ميخائيل الذي سيكون رئيسه في نيويورك ، وفعلا رجع الاثنان الى نيويورك كل على حده . ووضع هابهانن اشـاره خاصة في احدى زوايا المحلات العامة ليعرف ميخائيل بوصوله • أما اذا شعر انه مراقب من المخابرات الاميركيه فيضع علامة ثانيه •••

وفي عام ١٩٥٤ استبدل ميخائيل بعميل جديد لقبـه (مارك) كـــان يقابل هابهانن في محطة مترو الانفاق (قطارات تحت الارض) اذا كان هناك ضرورة للتائهما • أما اذا أراد اعطاءه معلومات كان يتركها في مخابىء سريـة في مكان مجوف تحت احد السلالم في بروسكيت بارك ، حيث يستلمها (مارك)•

وكانت طريقة وضع المعلومات داخل قطعة معدنية حديثة مجوفة حيـث يوضع في داخلها فيلم دقيق مصور بطريقة فنية حديثة مصغرة •

منذ ظهور الاتحاد السوفياتي عام ١٩١٧ اعتبر زعماؤه أن الجاسوسيـة بأية صفة وبأي شكل من أهم الأسلحة التي يعتمد عليها • وبالتالي فقد فعلوا كل شيء من أجل انشاء جهاز مخابرات من شأنه أن يتفوق على أي مخابرات في العـالـم •

الصدفة أيضاً :

في صباح أحد أيام صيف ١٩٥٣ طرق أحد باعة الصحف المنزل رقم ــ ٣٤٠ ــ بشارع فوستر في حي بروكلين نيويورك ليتقاضى قيمة الصحف التي سبق أن باعها لاصحاب المنزل الذين اعطوه دولارا • ولكنه لم يكن يحمل عملة صغيرة ليرد لهم باقي الدولار فطرق الباب المقابل للشقة التي تقطنها سيدتان ، وطلب منهما صرافة الدولار • فلبوا طلبه وأعطى صاحبه الدولار الباقي ، ونزل الدرج وهو يقلب العملة الصغيرة المتبقية بين يديه • فلاحظ أن احداها وزنها أخف من الثانية (وهي من فئة العشر سنتات) فرماها على الارض بعفوية ليسمع رنتها ، واذا بها تتقسم نصفين ويظهر من داخلها فيلم دقيق جدا • وتقدم بائع الصحف للشرطة بهذا الدليل ؛ فأحالوه فورا الى المخابرات المركزية الاميركية التي قررت حالا أن قطعة العملة المجوفة هذه والفيلم من أعمال المخابرات الروسية • ولدى تكبير الفيلم ظهر أن عليه صورة لعشرة أعمدة من الارقام مكتوبة على الآلة الكاتبة ، وكل رقم مكون من خمسة أرقام • وفي مجموعات منتظمة تحوي كل منها ٢١ رقما • ولم يتمكن خبراء المخابرات المركزية الاميركية من حل هذه الرموز حتى ، ولم يتمكنوا من تحديد نوع الآلة التي سجلت الارقام • وتأكدوا أنها من صنع المخابرات الروسية •

وانتقل رجال المخابرات الاميركية الى منزل السيدتين للتحقيق ومعهم بائع الصحف فتذكرتا البائع ، ولم تتذكرا من أين حصلتا على قطعة العملة • وقامت الدائرة المختصة بمراقبة السيدتين والسؤال عن ماضيهما ، فتبين أنه لا غبار على سلوكهما • فتوقف التحقيق عند هذا الحد . مدة أربعة اعوام •

انحراف جاسوس سوفياتي وخيانته :

يظهر ان هابهانن قد ضاق ذرعا بعمله في المخابرات السوفياتية ، ووهنت أعصابه وأصبح يخشى على نفسه كثيرا . ويتردد عدة مرات قبل ان يقدم على

ارسال رسالة . وفي لحظة يأس وخوف قرر أن ينهي عمله مع المخابرات السوفياتية بأي شكل ، فسافر الى باريس وأخذ يتردد الى احد مقاهي (الرصيف) في سان جيرمين . وتوطدت صداقته بينه وبين أحد الكرسونات ، وكان لبقا فافضى له (هايهانن) بأنه يود التعرف على أي مسؤول بالسفارة الاميركية فرحب الكرسون بذلك ، لانه نفسه كان من عملاء المخابرات الاميركية . فعرفه حالا على شخص يدعى (جون) ، وهو مسؤول المخابرات الاميركية في السفارة الاميركية في باريس . ولم تمض دقائق حتى كان الاثنان (جون) و (ماكي) أي هايهانن يتحادثان في المقهى ، حيث صرح هايهانن الى جون أنه ضابط في هيئة المخابرات الروسية ، وزوجته موجودة في اميركا ، ولا يريد العودة الى الاتحاد السوفياتي .

وفي مكتب المخابرات الملحق بالسفارة الاميركية أفضى (ماكي) بكل شيء ، حتى خطر لاحد رجال المخابرات الاميركية (وكان قد حضر فورا من واشنطون لحضور التحقيق بناء لطلب السفارة المستعجل) أن يعرض عليه الفيلم الذي عثر عليه داخل قطعة العملة المعدنية في بروكلين منذ أربع سنوات فقام (ماكي) حالا بفك رموز الفيلم وقراءته وتسجيل ما حوى ، ومنه ما يلي :

سنبعث لك ثلاثة آلاف دولار ، اتصل بنا قبل استثمار المبلغ ،سندلك على نوع الاستثمار ، طريقة تحميض الفيلم سوف ترسل لك لاحقا، الوقت مبكر على ارسال الشيفرة .. استعمل القصاصات ، لا ترسل معلومات كاملة عن اسمك ومكانك دفعة واحدة .. أرسل المعلومات على دفعات ، الطرد سلم لزوجتك شخصيا ، الاسرة بخير ، أتمنى لك النجاح . رقم[1] لو تصور القارىء الكريم أن جميع هذه المعلومات كانت مصورة بطريقة مصغرة في فيلم دقيق وموضوع داخل قطعة معدنية من العملة تشبه الليرة الفضية السورية أو المائة فلس الاردنية أو العراقية أو الكويتية ، لعرف ما وصلت اليه الجاسوسية من فن ودقة . وصرح هايهانن أن هذه الرسالة موجهة اليه بالذات وفيها أنهم أي رؤسائه في المخابرات سلموا زوجته مبلغا من المال ولكنه لم يعرف كيف تسربت الى السيدتين ومن ثم بائع الصحف .

وعندما اصطحبوا هابهانن معهم الى بروسكيت بارك حيث كان يضع المعلومات .. وجدوا هناك رسالة تقول : لم يحضر أحد للقائي يومي ٨ و ٩ كما طلبتم ، هل يكون في الداخل أم الخارج ؟ هل التوقيت خطأ ؟ المكان يبدو لا غبار عليه ! مطلوب الرد ، عند ذلك ضحك هابهانن لانه هو الذي وضع الرسالة ، ولكن المكان جرى عليه بعض التعديل حيث لم يتمكن (مارك) من استلامها .

حاول رجال المخابرات الاميركية الايقاع بـ (مارك) ، ولكن لم يتمكنوا لانه اختفى تماماً ويعتقد بعودته الى موسكو عندما شعر بانقطاع (هابهانن) وعدم استلام رسالته ، كما صرح (هابهانن) لرجال المخابرات الاميركية بأن مارك قبل مدة طلب منه مقابلة (جاويش — أي رقيب) في الجيش الاميركي ، وهذا الرقيب من العاملين في السفارة الاميركية في موسكو ، وجرى تجنيده ، هناك من قبل المخابرات السوفييتية وأعطي لقب (كوبيك) وبعد ذلك لعبت الصدفة أيضا دورها فقد عثر أحد رجال المخابرات الاميركية على قطعة حديدية في مكان يعتقد أنه معد لالتقاء الجواسيس تحت أحد الجسور ، وحالا سلمت هذه القطعة الى (هابهانن) الذي فحصها بدقة وعرف طريقة شقها نصفين ووجد بداخلها (ميكرو فيلم) مسجل عليه رسالة من كوبيك . وبعد حل الرموز بمعرفة هابهانن الذي خان المخابرات الروسية اتضح أن كوبيك يدعى (الرقيب روى رودس) فقبض عليه ليلقى الحكم عليه مدة خمس سنوات على تجسسه للاتحاد السوفياتي .

بقي لرجال المخابرات الاميركية أن يعرفوا من هو (مارك) الذي اتصل بـه هابهانن ، ولم يعد يراه . وبعد مراقبته دقيقة مع مقارنة الاوصاف التي أدلى بها (هابهانن) اتضح أن مارك يمتهن التصوير ، ويدعى باسم (جولد فاس) ، ويقطن في بروكلين شارع فولتين منزل رقم — ٢٥٢ — وسارع المخبرون الى منزله فلم يجدوه ، وفرضوا رقابة دقيقة على المنزل مدة ثلاثة أسابيع لم يقطعوا الامل حيث ظهر (جولد فاس) . ويعتقد أنه كان خارج البلاد حيث جرى تصويره من حيث لا يدري . وعندما شاهد (هابهانن) الصورة صاح انه (الكولونيل رودلف ايفانوفيتش) أو المصور (جولد فاس) . وبفضل شهادة

هابهانن ضده حكم عليه بالسجن ثلاثين عاما لانه لا يتمتع بأي حصانة . لم يقض منها سوى مدة قصيرة حيث جرى تبادله مع جاسوس اميركي سبق أن اعتقل في الاتحاد السوفياتي .

ونظام الجاسوسية السوفياتية من أحسن وأدق نظم الجاسوسية في العالم، وحتى صدور هذا الكتاب للاسواق لا يزال عشرات الجواسيس السوفياتيين أو من يدينون بالولاء للاتحاد السوفياتي يعيشون في قلب المدن الاميركية والبريطانية بل في جميع البلدان التي تهم الاتحاد السوفياتي . معرفة أسرارها . ولكن أهم أهداف روسيا هو التجسس على أميركا بالذات،لذلك نرى الجواسيس السوفييت يعمدون الى مختلف الوسائل لاكتشاف الحقائق العلمية والبحوث الذرية التي تجريها الولايات المتحدة ، ومعرفة واكتشاف خططها داخل وخارج الولايات المتحدة ، ومعرفة واكتشاف نقاط الضعف في الشعب الاميركي ، التي يمكن استغلالها لاغراض اغراء العملاء الاميركيين . والعمل مع المخابرات الروسية بالاضافة الى التأكد من اتجاهات السياسة الاميركية الداخلية والخارجية . ومن مهماتهم أيضا سرقة أسرار المصانع المختلفة ، ولذلك أنشأوا مكتبا تجاريا منذ سنوات بحجة تشجيع الاستيراد من أميركا (مثال ذلك طلبت روسيا صنع عدة آلاف من ولاعات رونسون لحسابها ، وفعلا صدرت أميركا كمية ضخمة من هذا الصنف لروسيا ، وهكذا أخذ مندوبو المكتب التجاري هذا،يتجولون فيمختلف المصانع الاميركية (وما هم الا من رجال المخابرات السوفياتية) ، هدفهمالاطلاع وسرقة ما يقع عليه نظرهم من الاسرار في تركيب الصناعات الحديثة ، وهؤلاء جميعا يتبعون موظفا مسؤولا في السفارة الروسية غالبا ما يكون صاحب رتبة

كبيرة.ومن المعروف أيضا أنجميع الرسائل الجاسوسيةالروسية تنقل فيالحقائب الدبلوماسية الروسية التي يمنع القانون الدولي تفتيشها ، ويتعرض الجاسوس السوفياتي في البلاد التي يعمل بها للتفتيش عليه . والاشخاص الذين يقومون بهذه المهمة (مفتشون متنقلون) ، وهم عادة من كبار الموظفين الروس الذين يقومون بزيارات لاميركا من حين لآخر، ظاهرها تجاري وباطنها التفتيش ومراقبة الجواسيس ومدى نجاحهم . ويتبع هؤلاء في الاجتماع بجواسيسهم طرقا اغرب

من الخيال ، حيث على كل عضو عند ذهابه لملاقاة المفتش ان يتأكد اثناء توجهه الى المكان المحدد ان احدا لا يتبعه فاذا شعر بمراقبة ما واصل سيره في طريقه . ومر من امام مكان الالتقاء دون ان يدخله . فيفهم زملائه انه مراقب ، ويغادرون المكان حالا ليجتمعوا في مكان آخر جرى عليه الاتفاق مسبقا ، احتياطا . ومن الطرق الغريبة التي يتبعها المفتشون للالتقاء بالجواسيس هو الاعلان في الصحف ومثال ذلك : (شاب محاسب عمره ٣٣ سنة يرغب العمل بعد الظهر) وينشر هذا الاعلان في عدة صحف وعدة مرات . ومن أغرب لقاءات الجواسيس عندما يراد لقاء جاسوس مع جاسوسة فبعد التاكد من أوصافها والمكان المتفق عليه وغالبا ما يكون مقهى حيث عندما يشاهدها يجلس بالقرب منها ويطلب نوعا معينا من الشراب ، أما هي فعندما تراه تطلب أيضا نوعا اخر متفق عليه . ثم تسأله عن

الوقت مثلا فيقول لها ان ساعتي تخطىء دائما ولا يمكن الاعتماد اليها ، وعند ذلك تتأكد منه وتعتذر حيث تسير أمامه بمعدل خمسة عشر دقيقة لكيلا تلفت الانظار . فيلحق بها . وآخر تأكيد للمعرفة هو وقوفها أمام محل معين لبيع الاواني المنزلية مثلا . كل هذه التعقيدات المتبعة تنفذ حرفيا ، حتى يتأكد الجاسوس من أنها ليست تحاول الايقاع به . فبينما هي بالعكس تتأكد نفس الشيء من زميلها .

وسبق أن ذكرنا أن الحزب الشيوعي والمخابرات السوفياتية تصل الى أغراضها باقل كلفة من المخابرات الثانية . حيث تعتمد على طرق التهديد للعميل بعد أول أو ثاني تعامل معه ، ولكنهم لا يتأخرون في تقديم المال لمن يرونهم صالحين للقيام بالاعمال الجاسوسيه . كما أن بعض أعضاء الحزب والمخابرات يؤمنون وظائف لجواسيسهم . لستر اعمالهم . ويحصلون على جوازات وتصاريح مزيفه وينشئون لهم الجمعيات ذات الطابع الانساني . وباسماء بريئه ينضم اليها بعض حسنيي النيه من البشر . حيث يتم اقناعهم بطرق عفويه ..حتى يقبلوا منهم اعانات ماديه بشكل هدايا او سلف . وبعد ذلك يبدا استغلالهم للحصول منهم على مبتغاهم من المعلومات ..بالتهديد ومتابعه مدهم بالمال .

بنكوفسكي السوفياتي
يعمل للمخابرات الأمريكية والبريطانية

بعد قصة العميل السوفياتي الهارب (هابهانن) ، وكيف سلم نفسه للمخابرات الاميركية حيث تمكنت بفضل خيانته من كشف بعض الجواسيس السوفييت والتابعين لهم • تتابع العرض لبعض السوفيات الذين خانوا الاتحاد السوفييتي ، ومنهم (اولنغ بنكوفسكي) الذي تقدم من نفسه وأثناء وجوده في انقرة عام ١٩٥٥الى بعض عملاء المخابرات الاميركيه عارضا(خدماته)• ولكن طلبه في حينه رفض لان فرع المخابرات الاميركيه في السفارة الاميركية في انقرة اعتبره جاسوسا مزدوجا • وتخوف من التعامل معه ، ولكن المخابرات البريطانيه جندته للعمل لصالحها بعد سنين . وقدم لها شتى الخدمات عند ذلك شعرت المخابرات الاميركية بالندم . فسعت اليه بواسطة عملائها في موسكو ، واخذت تتعامل معه حتى عام ١٩٦٣ حيث كشفته المخابرات السوفياتيه ، وجرى اعدامهفي موسكو بعد ن زود المخابراتالاميركية ومن قبلها البريطانيهبمعلومات (قيمّه) عن الاتحاد السوفياني • وكان يسلم بعض هذه المعلومات الى عملاء المخابرات الاميركيه والبريطانيه في موسكو . ويسلم البعض الاخر اثناء سفره الى الدول الغربيه بمهمات دبلوماسيه . ونتيجه للمعلومات العزيزه التي قدمها بنكوفسكي للمخابرات الاميركيه قامت هذه المخابرات بالايعاز الى شركه (دوبلداي وشركاه) للنشر في واشنطن باصدار كتاب اسمه (اوراق بنكوفسكي) تضمن معلومات قيل انها بقلم بنكوفسكي ، تتضمن النواحي الدقيقه والاسماء والتواريخ لنشاط اغلب الاجهزة السوفياتية الرسميه ، ومنها المخابرات السوفياتيه وأسماء عملائها في الغرب ، ويزعم بنكوفسكي أنه حصل على هذه المعلومات من نوادي المجتمع السوفياتي والسهرات الراقصة التي كان يشترك فيها بالسفارات الاجنبية بمناسبات أعياد الاستقلال • ومن الفنادق الفخمة في موسكو لدى مرافقته أو حضوره الاجتماعات التي كانت تعقد مع الوفود الشيوعية والصديقة للاتحاد السوفياتي ، بالاضافه الى معلومات فاضحة عن بعض شخصيات الاتحاد السوفياتي ، ومنهم (خرشوف) حيث زعم الكتاب بأنه كان مغرما بزوجة أحد وزرائه ، ويبادلها الغرام • ولو تعمقنا في صفحات

هذا الكتاب لوجدناه محشوا بفصول كاملة لا يمكن أن يكون بنكوفسكي كتبها . وهذه الفصول تشمل عمليات وأسماء عملاء تعرفهم المخابرات الاميركية سابقا ، ولكنها أضيفت للكتاب . ونقحت بحيث تظهر بأنها معلومات خطيرة . ونحن نجزم بأن هذه المعلومات دست في الكتاب لاحراج المخابرات السوفياتية، واقناعها بأن عملاءها قد كشفوا لان الكتاب يفضح الطرق التي تتبعها المخابرات السوفياتية مع عملائها،ودفع هذه المخابرات لتبديل عملائها أو وقف نشاطهم . وهذه العمليةليست سهلة لانه من المعروف أن العميل الجديد يحتاج الى مدة سنة على الاقل ليتعرف على البلد الجديد ، الذي يوفد اليـه . كما انه لا يستطيع التصرف مثل العميل القديم الذي يصول ويجول بخبرته . كمن يسير في بلده نظرا للمدة التي قضاها ... في هذا البلد ...

ومن مطالعة كتاب (أوراق بنكوفسكي) تاكد لنا تماما أنه ليس بقلمه ، ولكن المعلومات التي فيهوالنصائح تدل علىأنها منقولة عن(بنكوفسكي) .ومن‌ثم معدلة لانه من المعروف ، وكما صرحت المخابرات السوفياتية ان(بنكوفسكي) لم يكن متزنا ولا كامل الادراك . بينما تصفه المخابرات الاميركيـة والبريطانية بأنه عميل له وزنه وخطره . وله اتصالاته حتى بين كبار المسؤولين في الحزب الشيوعي ، وأنه اختار العمل برضاه لصالح أميركا وبريطانيا . لانه كان يعتقـد أن سياسة الحكومة السوفياتية سوف تؤدي بالعالم الى حرب ذرية شاملة تقضي على الحضارة والتقدم . أما رأينا الشخصي في بنكوفسكي فهو أن الشخص الذي يخون وطنه ويتجسس عليه .. لا يمكن أنيكون شخصا محترما كامل الادراك والعقل (الجاسوس البريطاني كيم فيلبي صورة طبق الاصل عنه ..) وفي آخر الكتاب يظهر للعالم أن خرشوف قـد تآمر عـلى الحزب عام ١٩٦٠ بخصوص جدار برلين ، وتآمر مرة ثانية في كوبا عام ١٩٦٣ بالمجابهة مع أميركا . ويختتم الكتاب بأن الحكام الجدد للاتحاد السوفياتي سوف يقامرون مرة ثالثة على الحرب ، اذا اعتقدوا أن مقامرتهم هذه سوف تنجح وتمر بدون أي رد فعل سريع من الغرب خصوصا أميركا .

وللتاكيد أن الكتاب هو من اخراج المختصين في المخابرات الاميركية فان شركة دوبلداي وشركاه للنشر رفضت ابراز المخطوط الروسي الاصلي الذي

يفترض بأنه كتب بخط المؤلف المزعوم (أولينغ بنكوفسكي) عندما تحداها المعلق الخبير في الشؤون السوفياتيه في مجلة (ما نشستر غارديان) واسعة الانتشار (الصحفي فيكتور زورزا) أن تنشر او تقدم الى لجنه اعلاميه(المخطوط الاصلي الروسي للكتاب) • وعندما رفضت الشركه الناشرة هاجمها الصحفي المذكور واعتبر ان هذا الكتاب هو من جسع ونشر المخابرات الاميركيه . بحيث لا يمكن لغيرها ذلك بسبب وفرة الوثائق لديها •••

معركة الكتب

مع بحث طرق التجسس المختلفة ، وهروب العملاء من والى المخابرات السوفياتية نقف لحظة أمام نوع من أنواع التجسس الجديد بين المخابرات السوفياتية والمخابرات الغربية هو تجسس الكتب والاعلانات . مما يدل على تبدل عمليات التجسس الروتينية التي كان يقوم بها فيما مضى الجواسيس في الخفاء والظلام • أما في هذه الايام فقد أصبح التجسس بواسطة الكتب والاعلانات نظاما حديثا مقررا ، وله أهداف وفوائد معترف بها ويعمل في هذا الحقل الجديد آلاف الموظفين وكلهم (جواسيس) •

وبعد هذا العرض عن خصائص المخابرات السوفياتيه وطريقة عملها ، يحق لنا أن نقف لحظة عند نهاية ستالين زعيم روسيا . حيث أعلن عن وفاته أثر نوبة بتاريخ ٥ آذار عام ١٩٥٣ • واذا رجعنا الى تاريخ الوفاة هذه :وما أذيع عنها من المصادر الروسية نجد أن الكرملين اذاع نبأ الوفاة وأعقب ذلك تشييع رسمي ، ثم فترة حداد رسمية • ولكيلا تحدث ردة فعل في الاتحاد السوفياتي عقب وفاته كفت الصحف عن الكتابة عنه بعد ثلاثة أسابيع من وفاته •

أما المخابرات المركزية الاميركية فلم تترك وفاة ستالين تمر مرور الكرام ، فقد استغلت الوفاة لمحاولة احداث انشقاق بين الشعب السوفياتي واللجنة المركزية للحزب الشيوعي والحكام . فأشاعت أن ستالين لم يمت ميتة طبيعية ، وأعلنت أنه استقبل في الايام الاولى لشهر شباط ١٩٥٣ سفيري الهند والارجنتين ، وقد ظهر معهما في الصور التذكارية التي التقطت أنه بصحة جيدة• ولكن بعد ١٧ شباط لم يعد يظهر فيموسكو ، ولم يحضر حفلا عاما • ولم تذكر

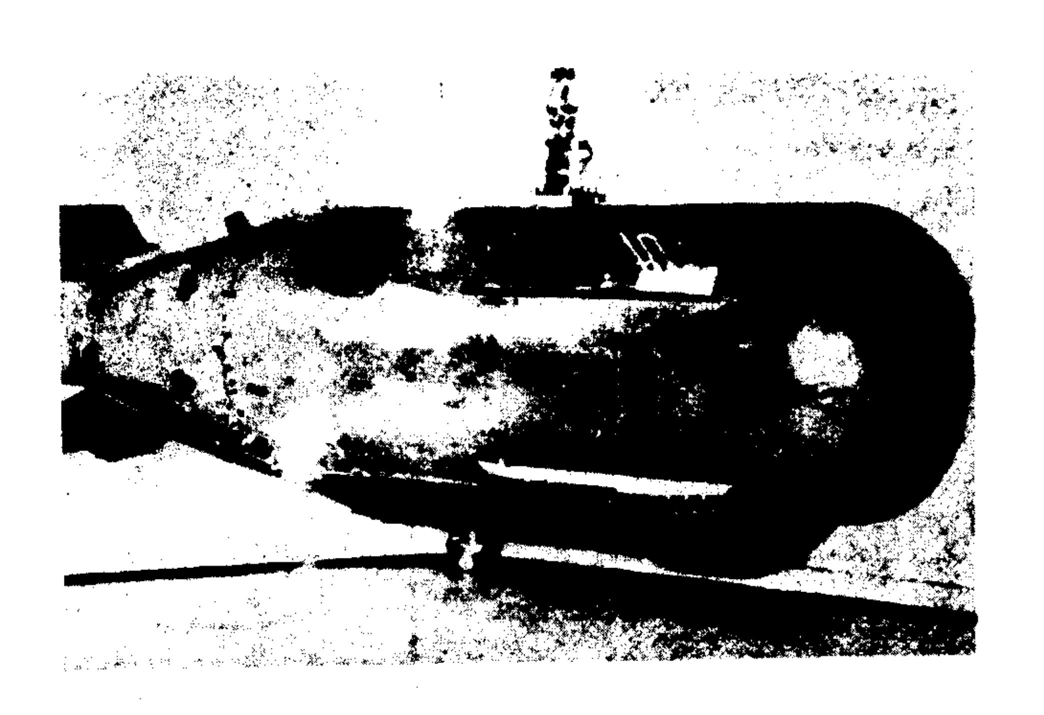
الصحف عنه شيئا وكان هدف المخابرات الاميركية هو التشكيك في موت ستالين واتهام الجنرالين لافرتي وبيريا بقتله ، لانهما خشيا أن تكون نهايتهما مقررة من قبله بالتخلص منهما ، فسارعا الى ايقاف قلبه قبل أن يتمكن منهما • وتؤكد المخابرات الاميركية أن (مالنكوف) السكرتير العام للحزب الشيوعي أبعد عن وظيفته عقب وفاة ستالين بعشرة أيام ، وتمضي القصة الى القول ان الجنرال (بيريا) نفسه قتل بعد ذلك في ظروف غامضة •

أما القصة الحقيقية لنهاية ستالين فقد نقلت عن لسان الشيوعي العراقي مطشر حواس (أعدم في بغداد في ٥ كانون الثاني ١٩٦٨ بعد اداناته من قبل المحكمة العسكرية الخاصة بجرم قتل الجندي طاهر حبوب من الحرس الجمهوري العراقي) هذا الشيوعي الذي تلقى المبادىء الماركسية منذ نعومة أظافره ، وأصبح يعرف الكثير عن مشاكل الاتحاد السوفييتي ، ومنها (نهاية ستالين) أكد أن (الرفيق) ستالين مرض بالحقيقة لمدة أيام قبل اصابته بالنوبة الحادة (انفجار في المخ) ، وكانت تلازمه ابنته سفتلانا التي لجات فيما بعد الى الولايات المتحدة (عن طريق الهند) • وهي التي صرحت بأن والدها قد مات نتيجة اصابته ومرضه • وقد بقيت بجانبه الى آخر لحظة في حياته ، ولا صحة لادعاءات المخابرات الاميركية •

حصول المخابرات السوفياتية على أسرار القنبلة الذرية الأمريكية

تمكنت المخابرات السوفياتية من تجنيد الشيوعيين الاميركيين (روزنبرغ وزوجته) للعمل معها حتى تمكن روز نبرغ بحكم عمله في مؤسسة الطاقة الذرية الاميركية من الحصول على صور تصاميم القنبلة الذرية ، ونقلها بالتعاون مع زوجته الى موسكو•وقد كشفت المخابرات الاميركية ذلك ، واعتقلتهما وقدمتهما مع الدليل الى المحاكمة ليقول لهما القاضي :

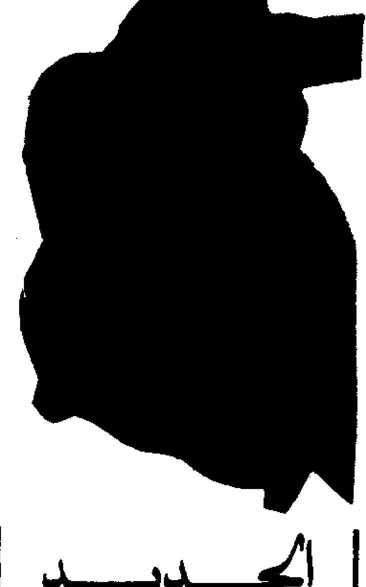
ان الله وحده يستطيع ايجاد المبررات للتسامح عما أقدمتم على فعله ، انكم وضعتم القنبلة الذرية الاميركية وأسرارها تحت تصرف روسيا ، وساعدها ذلك على التقدم سنوات في هذا المضمار ، بعد أن كان علماؤنا يفكرون بأن هناك سنوات سوف تمضي على الاتحاد السوفياتي قبل ان يصبح مستعدا لتملك



اول صورة طبق الاصل عن القنبلة الذرية التي القتها الطائرات الامريكية على مدينتي هيروشيما وناغازاكي .

هذه القنبلة . ولقد نتج عن تصرفاتكم ذلك الاعتداء الشيوعي على كوريه الذي كلفنا كثيرا من الضحايا الاميركيين . كما ان ملايين الابرياء دفعوا ويدفعون ثمن خياناتكم ، وان جريمتكم بدون اي شك غيرت التاريخ . ولم يكمن هذا التغيير لمصلحة بلادكم ، لذلك فان الموت بسلام وبساطه شيء لا يذكر مقابل الجريمة التي قمتما بتنفيذها لمصلحة المخابرات السوفياتية .

وفعلا بعد هذا الحكم بالاعدام عليهما جرى تنفيذ الحكم بالكرسي الكهربائي . وفي سجن (سينغ سينغ) بتاريخ ١٩ حزيران ١٩٥٣ ابان حكم (أزنهاور) . ويظهر من حيثيات الحكمآن القاضي أصدره بلهجة المخابرات ، لا بلهجة اصدار الاحكام القضا ية المعروفة .



الجـــديـــد فـــي المخـابرات السّوفيـاتيّـة

(الهراكس) سارق الصاروخ الاميركي ••!

تثبت المخابرات السوفياتية دائما أنها تحصل على ما تريد من المعلومات الكتابية وحتى العينية ، عن كل ما هو جديد بالنسبة للمخترعات الحربية الحديثة لدول حلف شمال الاطلسي • فقد أعلن النائب العام لمدينه كارلزور في ألمانيـا الغربية أنه تم القبض على شخصين لهما علاقة بسرقة صاروخ أميركي الصنع سري حديث ، تستخدمه طائرات ألمانية غربية • كما أن لهما علاقة بسرقة جهاز ملاحي للطائرات وتهريبهما الى موسكو •

الشخصان المعتقلان هما السيرجنت ماجور وولف ديتهار ونوب وعمره ٣٣ عاما ويعمل طيارا على مقاتلة بنفاته من السرب /٧٤/ بمدينه نيوبيرغ والمدعو جوزف ليتوفسكي البولندي الاصل • وهو ميكانيكي بنفس السرب /٧٤/ • وذكر النائب العام أن هناك متهما ثالثا له صله بعمليه الصاروخ ، ولكنه رفض ان يذكر اسمه لئلا يؤثر عـلى مجرى التحقيق • واكتفى بان اشار اليه بأنـه

(الهراكس) • ومضى يقول : قبل عام كامل تقريبا اتفق المتهمون المذكورون على سرقة أحد الصواريخ السرية من مطار زيل التابع لمنظمه حلف شمال الاطلسي، بالقرب من مدينة نيوبيرغ على نهر الدانوب في جنوب المانيا •

وفي الموعد المحدد لذلك تسلق لينوفسكي ونوب احد الاسوار ، وقفز عنه الى القاعدة الجوية•ثم تسللا الىاحدالمخازن التي تحوي عددا من الصواريخ• فيما ظل الهراكس في الخارج مع سيارة •

الصاروخ الاميركي في طريقه للاتحاد السوفييتي :

بعد أن سرق الرجلان الصاروخ ، حملاه بينهما وخرجا به من القاعدة حيث ساعدهما (الهراكس) الذي كان ينتظرهما ، ووضعوه في السيارة • فتبين أنه طويل عن حجم السيارة مما اضطرهم الى كسر زجاج السيارة الخلفي ، وأخفيا مؤخـرة الصاروخ بسجادة حتى لا ينفضح أمرهم • وبهذه الطريقة تم نقـل الصاروخ مئات الكيلومترات الى احدى المدن ، حيث تم تفكيكه الى قطعتين وضعت القطعة الاولى في صندوق للشحن ، وأرسلت في طريق الجو الى موسكو بصفتها بضاعة عادية من السفارة السوفياتية • أما الجزء الثاني من الصاروخ وهو الموجه فقد وضع في حقيبة يد ، ونقلها أحد الأشخاص الدبلوماسيين الى موسكو بطريق الجو ، دون أن تمتد يد التفتيش لحقيبة الصاروخ المذكور وزنته ٧٥ كغم• وتبلغ تكاليفه ٣٠٠ ألف مارك • وهو مزود برأس حربي يتجه الى الهدف بواسطة الاشعة تحت الحمراء • ويستطيع رأس الصاروخ أن يهتدي الى هدفه بواسطة الحرارة المنبعثة من الهـدف الى مسافة ٦ كم • وهو مصمم لكي تستخدمـه الطائرات ضد أهداف جوية ، وباستطاعة قاذفة القنابل المقاتلة من طراز (ستار فايتر — ف ١٠٤ — ج) التي يستخدمها سلاح الجو الالماني الغربي أن تحمـل صاروخا واحدا من هذا النوع تحت أحد جناحيها •

شجع نجاح عملية سرقة الصاروخ المتهمين على القيام بعملية سرقة جريئة أخرى • اذ أقدموا على سرقة جهاز لتوجيه الطائرات من سوق هانوفر التجاري، ولم يكن في السوق سوى جهازين من هذا النوع •

وقام المتهمون بمحاولتين فاشلتين لتهريب الجهاز الى الاتحاد السوفياتي •

غير أن صعوبات كثيرة اعترضتهم ، ولكن محاولتهم الثالثة نجحت فقد استطاع المتهم لينوفسكي بمساعدة المتهم الطيار نوب أن يخرجه من حظيرة مغلقة ، ويهربه من خلال أجهزة الامن في المطار الى احدى المدن حيث كان الهراكس ينتظرهما بسيارة جيب جرى نقله الى احدى المنازل • ومن ثم جرى نقله الى الاتحاد السوفييتي بطريق الجو بصفة أمتعة خاصة • واذا كان لنا من تعليق على غرابة هذهالعملية التجسسية منقبلالمخابرات السوفياتية فان تعليقنا يزداد غرابة عن الطريقة التي اكتشفت فيها هذه العملية •

كيفية الاكتشاف للسرقة :

في غرفة سوداء صغيرة تابعة لاحد استديوهات التصوير العادية حيث كان أحد العمال المختصين بتحميض الافلام يقوم بتحميض فيلم أصيب بذهول ، ولم يصدق عينيه ، وهو يلاحظ أن الفيلم الذي بين يديه انما هو عبارة عن صور لوثائق خطيرة جدا عن حلف شمال الاطلسي ملتقطة بواسطة آلة تصوير من طراز (مينوكس) ،وقد كتب عليها بوضوح « سري جدا » « سري مكتوم » وعلى الفور غادر العامل الغرفة المظلمة ، ومعه الفيلم المظهر وتوجه الى دائرة البوليس التي أحالته الى مركز المخابرات الالمانية الغربية قسم النشاط المضاد للجاسوسية • وبعد انتظار دام أربعة أيام كاملة اكتشف رجال المخابرات أن صاحب الفيلم هو الاميرال « هيرمن لوديكا » النائب السابق لرئيس التحركات العسكرية في قيادة حلف شمال الاطلسي ، وأحد كبار ضباط الاسطول الالماني، والذي كان على وشك التقاعد من البحرية الالمانية •

وكان لوديكا مطلعا بحكم منصبه على أدق الاسرار المتعلقة بتنقلات جنود وحدات حلف شمال الاطلسي وطاقات الموانيء الاوروبيةوالمواصلاتوالصناعات الحربية ومواقع ومخازن الاسلحة النووية وغيرها من أسلحة الحلف لدرجة أنه يعرف حتى عددالرصاصات والقنابل في كل مخزن • وكان واضحا من صور الفيلم أنه يقوم بنقل أسرار الحلف الى الاتحاد السوفياتي •

التحقيق مع الاميرال :

على الرغم من هذه الادلة فان المسؤولين فضلوا أن لا يبلغــوا الاميرال الوسيم البالغ من العمر ــ ٥٧ ــ عاما نيتهم من التحقيق معه الى أن كان موعد تركه الخدمة في البحرية الالمانية • وبهذه المناسبة أقام زملائه وضباطه حفلــة وداع تكريمية له كان على رأس الحاضرين فيها جيرهارد شرودر وزير الدفاع الالماني الغربي •

وبعد أن شرب الجميع الشمبانيا ، وتمنو للاميرال المحال على التقاعد صحة طيبة ، أمسك نائب الاميرال جيشر نيك قائد البحرية الالمانية بذراع لوديكا ، وانتحى به جانبا حيث طلب مرافقته الى مكتبه لانه مطلوب رسميا للتحقيق معه في أمر مهم •

وأثناء التحقيق صرح الاميرال بأنه من المحتمل أن يكون أحد الاشخاص قد سرق آلة التصوير التي يملكها والتقط بها الافلام •• ولكنه ما لبث أن اعترف بأنه هو الذي قام بتصوير هذه الوثائق زاعماً أنه انما صورها لغرض ضمها الى مذكراته التي كان سيباشر كتابتها بعد احالته للتقاعد • وعلى الرغم من ذلك فقد سمح للاميرال بالذهاب الى منزله ، ولم يستجوب بشكل رسمي غير أن النائب العام في مدينة كارلزور آمر باعتقاله رسميا • ولما توجه رجــال المخابرات لاعتقاله لم يعثروا عليه في منزله ولدى التفتيش عليه وجدوه مقتولا في ٨ تشرين الاول ١٩٦٧ في غابة للصيد تخص أحد اصدقائه • وفي البداية اعتقد الجميع أن القتل كان بطريق الخطأ أثناء الصيد ، ولكن الجميع استبعدوا ذلك لان الاميرال كان معروفا عنه أنه من أمهر الصيادين في العالم ، ثم قيل ان الحادث ــ حادث انتحار • وكاد هذا الحادث يمر لولا وقوع سلسلة انتحارات بعد ذلك أكدت أن القضية خطيرة جدا ، وأن هناك عملية جاسوسية واسعــة النطاق في الامر• ففي نفس اليوم ٨ تشرين الاول ١٩٦٧ الذي وجد فيه الاميرال لوديكا مقتولا أعلن أن الجنرال هورست فنلاند نائب رئيس المخابرات الالمانية الغربية أطلق الرصاص على نفسه في مكتبه وانتحر • وفي تشرين الاول أعلن أن أحد كبار موظفي وزارة الاقتصاد شنق نفســه • وفي ١٦ تشرين الاول أعلن

أن امرأة تعمل في وزارة الصحافة والانباء الالمانية الغربية أقدمت على الانتحار بتناول جرعة كبيرة من الحبوب المنومة . وفي ١٨ تشرين الاول أعلن أن الكولونيل (جوهان غريم) ٥٤ سنة من ضباط شعبة التجنيد أطلق الرصاص على نفسه وانتحر أيضا • وفي ٢٣ تشرين الاول نفسه أعلن أن أحد كبار الموظفين المدنيين في وزارة الدفاع اختفى بعد ان ترك رسالة ذكر فيها أنه سيقدم على الانتحار . وبالفعل وجد ميتا في احدى المناطق النائية •

وهكذا تضيف مخابرات الاتحاد السوفياتي نصرا الى انجازاتها بسبب وجود في المانيا الغربية حوالي خمسة آلاف جاسوس : معظمهم يعملون للاتحاد السوفياتي والمانيا الشرقية •••

والمخابرات السوفياتية تمنى بخسارة أو هرب أحد رجالها بين الفينة والفينة • وكان أول الهاربين الى الولايات المتحدة الجنرال (الكسندر اورلوف) في عام ١٩٣٨ ، الذي كان يشغل رئاسة قسم (مكافحة الجاسوسية) في المخابرات السوفياتية • ولذلك فان هربه الى الولايات المتحدة كلف المخابرات السوفياتية كثيرا من عملائها في أوربا واميركا عدا الفضائح التي قام بنشرها في المقالات الصحفية التي أجريت معه بترتيب من المخابرات الاميركية • وبعد استراحة في ضيافة المخابرات الاميركية أصدر كتاب (التاريخ السري لفضائح ستالين) بالاضافة الى كشفه أخطر عملية قامت بها المخابرات السوفياتية ، ونفذتها باشراف ستالين نفسه ألا وهي عملية سرقة كنوز اسبانيا التي كشف النقاب عنها في تشرين الاول ١٩٦٧

المخابرات السوفياتية تسرق كنوز اسبانيا

يقول الجنرال الهارب الكسندر اورلوف المشرف في حينه على عملية سرقة الكنوز والذهب الاسباني ونقلها الى موسكو :

توجهنا مساء ٢٢ أكتوبر ١٩٣٦ بالسيارة من (قرطاجنة) وهي ميناء على الساحل الجنوبي الشرقي لاسبانيا ، وقد جلس بجانبي نائب وزير المالية الاسباني وهو غير قادر على اخفاء عصبيته بينما سار ورائنا طابور يضم ٢٠ سيارة نقل حمولة كل منها خمسة أطنان • وكانت وجهتنا الى التلال التي تبعد خمسة أميال

عن قرطاجنة حيث يوجد مستودع الذخائر للبحرية الاسبانية ، ولكننا كنا نسعى الى شيء أهم من القنابل والبارود .

كان الليل قد أرخى سدوله عندما توقفت قافلتنا . ولم ألحظ الا بعد نزولنا من السيارة تلك الابواب الخشبية الثقيلة التي تدعمها قضبان حديدية ، وقد أقيمت في مواجهة سفح التل . وقام على حراستها بعض العسكريين ، ولما تأكدالحراس من هويتنا جذب مسمارا ضخمافقتح بابا مزدوجا على مصراعيه ورأينا أمامنا كهفا فسيحا مضاءا بالمصابيح الكهربائية المموهة . وفي الداخل وقف ٦٠ بحارا اسبانيا بانتظار أوامرنا . بينما تكدست أمام الجدران ألوف الصناديق الخشبية الجديدة . وكان في هذه الصناديق سبائك ذهبية وعملات تقدر بمئات الملايين من الجنيهات هي كنز أمة عتيدة جمعته عبر القرون ، وهذا هو الشيء الذي جئت من أجله وكانت مهمتي (نقله الى موسكو) .

حدث هذا في في الاشهر الاولى للحرب الاهلية الاسبانية ، وكنت قد أمضيت عشرة أيام أقوم بتنظيم (عملية نقل الذهب) . وبعد أن قرر عدد من الزعماء الجمهوريين الاسبان ايداع هذا الكنز في مكان أمين لدى (جوزف ستالين) خوفا من أن يقع بين يدي الجنرال (فرانكو) وقواته الوطنية المتقدمة في حينه باتجاه مدريد .

وكان نقل الجزء الاكبر من احتياطي الذهب (المقدر بـ ٦٠٠ مليون دولار) موضوع شائعات أو افتراضات منذ ثلاثين سنة ، ولم يبق من الرجال الذين اشتركوا في العملية سوى اثنين أنا (الجنرال الكسندر اورلوف) ، والآخر اسباني وهو الدكتور جوان نجران وزير المالية الاسباني في حينه .

كنت قد وصلت الى مدريد في ١٦ سبتمبر ١٩٣٦ بعد شهرين من اندلاع الحرب الاهلية لكي أراس بعثة سوفياتية كبيرة من (المخابرات) ، تضم خبراء مختلفين . ولما كنت جنرالا في ادارة المخابرات السوفياتية فقد كنت بطبيعة الحال (كبير المستشارين السوفييت لدى الحكومة الجمهورية) لشؤون المخابرات ومكافحة التجسس وحرب العصابات ، وهو منصب عليّ توليه لمدة عامين . وكنت كغيري من الروس في اسبانيا أؤيد قضية الجمهوريين بكل اخلاص .

أقمنا مكتبا لعملنا في الطابق الاعلى من السفارة السوفياتية في مدريد ، وتحت تصرفنا جهاز ارسال لاسلكي قوي • وكنت قد أمضيت هناك أقل من شهر • عندما أقبل كاتب الشيفرة الذي يعمل معي الى مكتبي ، وتحت ابطه كتاب الشيفرة وبين يديه رسالة برقية قال عنها : انها وصلت الآن من موسكو وهي

بعنوان (سري للغاية) باسم (شويد) أي أسمي الحركي لدى المخابرات السوفياتية • وقد قمت فورا بفك رموزها التي كانت عبارة عن ملاحظة استهلالية من الجنرال نيكولاي ايجوف رئيس ادارة المخابرات السوفياتية ثم جاء بالبرقية :

رتب مع لارجوكا باليرو رئيس الوزراء ، شحن احتياطي الذهب الاسباني الى الاتحاد السوفياتي ، استخدم سفينة سوفياتية ، حافظ على أقصى قدر من السرية • اذا طالب الاسبان بايصال فارفض ــ أكرر ــ أرفض قل ان ايصالا رسميا سيصدر في موسكو عن بنك الدولة ، انني اعتبرك مسؤولا شخصيا عن العملية ، التوقيع (ايفان فاسيليفش وهو الاسم الحركي لستالين بالذات) فهل يوافق (لارجوكا باليرو) رئيس وزراء اسبانيا ورفاقه أولئك الاسبانيين الوطنيين الشرفاء على وضع ذهب بلادهم (بين يدي ستالين) ؟ لقد أظهرت تحرياتي أن الرد على ذلك هو (نعم) •••

الواقع أن فكرة (حماية) الذهب من الوقوع في يدي الوطنيين بارسالها الى روسيا قد وضعها أصلا الزعماء الجمهوريون المنزعجون أنفسهم حيث كان الوطنيون يضيقون الخناق حول مدريد • وبدأ سقوط المدينة وشيكا • وصدر مرسوم (سري) في ١٣ سبتمبر ، وقعه الرئيس مانوريل أزانا ووزير المالية الدكتور جوان نجران بنقل الذهب والفضة من خزائن بنك اسبانيا • وقد منح هذا المرسوم وزير المالية سلطة نقل المعادن الثمينة من مدريد الى المكان الذي يكفل في رأيه أفضل قدر من الامن • ونص هذا المرسوم على عملية النقل سوف تعرض على (الكورتز) أي البرلمان الاسباني للتصديق عليها ، ولكن هذا لم يحدث مطلقا •

ومهما كان من أمر شرعية المرسوم فانه بلا شك لم يكن يتوقع شحن هذا الكنز خارج البلاد . ولكن بعد ان تدهور الموقف العسكري وسع جوان نجران سلطته بدافع اليأس ، وقام بجس نبض ملحقنا التجاري السوفياتي حول اختزان الذهب في روسيا ، وذلك بعلم رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء فقط ، وأبرق بذلك الى موسكو ، فأسرع ستالين الى انتهاز الفرصة .

وبعد مرور يومين على وصول برقية ستالين الي قمت بالتباحث مع جوان نجران في مبنى سفارتنا ، كان وزير المالية الاسباني (استاذ الفسيولوجيا) الوافد حديثا الى مقاعد الحكم نموذجا صادقا للشخص المثقف الذي يعارض الشيوعية من الناحية النظرية . الا أنه يعطف بصورة مبهمة على « التجربة العظمى » التي تجري في الاتحاد السوفياتي ، وهذه السذاجة السياسية تساعد على تفسير الدافع الذي جعله يسمح بتصدير كنز بلاده الى تلك البلاد . هذا فضلا عن أن هتلر وموسوليني كانا يساعدان الوطنيين ، بينما وقفت الدول الديمقراطية بعيدا أما روسيا ، فكانت حليفا للجمهوريين ، وهي الدولة الوحيدة الكبرى التي كانت تساندهم ..وسألته : أين يوجد الذهب الآن ؟ فاجاب وزير المالية : في قرطاجنة في أحد الكهوف القديمة التي يستخدمها الاسطول لخزن الذخائر . وقلت في نفسي : لقد ساعد الحظ ستالين مرة ثانية ، وقد أصبحت مشكلتي بسيطة جدا بوجود الشحنة في قرطاجنة ، فذلك الميناء الفسيح هو الذي تقوم سفننا السوفياتية بانزال الاسلحة والذخائر فيه . وهكذا لا توجد فيه السفن فحسب ، بل الاشخاص السوفياتيين الذين نثق بهم .

وكان لا بد من الافضاء بالسر الى مسؤول اسباني آخر هو(انداليشيوبرتيو)

وزير البحرية والطيران ، فاننا سنحتاج الى سفنه الحربية لحراسة الشحنة عبر البحر المتوسط الى اوديسا على البحر الاسود ، وعندما استشير في ذلك(وافق على اصدار الاوامر اللازمة) .

كانت السرعة ضرورية جدا فان أية اشاعة كفيلة بجعل ايطاليا والمانيا تعترضان سفننا . والاكثر أهمية من ذلك ان اعصاب الشعب الاسباني كانت

في حالة تكفل بالغاء العملية بأسرها ، فيما لو تسرب أي نبأ عن ارسال كنز الامة الاسبانية الى الخارج ...

وبناء على تعليمات (جوان نجران) قـدم لي أحـد كبار موظفي وزارة الخزانة (المالية) تفاصيل الذهب وتخزينه ، فقال : ان هناك حوالي عشرة آلاف صندوق حجم كل منها ٣٠ × ٤٨ × ١٨ سم يحوي كل منها على ٦٥ كيلو جراما من الذهب ، ومجموعها حوالي ٧٢٥ طن

وفي اليوم التالي ذهبت الى قرطاجنة بالسيارة ، وكان ملحقنا البحري قد سبقني الى هناك . وهو صديقي القديم (نيقولا كوزتسوف) (الذي أصبح خلال الحرب العالمية الثانية وزيرا للبحرية السوفياتية) . وأمرته أن يجند كل السفن السوفيتية التي تصل الى قرطاجنة : وان يتم افراغها بأقصى سرعة ، ويضعها تحت تصرفي . وكانت هناك سفينـة شحن روسيه في الميناء . ومـن المتوقع وصول سفن اخرى . كما اعطيت الاوامر الى القائد الاسباني . فوضع تحت تصرفنا ٦٠ بحارا . والتفت بعد ذلك الى مشكلة نقل الذهب من الكهف الى ارصفة الميناء كان هناك لواء دبابات سوفياتي قد نزل في قرطاجنه قبـل اسبوعين للوقوف بجانب الجمهوريين . ضد هجمات الجنرال فرانكو بعد أن وضعت للدبابات أرقاما اسبانية . وهو يعسكر الان في (أرثينا) على مسافة ٦٠ كيلو مترا يقوده الكولونيل (كويفوشين) الذي عرفه الاسبان باسم (ميليه) . وقد خصص كويفوشين لي ٢٠ سيارة نقل عسكرية من التي لديه . ويقودها افضل سائقي الدبابات السوفييت .

وأخيرا أصبح كل شيء على استعداد ، وكانت سياراتي تقف في السكة الحديد في قرطاجنه بقيادة الجنود السوفييت الذين ارتدوا ملابس (الجنود الجمهوريين الاسبان) . وارسلنا البحارة الاسبان قبل ذلك بساعتين الى الكهف ، بينما كانت سفن سوفياتية بملاحيها وحتى الطهاة في حالة تأهب ، توقعـا لعدة ليال من عمليات شحن هامة . (وهكذا توجهت مساء ٢٢ أكتوبر بالسيارة الى مستودع الذخيرة وورائي قافلة سيارات النقل) .

كان البحارة الإسبان الستون من بحارة الغواصات ، وأجسامهم نحيلـة.

وكان نقل كل صندوق الى السيارات يتطلب تعاون اثنين منهم . ولتسهيل العد جعلنا حمولة كل سيارة (٥٠) صندوقا فقط . وكنت أرسل كل عشر سيارات الى الميناء ، بعد أن يتم شحنها . فاذا عادت بعد ساعتين تكون السيارات العشر الاخرى قد استعدت للرحيل مع ٥٠٠ صندوق أخرى . وكنت أتقدم كل قافله بسيارتي ، ومعي أحد ضباط المخابرات السوفياتية ومندوب من وزارة المالية الاسبانية .

واستمرت عملية الشحن ثلاث ليال من السابعة مساء وحتى الصباح . وكانت تلك الليالي حالكة الظلام لا قمر فيها . وقد أظلمت الدنيا تماما ، ولم يكن باستطاعتنا استخدام انوار السيارات . وكان السائق لا يرى السيارة التي أمامه أحيانا فيتيه عن الطريق ويختل الطابور . وقد ساورني الرعب عدة مرات لهذا السبب ، اذ أن رجال الدبابات الروس الذين يرتدون الزي العسكري الاسباني لم يكونوا يلمون بكلمة واحدة اسبانية . فماذا يحدث لو احتجزت أحدهم دورية عسكرية من البوليس الحربي الاسباني ؟ ، واعتقدت انهم (جواسيس) . ومن المعروف أن قضاء ومحاكمة الحرب يكونان من السرعة بحيث لا نستطيع تلافي أي تهور . بل ماذا لو فتشت (الشرطة العسكرية) احدى هذه السيارات ؟ . ان نبأ رحيل بعض الاجانب بشحنات من الذهب سوف يشعل نيران أعمال عنف سياسية لا حصر لها . كما كان ثمة خطر يتمثل في حدوث غارة ألمانية ، لقد كانت الكهوف ملأى بالمتفجرات ، وأية اصابة مباشرة يمكن أن تكون فيها نهايتنا جميعا ، أو ربما غرق سفننا في الميناء . وكان الحظ في ركابنا حتى الليلة الثالثة والاخيرة . وحوالي الساعة الرابعة صباحا راحت القاذفات الالمانية تمر من فوق سلسلة التلال المنخفضة . وكان في استطاعتنا ونحن في الكهف ان نسمع صوت القنابل وهي تصيب أرصفة الميناء . وعلمت من أحد السائقين العائدين أن الالمان أصابوا سفينة شحن سوفياتية كانت تقف بالقرب من سفننا . وقررت أن انهي العملية وأرسل سفني الى خارج الميناء بأسرع ما يمكن . وعندما أرسلت آخر سيارة في تلك الليلة سألت موظف المالية المشرف على العملية عن رقمه الاخير فقال : لقد نقلنا حتى الآن ٧٨٠٠ صندوق أي ثلاثة أرباع الذهب . وفي العاشرة من صباح ٢٥ أكتوبر وضم

آخر صندوق على ظهر آخر سفينة،وحلت اللحظة الحرجة التي لا مناص منها عندما طالبني الموظف الاسباني بايصال عما استلمته•فتحاشيت عيني الموظف الحمراوين ، وحاولت أن أبدو غير مكترث وقلت ببرود «ايصال؟ولكني أيها الرفيق لست مفوضا لاعطاء ايصال ، لا تقلق يا صديقي فسوف يصدر الايصال من بنك الدولة للاتحاد السوفياتي عندما يتم استلام ووزن وفحص كل شيء هناك في موسكو » •

وفغر الرجل فاه دهشة ، وقد أصابه الذهول • ولم يستطع أن ينطق الا بكلمات مبهمة غير متماسكة أي انه لم يفهم جوابي • فالامر قد يعني حياته في هذه الاحوال وشعرت أنه يود الاتصال بمدريد ولكني لم أرد قطعا أن أجعله ينشر الذعر بواسطة الحديث التلفوني ، فاقترحت عليه أن يرسل عوضا عن الاتصال مندوبا عن وزارته في كل سفينة كمرافقين رسميين للذهب • ولم يكن هذا التساهل يعني شيئا في ضوء هذا المنطق البارد • ولكن الرجل الشارد اللب وافق عليه ، وبعد ساعتين أقلعت السفينة • واستطعت أن أبعث تقريرا الى موسكو بأن الشحنة الثمينة في طريقها الى أوديسا • كما استطعت في النهاية أن أعرف النهاية السوفياتية للعملية • وذلك من كبار موظفي المخابرات الذين كانوا يروحون ويجيئون بين روسيا واسبانيا •

وقد تقاطر على أوديسا عدد كبير من كبار ضباط المخابرات السوفياتية من موسكو وكييف • وظلوا هناك عدة أيام يشرفون على تفريغ الذهب ، ومن ثم حمله الى قطار خاص•وقد أحيطت مساحة كبيرة من الميناء حتى خطوط السكك الحديدية بقوات خاصة • وعندما رحل القطار الى موسكو صحبه المئات من الضباط المسلحين • وأقام ستالين مأدبة فاخرة لكبار ضباط مخابراته احتفالا بهذه الضربة وذلك في الليلة التالية لوصول الذهب الى موسكو • وكان جميع أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي حاضرين ، بينما ظهر ستالين في حالة معنوية عالية • وقد ذكر أريجوف مدير المخابرات السوفياتية لاحد أصدقائي : (أن الاسبان لن يروا ذهبهم مرة أخرى الا بعد أن يروا آذانهم • وفي خلال الواحد والعشرين شهرا التي مضت على عملية الذهب[1] وفراري من الاتحاد السوفيتي)

---

(١) كان فرار الجنرال (الكسندر اورلوف) في الشهر التاسع من عام ١٩٣٨ الى الولايات المتحدة بحيث يذكر الـ ٢١ شهرا التي تفصل بين عملية الذهب وفراره الى امريكا•

كنت على صلة مستمرة بالزعماء الجمهوريين الاسبانيين . ولكن الامر ظل سرا مؤلما بيننا لا يتحدث عنه أحد . وكنت واثقا أن عملهم بدأ يبدو أمامهم باعتباره غلطة كبيرة . وكانت المرة الوحيدة التي ذكرت فيها هذه المسالة في خلال حديث مع نجران وزير الخزانة كان قد اصبح رئيسا للوزراء فقد سالني : أتذكر هؤلاء الاربعة الذين وضعوا على سفنكم ؟ انهم ما زالوا في روسيا بالرغم من اكثر من عام... إني أتساءل لماذا لا يسمح لهؤلاء المساكين بالعودة الى وطنهم ؟ وقد اكتشفت فيما بعد ان هؤلاء الاربعة لن يسمح لهم بالعودة الا بعد انتهاء الحرب الاهلية . ولا بد ان الجنرال (فرانكو) قد علم بنبأ الذهب (الضائع) بمجرد استيلائه على مدريد . ولكن حكومته لم تذكر شيئا عنه لمدة ١٨ عاما تقريبا فالعملة الاسبانية ضعيفة فعلا ، وسوف تنهار بكل تاكيد اذا عرف ان الخزائن الوطنية خالية تماما . وقد تحطم الصمت الرسمي في ديسمبر ١٩٥٦ بعد موت الدكتور (جوان نجران) فقد أكدت وزارة الخارجية الاسبانيه انها وجدت أخيرا بين أوراقه الخاصة ايصالا رسميا عن ذهب مودع لدى الاتحاد السوفياتي. وبعد بضعة أشهر اعترف مقال نشر في صحيفة (برافدا) بعبارات ساخرة بان حوالي (٥٠٠) طن من الذهب الاسباني وصلت فعلا الى موسكو عام ١٩٣٦ ، وان الحكومة السوفياتية قدمت ايصالا عنها ومضت الصحيفة تقول : ان هذا الذهب كان لضمان (سداد) قيمة الطائرات والاسلحة والذخيرة من السلع السوفياتية التي قدمت للجمهوريين في اسبانيا . وقالت الصحيفة : ان هذا المبلغ ثمن لهذه الاشياء ، وان اسبانيا ما زالت (مدينة) بباقي الثمن وقدره (٥٠) مليون دولار. أليس ذلك من عجائب المخابرات ؟ .

جاسوس روسي سقط بسبب الحب :

لا نستغرب أن نجد مع عظمة المخابرات السوفياتية ودقتها في اختيار وتدريب جواسيسها أن بعضهم ، ولا يتعدى أصابع اليد قد انهاروا أو تخاذلوا بسبب (الحب) الذي تحرمه عليهم مهنة المخابرات اصلا . لانه يشل الجاسوس عن حركته والجاسوس السوفياتي . (بوغدان ستاشنكي) المتخرج من اكاديمية التجسس السوفياتية ، والذي اوفد بمهمة اغتيال اثنين من الزعماء الاوكرانيين (الذين لجأوا الى المانيا الغربية) قبل مدة ، حيث تحدثت عنهم الصحف نظرا

لقيمتهم الادبية والاجتماعية ، وهما: البروفسور ليف ربيت والكاتب الاوكراني الشهير اسطفان باندرا ــ وسبب اقرار اغتيالهم من قبل المخابرات السوفياتيه هو ما نشروه عن الحياة في الاتحاد السوفياتي ، وبعض ما نشر قد أملي عليهم، ووافقوا عليه بسبب حسن وكرم الضيافة في برلين الغربية .

ابتداء مهمة ستاشنسكي :

زود ستاشنسكي ــ ببطاقة المانية غربية (مزورة) باسم : يوشي ليمان.. ووصل الى برلين ، وعمل في عدة مجالات تجارية (مترجما) ، ومنها وزارة التجارة بالذات . وأثناء ذلك كان يقوم بجولات استطلاعية بحثا عن ضحاياه المسماة بلغة المخابرات (أهداف) . فتبين له أنهما استوطنا في (ميونيخ) ، فانتقل فورا الى هناك ، وتعرف على عنوان الضحية الاول : ليف ريبيت ، وبدا بدرس تحركاته .. لاحقه في أول يوم لدى خروجه من مكتبه الواقع في كارلزبلاتس الى الحافلة ، الكهربائية ثم تركه لكيلا يثير شكوكه .

واستأجر غرفة في فندق /غرنفالد/ بحيث يستطيع منها أن يراقب ريبيت هدفه في مقر الصحيفة التي يصدرها المهاجرون الاوكرانيون الكائن مقابل الفندق وهذه الصحيفة بالذات كان يكتب بها الضحية الثانية ــ اسطفان باندرا ــ ولكن ستاشنسكي ــ قرر تصفية ريبيت أولا . ولما تأكد من استطاعته من تنفيذ مهمته أعلم رؤسائه بذلك ، فتم احضار خبير من موسكو الى ميونيخ ، حيث قام بتسليم ستاشنسكي السلاح الذي سيتم به الاغتيال ، وهو عبارة عن أنبوب معدني بسماكة الاصبع البشرية طوله ١٧ سنتميترا ، لكنه مؤلف من ثلاث قطع تجمع بعضها الى بعض ، وفي أسفلها كان هناك /زناد/ للاطلاق ، يلهب كمية من البارود مما يؤدي الى تحريك قطعة معدنية في الانبوب الاوسط والى انطلاقها عبر زجاجة عند مخرج الانبوب الثالث . هذه الزجاجة تحتوي على سم يبدو كالماء ، ويخرج من الانبوب على شكل (بخار) ، فاذا ما استعمل هذا السلاح ضد وجه (الضحية) من مسافة نصف متر فان الشخص يموت فورا بمجرد (تنشق البخار) الصادر عن السم ، وهذا السم هو /الاسيد البروسيك/ لا لون له ، ومن النوع السائل من السيانيد أقوى أنواع السموم التي عرفها الانسان . وله (ترياق) خاص (مضاد) له هو تيوسلفات الصوديوم ــ بشكل بودرة بيضاء .

اغتيـــال ليفــ ريـبيت :

في التاسع من تشرين الاول عام ١٩٥٧ عاد /ستاشنسكي/ الى ميونيخ ، ونزل في أحد الفنادق . وبدأ لثلاثة أيام يتناول الترياق المضاد لسلاحة ، (لانه سوف يستنشق بعض بخار سم الاسيد البروسيك عند اطلاقه على ضحيته) . وبتاريخ ١٢ تشرين الاول رأى ستاشنسكي ضحيته ريبيت يدخل صباحا الى مبنى مكتبه في كارلزبلاتس، فلحق به عند الدرج ، ووجه الى وجهه أنبوبه القاتل، وأطلق عليه (السم) فقتله على الفور ، بحيث لم يصدر عنه أي صوت أو نزف دموي وسقط ريبيت على الدرج ، فخرج ستاشنكسي بكل هدوء من الباب وأسرع الى فندقه ، وتناول بقية الكمية المضادة للسم ، وألقى سلاحه في مكان لا يهتم له أحد . ثم سافر بالقطار من ميونيخ الى فرانكفورت ، ومنها الى برلين بالطائرة .

أما بالنسبة للضحية فقد عثر على جثته بعد ساعة ، واعتبرت الشرطة في ميونيخ أنه /مات بالسكتة القلبية/ بعد أن جرى فحصه من قبل الطبيب الشرعي لمدينة ميونيخ ...

اغتيال (اسطفان انديرا) او الضحية الثانية لستاشنسكي :

لما كان نجاح ستاشنسكي في اغتيال ريبيت مذهلا بحيث اعتبرت الشرطة الالمانية ــ موته سكتة قلبية ـ قررت المخابرات السوفياتية اعادة ارساله لتنفيذ الشق الثاني من مهمته . وهي اغتيال اسطفان أنديرا رئيس رابطة المهاجريـن الاوكرانيين في المانيا ، وذلك بعد حوالي سنتين من اغتيال ريبيت .

عثر ستاشنسكي على ضحيته بسرعة نظرا لمعرفته سابقا بالعنوان والامكنة التي يتردد عليها .

بتاريخ ١٥ تشرين الاول ١٩٥٩ ــ أي بفارق سنتين وثلاثة أيام عن اغتيال /ريبيت/ ، وهذا الفارق بمفهوم المخابرات لاسباب معنوية ومهنية أولا ، بتاريخ ١٢ تشرين الاول ١٩٥٨ الذكرى السنوية لاغتيال ريبيت والمخابرات السوفياتية تعرف أن المخابرات الغربية تتخذ احتياطات في مثل هذه المناسبة . ويوم ١٢ تشرين الاول١٩٥٩ترك يمر أيضا كسابقه ولنفس الاسباب ولكن بنفس الوقت ابتدأت

عملية الاغتيال في هذا اليوم • حيث آخذ ستاشنسكي بتناول الترياق المضاد لسم سلاحه حتى يوم ١٥ توجه الى منزل أنديرا ـ ولدى وصوله آدخل سيارته الى الكراج حيث كان ستاشنسكي بانتظاره من الداخل ، ولدى خروجه من سيارته وبيده /سلة بندورة/ أطلق عليه ستاشنسكي القذيفة السامة فتهاوى أنديرا على الارض حالا ، وتفرقت حبات البندورة التي سقطت سلتها من يده ، بينما خرج ستاشنسكي بكل ثبات لا يكترث لاحد منطلقا بالقطار الى فرانكفورت ثم برلين بالطائرة • بعد أن ألقى أنبوبة القاتل بمكان مهجور ، وتابع طريقه الى موسكو بعد ذلك حيث قدم تقريرا بالتنفيذ حسب العادة ، وكوفيء بمنحه (وسام العلم الاحمر) من قبل الجنرال (شيلبين) بالذات رئيس المخابرات السوفياتية في شهر كانون الاول ١٩٥٩ •

اكتشف اغتيال انديرا بعد ساعتين ، ونقل الى مستشفى الحكومة لاجراء الكشف والتشريح حسب الاصول ، فأكد الطبيب الشرعي في ميونيخ أن الوفاة مشابهة لوفاة /زميله/ ريبيت ، وطلب امهاله أسبوعين قام خلالها بالتحليل والاختبار ، فتبين له أن الوفاة تمت بسم خاص لا يترك أي أثر •

ومع ذلك حفظت القضية نظرا لعدم وجود أي دليل على اغتياله •

غرام ستاشنسكي اثناء قيامه بمهمات المخابرات :

أثناء استعداد ستاشنسكي لتنفيذ مهماته السابقة تعرف على فتاة ألمانية شرقية في احدى دور السينما ، وتدعى /آنجي بول وعمرها ٢٣ سنة/، فأحبها كما أحبته وألبسها خاتم الخطوبة بدون حفلة وبدون أن يخبر أحدا • ونظرا لثقتها به لم تسأله عن سبب ابقاء خطبتهما (سرية) ، وكان يتغيب عدة أيام فلم تحاول أن تسأله عن السبب لانها مثل جميع الالمانيات (تحب الرجل الذي يحبها وتحترم عمله ورغبته) • وبقيا هكذا متحابين الى ما بعد تنفيذه مهمتي قتل ريبيت وأنديرا ، وكاد في احدى المرات أن يعترف لها بعمله أثناء مشاهدتهما أخبارا مصورة في احدى دور السينما ، وهي تعرض وجه أنديرا بعد اغتياله ، وهو ميت أصيب ستاشنسكي بالدوار والرغبة في البكاء فرجاها أن تخرج معه من السينما

بحجة أنه مريض . ولهذا السبب ولاجتناب مثل لحظات الضعف هذه تحرم المخابرات الحب عـلى منتسبيها ، بل وتفضلهم بدون عواطف أو أن يكونـوا متزوجين سابقا .

كانت حالة الحب هذه قد عرفت من قبل رؤسائه في برلين الشرقية الذين كتبوا بذلك الى موسكو . فاستدعي الى هناك وفوجىء بقرار حاسم « الابتعاد عن الصديقة الالمانية (الخطيبة) » ، واتباع دورة لغة انكليزية استعدادا لعمل جديد في مكان جديد ! ثم اتبع ذلك الضابط الذي أبلغه هذا القرار بجملة : فكر في الامر جيدا وهو يعرف معنى ذلك (بلغة المخابرات) . ومع ذلك قرر الزواج من آنجي مهما كان الثمن ، لذلك عاد الى برلين الشرقية . وهناك تـزوجا في الكنيسة بشكل هادىء ، وبدون حفلات . وبعد مدة أقنعها بالسفر معه الى موسكو لقضاء اجازة وهناك وجد عنده الشجاعة ليخبرها عن حقيقته ، وبكت آنجي حين علمت أنه قاتل محترف . ولكنها رجعت وسامحت بكل شيء ، لان المحب يسمو عن الاخطاء . وطلبت منه العودة الى برلين فلم يتمكن من مرافقتها . (كانت حاملا بشهرها الرابع) عادت الى برلين على أن يلحق بها فيما بعد . وكانت عند حسن ظنه فعلا لم تخبر أحدا من معارفهم ، وانتظرته فتأخر في موسكو حتى وضعت وليدها (بيتر) الذي أصيب بعد ولادته بالتهاب رئوي خطر (كان أثناء ذلك ستاشنسكي يتبع دورة لغـة انكليزية في مدرسة المخابرات في موسكو وممنوع من العودة اليها ..) .

بتاريخ ٩ آب ١٩٦١ ـ اتصلت آنجي هاتفيا به وأخبرته أن ابنهما بيتر قد توفي ، وهي تنتظر حضوره لاجراء الدفن . فسمحت له المخابرات بالسفر حالا الى برلين الشرقية لحضور دفن ولده . (ولكن بنفس الوقت أعلنت مخابرات برلين باقامة حراسة مشددة عليه تحسبا لاي ردة فعل تكون لديه من جهة حرمانه زوجته . ومن ثم وفاة ولده البكر وهو بعيد عن منزله الزوجي) .

أثناء مراجعته المستشفى لتوقيع وثيقة وفاة ولده مع زوجته قرر الهرب الى برلين الغربية . وكانت الحراسة المفروضة عليه من الشدة بحيث تتناوب ثلاث سيارات على مراقبته ومتابعة خطواته .

بتاريخ ١٢ آب جرى دفن ابنهما بيتر بشكل مؤثر • ولما رجعا الى المنزل للاستراحة وتقبل عزاء الجيران كانت ثلاث سيارات حراسة معهم ، تقف أمام المنزل استغلا الوقت حيث خرجا فور دخولهما المنزل من الباب الخلفي (كان يجب احاطة المنزل بالحراسة ، وهو ما تقتضيه المصلحة في مثل هذه الحالات) • وانطلقا ركضا في الاحراش والاراضي الزراعية حتى وصلا الى طريق رئيسية فركبا تكسي الى منطقة فالكنزى من ضواحي برلين ، ثم تكسي أخرى الى برلين الشرقية ومنها بالقطار رأسا الى المانيا الغربية حيث اتجها الى مركز المخابرات الاتحادية في بولاخ قرب مدينة ميونيخ ، ولو تأخر الهروب يوما واحدا لما تمكنا من اللجوء لانهما هربا بتاريخ ١٢ آب ١٩٦١ وفي ١٣ منه بدىء بانشاء جدار برلين •

قدم ستاشنسكي الى المحكمة بعدالتحقيقات التي أجرتهاالمخابرات الاتحادية وفي المحكمة أعلن أنه نادم ، وأنه كان ينفذ عمله تحت الضغط عليه • فوجدت المحكمة ان له من الاسباب المخففة ما يكفي للحكم عليه ثماني سنوات فيالاشغال الشاقة أي أنه سيقضي بالسجن من تاريخ تسليم نفسه في صبيحة ١٣ آب١٩٦١ الى ١٣ آب ١٩٦٩• ولكنه اختفى من سجنه في عام ١٩٦٦ وكذلك اختفت زوجته التي كانت تزوره يوميا في السجن •

أين ذهب ـ هرب من سجنه • هربته المخابرات الاميركية التي ساعدت بالتحقيق معه زميلتها المخابرات الاتحادية التي هي أصلا من صنعها ؟ • هل يعيش الان في مكان ما من الولايات المتحدة ؟• هل اغتيل مع زوجته من قبل المخابرات السوفياتية ••••؟

لا أحد يعرف حتى الان ••• وهذه هي المخابرات • وأسرارها ••••؟

آخر العنقود : (رقيب أميركي يتجسس لصالح المخابرات السوفياتيه) :

عندما ودع فكتور شيرنيشيف ـ السكرتير الاول في السفارة السوفياتية في واشنطن الرقيب جيمس وود ـ من سلاح الجو الاميركي في أحد شوارع نيويورك أطبقت عليهم المخابرات الاميركية التي كانت تراقب شيرنيشيف بطبيعة الحال (كدبلوماسي) ، فاقتيد الرقيب للسجن • أما شيرنيشيف فأظهر جواز سفره الديبلوماسي ، وأخبرهم أن الحصانة الديبلوماسية تشمله ، عندئذ جرى تسليمه

الى القنصل السوفياتي في نيويورك • فغادر الولايات المتحدة حالا لتعيينه في منصب جديد ••؟ أما الرقيب وود الذي أمضى ١٨ سنة في المخابرات الخاصة بسلاح الجو الاميركي ، وكان سينقل الى تركيا فقد اعترف باعطاء الدبلوماسي السوفياتي وثائق سرية هامة عن سلاح الجو الاميركي والقواعد الاميركية في عدة أقطار ، وما تحتويه من تجهيزات وأسلحة لقاء منفعة مادية وصلته بشكل دفعات متقطعة تتراوح بين ٥٠ دولار و ٥٠٠ دولار • ومن المعروف أن عقوبة التجسس بهذا الشكل الواضح هي الاعدام • ولكن ولاية نيويورك من الولايات التي تطالب بالغاء عقوبة الاعدام، لذلك سيكون الحكم الصادر بحقه هو السجن مدى الحياة ••





المخابرات البريطانية ونشوؤها



مركز المخابرات البريطانية في شارع (هوايت هول ٠٠) المسمى شارع الوزارات ٠٠٠

قبل الدخول في شرح أعمال ونشوء المخابرات البريطانية المسماة (الاتلجانس سرفيس) نبدأ بموجز عن بريطانيا نفسها ، واسمها الجغرافي (انكلترة) وهي جزيرة صغيرة المساحة بالنسبة للدول النامية ٠ ومن المعروف أن موارد هذه الجزيرة من الاعمال البحرية لا تكفي بالنسبة لسد حاجة سكانها، مما دعاهم الى التوسع واستعمار بقاع أخرى من العالم ٠ وأخذت تسمي نفسها (الامبراطورية البريطانية العظمى) ، ولحفظ هذه الامبراطورية من الاعداء تم انشاء ادارة المخابرات البريطانية منذ حوالي القرن السادس عشر حيث (احتفلت في عام ١٩٧٣ بعيدها الاربعمائة) ٠ لان مؤسسها الاول عام ١٥٧٣ هو السير فرنسيس والشينغهام وزير الدولة في حينه ومستشار الملكة اليزابيت الاولى ، وفي عهده أدخل الى المخابرات البريطانية نخبةمن أذكى متخرجي جامعتي كسبريدج واكسفورد ، ودربهم للتغلغل في قصور أعداء التاج البريطاني ٠ كما نجد في

تاريخ المخابرات البريطانية القديم أن بريطانيا تعرضت لمحاولة غزوها من اسبانيا التي كانت تملك وقتئذ اسطولا بحريا قويا . فما كان من المخابرات البريطانية الا أن أرسلت الى اسبانيا جميع عملائها مزودين بعشرات الالوف من الجنيهات ، فاندسوا بين الشعب ووصلوا الى قادة القوات المسلحة الاسبانية ، ورشوهم وأقنعوهم بأن هجوم اسبانيا على بريطانيا يعني تحطيم الجيش والاسطول الاسباني على الصخور البريطانية مما أفسد الحملة بأسرها . وهذا (مثال بسيط على بداية الاتتلجانس سرفيس التي تطورت مع الزمن حيث ظهرت أعمالها واضحة قبيل ابتداء الحرب العالمية الاولى ، حيث أحست انكلترا بالخطر يحدق بها خصوصا من ألمانيا التي بدأت تنافسها بحريا . ولدى مراجعتنا لمختلف المصادر عن منشأ (الاتتلجانس سرفيس) وجدنا أن منشأها يبدو بشكل غامض حيث وجدنا كتبا تشير الى أن الملك جورج الاول في القرن الثامن عشر هو اول ملك بريطاني اعتمد الجاسوسية . وتمضي بنا المصادر حتى تقترب من الحرب العالمية الاولى ، حيث نجد أن الاتتلجانس سرفيس أصبحت دائرة سياسية كبيرة تشرف على السياسة البريطانية ، وتوجهها في جميع أنحاء العالم . ومن المصادر ما يؤكد أن سيطرة المخابرات البريطانية وصلت الى أعضاء مجلس الثورة الفرنسية حيث كان معظم أعضاء المجلس يتعاملون مع المخابرات البريطانية . ومن منجزاتها ابان الحرب العالمية الاولى حصولها على مفتاح الشيفرة الالمانية حيث تمكنت من التقاط مخابرات وزارة الخارجية الالمانية مع سفيرها في واشنطون . حيث قدمت الاتتلجانس سرفيس هذه المخابرات هدية منها الى وزارة الخارجية الاميركية . لان أميركا لم تفكر باعلان الحرب على المانيا رغم جميع ما تعرضت له من تحرشات المانية واعتراض السفن الاميركية . ومع ذلك فان اميركا كانت تحتج فقط لدى السفارة الالمانية حتى تمكنت الاتتلجانس سرفيس من الحصول على الشيفرة الالمانية ومعرفة سر المخابرات الجارية بين وزير الخارجية الالمانية وسفيره في لندن بخصوص الاتفاق مع المكسيك على محاربة أميركا معا اذا أعلنت هي الحرب على المانيا . مما دعا وزير الخارجية الالمانية الى التخابر مع سفيره في بعض الامور السرية . وكانت نسخة من هذه المخابرات ترسل الى القنصل الالماني في المكسيك بلغة سرية لا يعرفها أحد . ومع ذلك اكتشفتها المخابرات البريطانية حيث قدم

بلفور وزير الخارجية البريطانية[1] بتاريخ ١٩١٧/٣/٢٣ صورة عن تجميع المخابرات السرية التي اتضح أنها كانت مضمون الاتفاقية السرية المعقودة بين المانيا والمكسيك وهي باللغة الانكليزية (بعد ترجمتها) الى السفير الاميركي ، الذي أبرق الى حكومته حالا عن هذا الموضوع وقد زاد على نص برقية الاتفاقية ما يلـــي :

ما اطلع المستر بلفور وزير الخارجية البريطانية من مصادره الموثوقة على هــذه الاتفاقية الخطيرة أطلعني عليها ، وأخبرني أن انكلترا تمكنت من معرفة سر الشيفرة الالمانية حيث تمكنت بعد ذلك من ترجمة جميع البرقيات التي تتبادلها المانيا مع سفرائها في الخارج • وهي الان تترجم جميع هذه البرقيات المتبادلة بين برلين والقنصل الالماني في المكسيك وستزودنا بها حال الانتهاء من فك رموزها •

ولما كان حل الشيفرة من الامور الخطرة وأسرار الحرب فان الحكومة الانكليزية قد أسدت الينا خدمة عظيمة باطلاعنا على ما عرفته . وترجو بنفس الوقت أن يظل حديث الشيفرة سرأ مكتوما • لكن الحكومة الاميركية طلبت مفتاح الشيفرة ، فرفضت الحكومة البريطانية بسبب نية بريطانيا الاحتفاظ بالسر في آقبية مخابراتها • ولكن الحكومة الاميركية أصرت على مشاهدة الشيفرة خشية أن تكون بريطانيا تدبر مثل هذه الطريقة لتحمل أميركا على دخول الحرب ضد المانيا ، حيث آعاد المستر لانسينغ وزير خارجية أميركا في حينه طلبه بالاطلاع على الشيفرة الالمانية ، مما دعا بريطانيا الى الموافقة • وسمحت لاحد موظفي السفارة الاميركية في لندن دخول دائرة الانتلجانس سرفيس لكي يتاكد مـــن الشيفرة بنفسه حيث آحاط به رجال المخابرات البريطانية المدربين ، وسلموه البرقيات المتبادلة بالشيفرة بين المانيا والمكسيك ، ومن ثم سلموه مفتاح حل هذه البرقيات ، وطلبوا منه التاكد بنفسه • وبعد جهد شاق منه استطاع ترجمــة البرقيات حول الاتفاقية حيث كانت هذه الترجمة الجديدة من قبل الموظف الاميركي مطابقة حرفيا للترجمة البريطانية ، مما دعا أميركا الى التاكد من أن

---

(١) بلفور هو نفسه صاحب الوعد المشؤوم الذي قطعه لليهود بتاسيس وطن قومي لهم في فلسطين •

ريطانيا كانت لا تريد الايقاع بها . وحدث بعد ذلك ان رئيس الولايات المتحدة طلب من سفيره بلندن التصريح للصحافة حول المعاهدة مع المكسيك ، فقامت صحف مؤيدة لالمانيا بالادعاء بأن هذا الموضوع كاذب مما اضطر أميركا الى نشر الوثائق الرسمية عن المعاهدة ، ثم دخلت الحرب ضد المانيا . وهذا يضيف الى مآثر الانتلجانس سرفيس بأن لها الفضل في ادخال اميركا الحرب العالمية الاولى .

ومضت المخابرات البريطانية في تطوير نفسها حتى اعتبرت ابان الحرب العالمية الثانية من أرقى المخابرات في العالم من حيث الصفة القانونية لاعمالها في الداخل والتنظيم والتخطيط لاعمالها في الخارج .

وبالنسبة للصيغة القانونية لاعمالها الداخلية يؤكدها عـدد من الافلام والقصص التي اعتقل فيها أغلب الجواسيس في لندن . وكانت أوامر القاء القبض صادرة بطريقة منتظمة وعن طريق المدعي العام .

مقر الانتلجانس سرفيس

سبق أن ذكرنا في موجز أمكنة مراكز المخابرات في العالم أن مركز رئاسة المخابرات البريطانية (الانتلجانس سرفيس) في لندن . ولكن مركزها بالتحديد هو بنفس شارع الوزارات في منطقة (هوايت هول) ، ومركز المخابرات عبارة عن بنائين من الابنية القديمة البريطانية لهما مدخل واحد ، حيث يجد القادم اليهم مكتبا لاستقبال المراجعين ، ثم يتخطى حديقة حتى يدخل البناء . ولدى دخول أي شخص الى أحد مراكز المخابرات الثانية يشعر برهبة طبيعية أما الداخل الى مكاتب الانتلجانس سرفيس فانه يجد الترحيب أينما سار ، حيث يزود ببطاقـة زرقاء من مكتب الدخول تشير الى عنوان ورقم دور وغرفة الشخص المراجع بالضبط ، وغالبا ما يكون المراجعون البريطانيون لدوائر المخابرات بخصوص استدعائهم، لاخذ رأيهم بموضوع اشتباه بأحد الاجانب أو العملاء، أو للمراجعة بخصوص التوجه الى بلاد شيوعية حيث تخضع معاملات منح سمة الدخول الى البلاد الشيوعية للاسباب التجارية والعلمية (الدراسة) الى موافقة ومراجعة دائرة المخابرات البريطانية . وسبب ذلك هو خوف المسؤولين في المخابرات من تجنيد المخابرات السوفياتية لاي شخص يدخل الستار الحديدي كما يسمون

دخول أي بلد شيوعي • لذلك يتقدم طالب السفر الى الدوائر المختصة لتحيله الى الانتلجانس سرفيس التي تفتح سجلا خاصا له يبقى قيد الدرس حتى عودة الشخص من الاتحاد السوفييتي ، حيث يوضع تحت مراقبة روتينية وهكذا ••• وتقسم المخابرات البريطانية الى ستة أقسام كل قسم له أهميته ، وهي :

١ ـ القسم الخارجي :

ومهمته مراقبة السفارات والممثلين الاجانب حيث يخضع لمراقبته جميع السفارات والمفوضيات ، وحتى مراقبة الشخصيات السياسية والاجتماعية التي يدخل معها موظفي القسم الخارجي الى جميع الاندية السياسية والاجتماعية الراقية •

٢ ـ القسم البحري :

ويسمى أيضا « فيلت انتلجانس » ومهمته مراقبة الاسطول البريطاني بضباطه وجنوده وجميع الاعمال التجسسية الخاصة بالبحرية الملكية البريطانية •

٣ ـ القسم العسكري :

ومهمته التجسس العسكري ومعرفة التسلح والاستعداد العسكري لدى لدول الثانية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي وارسال وتدريب الجواسيس لنفس الغاية) •

٤ ـ القسم التجاري والصناعي :

ومهمته الاختصاص بمعرفة أسرار الصناعة والتجارة للدول الاخرى •

٥ ـ القسم الوطني الداخلي :

ومهمته الاولى مراقبة الاجانب ونشاطهم ونشاط المنظمات الاجنبية والمحلية•

٦ ـ القسم الاستعماري :

أو قسم المستعمرات ومهمته هي معرفة الحياة والامور السياسية في المستعمرات التي تسيطر عليها بريطانيا ودول الكومنولث •

هذه الاقسام الستة هي بمجموعها تشكل المخابرات البريطانية بكاملها .

ومن مكاتب هذه الاقسام الستة تقرر مصائر شعوب وأمم . وفيها تعد المؤامرات وتقرر سياسة الامبراطورية بكاملها ويدير هذه الاقسام مديرون من ذوي الرتب والالقاب في الحكومة والجيش البريطاني .

فمثلا ، مدير ومساعدو وموظفو القسم الخارجي في الانتلجانس سرفيس يتخرجون من جامعتي اكسفورد وكمبريدج ، أما مدير ومساعدو وموظفو القسم الوطني الداخلي فأغلبهم من خريجي جامعة غاريك أوسانت جيمس ، والمدراء الستة لهم مكانة خاصة في الدولة . وكل منهم يحرص على اختيار موظفيه وعملائه خفية عن المدير الاخر . وهذا من دواعي حفظ الاسرار الى حد ما حيث أن بعض العملاء من الشخصيات الذين يزودون القسم مثلا بالمعلومات يجب أن يكون غير معروف من أحد ، حرصا على استمراره في عمله في اصطياد الاخبار .

مديرالانتلجانس سرفيس وطريقة اختياره

في جميع مخابرات العالم نجد أن الرئيس معروف للجميع برتبته ومركزه ، ويمكن مراجعته والتحدث اليه . ولنأخذ على سبيل المثال أن رئيس مخابرات المانيا الغربية من عام ١٩٦٦ هو الكولونيل (جيرهارد فيسيل) ورئيس المخابرات المركزية الاميركية يدعى (ريتشادر هيلمز) ورئيس المخابرات الاسرائيلية الجنرال أهارون ياريف ورئيس المخابرات الفرنسية الكولونيل الكسندر دورمانش . أما رئيس المخابرات البريطانية فهو شخصية غامضة منذ عهد ديك هوايت وحتى الآن ، ولا يعرفه الا المقربون جدا للانتلجانس سرفيس ورؤساء الاقسام الستة الذين يجيىء ترتيبهم في المسؤولية من بعده . وهذا الرئيس اللغز ينتخب انتخابا عندما تنتهي خدمات سلفه ، اما بالاحالة للتقاعد أو الموت ، وهذه الطريقة لاتزال متبعة منذ عهد (كرومويل) أبي الجاسوسية في بريطانيا ، حيث يوجد في الصالون الرئيسي لمركز الانتلجانس سرفيس قاعة كبيرة فخمة مفروشة بأحدث ما وصل اليه فن الديكور ، وتسمى (القاعة البيضاء) . وعند اقتضاء الحاجة الى انتخاب رئيس جديد للمخابرات البريطانية بخلو الرئاسة للاسباب التي ذكرناها ، يجتمع مدراء الاقسام الستة في القاعة البيضاء حول المائدة المستديرة ، ويقترعون فيما

ينهم على اسم الرئيس الجديد وتسلم المظاريف لاصواتهم الستة الى أكبرهم سنا ، ليقوم بفتحها ومعرفة الرئيس المنتخب (مثل انتخابات رئاسة المجالس النيابية تقريبا) ، حيث يجري تنصيبه في حفلة خاصة . وآخر مراسيم هذه الحفلة هو تسليمه مفتاحا ذهبيا يكون الرمز للسلطة العليا التي تسلم مسؤولياتها . وهذا المفتاح هو مفتاح مكتب ملكة بريطانيا ، ومعنى ذلك أنه أصبح مسؤولا عن المصالح السرية في الامبراطورية بأجمعها . وحين انتخابه وتسلمه مهام السلطة يختفي اسمه بالتدريج من بين المدراء والموظفين ، ويظهر اسمه الرمزي الجديد الذي يوقع به المعاملات الروتينية والتقارير التي ترفع للوزراء المختصين . كما أنه يصبح باستطاعته الدخول على أي وزير أو مسؤول مهما بلغت مكانته بدون استئذان، وهو المسؤول عن الاوامر البسيطة والخطيرة التي تصدر الى كافة أنحاء العالم لاسلكيا وبكافة الوسائل .

كيف تعمل الانتلجانس سرفيس

ان أول واجبات المخابرات البريطانية هو الاطلاع على جميع ما يجري في العالم وبصورة خاصة ماله صلة ببريطانيا واكتشاف الاسرار ، قبل أن يقدم العدو على تنفيذها. وهذه الاسرار تشمل المعلومات العسكرية أولا،ثم المعلومات السياسية ، ثم المعلومات التجارية والصناعية والبحرية ، ولتنظيم العمل بصورة منتظمة وسرية وقد دأبت الانتلجانس سرفيس على اختيار موظفيها بدقة ، ومن بين الموثوقين والجامعيين المخلصين للامبراطورية . وقد حدث بعد فرار فيلبي الى الاتحاد السوفياتي أن قامت الانتلجانس سرفيس بعمل جرد كامل لموظفيها وعملائها . وعلى ضوء هذا الجرد جرى ابقاء الاصلح والاوثق . كما جرى بعض التبديل في مراكز الموظفين والعملاء حتى ينكشف من يكون مرتبطا بأي أعمال أو ارتباطات ثانوية مضرة .

تبذل الانتلجانس سرفيس المال الوفير في سبيل الحصول على المعلومات العسكرية ، وتنظيم القيادات في الدول الثانية (خصوصا الدول الشيوعية) ، وأسماء ورتب وأمكنة القيادة في كل دولة . وعندما تصل المعلومات الى الادارة



صيوف المخابرات السوفياتية :
كيم فيلبي وزوجته الروسية (نينا) جورج بليك وزوجته إيدا وولده ميشا وتظهر نيشيا زوجة جون فيلبي ابن كيم واقفة خلف (عمها)...؟

العامة في (هوايت هول) يقوم الموظفون المختصون بتدقيقها ومطابقتها على المعلومات الثانية التي لديهم (فقد عمدت الانتلجانس سرفيس الى وضع أكثر من عميل في كل بلد لها فيه مصالح . وتطلب من هؤلاء العملاء الذين لا يعرفون بعضهم أن يحققوا بموضوع واحد . ومن ثم ترد الاجوبة منهم الى القيادة في لندن ، فتجري مطابقتها . حيث ينكشف العميل المهمل أو الذي ليس باستطاعته تنفيذ طلباتها . وتسجل هذه المعلومات في سجل خاص .

ومن النادر تكرار وجود شخص مثل فيلبي في المخابرات البريطانية ، أو امكانية قيام أي عميل من عملائها بازدواج مهمته . لان الدقة التي سارت عليها

بعد فرار فيلبي والسخاء الذين تقدمــه الى عملائها لا يتصوره العقل • ومن المختصين بالمخابرات وعملائها من يشبّه عطاء المخابرات البريطانية لعملائها بأنه (نهر من ذهب) ، وهذا النهر يجري الى كافة أنحاء العالم ليشرب منه جميــع جواسيسها ، لذلك عمدت المخابرات البريطانية الى المشاركة في الاعمال التجارية عن طريق القسم الرابع فيها ، حيث يقوم هذا القسم باتفاقات تجارية بارعــة وتشجيع وامداد البيوت التجارية التي تتعامل معها بالرساميل،مما يدر عليها مبالغ ضخمة من الارباح تضم الى ميزانيتها •

صفــات الانتــلجـانس سـرفــيس

اذا حاولنا التأكد من مميزات ومنجزات المخابرات البريطانية ما تمكنا من حصرها • ونجاح المخابرات البريطانية يعود فضله الى خبرة رجالها المدربين الذين أمضوا سنين عديدة في خدمتها، ومنهم من يبقى في خدمتها حتى الوفاة أو التقاعد لذلك أصبحت تحمل لقب الحارس الحقيقي للامبراطورية • وقــد شبه أحــد رؤساء الوزراء السابقين ذلك بقوله : (ان سياسة الامبراطورية مركزة في أيدي عدد قليل من الناس ، والذين يحسبون أنهم يحكمون هــم نادرا ما يكونون الحاكمين حقا) • وهذا الوصف حقيقي نوعا ما ، فالمخابرات البريطانية هي التي تحكم فعلا ، وهي التي تفرض رأيها في أغلب الامور • وهي التي أرست دعائم الامن والاستقرار في الامبراطورية بكاملها بل ودول الكومنولث أيضا • وكما ذكرنا فان رجالها من أذكى الرجال في بريطانيا وهم يتفانون في خدمة وطنهــم ويمنح بعضهم مختلف الاوسمة التقديرية لهم مثل رجال القوات المسلحة • وقد اتبعت الانتلجانس سرفيس في العشرين سنــة الماضية عــلى الحاق جواسيسها بالسفارات، بل وتزويد بعضهم بجوازات دبلوماسية لتضمن له الحصانة والحماية لدى كشف أمرهم في دولة ما • ولا يقتصر قبول الموظفين والعملاء فيها عــلى البريطانيين، بل ان كل شخص مها كانت جنسيته ويزكى من قبل سفير أو شخصية مسؤولة في المخابرات أو وزارة الداخلية والخارجية ، يجري تدريبه في مدرسة المخابرات البريطانية ، ويلحق في أي عمل تجسسي يصلح له ، ونقدم لكم على سبيل المثال قصة شاب متعلم ولد بالهند تمهدته الانتلجانس سرفيس حتى أصبح أخطر جاسوس في حينه •

ولادة جاسوس

تحوي الهند خليطا من البشر بما فيهم الهندوس والمسلمون . ونظرا لكثافة السكان في الهند والفقر المنتشر نجد أن شابا صغيرا يافعا يدعى مصطفى ، ولد من أبوين فقيرين مسلمين في مدينة (بنيارس) . وكان هذا الشاب يظهر ذكاء ملموسا بين زملائه في الحي الذين نقلوا أخبار ذكائه الى أحد الضباط الانكليز في الهند (وكانت مستعمرة بريطانية) . (وهذا الضابط من ضباط المخابرات البريطانية) حيث حضر هذا الضابط الى منزل أهل الشاب ، عرض عليهم تعليم ولدهم على حساب بريطانيا . ونظر لفقر أهله رحبوا بهذه الفكرة ، وأرسلوا ولدهم مصطفى للدراسة على حساب بريطانيا . وأخذ هذا الشاب ، ودرس مع أولاد الضباط في مدرسة راقية في الهند . وعند حصوله على ما يعادل الشهادة الثانوية في البلاد العربية ، أرسل الى جامعة اكسفورد في لندن ، حيث تلقى علومه الجامعية الى جانب أبناء الوزراء والوجهاء واللوردات . ويمضي عطل نهاية الاسبوع في منازل ومزارع السياسيين البريطانيين والاثرياء . وذلك ليتعود على معاشرة الطبقات الراقية وعظام القوم والتصرف معهم والتحدث اليهم . وكن يبشر بنجاح باهر وذكاء منقطع النظير في جميع مراحل دراسته . وبدأت أعماله التجسسية في الجامعة حيث قام بوصف جميع زملائه ، وتقييم اتجاهاتهم بشكل أرضى المسؤولين عنه ، وسرهم حتى حصل على الشهادة الجامعية بدرجة جيدة عند ذلك قاده أحد المسؤولين بالانتلجانس سرفيس الى مدرسة المخابرات البريطانية في ضاحية (دغونشير) حيث تخرج بعد سنتين جاسوسا خطرا ، تعلم جميع فنون التجسس ، وكان أول عمل كلف به هو السفر الى مصر لمراقبة حركة الوطنيين . هناك ، باعتباره مسلما لن يشك المصريون بامره . وعمل مدة في القاهرة يتجسس على الوطنيين ، ويخبر عنهم . حتى صدر الامر له بالتوجه الى أفغانستان حيث نجد أن السردار (محمد عزيز خان) رفض الوقوع تحت ضغط البريطانيين ، وفضل قبول أساتذة المانيين على المبشرين البريطانيين الذين وضعوا الشروط على السردار . وهكذا قررت الانتلجانس سرفيس التخلص من السردار المناوىء لهم . فأرسلوا أحد جواسيسهم ، وكان مسلما ، فاندس بين القبائل

الافغانية يحرضها على المردار ، ويصفه بالالحاد[1] . وكان يطوف بالبلاد من قندهار الى المزار الشريف. وسبب رغبة المخابرات البريطانية في حينه السيطرة على أفغانستان نظرا لوقوعها على الحدود الهندية . وبريطانيا تستعمر الهند حيث يصبح لافغانستان أهمية عسكرية . وكانت هذه الطريقة من قبل الجاسوس البريطاني كافية لجعله يتنازل عن العرش ،ويتوجه الى سيبريا . وهنا جاءت مهمة مصطفى الذي أحضر خصيصا لاغتياله في سيبريا.وقيل ان مصطفى لدى وصوله الى سيبريا وجد المردار مقتولا على يد عميل آخر ..؟

المهمّة الكبرى

كان مصطفى عند حسن ظن رؤسائه ، فما كاد ينتهي من مهمته حتى يعهد اليه بمهمة جديدة . وهذه المرة وجدت له المخابرات البريطانية عملا في تركيا باعتبارها بلدا اسلاميا .

كانت مهمته في تركيا هي العمل على معرفة ما يبيته مصطفى كمال ، الذي كان في حينه يفخر بانتصاره على أعدائه . واستطاع أن يجمع في قبضته مناطق الخلافة العثمانية المشتتة من جديد . مما حمل المخابرات البريطانية على الاهتمام بتركيا ، وخشيتها من تعاظم نفوذ مصطفى كمال (أتاتورك) . وصل الجاسوس مصطفى الى أنقرة حسب الخطة الموضوعة له ، وكانت أنقرة تحتفل بانتصارها على اليونان . فزعم أنه قدم لتأسيس لجنة تركية ــ هندية باعتباره يحمل الجنسية الهندية البريطانية لتوثيق العلاقات الودية الطيبة . وكان مصطفى متحمسا في أفكاره ومقترحاته التي تهاجم جميعها انكلترا (حسب الخطة) حتى وصلت أخباره الى زعيم تركيا (مصطفى كمال) فطلبه للحضور لمقابلته . ولدى مقابلته

---

(١) ثبت هذه الحادثة عن المخابرات البريطانية الطالب الافغاني (يوسف ولدميرزا) الذي التقيت به في بغداد مساء ١٩٦٩/١/٢ أثناء كتابة هذا الفصل عن المخابرات البريطانية وزاد أن الانكليز هم الذين قتلوا المردار محمد عزيز خان فعلا ، وأن زوجته توفيت في عام ١٩٦٧ فجرى دفنها باحتفال رسمي احتراما لذكرى زوجها .

شجعه وصرح له بأن بامكانه طلب أي معونة ، فشكره وانصرف . وبعد انصرافه قام مصطفى كمال باستدعاء مدير البوليس السري التركي في حينه (عدنان بك)، وطلب منه مراقبة مصطفى الصغير ، وهذا لقبه بتركيا . ومنذ ذلك اليوم كانت جميع مراسلات الجمعية التركية الهندية تخضع للمراقبة الدقيقة. وكانت المخابرات التركية (في أول نشاطها وقد أعدت بعض الخبراء لمساعدتها في كشف الجواسيس والاعيبهم . وكان أن اكتشف خبير المخابرات التركية (عوني بك) بالاجهزة الكيماوية ثلاث رسائل مكتوبة بالحبر السري الى جاسوس آخر في مدينة استانبول يدعى (جمال أوغلي) . لان مصطفى بدأ بجمع العملاء لمعرفة كل شيء عن الزعيم التركي وأعوانه وضباطه ، وحتى عاداته . ومن ثم قررت الانتلجانس سرفيس العمل على اسقاط مصطفى كمال بالعروض المغرية ، ومنها منحه الملايين من الليرات الذهبية الانكليزية ، واعطاؤه قصرا مفروشا في ايطاليا ، وتأمين حياته حال تنازله عن الزعامة التركية . وأما تهديده بالاغتيال فيما اذا رفض عرضهم وكان لمحبة والتفاف الشعب التركي حول زعيمه مصطفى كمال أن لم تستطع المخابرات البريطانية شيئا ضده ...

اعتقال مصطفى الصغير جاسوس الانتلجانس سرفيس المدلل :

بعد ثبوت تجسس مصطفى وهدفه من مراسلاته صدر أمر القاء القبض عليه حالا وتقديمه الى المحاكمة . وقد شكلت محكمة ثورية خاصة لمحاكمته كان رئيسها احسان بك النائب في المجلس الوطني التركي ، ولكن مصطفى الجاسوس المدرب خير تدريب . ومن تدريبه احتمال اعتقاله ، وكيف يتصرف لذلك عمد الى الانكار بادىء الامر ، ولم يعترف بشيء مما نسب اليه ، بالرغم من تقديم الادلة الى المحكمة وهي الرسالة التي أرسلها الى زميله جمال أوغلي ، واعتراف جمال نفسه ومقابلته مع مصطفى. كل ذلك ومصطفى مصمم على الانكار والادعاء بأن اتهامه من قبل السلطة التركية خطأ ، فأجلت المحكمة لمتابعة التحقيق معه .

وقد خطر لمدير البوليس السري التركي (عدنان بك) أن يلجأ الى الحيلة للحصول على اعتراف الجاسوس الخطير. فاستحصل على اذن من المحكمة المختصة بمحاكمة مصطفى بجعل جريدة (يني كون) اليومية التركية التي تصدر في أنقرة



مصطفى كمال رئيس جمهورية تركـيّا

M: KAMAL ATA TURK PRESIDENT DE LA REPUBLIQUE TURKIE

أن تنشر في صفحتها الاولى وليوم واحد فقط خبرا مفاده أن العلاقات الدبلوماسية سوف تقطع بين بريطانيا وتركيا . ونشر الخبر في الصفحة الاولى وأرسلت الصحيفة مع بقية الصحف والمجلات التي يطلبها يوميا . ولما اطلع على الخبر غضب غضبا شديدا ، وأحس بأنه أصبح لا قيمة له لدى المخابرات البريطانية بعد قطع العلاقات . فاستدعى (عدنان بك) ، واعترف له بكامل قصته مع

المخابرات البريطانية التي تعهدته من صغره حتى جعلته (جاسوسا) ، يجوب البلاد ، وينفذ المهمات حتى انتهى به المطاف في تركيا ، ثم كشفه من قبل الزعيم التركي .

قدم الى محكمة (عرفية) حكمت عليه بالاعدام نظرا لخطورة تجسسه في تلك الحقبة من الزمن من حياة الجمهورية التركية الفتية ، والتي كانت تخطو أول خطواتها نحو تحسين الاوضاع .

اقترن حكم الاعدام بتصديق زعيم تركيا حالا ، وقد احتجت بريطانيا على هذا الحكم ، وادعت كما هي العادة (بأن مصطفى هو مواطن بريطاني الجنسية وأوقع به من قبل المخابرات التركية) . وقد توترت العلاقات البريطانية التركية فعلا ، ومع ذلك نفذ فيه حكم الاعدام ، وجرى تسليم ما ترك من حوائج الى السفارة البريطانية . فوجد بين حوائجه رسالة مخبأة ، وموجهة الى رئاسة المخابرات البريطانية يقول فيها : أنه خدمهم باخلاص حتى لقي حتفه (كان متأكدا من الحكم عليه بالاعدام ، حين كتابته الرسالة الوصية) ، ويرجو منهم الاهتمام بعائلته . وهكذا فقدت الانتلجانس سرفيس أحد جواسيسها المدربين بفضل ذكاء الزعيم التركي الراحل مصطفى كمال ورجال الامن والمخابرات الاتراك .

هذا بالنسبة لاعمال المخابرات البريطانية القديمة ، أما الاعمال والانجازات الحديثة فلم يعلن عنها بعد ، نظرا لان القانون العسكري البريطاني يمنع نشر الاسرار قبل مضي ٣٠ سنة عليها ، خصوصا الاعمال الجاسوسية الخطيرة التي تتسم بالسرية التامة والجرأة وتنفيذ المهمات الصعبة لا يكشف عنها الا بعد مرور المدة القانونية بحيث يكون من المتعذر على أي كان الاستفادة من معرفتها . ومن الاعمال التي تناقلها الباحثون عن أسرار هذه المخابرات استخدام المخابرات البريطانية للنساء الماكرات الجميلات والجريئات في مهمات صعبة .

***

سيدة مجتمع وجاسوسة :

السيدة جوتردبل [1] سيدة مجتمع من الدرجة الاولى ، تمتاز بالجرأة والثقافة الواسعة . أرسلت عام ١٩١٥ بمهمة خاصة من قبل المخابرات البريطانية الى القاهرة ، وسكنت في فندق (شبرد) . وبعد مدة أصبحت تدعى الى مختلف الحفلات الاجتماعية . وكانت أثناء ذلك تقوم بجمع المعلومات عن (الحركة القومية المصرية) . تنقلت مهمتها ما بين القاهرة والاسكندريةظهرت فيالاهرامات تركب الجمال ، وتستقي الاخبار من هنا وهناك . ونظرا لما تغدقه عليها المخابرات البريطانية من الاموال كانت تظهر في أفخم الفساتين ، التي كانت تحضر بعضها من ايطاليا رأسا ، والباقي من محلات (شيكوريل) المعروفة في القاهرة .

اخذت تظهر بعض العطف على حركة (التحرير) من الاستعمار البريطاني، كما دربت (وهي منهم) . وكانت بنفس الوقت قد أسست شبكة للتجسس ممن اصطادتهم كأصحاب الحانات وبعض الادلاء ، الذين يجيدون غالبا اللغة الانكليزية ، ومثلهم (التراجمة) وبعض موظفي السفارات الاجنبية في القاهرة الذين تعرفت عليهم بحكم ترددها على هذه السفارات، لحضورحفلاتها المختلفة.

عملت باخلاص ، وكانت تزود المخابرات البريطانية بجميع ما يتطلب معرفته عن احرار مصر ، حتى انها انتقلت الى الصحراء ، وأقامت مع (البدو) ، وتعلمت بعض لغتهم ، وعقدت صداقاتمع رؤساء العشائر ، وأكلت من طعامهم، وعلى طريقتهم (باليد) . وتحملت المشاق والصعاب دون أن تخلد الى الراحة حتى منحت أثناء ذلك ، ونظير خدماتها هذه ، وسام (الامبراطورية) . وهذا الوسام لا يمنح الا لكبار القادة العسكريينأو لمنيقومون بأعمال خارقة لرفعشأن الامبراطورية العظمى .

---

(١) من مواليد عام ١٨٦٨ ، وقد اعترفت اذاعة لندن في برنامج هذا الصباح المذاع بتاريخ ١٩٧٦/٧/٣٠ بانها كانت فعلا تجمع المعلومات في العراق وفلسطين ، لصالح المخابرات البريطانية وبحجة جمع الآثار ..؟

صدرت الاوامر اليها بالسفر الى السودان ، لمتابعة عملها التجسسي هناك ، وأقامت مدة في مدينة الخرطوم ، وفي فندق النيل تنفذ ما طلب منها تنفيذه . ثم نقلت الى (الهند) وبقيت مدة في (نيودلهي) أعيدت بعدها الى (شرق الاردن) و (الحجاز) حيث قابلت (جورج فيلبي) أو (الحاج عبد الله) ، كما كان يسمى بعد اسلامه .

وأخيرا أرسلت الى العراق ، فظهرت فيمجتمعات بغداد، ولا يزال يذكرها بعض كبار الرعيل الاول من الاوساط البغدادية الراقية . انتقلت الى الموصل ، وعندما أخذ بعض قطاع الطرق يتعرضون للقوافل (فيحينه) طلبت من السلطات البريطانية ارسال الجنود لتأديبهم . كما أنها حرضت البريطانيين على مهاجمة قبيلتي ـ شمر ـ والمطير ـ .

كانت دائمة التجول في الصحراء العراقية ، وصادفت أثناء تجوالها قافلة متوجهة الى أفغانستان بقيادة شاب (تذكرته) . ولما حاولت السلام عليه قال لها بعض معاونيه انه (حمال ايراني) ، فابتعدت عنه لانه زميلها (لورانس) في طريقه لتنفيذ مهمة مثلها .

وبقيت تمارس نشاطها في البلاد العربية حتى عام ١٩٢٦ ، حيث أعيدت الى الهند . وهناك توفيت بعد أن أدت أعظم الخدمات للانتلجانس سرفيس .

وبذلك نجد أن المخابرات البريطانية منذ نشوءها تضم الى جهازها أخطر العملاء والعميلات ، لان مهمتها الدائمة هي معرفة الكثير عن كل شيء في العالم، والحصول على الاخبار الصادقة مهما كلفه ذلك من مبالغ . وموظفي المخابرات البريطانية (مخولين) الدفع حالا ، لقاء كل خبر جيد وكل (سر) مهم من أي شخص كان وفي كل زمان ومكان .

وخير دليل على ذلك سياسة المخابرات البريطانية منذ تأسيسها حتى الآن ، حيث نجد أن المستر (فيلبوت) قد أسس مكتبا تجاريا في زوريخ بسويسرا ، مهمته تقدير الحرير والاقمشة . بينما كان مندوب الانتلجانس سرفيس في سويسرا ، كلها . وكان يقوم بعمله التجاريخير قيام ، ويناقشالتجار بالاسعار ، حتى على السنتات القليلة ، ويحافظ على مواعيده التجارية الدقيقة . ونظرا لمراجعته من قبل العديد من الاشخاص كان من بينهم عملاؤه الذين يزودونه

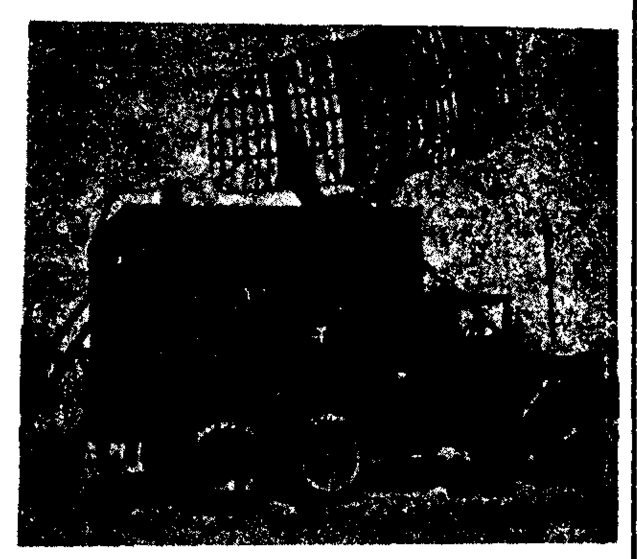
بالاخبار والتقارير المختلفة . وكان يستلم التقرير من العميـل ، ولا يدفع له القيمة الا بعد التدقيق . وكان فيلبوت يعلن لعملائه بكل صراحة أن المخبرين تجار في نظره يبيعونه (بضائع) ، لكنها بضائع من نوع خاص . وهو يحتاج الى هذه البضاعة وأصحابها ، ويعاملهم كالتجار ، الا أنه يدفع بعكس التجار بعد استلام البضاعة لا حين (استلامها) . كمـا كان يصرح أن كـل العملاء والجواسيس يزورونه ، وهم محتاطون لزيارتهم ، ويجعلونها ذات أهمية بالغة ، ويمتدحون أخبارهم أكثر من اللازم ، ويؤكدون له انهم لا يستطيعون الافضاء بشيء اذا لم يدفع لهم حالا . ويهددون اذا لم يدفع لهم حسب طلبهم ، فانهم سيذهبون الى غيره ، وهؤلاء لا يؤتمن لهم . وهو يصفهم بأنهم يتصرفون تصرف الاطفال ، حينما يطلبون الدراهم اولا ، لذلك فالمستر فيلبوت لا يسلم بنسا واحدا قبل أن يتأكد ويحكم على نوع (البضاعة) . وكان يقول لعملائه المختلفين اذا لم ترتاحوا لطريقتي ، فاذهبوا الى غيري وأنا أعلم أنكـم ستعودون الي لاني أدفع أفضل من غيري ، ولكن للبضاعة الجديدة فقط .

وهكذا تعمل الانتلجانس سرفيس بدقة وسخاء ، ولكن هذا السخاء في محله . وهذا الابتكار من فيلبوت أعطاه أفضل المعلومات ، وكان بجرأته يتصل بزبائنه مباشرة (المخبرون) . ويتسلم منهم البضاعة ، ولكن مع تأجيل الدفع حتى التأكد من جودة البضاعة .

ويعمد فيلبوت بعد استلام البضاعة الى الاطلاع عليها ، وتقديرها بنظرة عابرة . ومن ثم يقوم بدفع قسم بسيط من الثمن على الحساب ، وباقي الثمن يقدره ، ويدفعه بعد أيام (بعد التأكد من جودة البضاعة) ، عند احضار العميل لبضاعة جديدة وهكذا . ويؤكد المستر فيلبوت أن الاموال التي تغدقها عليـه الانتلجانس سرفيس هي نتيجـة شرفه واستقامته في المعاملة وتقديمه احسن الاخبـار .

عمـل المخابرات

ان مجرد الشك في أي عميل لأي مخابرات يؤدي عـادة الى الاستغناء حالا عن خدماته .





طريقة عمل جواسيس الانتلجانس سرفيس

سبق أن نوهنا الى بعض الطرق التي يتبعها موظفو الانتلجانس سرفيس في عملهم ، وأن مئات الالوف من الجنيهات الاسترلينية تغدق عليهم ، ليحصلوا على أحسن الاخبار وأدقها • وهكذا يرفع يوميا تقرير مؤلف من عدة صفحات ضمن ملف فخم ، كتب عليه (اطلاع رئيس الوزراء) • وهذا التقرير يحتوي على موجز عن أخبار العالم ، التي كلفت عشرات ألوف الجنيهات :وعمل مئات الموظفين والعملاء في مختلف انحاء المعمورة •

وقبل أن تتم البحث عن أعمال العملاء في المخابرات البريطانية ، يحسن بنا أن نعرف بعضا من طرق عملهم • حتى ان منهم من لا يتورع عن استخدام مختلف الاساليب ، للحصول على المعلومات حتى بالطرق المخجلة • (ونذكر أن المخابرات البريطانية هي أول مخابرات تستعمل النساء في أعمالها) • واننا اذا تجولنا في انحاء العالم لوجدنا من بين مديروا الحانات والكباريهات من يكون في خدمتها • ويقوم باستراق السمع والتجسس على زبائنهم ، الذين يتحدثون عن بعض اسرارهم عندما تلعب الخمرة برؤوسهم • كما نجد بعض مضيفات

الطيران في شركة الخطوط الجوية البريطانية (B.O.A.C.) يقمن بالتجسس وحتى معظم خادمات الفنادق في بريطانيا يعملن في المخابرات البريطانية • وأخطر هؤلاء من ضاربات الآلة الكاتبة في الدوائر الرسمية والسفارات والبنوك ، حيث يحصلن على أدق الاسرار في أسهل الطرق • حتى بنات الهوى يوجد منهن من يعملن للمخابرات البريطانية ، حيث يستدرجن الجنود الغرباء الى الغرف الخلفية ، ويسألنهن عن أسرار الثكنات والتنقلات ، وما الى ذلك أثناء ساعات سكرهم •

في كل مكان من العالم تجد أصابع المخابرات البريطانية ، حيث تجد الحيلة والدهاء وشراء الضمائر والطمع في حياة الترف والجاه على حساب التعامل معها •

فهنا ترى تاجرا يحوي مخزنه جميع أنواع البضاعة المشروعة ، ومع ذلك فهو عميل للانتلجانس سرفيس ، ورئيس جمعية خيرية عميل ايضا ورئيس نقابة أيضـا عميل •

وكما شرحنا من صفات الجاسوس البريطاني أن يحصل على ثقة الجميع خصوصا المحيط الذي يعمل فيه ، وأن يكون داهية وجريئا الى أبعد حدود الجرأة . وأن يتصرف ويتكيف في جميع الاحوال حسبما يتعرض له من المشاكل والمفاجآت • وان الجاسوس البريطاني يدرب على دخول المجتمعات والحياة العامة بشكل طبيعي جدا ، حتى لا يثير ادنى شك في وجوده أو تصرفه •

ارسال الاخبار الى مقر الانتلجانس سرفيس بلندن :

لدى حصول أي عميل للمخابرات البريطانية على أي خبر كان أو سر من الاسرار فانه يقدمه الى رئيس شبكته اذا كان في البلد شبكة تجسس ورئيس الشبكة يقوم بدوره باختصار الخبر والابراق به الى لندن حالا • أما اذا كان العميل يعمل لوحده ، وغالبا ما يكون مزودا بجهاز لاسلكي فيعمد الى الابراق بالخبر الى رئاسة المخابرات البريطانية في لندن حالا • أما اذا كان الخبر عبارة عن تقرير مطول أو سرقة صورة لامر ما أو سر من الاسرار ، حيث يمكن أن يرسل الى الرئاسة بواسطة عدة طرق مختلفة منها اخفاء الاخبار حتى في ربطة العنق ، أو التماثيل . أو في قطع صابون . أو كعب حذاء . أو يد مظلة • وأنا شخصيا اشتركت في اعتقال جاسوس كندي يعمل لصالح المخابرات الاسرائيلية ،

كان يضع الميكرو فيلم داخل تجويف خشبي في حمالة بنطلون خشبية داخل شنطة ملابسه ، بحيث لا يمكن كشفها بأي حال ...

ومن بعض طرق ايصال ونقل الاخبار بين عملاء المخابرات البريطانيــة أن تكسب المخابرات مفتشا يعمل في السكك الحديدية . ولدى مروره في المحطات المختلفة يتناول الاخبار من العملاء ، أثناء سير القطار . ولهذه الطريقة صفات هي نجاة الرسائل من الرقابة الروتينية على البريد . وبالتالي يعطي المفتش أي تعليمات وصلته الى العميل شفهيا من غير أن ينتبه اليه احد . وكدليل على دقة عمل المخابرات البريطانية نذكر على سبيل المثال أن أحد السياح ، وبطبيعة الحال من المخابرات البريطانية كان في زيارة سياحية لاحدى الدول الشيوعيــة وضع بعد الاشباه به تحت المراقبة الدقيقة حتى وصل الى محطة السكة الحديد ، والغليون لا يفارق شفتيه . وقد قررت ادارة الامن في هذا البلد تفتيشه ، فألقت القبض عليه وسيق الى أحد مراكز المخابرات . وهنا كان له الوقت الكافي ليشعل غليونه بكل برود . وكان هذا الغليون معبأ بأوراق حرير مطبوع عليها بطريقه فنية أدق الاسرار ، وهكذا احترق الدليل الذي كان من الممكن أن يوصله الى السجن بفضل احتياط رجال المخابرات البريطانية . وقد وجد في جيبه لدى تفتيشه ــ ٥٠ ــ قطعة نقدية من ذات الالف فرنك ، فقال له مفوض التحقيق : يظهر يا سيدي أنك تمارس عملا ممتازا فأجابــه السائح (الجاسوس) باسما : هل تريد أن أوظفك عندي ؟ ولكن من أين تأتي الانتلجانس سرفيس بكل هذه الاموال التي سبق أن ذكرنا أنها تشبه نهرا من الذهب ؟ . والجواب هو الميزانية الضخمة التي تقتطع من ميزانية وزارة الحربية (الدفاع) البريطانية . وثانيا تدخلها في التجارة والبيوتات التجارية ، حتى تستطيع بريطانيا تأمين اطلاعهــا على المناطق الحيوية في العالم . وهكذا استطاعت مع الايام أن تقبض على مفاتيح الطرق الحيوية في العالم . فمفتاح البحر الابيض المتوسط هو جبل طــارق بيدها . والسويس قبل تأميمها ــ وعدن مفتاح البحر الاحمر بيدهم ــ والكاب مفتاح بحر الجنوب بيدهم ومشارف ايكوسا مفتاح بحر الشمال بأيدهم ايضا بالاضافة الى سنغافورة ــ ومستعمرة هونغ كونغ ودول الكومنولث . وجميع

هذه المناطق مملوءة برجال الانتلجانس سرفيس ، الذين يطلعون على كل شارة وواردة ، ويرسلونها الى لندن حسب أهميتها •

المخابرات البريطانية في الدول العربية :

من جملة أهداف الانتلجانس سرفيس في العالم معرفة كل شيء عن العالم العربي لتأمين مصالحها • وبدأت بذلك من أيام الحرب العالمية الاولى ، وأبقت بعض أعوانها بعد الحرب العالمية الثانية موزعين في البلاد العربية ، فوضع غلوب باشا وهو انكليزي ولقب باشا بالنسبة لوجوده في بلد عربي في شرقي الاردن ، وكان ضابطا عاديا وصل الى رتبة قائد الجيش الاردني • وكان موضع ثقة البلاط الملكي سنين عديدة ، حتى أحيل للتقاعد ووضع (جورج فيلبي) الاب في المملكة السعودية وحصل على أعلى المراتب الادارية والتجارية حتى انه أشهر اسلامه ، وبقي في السعودية ، ووضع المستر (تشآمبان أندروز) في لبنان ، وهؤلاء جميعا مرتبطون بالمستر (كلايتون) الذي يتولى الاشراف على المخابرات في الشرق العربي كله • وبالاضافة الى بعض المسؤولين البريطانيين الموزعين في البلاد العربية لتوجيه حكوماتها التي كانت تدين بالولاء لبريطانيا حسب سياستها • ولدى انسحاب فرنسا من الشرق العربي مثل سورية ــ لبنان ــ بعد استقلالهما عام ١٩٤٦ ــ اشتدت المنافسة بين لندن وواشنطن ، فقد تغلغل الاميركيون في السعودية ولكن البريطانيين كانوا السابقين الى الدول العربية بفضل جواسيسهم، أمثال (تشابمان) الذي عين في بيروت ، و (غلوب) في الاردن، و (فلبي)في السعودية ، فالاول أصبح يتحدث اللهجة اللبنانية وأنشأ صداقات متينة في بيروت ، والثاني عايش البدو وعاداتهم ، ووصل الى قيادة الجيش الاردني ، أما الثالث فقد اعتنق الاسلام في السعودية وساعد الاسرة المالكة (الملك عبد العزيز) ، وألف كتاب (الربع الخالي) • ويعتبر حتى الآن من احسن الاكتشافات عن الصحراء في العالم • وأخيرا عمل في تجارة السيارات والسجاد •

أمثال هؤلاء هم الممثلون لبريطانيا في البلاد العربية ظاهريا ، بحيث كشف عنهم النقاب •

أمـا العشرات غيرهم ممن خدموا ولا يزالون يخـدمون (المخـابرات البريطانية) ، فلم يتمكن أحد من معرفتهم الا بعد انقضاء مدة طويلـة ، لأن ذلك من اسرار (المخابرات) .



صورة واضحة عن بعض أسباب الانغماس في العمالة والتجسس

***

أقوال في المخابرات

قال الفيلد مارشال (مونتغمري)في اجتماع بين ضباط قيادته :
ان قيمة عمل المخابرات والاجهزة التابعة لها تنبع من وجوب الامساك بزمام المبادرة ومفاجأة العدو من حيث لا يتوقع ، ومن دون ذلك لا يمكن احراز أي نصر عسكريا كان أم مدنيا .





المخابرات في الحرب

ومن ملفات الحرب العالمية الثانية السرية التي لم يطلع عليها سوى القلائل، نجد أن هناك تعاونا حصل بين المخابرات المركزية الاميركية والمخابرات البريطانية

في يوم ٦ يونيو ١٩٤٤ (غزو نورماندى)

بدأت الجيوش الحليفة تغزو ساحل النورماندي دون أن يشعر بها الالمان ، حتى فوجئوا بها متأثرين بخدعة تمت بنجاح باهر اذهل الالمان . وكان قوام هذه الخدعة غزوا موهوما خدع ضباط الرادار الالمان ، فظنوا أن الحلفاء يغزون منطقة (بادة كاليه ــ Bada Caliya) التي تبعد مئتي ميل الى الشمال من السواحل التي غزوها فعلا فيما بعد (النورماندي) .

هذه الخدعة الباهرة التي تمت يوم غزو النورماندي كانت ذروة الحرب الناشبة على أمواج الاثير، بالتعاون بين المخابرات الاميركية والمخابرات البريطانية. **هذه الحرب التي ظلت أربع سنوات تسير جنبا الى جنب مع القتال الدائر بين سلاح الحلفاء الجوي وسلاح الطيران الالماني . وقد اسفرت هذه المعركة التي كتمت أخبارها عن ظفر حاسم للاميركيين والانكليز أنقذهم من خسارة فادحة**

تنزل بطائراتهم ومكنتهم من أن يحتفظوا بالتفوق الجوي الذي كسبوه بشق النفس • ثم مهد لهم أن يكونوا كالسيل الجارف بعد ذلك في هجومهم المعاكس على المانيا ••

ان السرعة العظيمة في القتال بين الطائرات في الحرب العالمية الثانية اقتضت من الفريقين أن يعتمدوا اعتمادا لاغنى عنه على التلفون والمكالمات اللاسلكية ، اذ لم يكن منها بد لحشد أسراب القاذفات وتوجيهها • ومن ثم لتوجيه المطاردات (طائرات القتال ذات الطيار الواحد) الى القاذفات المغيرة أيضا • وكان الرادار عماد الالمان والحلفاء فيما اتخذوه من وسائل الدفاع ضد الطائرات والرادار هو العين اللاسلكية الساهرة التي تبين موقع واتجاه الطائرات المغيرة ••• اذا فقد كان هدف كل فريق تدمير الوسائل التي يعتمد عليها الفريق الآخر كما ذكرنا ، وأولها الرادار •

وقد بدأ الانكليز يتخذون الاساليب اللاسلكية (المضادة) ، ففي خريف عام ١٩٤٠ عندما بدأت قاذفات جورنج الالمانية تشن غاراتها في الليل على مدن انكلترا كان طياروها الالمان يوجهون الى أهدافهم باتباع أشعة ضيقة من الراديو، ترسل من قواعد أقيمت على سواحل فرنسا وبلجيكا • وكانت هذه الخطوط تقطعها خطوط أخرى مرسلة من قواعد مماثلة أقيمت في هولندة والنرويج ، وتكون الاماكن التي تتقاطع فيها الاشعة انذارا للطيارين الالمان باقترابهم من اهدافهم • فعزم الانكليز على افساد هذا الاشارات لان هناك اسبابا طبيعية شتى تحدث انحرافا فيها فأخذ خبراء المخابرات على عاتقهم أن يضخموا هذا الانحراف • ولما كان الالمان يطلقون أشعتهم لمدة ساعات قبل كل غارة فقد أتيح للبريطانيين أن يتبينوها ويحاكوها ، فاستطاعوا أن يعيدوا ارسالها في الفضاء ، وان يحنوها قليلا قليلا حتى تبتعد عن المدن والاهداف التي يغير عليها الالمان ، ولو حرفت الاشعة مقدار درجتين لكان ذلك كافيا لابعاد الطائرة تسعة أميال عن خط سيرها ، في مسافة تبلغ ٢٥٠ ميلا •••

اعترف البريطانيون في حينه بأن جدوى افساد اشارات الراديو كانت قليلة ، حين كانت أهداف الطائرات هي مدينة (لندن) والموانيء البريطانية (بسبب سهولة تمييزها ومعرفتها من قبل الطيارين الالمان) • ولكن حين كانت

الاهداف هي المدن الصغيرة في داخل الجزيرة كانت امالة خط السير بعض الشيء كافية لاقصاء القاذفات عنها ، فترمي ما تحمله من القنابل في الارض الفضاء (ظنا منها انها تلقيها على الاهداف المحددة لها بالاشعة) • وقد تم أعظم ظفر لامالة خط السير اللاسلكي في ذات ليلة حين ألقت القاذفات الالمانية التي قدرت بأكثر من مائتين ما زنته ٤٠٠ طن من القنابل ـ فقتلت (دجاجتين) فقط •

وكما هو معروف من وجود المخابرات الالمانية التي علمت باكتشاف أشعتهم ، فأوعزوا الى سلاح الطيران الالماني بذلك • فترك نظام خطوط الاشعة حالا ، وأحلوا محله التعليمات اللاسلكية التي أصبحت ترسل من المانيا نفسها فاستعان الحلفاء يومئذ بحيلة جديدة في حرب الراديو • فكانوا اذا أبرق الملاح الالماني الى قاعدته ليطلب منها ما يعينه على معرفة موقع قاذفته يجيبه عامل انكليزي يذيع على نفس الموجة التي يستعملها الالمان ويعطيه طلبه باللغة الالمانية خطأ ، فيضل الطيار الالماني عن اتجاهه الصحيح ويظل يدور في الفضاء حتى يطلع الصباح ثم ينزل في مطارات جنوب انكلترا وهو يظن أنه هبط في فرنسا ••

وقد اعترفت المعلومات التي حصلنا عليها بأن الالمان كانوا يسيرون على قدم المساواة مع خصومهم في الخداع ، فأحرزوا أول ظفر لهم حيث أفسدوا عمل رادار الحلفاء في فبراير عام ١٩٤٢ تسللت البوارج الالمانية ـ شارنهورست ـ وجنايزناو ـ والبرنس اويجن ـ من مرفأ برست ، واتجهت الى بحر المانش • وقد لاحظ ضباط الرادار البريطانيون على الساحل اضطرابا في أجهزتهم كان قليلا في أول الامر ، ثم ازداد قوة•فلما بلغت البوارج الالمانية مضيق ـ دوفر ـ كان الاضطراب لا يزال مستمرا ، فمنع الانجليز من توجيه سفنهم وطائراتهم كذلك مرت البوارج الالمانية بسلام •

وفي هذه الاثناء تبين للحلفاء أن أجهزة الراديو الالمانية عرضة للاضطراب ، فقد روى ملاحو بعض القاذفات البريطانية العائدة من غارة على المواقع الالمانية أنهم حين أداروا أجهزتهم اللاسلكية التي تعرّف بهم من يتلقى اشارتهم رأوا الانوار الكاشفة الالمانية الموجهة بالرادار قد ضعفت أو انحرفت عنهم • ففحصت أجهزة الرادار الالمانية • كان فدائيون انكليز قد ظفروا بها فظهر أن أجهزة التعريف في الطائرات البريطانية تدخل الاضطراب على هذه الاجهزة الالمانية

مصادفة ، فزودت أجهزة التعريف البريطانية بأدوات خاصة لادخال الاضطراب حتى يصبح ما تحدثه من لغط في الاجهزة الالمانية أقوى ، ثم أنشأ البريطانيون محطات لاسلكية قوية في جنوب انكلترا ، صار همها احداث الاضطراب فيأجهزة الرادار الالمانية القريبة التي ترسل الانذار الاول باقتراب الطائرات البريطانية . وزاد الطين بلة أن سلاح الطيران البريطاني أخذيحدث لغطا في الاتصال اللاسلكي بين الطائرات الالمانية في الفضاء وقواعدها على الارض .

وقد ظلت حرب الاثير دائرة الرحى ، لا تقطعها ساعة من هوادة أو سكون. ومنذ بدأ خبراء الحلفاء هجومهم الاول على وسائل الالمان اللاسلكية أقاموا ليلة بعد ليلة ، يستطلعون مناطق أمواج الراديو ما كبر منها وما صغر وما علا وما سفل . وصار الالمان أيضا يتلمسون كل حيلة في يدهم للعمل على أمواج لا تزال خالية من خدع المخابرات المتحالفة ولاحقهم الحلفاء جادين يطمسون لهم كل موجة يجدونها . وقد عمد الالمان في أثناء بحثهم عن الامواج الجديدة الى تعديل ما عندهم من أجهزة الرادار ومعدات المخاطبة بالراديو ، أو ربما عمدوا الى احلال غيرها محلها . ولكن الاجهزة الجديدة كانت لا تكاد تبدأ عملها حتىيقبل عليها الحلفاء بأجهزتهم الجديدةأيضا يحدثونفيها لغطا واضطرابا. مما سبب في النهاية انتصار الحلفاء وهزيمة المانيا النازية . هذا الانتصار عسكريا بالظاهر بينما يعود ٧٠٪ من هذا الانتصار الى أعمال المخابرات الحليفة .

ومن الاجهزة التي أتقنها البريطانيون بعدما تغلبوا على عقبات فنية كأداء (جهاز خفيف لاحداث اللغط يسهل حمله في طائرة) فوضعوه في قاذفة خصصت لذلك ، وهو جهاز بارع فأحد أقسامه جزء مستقل يفتش مناطق أمواج الراديو تفتيشا آليا . فاذا تبين اشارة ما على حديث دائر ظهرت (نقطة من الضوء) على لوحة . وما على عامل الجهاز الا أن يستوثق من مصدر الاشارة ، فاذا فعل أرسل في الفضاء بجهازه المرسل خليطا مختلطا من الاشارات فيمحو الحديث الدائر .

وقد بلغ من نجاح هذا الجهازأن عمد الالمان الىانشاء محطة قوية للارسال، فصاروا يستعملون أمواجها في ارسال التعليمات الى مطاراتهم الليلية كلاما منقولا على أمواج التلفون ، فالراديو . فما كان من سلاح الجو البريطاني يومئذ الا أن نشأ محطة قوية للارسال أيضا ، تذيع على نفس الموجة التي تعتمد عليها المحطة

الالمانية • وأخذ مذيعوها يأخذون الطريق على المذيعين الالمان ، ويذيعون تعليمات متناقضة ومعلومات خطأ ، فيتلقاها طيارو المطارات الليلية الالمان ، فيختلط عليهم الامر • وكان المذيعون (البريطانيون) يعمدون الى استعمال اللهجة الالمانية كاهلها تماما • بل دربوا أنفسهم علـى محاكاة (نبرة) الالمان الذين يصدرون الاوامر محاكاة تامة •

وقد استعمل هذا الاسلوب أول ما استعمل ليلة ٢٢/٢٣ اكتوبر ١٩٤٣ يوم شنت القاذفات البريطانية هجوما قويا على مدينة (كاسل) • وقد أدرك الالمان خلال الغارة أن خللا قد وقع وسمع رصاد الراديو البريطانيون أحد الالمان يقول لطياري المطارات الليلية الالمان الذين يأتمرون بأمره : (حذار من صوت آخر) ، وحذرهم من أن (يضللهم العدو) • وبعد أن انفجر الالماني بالسباب والشتائم تدخل صوت المذيع الانكليزي مقلدا صوت أحد الطيارين وقال : (هذا الانجليزي يسب ويلعن) • فقال الالماني : (ليس الذي يسب الانكليزى بل أنا) • ولم تكد الغارة تشرف على ختامها حتى بلغ من اختلاط الامر عـلى الطيارين الالمان أن صار يشتم بعضهم بعضا •

وتوقع خبراء حرب الاثير من البريطانيين أن يحاول الالمان فضح (الاصوات) الانجليزية التي تفسد عليهم عملهم باحلال امرأة على الميكروفون محل الرجل • فعمد البريطانيون الى اختيار ثلاث مجندات يجدن الالمانية ، ودربوهن أحسن تدريب ، وأمروهن بالتأهب والانتظار • وبعد أسبوع عمد الالمان الى امرأة ترسل الاوامر للطيارين فهبت احدى المجندات الى محاكاة صوتها ونبرتها ، فظل الامر مختلطا على الطيارين الالمان كما كان •••

ومن أنفع الوسائل التي توصلوا اليها في حرب الاثير لتضليل عمال الراديو من الالمان • قدد صغيرة من رقائق الالمنيوم ، وقد أطلقوا على هذه الوسيلة اسم (نافذة) فقد وجد علماء سلاح الطيران أنه اذا ألقي عدد من هذه القدد في الفضاء وكان بعضها قريبا من بعض بحيث لا تتلامس ، فانها تحدث على لوحة جهـاز الرادار شبحا شبيها لشبح الطائرة • فاذا ألقي عدد وافر منها على فترات أظلمت

لوحات أجهزة الرادار (لكثرتها) ، أو تعددت الاشباح الزائفة فيعجز عمال الرادار عن أن يتبينوا أشباح الطائرات الحقيقية .

وقد استعملت وسيلة (النافذة) أول ما استعملت في الغارة الاولى من الغارات الاربع القوية التي محت مدينة (همبرج) ، ولم تبقَ الا آثارها .. في الاسبوع الاخير من شهر يوليو ١٩٤٣ ، وكان عدد القاذفات المغيرة تلك الليلة (٧٩١) قاذفة ألقت كل منها حزمة مؤلفة من /٢٠٠٠/ ألفي قدة المنيوم في كل دقيقة فوق خط مرسوم يفضي الى الهدف . فاذا فرضنا أن كل حزمة أحدثت (أثرا) في أجهزة الرادار ظل (١٥) دقيقة لعلمنا الاثر المدمر الذي حدث للدفاع الالماني . فقد روى رجال القاذفات المغيرة أن الانوار الكشافة التي توجهها أجهزة رادار كانت تذبذب في عرض الفضاء أما نيران المدافع المضادة للطائرات التي تسدد بأجهزة رادار فكانت مضطربة غير محكمة وكانت تسدد على الاكثر الى الاماكن التي تجيء منها الاشارات التي تحدثها رقائق الالمنيوم . وأما المطاردات الالمانية التي كانت تعتمد على أجهزة الرادار القائمة على الارض لتوجيهها وعلى أجهزة رادار محمولة في الطائرات للانقضاض على الطائرات المغيرة فكانت عاجزة لاحول لها .

وقد خسر سلاح الطيران البريطاني في تلك العملية (١٢) قاذفة من (٧٩١) قاذفة ، وترجع الخسارة الى لقاء جاء اتفاقا باحدى المطاردات الليلية أو الى مقذوفات مدافع مضادة أطلقت على غير هدى فاصابتها .

فلما أبطلت وسيلة (النافذة) نفع التوجيه بواسطة الرادار ، لجأت المطاردات الالمانية الى أن تستقل كل مطاردة بعملها مسترشدة بعض الشيء بمراقبين على سطح الارض يعتمدون على الرؤية والسمع في تعيين مسارات القاذفات المغيرة ، ويستعينون بالمشاعل والاضواء الكشافة وأجهزة تبين الصوت . وهذه طريقة ضعيفة عقيمة اذا قيست بطريقة الرادار قبل أن تفسدها وسيلة (النافذة) . وقد مهد ضعفها لقائد قيادة القاذفات البريطانية أن يضرب (برلين) ، وهي أهم هدف في حرب الجو فيصيبها في مقاتلها (المناطق الحيوية) .

فلما قدم ربيع ١٩٤٤ كان هجوم البريطانيين والاميركيين الذي استنفد غرضه في أحداث الاضطراب في الاثير على الالمان قد حير الالمان وأربكهم ، حتى

أصبحوا يرسلوا رسائلهم على عشرين موجة مختلفة عسى أن تكون واحدة منها قد أفلتت من الاضطراب الذي يحدثه خصومهم •

وقد تجلت فائدة هذا الهجوم البريطاني الاميركي في الساعات الفاصلة التي سبقت ساعة النزول في (النورماندي) •

كانت غارات الحلفاء التي سبقت الغزو قد أنزلت بنظام الرادار الالماني على ساحل أوربا الغربي وهناً خطيرا • ولكن الالمان كان لهم بين (شربورج) ونهر (السكلت) أكثر من مائة محطة رادار ، وكان معظمها لا يزال قائما ، يعمل في الايام التي سبقت (يوم الغزو) • فلم يكن بد لقواد الحلفاء من أن يضللوا عمال هذه المحطات ويذروا الرماد في عيونهم حتى يكفلوا النجاح للجيوش التي ستهبط على ساحل (النورماندي) ، اذ لا بد من أن يطمس بصر محطات الرادار الالمانية القائمة في منطقة الغزو نفسها ، لان النجاح الاول مرهون بالمفاجأة ، ثم لا بد لمحطات الرادار الالمانية في بعض المناطق الاخرى من أن تتوهم أنها ترى أشياء تحملها على الظن أن قوات الغزو مقبلة عليها (مصيدة) •

ولتنفيذ هذا الغرض نفذ الخبراء خطة كانوا قد أحكموا وضعها ، ومن ثم تجربتها ، مؤلفة من خمسة أقسام •

وقد نفذت هذه الاقسام الخمسة معا في وقت واحد في ليلة ٥/٦ يونيو ١٩٤٤ حين عبرت قوات الغزو بحر المانش متجهة الى شبه جزيرة شربورج كان الالمان موقنين أن الحلفاء سيحاولون النزول فوق مدينة (الهامز) ، وفي منطقة (بادة كالية) على الارجح ، فنجاح الخدعة التي دبرها الحلفاء كان وثيق الصلة بهذا اليقين• ولذلك أقلعت (١٨) سفينة حربية بريطانية صغيرة متجهة الى (كاب دانييفر) فوق الهافر بسرعة ثماني عقد بحريةفي الساعة لكي توهم الالمان أن النية معقودة على نزولالجيوشفيتلك المنطقة من ساحلفرنسا•وكانت كل سفينة منها (تجرُ) بضعة بالونات منخفضة فتحدث في لوحات الرادار الالمانية أثرا قويا يدل على سفن دانية من الساحل الفرنسي •

لكن الالمان كانوا خليقين أن يدركوا بعد قليل ضعف هذه القوة البحرية، فلا تنطلي عليهم الحيلة ، ولذلك طارت فوق هذه السفن وعلى ارتفاع قليل اثنتا

عشرة طائرة حليفة جعلت تلقي حزما من رقائق الالمنيوم بمعدل حزمة (كل دقيقة) لكي توهم الالمان أن قافلة عظيمة متجهة الى فرنسا ، وصار عمال اللغط في كل طائرة يواصلون عملهم حتى يمنعوا الالمان من تبين الحقيقة وفضح الحيلة . وقد اقتضى تحقيق كل هذا أن تعين مواعيد كل جزء من الخطة تعيينا دقيقا ، وأن ينفذ كل جزء في موعده (تماما) . ومع ذلك ظلت الطائرات ثلاث ساعات ونصف تطير فوق بقعة طولها ٢١ ميلا وعرضها ٨ أميال . فتم كل شيء كما ينبغي أن يتم . كان هذا هو الجزء الاول من الخطة ، أما الجزء الثاني فقد اشتمل على تنفيذ خدعة كالخدعة الاولى تجاه بولون . أما الجزء الثالث من الخطة فقد تم في المنطقة الممتدة بين مدينتي (الهافر) و (بولون) حيث ظلت ٢٩ قاذفة من طراز لانكستر مدة أربع ساعات تروح وتجيء ، لكي تستدرج اليها المطاردات الليلية الالمانية فتقصيها عن منطقة الغزو الحقيقية وقد عنيت هذه القاذفات أيضا باحداث اللغط في الرادار الالماني مستعينة بأجهزة خاصة بلغ عددها (٨٢) جهازا . وكان أيضا الهدف من هذه القاذفات أن يحسبها الالمان حرسا جويا للسفن الحربية التي اشتركت في تنفيذ الجزء الأول والثاني من هذه الخطة . وفي نفس الوقت شرع الحلفاء في تنفيذ الجزء الرابع من الخطة ، وكان هدفه توزيع اهتمام الالمان ساعة نزول الجيوش المحملة بالطائرات في النورماندي .

فقبل أن يبدأ انزال هذه الجيوش انطلق سرب من الطائرات البريطانية فوق (الهافر) ، وألقى رجاله بالعشرات من دمى مصنوعة من خشب بشكل جنود المظلات بمظلاتهم ، فنزلت تتهادى في المنطقة التي تحيط بمدينة (فيكامب)، وذهبت طائرات أخرى تلقي في نفس الوقت دمى في منطقة (شربورج) وذلك على يمين المنطقة التي تم فيها خفا نزول الجنود الذين حملتهم الطائرات . وقد ألقى مع الدمى الخشبية قدر كاف من رقائق الالمنيوم لكي يتوهم رجال الرادار الالماني ان الهجوم بالمظلات أعظم مما يلوح بعشرين ضعفا . أما قوات الغزو الحقيقية فقد أقبلت مستخفية تحت ستار كثيف أسدلته الطائرات التي تولت احداث الاضطراب في أجهزة الرادار الالمانية على نطاق لا مثيل له من قبل ، فقد حلقت ٢٤ قاذفة اميركية وبريطانية مجهزة بأدوات اللغط على ارتفاع ١٨ الف قدم ، وأخذت تروح وتجيء فوق خط يبعد عن ساحل الغزو خمسين ميلا ، وظلت

ساعات متوالية ترسل الاشارات التي تحدث الاضطراب في الرادارات الالمانية في شبه جزيرة (شربورج) ولم يقتصر أثر عملها على اخفاء أسراب القاذفات الحليفة التي انطلقت الى حصون الساحل تدمرها قبل نزول الجيوش الحليفة • بل أخفى أيضا الطائرات والسابحات التي كانت تحمل الجنود ، ومنعت الالمان من تبين قوات الغزو نفسها • فلما دنت السفن من الساحل (اشتركت أجهزتها في اطلاق اشارات اللغط والاضطراب • وقد نجحت هذه الخطة أعظم نجاح • فقد ظن الالمان أن السفن المقبلة نحو (بولون) هي تهديد حقيقي بالغزو ، فأطلقوا كل ما بين أيديهم من مدافع وأنوار كشافة ، وهرعت زوارق الطوربيد لكي تعترض سبيل القافلة العظيمة (المزعومة) • ودعا الالمان جميع المطاردات الليلية المتاحة لكي تقاتل قاذفات لانكستر بين (الهافر) و (بولون) لظنهم أن هذه القاذفات لا غرض لها سوى حماية قوات الغزو • وكذلك جمدت منطقة (النورماندي) من المطاردات الليلية الالمانية ، فهبطت فيها الطائرات والسابحات الحليفة المحملة بالجنود،وهي طائرات نقل فقط لا قدرة لها على الدفاع وأما هبوط جنود المظلات المزيفين (الدمى) فقد دفع الالمان الى العمل فوراً ، فانتشرت جنودهم لمطاردة هؤلاء بينما نزل جنود الحلفاء على جناحي ساحل الغزو وعززوها • وقد أفضت اشارات اللغط المنطلقة من الطائرات والسفن الى تضليل نظام سفن الرادار الالمانية أتم تضليل ، حتى انه سمع رصاد أمواج الاثير من الحلفاء (جماعة من عمال الرادار الألمان) يؤكدون أن طائرات لانكستر هي في الواقع طليعة هجوم جوي عظيم أرسلته قيادة الحلفاء تجاه فرنسا •

وقد حقق غرض الخطة بأقسامها أبرع تحقيق ، ولم يعرف الالمان أين كان الغزو الحقيقي • ومتى تم الا بعد الساعة ٣٠ر٥ من صباح ٦ يونيو ١٩٤٤ حين أخذت بوارج وقاذفات الحلفاء تقذف عليهم حممها، وكان جهنم فتحت أشداقها •

وبهذا الانتصار العظيم في الحرب العالمية الثانية نرى مقدرة رجال المخابرات على اللجوء الى أحداث ومفاجئات تختصر الحرب بل وتوفر من العتاد والرجال •

المخابرات البريطانية تنتظر جاسوسا :

في شهر تشرين الاول من عام ١٩٤٠ طلبت الحكومة الاسبانية تأشيرة دخول الى

بريطانيا من سفيرها في مدريد لاحد اعضاء حزب (الكتائب) الحزب الذي أسسه الجنرال ، فرانكو ، وكان هذا الشخص مهتما بحركة الشبيبة في آسبانيا ، ويرغب في دراسة الكشفية البريطانية (زمـن الحرب) • واستجابت وزارة الخارجيـة للطلب وأوعزت للسفير بمنحه التأشيرة المطلوبة،وتمكن الرجل من دخول بريطانيا قادما الىمطارلندنالدولي،آماالمخابرات البريطانية الاتنلجانسسرفيسفكانتتعرف كل شيء عنه وتعرف آن جميع ماسيشاهده ويعرفه سوف ينقل الى المخابرات الالمانية لكونه عميلا لها •

قام بعض موظفي الاتنلجانس سرفيس (بدور) المسؤولين الكشفيين،وذهبوا لاستقباله في المطار ، وهم يرتدون البذلات الكشفية والشورط وأبدوا تجاهه عطفا لاحدود له ، ثم صحبوه الى فندق (أتينوم كورت) ، حيث كانوا قد رتبوا له رقابة يقظة وكانت غرفته مزروعة بالميكروفونات الموصلة الى مركز استماع بنفس الفندق ، وقد زودوه بالهدايا والمشروبات الروحيه ، وبشكل عام لم يتركوه يحتاج الى شيء •

وفي ذلك الوقت ، كان الموجود في تلك المنطقة من لندن من وسائل الدفاع الجوي بطاريتان ثقليتان من المدفعية المضادة للطائرات ، صدر الامر لاحداهما بالانتقال الى مقابل الفندق ، وأن تبدأ باطلاق النار كلما اعطيت شارة الانذار سواء ظهرت طائرات معادية أم لم تظهر •

وقامت البطارية بمهمتها على أكمل وجه ، ولما كانت لندن تستقبل كل ليلة غارة على الاقل ، فقد اضطر الجاسوس الى قضاء ليلة في الملجا وهو يعتقد أن لندن مزروعة بكاملها بالمدافع المضادة للطائرات ، وفي اليوم التالي ، رتبت المخابرات له أمر زيارة المدافع المنصوبة بالقرب من الفندق ، وكانت من المدافع الضخمة عيار ٩٠ ميلمتر وجيء بعدد من الكشافين ليكونوا مبررا لهذه الزيارة •

وبعد فترة ، دعـي لزيارة أخرى في ضاحية وندسور ، ليتفقد بعض أفراد الكشافة ، ومن باب المصادفات التي لا يمكن أن توصف الا بالغرابة والشذوذ ، مرّ الجاسوس الاسباني في طريق تجمعت فيه الفرقة الوحيدة التي كانت مهيأة للحرب في كل بريطانيا ، كما احتشدت جميع الدبابات التي يملكها البريطانيون هناك ، وعندما مر من جانب هذه الوحدات المؤلفة من أفضل الاسلحة والجنود ،

شرح له مرافقه بلا مبالاة بأن مايراه ليس سوى مجموعة صغيرة سحبت من مراكز الدفاع عن الجزر ليسند اليها دورا استعراضيا بحتا ، بالقرب من القصور الملكية وبدت بعض الدهشة على وجه الرجل غير أنه لم يجد مفرا من الاقتناع بذلك ، ومرة أخرى ، رتبت له زيارة ألى أحد الموانيء حيث تجمعت كل قطعة سالمة من قطع الاسطول الحربي ، وأسر مرافقة الكشاف اليه آن دعما جديدا وسريا يتيح لهم أن يحشدوا في كل ميناء مثل هذا العدد من السفن الحربية للدفاع عنه ، وتقطعت أنفاس الجاسوس، ولكن البوارج الحربية ماثلة أمامه بمدافعها وبحارتها ، وقدم اليه بعض آفراد الكشافة ، ليتفقدهم ، وبدأ يضجر من الكشافة ومن مرافقه أيضا ولكن لم يكن بد من المضي في اللعبة حتى النهاية •

كان أروع نجاح سجلته الانتلجانس سرفيس من وجهة نظر الاخراج الجاسوسي تلك الرحلة التي نظمت له لزيارة ايقوسيا ، والتي قام بها بطريق الجو (١) ، فذهل وهو يشاهد أسرابا متلاحقة من طائرات السبتفاير ، ولم يكن بوسعه أن يعرف أن هذه الطائرات هي نفسها كانت تغيب بين طيات الغيوم لتعود بعد ذلك أسرابا متلاحقة •

وفي ايقوسيا ، شاهد (مناورات) ضخمة تقوم بها الوحدات المدرعه التي سبق آن شاهدها في وندسور ، وقد خشي مرافقه في لحظة معينة • آن يكشف اللعبه ويعرف بعض الجنود أو الضباط ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث لاضطراره للبقاء بعيدا عن المناورات ، وقال له مرافقه : أن هذه ليست سوى فرقه سينه التدريب والتسليح ، وانها في دور التشكيل قبل ارسالها الى أحد مراكز التدريب في قطاع ثان • وبالواقع فان هذه الوحدة كانت قليلة العدد نسبيا ، ولهذا أبعدت عن مهمة الدفاع عن الجزر كما زعم له ، وبالطبع قدم اليه بعض الكشافين في المنطقة (مسايرة لصفته) ، وفي طريق عودته جوا الى لندن ، شاهد أيضا أسرابا عديدة من الطائرات السبتفاير ، ولولا أن مرافقه من المخابرات ويعرف اللعبة ، لما شك لحظة بأن سماء لندن زاخرة بالطائرات •••

وبعد هذه الايام استاذن الجاسوس بالسفر ، بعد أن تقدم بالشكر العميق

---

(١) كان سلاح الجو الملكي البريطاني في حينه يشكو من الضعف في طائراته التي كانت مؤلفة من بعض طائرات (الهريكان) وقليل من الطائرات القاذفة (سبتفاير) •

الى مسؤولي الحركة الكشفية (موظفي المخابرات البريطانية) ، لاهتمامهم به وحسن ضيافته ، وركب الطائرة عائدا الى مدريد ، وفي هذه الحالة لا يمكن لاي مخابرات أن توقف عميلا من هذا النوع لانه لم يقم بأي نشاط تجسسي محظور ، ولم يرسل أي تقرير أو برقية عما شاهده ، أو عرفه ، وبنفس الوقت لم يغب عن نظر المخابرات لحظة واحدة وان كل ماشاهده واطلع عليه كان من ترتيب المخابرات ، بحيث جعلوه يشاهد مارغبوا له بمشاهدته ، وبذلك يكون قد خدم المخابرات البريطانية من حيث لا يشعر فقد التقط عملاء الانتلجانس سرفيس في مدريد الرسائل التي أرسلها الى برلين بعد وصوله من لندن وقد وصف في هذه التقارير أن انكلترا قلعة منيعة صامدة زاخرة بالاسلحة والعتاد ، وقال أيضا في احد تقاريره بأن الشائعات التي تتردد عن ضعف بريطانيا وضآلة دفاعها ناجمة عن البريطانيين أنفسهم وهذه الشائعات هي مصيدة لجرّ الجيش الالماني الى مهاجمة الجزر البريطانية وسحقه على شواطئها عندما يحاول النزول ، ولما كانت هذه المعلومات (موثوقة) كونها من عميل له قيمة ، فقد أخذها الالمان مأخذ الجديه الكاملة حتى أن الغارات الالمانية على لندن قد تقلصت بعد سفر هذا الجاسوس وشرحه عما شاهده من بطاريات المدافع المضادة للطائرات ....

المخابرات البريطانية تستخدم الأموات

استخدمت المخابرات البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية مختلف الوسائل التجسسية المعروفة في هذا القرن ، ولكن لم يخطر على البال مطلقا حتى تأليف هذا الكتاب أن المخابرات البريطانية تستخدم حتى الاموات في خداعها للسلطات الالمانية .

من جملة واجبات المخابرات أثناء الحرب هو تشتيت قوات العدو وتوجيهها الى أماكن متفرقة بعيدة عن أماكن الغزو الحقيقية لهدفين :

١ ــ اضعاف هذه القوات بعد تجزئتها .

٢ ــ تأمين أكبر قسط من الامن والمفاجأة للقوات المهاجمة .

لذلك خطط خبراء المخابرات البريطانية في خريف عام ١٩٤٢ لعملية خداع للسلطات والمخابرات الالمانية ، لم تحدث في أي زمان ومكان من العالم .

تفاصيل الخطـــة :

في خريف عام ١٩٤٢ كان غزو افريقية مقررا من قبل الحلفاء ، وقد تقرر أن تكون جزيرة صقيلة هدفهم المقبل ، وهذه العمليه كانت لا تنطوي على أي عنصر مفاجاة للالمان لذلك قررت المخابرات البريطانيه توجيه القوات الالمانية وجهـة خاطئة ، ومن ثم تشتيت هذه القوات واضعافها وذلـك بالقاء جثة تحمل وثائق مزورة في عرض الشواطىء الاسبانيه ، بحيث تبدو هذه الجثه ، وكانها جثة ضحية من ضحايا الطائرات الساقطة في البحر ، ويكفي ان تحمل الامواج الجثه الى رمال الشاطىء لكي تقع الوثائق في ايدي (الالمان) . ولكن المخططين من الانتلجانس سرفيس واجهتم عقبة (طبية) ، وهي لو أنهم القوا الجثة على الشاطىء ، فان رئتيها لاتمتلاان بالماء ، ويحتمل التشريح في هده الحالة ، واكتشاف أن الموت حصل قبل الاغراق ، مما يثير الشبهات لدى الالمان بأن القضية مفتعلة .

لم ييأس المخططون لهذه الخدعة . وكتبوا الى مختلف المستشفيات والهيئات الطبية ، يسالونهم تامين (جثة) رجل يكون قـد توفي بمرض يشبه بآثاره آثار (الغرق) ، وعثروا على طلبهم : رجل عمره ثلاثين سنه . توفي منذ مـدة بسيطة (بالتهاب الرئة) ، ولذا فان رئتيه تحتويان على ماء بطبيعة الحال ، توجه اثنان من موظفي المخابرات الى ذوي المتوفي وبدون الدخول في تفاصيل ماترغب المخابرات عمله في فقيدهم . حصلا على موافقتهم . شريطه ان لايذاع اسمه أبدا ، وبذلك اصبح هذا الفقيد منذ تلك اللحظة (الميجر وليم مارتن) من رماة البحرية الملكية ، ووضعت جثته في غرفـة مبردة بينما استمر خبراء المخابرات في رسم خطوط العملية . وتحضير الاوراق والمستندات اللازمة لها ، وتقرر أن تكون الوثائـق الخادعة صادرة من سلطات عليا جدا .

١ ـــ رسالةموجهةمن رئيس الاركان المعاون للامبراطوريةالى الجنرال الكسندر قائد الجيش الثامن عشر في أفريقية ، تحتوي على الاسباب شبه الرسمية التي تحول دون حصول الجنرال الكسندر على ما يريد من رؤساء الاركان ، وسطر بشكل عابر بعض الجمل في الرسالة ، والتي يفهم منها بـأن (صقلية) ستكون الهدف القادم للحلفاء .

٢ ـ مذكرة موجهة الى أميرال الاسطول السير كوننهام القائد البحري الاعلى في المتوسط من اللورد لويس موتنباتن ، يشرح فيها مهمة حامل الرسالة الميجر مارتان ، ولتنتهي المذكرة بهذه الالغاز : أعتقد أنكم ستجدون في مارتان الرجل الذي يناسبكم أرجو اعادته الي فور انتهاء الهجوم فربما استطاع أن يحمل الينا (السردين) فهو متقن هنا ..... ؟

ومن المعتقد ان الالمان تذقوا فيما بعد هذه النكتة الواضحة بعض الشيء ، وحسبوا أن الهدف المقبل للحلفاء سوف يكون (سردينيا) .

كانت الخطوة التالية بعد تهيئة الوثائق ، هي تزويد الميجر (الجثة بهوية نظامية تماما من وحدته العسكرية ، ولكن جميع الصور التي اخذت لوجه الجثة، كانت تظهر بان صاحب الصورة (ميت فعلا).

ووقعت المخابرات في ورطة ، وجرى البحث في مختلف المناطق العسكرية والمدنية والاسواق . حتى عثر على شخص يشبه (مارتان) ٨٠٪ فجرى تصويره حالا . وصدرت الهوية النظامية . ووضعت في جيبه كما وضعت رساله من بنك كويد تشعره بانه مكشوف على ٨٠ جنيه . ويجب عليه تغطيه حسابه (ليظهر بمظهر المبذر) .

ولما كان لجميع الضباط الشبان مشاكل عاطفية وغراميات . فقد وجدت المخابرات ان يكون لمارتان صديقة تدعى (بام) ، فتاة جذابه . ويحمل في محفظته صورة ورسالتان منها (قام خبراء المخابرات بطي الرسائل عدة مرات وفتحها ، لتظهر وكانها اعيدت قراءتها عدة مرات) [1] كما لم ينسوا أن يضعوا مع اوراقه فاتورة بقيمة ١٥ جنيه ثمنا لخاتم الخطوبة ، كما البس بلاك حفر عليه اسمه ووضعت في يده ساعه (أوميغا) [2] ، كما أضيف الى الاوراق في جيوبه قسائم أوتوبيس مستعملة (نصف بطاقه) ، ومفاتيح مختلفة ، وقد (تخيل) مخططوا

---

(١) من طي الرسائل وفتحها عدة مرات لتظهر وكانها (مستعملة) أي مقروءة تظهر لنا مقدرة المخابرات على التفكير بادق التفاصيل مسبقا لكيلا يكون هناك اي مجال لكشف اي خطة او عميل .

(٢) للحقيقة وليس للدعاية .

العملية أن مارتان ـ رافق خطيبته ـ بام ـ الى المسرح قبل سفره للقيام بهـذه المهمة ، لذلك وضع في جيبه ايضا نصف بطاقتي مسرح مؤرخة : /٢٠/ نيسان لمسرحية من تأليف شكسبير كانت تعرض في حينه •

وبعد انتهاء كافة الترتيبات المتعلقه بالميجر مارتان . وما يحمله من وثائق وأوراق خاصة ، تقرر أن تلقى (جثته) في منطقه (هيولفا) . في الجنوب الغربي من اسبانيا ، وبالطبع سوف تحصل المخابرات الالمانيه على صور الوثائق (وهذا ماحصل) ، ثم يسلم الاسبانيون الجثة الى القنصل البريطاني ليجري دفنها •

لم يبق على البدء بالعملية سوى موافقة (ونستون تشرشل) . وفرض عليه الامر ، ووافـق شريطة أن يحاط الجنرال ايزنهاور علما بالعملية باعتباره قائـدا لعمليات الحلفاء • •

ابتداء مهمة الجثة :

بتاريخ ١٩ نيسان ١٩٤٣ . وفي الساعة السادسة (مساء) تحركت الغواصة البريطانية (سارف) وهي تحمل (الميجر مارتان) راقدا في تابوت معدني طوله ١٩٠ سم وقد ملىء بالثلج •

واستغرقت الرحلة الى قرب الشواطىء الاسبانية مدة عشرة أيام وفي ٢٩ نيسان ١٩٤٣ طفت الغواصة على بعد ١٥٠٠ متر من الشاطىء ، بدون أن يشتبه بها أحد وفي الساعة ٣٠ر٤ أخرج التابوت الى السطح وأخرج منه الميجر مارتان حيث نفخت له (سترة النجاة) المسماة (ماي وست) [٣] ووقف طاقم الغواصة وقفة وداع ، تلى أحد الضباط صلات الموت وهم مكشوفو الرأس وحملت الامواج الميجر مارتان (الجثة) الى (مهمته) ، وعلى مسافة نصف ميل ألقي طـوق نجاة من النوع الذي يستعمل في الطائرات (لكي يوحي بأن طائرة قد سقطت) •

تنفيذ المهمـة :

في صباح ٣٠ نيسان ١٩٤٣ التقط صياد اسباني الجثة من مكان قريب من الشاطىء وتركها في زورقه ، وأعلم السلطات الاسبانية، فنقلت الجثة الى المستشفى

---

(٣) سمي (طوق النجاة) ، (ماي وست) نسبة الى الممثلة الاميركية الشهيرة (ماي وست) في حينه •

الذي أكد أن الوفاة ناتجة عن الغرق وفي ٢ أيار استلم القنصل البريطاني الميجر مارتان ، وقام بدفنه بالمراسم الدبلوماسية والعسكرية المتاحة له ، في مقبرة مدينة (هيوليفا) الواقعة على بعد (٢٢٠) كيلو متر الى الشمال من جبل طارق (هـذا المواطن البريطاني الذي مات بالتهاب الرئة في بلده،ولم تتركهالمخابرات البريطانية يستريح في موئته الابدية ، أعادته الى الحياةوأدخلته في القوات الملكية ، واسندت اليه مهمة خطيرة تفذها ، ثم عاد ميتا ليرقد في سلام الى الابد تحت سماء اسبانيا المشمسة) •

بتاريخ٤/٥/١٩٤٢ ، تلقى القنصل البريطاني رسالة (سرية جدا) تقول ان الميجور مارتان كان يحمل (خلافا للتعليمات) وبسبب الضرورة ••• وثائق سرية وهامة جدا وتطلب اليه التدخل لدى السلطات الاسبانية المحايدة لاستعادة تلك الوثائق •

أمـا المخابرات الالمانية في هيولفا فقد بذلت أقصى جهدها لتصوير هـذه الوثائق التي علموا بها من عملاء محليين ، ودفعوا مقابل ذلك مبالغ ضخمة حتى تمّ لهم ما أرادوا •

بتاريخ ١٣ / ٥ / ١٩٤٢ ــ استدعت رئاسة أركـان البحرية الاسبانية الملحق العسكري البريطاني ، وسلمته مظروفا يحوي جميع ماكان يحمله مارتان من الاشياء والوثائق ، وأعلم بأنها كانت محفوظة في مكان آمين جدا • وكتتمة للخدعة واحتراما للميجر مارتان ، طلبت المخابرات البريطانية من القنصل وضع لوحة رخامية على قبر الميجر لاتزال حتى الان تشهد بعرانب المخابرات، كما أرسل أكليل من الازهار من الجالية البريطانيه هنك ، وختاما انزل أسم الميجور وليم مارتان في الزاوية المخصصه لقتلى الحرب في (التايمس) التي صدرت بتاريـخ ٤ / ٦ / ١٩٤٣ استمرارا في الخدعة حتى بعد انجازها •

في شهر تموز،تم غزو صقيلة بانزال ضخم ونجاح تام بعد أن حولت العملية أنظار الالمان عنها ، وهذا اكبر دليل على نجاح الخطه ، ولكن الدليل القاطع على النجاح جاء من الالمان أنفسهم، فالضابط الذي قام بتفتيش وثائق البحرية الالمانيه

بعد نهاية الحرب ، طلب الاتصال برئيس فرع الانتلجانس البحري قائلا له (ان ضابطا عالي الرتبة قد أرسل وثائق خطيرة جدا بطريقة غير قانونيه مما جعلها تقع بأيدي المخابرات الالمانية (يقصد وثائق مارتان) ، وفي مقـر المخابرات الالمانية وجدت صور الوثائق مع ترجمتها الى اللغة الالمانية وتقارير العملاء الذين حصلوا عليها وقد أعد تقرير موجز عن هذه الوثائق ورفع الى الاميرال (كارل دوتنز) •

بتاريخ ١٤ / ٥ / ١٩٤٢ ، اجتمعت قيادة الاسطول الالماني مع رئيس فرع المخابرات البحرية وقرروا بعد اطلاعهم على صور الوثائق البريطانية بأن الهجوم الرئيسي الحليف سيكون على سردينيا وليس على صقلية مع عمليات انزال اضافية في اليونان •

نتيجة خدمة المخابرات البريطانية :

١ ــ أرسل الالمان الى اليونان فرقة كاملة من الدبابات ، نقلوها من فرنسا وذلك للدفاع عن طرق المواصلات والمرافىء التي أشير اليها في الوثائق التي كانت مع الميجر مارتان وهذه التحركات لفرقة كاملة من الدبابات (لواء) من فرنسا الى اليونان منعتها من الاشتراك الفعلي في القتال لمدة طويلة (وهذا نجاح المخابرات البريطانية) •

٢ ــ ثبتت القيادة الالمانية الالغام البحرية في عرض الساحل اليوناني ونصبت عليه بطاريات المدفعية الساحلية •

٣ ــ نظمت دوريات بحرية ليلا ونهارا مؤلفة من قاذفات الطوربيد •

٤ ــ في شهر حزيران نقل الالمان اسطولا صغيرا من الزوارق البحرية السريعة من صقيلة الى اليونان (بدل أن يكون النقل بالعكس) •

وفي تموز عندما بدأ الهجوم فعلا على صقيلة ، كان الالمان مشغولين بمراقبة مضيق جبل طارق ، حيث ظنوا أن قوات بحرية سوف ترسل لمهاجمة سردينيا ، وفي وثائق المانية ثانية وجدت المخابرات البريطانية تقريرا يقول: ان ارسال اسطول الزوارق من صقيلة الى اليونان هو الذي أوجد ثغرة قاضية في الدفاع عنها •

ونجاح مهمة مارتان ، وهو ميت مذكور في الاوراق الشخصية للمارشال

رومل نفسه ، عندما أشار الى أن غزو صقلية قد تم بينما كانت القوات الدفاعية الالمانية مشتتة بسبب العثور على جثة حامل بريد دبلوماسي على شاطىء اسبانيا .

وللحقيقة ، فان هتلر نفسه ، قد اطلع على صور الوثائق التي كان يحملها مارتان ، وكان يعتقد مثل جميع ضباطه وكما أوحت له المعلومات بأن هجوم الحلفاء الرئيسي سوف يوجه ضد سردينيا .

وهكذا قدم مارتان اثناء مماته خدمة الى بلده هي إنقاذ ارواح الآف الجنود ، وتوفير الملايين ، بينما في حياته لم يستطع أن يقدم أي عمل نافع بسبب مرضه .

المخابرات البريطانية وراء فضيحة كريستين كيلر :-

يملك اللوردآستور قصراً فخما في كلايفدن بلندن ، وفي هذا القصر الشامخ البعيد عن أعين الرقباء ، كانت تقام حفلات (ماجنة) أو مايسمى الإن : (حفلات جنس) ، وتشمل هذه الحفلات (استحمام بعض المدعوات في حوض سباحة القصر وهن عاريات) انسجاما من مبدأ (حسن الضيافة) الذي اتخذه صاحب القصر شعارا لـه ، ويستغل الضيوف هـذا المبدأ الى أبعـد الحدود في الاستمتاع المحرم ، وكان من رواد هذا القصر وزير الحربية البريطانية في حينه (جون بروفوميو) الذي شاهد (كريستين كيلر) ذات ليلة تستحم عارية في مسبح القصر وكانت تعمل (بغياً) تحت الطلب الهاتفي ، وهو أرقى أنواع البغاء فاعجبته وتعرف عليها وقد قال عنها فيما بعد بأن لها:جمالاجسديا أخاذا..)وأخذ يتلاقى معها باستمرار ....

مخبر بريطاني يمتهن (القوادة) الراقية :

بريطاني في الخمسين من عمره يدعى : ستيفان وارد كان يسهل اللقاءآت بين رجال الاعمال ، والسياسيين البارزين والدبلوماسيين الاجانب في لندن ، وبين الفتيات في قصر (اللوردآستور)،وبنفس الوقت ينقل مايحصل عليهمن الاسرار الى المخابرات البريطانية فرع (أم ــ أي ــ ٦) وكان بنفس الوقت من رواد نادي (غاريك) الاجتماعي الذى كانت اللقاءآت تبدأ فيه ، ثم ينتقل الجميع الى القصر

، وكانت (كريستين كيلر) على لائحة ـ ستيفان ـ يؤمن لها الزبائن، فعرفها على الملحق العسكري السوفياتي (يوجين ايفانوف)، وكان بنفس الوقت رئيس قسم المخابرات السوفياتية في السفارة السوفياتية في لندن، وكان أول لقاء لهما بتاريخ ٨ تموز عام ١٩٦١ حيث شرب معها الويسكي في القصر، وبعدها نشأت بينهما (علاقة غرامية) طويلة الامد، فعرف (ايفانوف) من كريستين أنها تخرج مع (جون بروفوميو) وزير الحربية، فطلب من صديقه (ستيفان) الذي كان يفرض ارادته عليها أن يقنعها بالعمل مع ايفانوف اي (تتجسس للاتحاد السوفياتي) وتستنطق بروفوميو اثناء لحظات (المتعة) عن موعد (اقدام الولايات المتحدة على تزويد المانيا الغربية بالاسلحة الذرية)، وهو لا يدري بان (حكمة المخابرات البريطانية قضت في ان يكون هذا القواد الراقي من عملائها نظرا لحاجتها اليه في مثل هذا الامر الهام)، وقد نقل اليهم حرفيا طلب ايفانوف ،فطلبوا منه الاستمرار معه أطول مدة ممكنة لتسجيل الادله عليه أولا باول •• ولكن (كريستين كيلر) ،فضحت القضية بنقلها للصحف البريطانية، رغم محاولة الحكومة البريطانية التي كان يرأسها (هارولد ماكميلان) الطلب رسميا من الصحف عدم نشر (هذه الفضيحة) لانها تؤثر على سلامة الدوله وأمنها، ولكن الصحافه استمرت في نشر وقائع هذه القضيه وكانت النتيجة :

١ ـ تعرض الحكومة كلها للانتقاد في مجلس العموم البريطاني •

٢ ـ استقالة وزير الحربية (جان بروفوميو) من الوازرة •

٣ طلب مغادرة الملحق العسكري السوفييتي يوجين ايفانوف لندن خلال ثلاثة أيام وفعلا غادرها••••• •) •

٤ ـ استقالة مدير الفرع ـ ام ـ اي ـ ٦ ـ في المخابرات البريطانية •

٥ ـ انتحار (ستيفان وارد) •

٦ ـ الشهرة التي اكتسبتها كريستين كيلر حتى أن قصتها مثلت فيلما سينمائيا •



شارلــز ريني ابن مديــر المخابرات البريطانية الذي فضح والده

كشف رئيس المخابرات البريطانية لاول مرة :

القي القبض في لندن على تشارلز ريني وعمره ٢٥ سنة وزوجته بتهمة حيازه المخدرات والمتاجرة بهــا واقامة حفلات (جنس) (وتحشيش) جماعيه • وقــد اكتفت الصحف البريطانية بنشر الصور دون الاسماء ، وحتى دون تعليق كعادتها وذلك بناء لطلب (وزارة الخارجية) وشعر رئيس تحرير مجلــة (ديرشبيغل) الالمانية بأن وراء ذلك سرا ، فارسل أذكى مندوبي المجله فورا الى لندن للتعرف على أصدقاء الفتى السجين وزوجته ، ومن هؤلاء عرفوا اسميهما ومن ثم صدرت المجلة وفيها مقال بعنوان : (اعتقال ابن رئيس المخابرات البريطانية وزوجتــه بتهمة حيازة مخدرات ••) وهكذا فضح الابن والده ،ولاول مرة يتعرف قراء الصحف العاديين على رئيس المخابرات البريطانية بعد أن كان لا يعرفه سوى عدد قليل من المسؤولين • يعدون على أصابع اليد ، وكان هاتفه سريا لا يعرفه أحد ، واسمه غير مسجل في دليل الهاتف ، وعنوانه هو (بواسطة وزارة الخارجيــة البريطانية ــ لندن) ولكي تخفف المخابرات البريطانية من الصدمة صرح أحــد مسؤوليها للصحف : بان ما نشرته المجلة الالمانية صحيح ، وسيأخذ العدل مجراه ثم ختم تصريحه بقوله : لا أظن أن المجلة كشفت سرا خطيرا ، لان شخصية السير جون ريني رئيس المخابرات البريطانية ، كانت معروفة من المخابرات السوفياتية•

مهمة جديدة للمخابرات البريطانية :

بعد أن استلم (موريس اولدفيلد) رئاسة المخابرات البريطانية ، وعــرف نفسه في الوسط السياسي ، عكس الرؤساء السابقين للمخابرات البريطانيه ، داب

على الخروج بالمخابرات عن عملها الروتيني الى الاشتراك بالنشاط السياسي (الموجه) ضد الجيش الجمهوري الايرلندي (الثوار) فقد استدعى في أوائل عام ١٩٧٣ الى مكتبه كلا من الاخوين : كنييث ليتل جون ــ ٣٢ سنة ــ جورج ليتل جون ــ ٢٧ سنة ، وهما من أصحاب السوابق في عالم الاجرام والسطو والاغتصاب ، وطلب منهما الانضمام الى صفوف الجيش الجمهوري ، كثوار مقابل مبلغ /٥٠٠٠/جنيه استرليني توضع باسمهما مناصفة في البنك ، ووعدهما بالمساعدة غير المشروطة ، لقاء تزويده فيما بعد بما يطلعان عليه من المعلومات عن حركات الثوار ، فقبلا العمل فورا ، وقد تمت هذه العملية بموافقة الوزير (جيوفري جونسون سميث) من وزارة الدفاع الذي قابلهما شخصيا ، وتمنى لهما النجاح حيث انخرطا فيما بعد بالثوار وقاما بتزويد المخابرات البريطانية ببعض النشاط الذي اطلعا عليه أثناء التدريب ، وبعد مدة استدعيا الى مركز المخابرات ، وطلب منهما القيام بعمليـة سطو على أحد فروع البنك المركـزي الايرلندي ، وفعلا نفذا عملية سطو مسلحة حيث استوليا على مبلغ (٦٧) الف جنيه استرليني ، ولكنهما اعتقلا فيما بعد حسب خطه المخابرات ولدى التحقيق معهما ، ونشر هذا التحقيق في الصحف البريطانيه، اعترفا بأنهما من أعضاء الجيش الجمهوري الايرلندي (لتشويه سمعة هذا الجيش الثائر واظهاره بأنه يحوى اللصوص والمجرمين) ولكن المسؤولين عن الاعـلام في الجيش الجمهوري الايرلندي ، تنبهوا لهـذه الخدعة واتصلوا بالرأي العام البريطاني لتوضيـح الحقائق ، مما اضطر رئيس الوزراء البريطاني الى فتح التحقيق • عند ذلك اضطر الوزير سميث الى الاعتراف بأنه (زرع) هذين المجرمين بين الثوار بالاتفاق مع صاحب الفكرة (موريس أولدفيلد) رئيس المخابرات البريطانية ــ لكي ينطبق على المخابرات البريطانية (الانتلجانس سرفيس) القول بأنها تتدخل في كل شيء وفي كل زمان ومكان ، حيث تتابع عملها رغم تقلص الاستعمار البريطاني عن بلاد عديدة ،ولكن المخابرات تبقى ما بقيت الشمس تشرق وتغيب •

عشرات المؤآمرات والاغتيالات والانقلابات في شتى أنحاء الكومنولث والعالم تحيكها الانتلجانس سرفيس التي لا صديق لها سوى من يخدم مصالح بريطانيا العظمى •••





مخابرات الصّين الشعبيّة

مخابرات الصين الشعبية :

اننا اذا أدرجنا منجزات المخابرات الصينية في هـذا المكان فذلك اقرارا بالحقيقة ، فالمخابرات السوفياتية مشهورة بالقوة والتهديد والعظمة ، والمخابرات البريطانية بالاستقرار والهدوء داخليا ، وتحريك العالـم خارجيا ، والمخابرات الصينية بالمنجزات والاعمال الخارقة لاستتباب الامن في ربوع الصين الشعبية ثم المخابرات الاميركية التي تتميز بالدهاء والنظام •

الحياة في الصين الشعبية :

قبل أن نبـدأ في شرح أعمال وانجازات المخابرات الصينيـة الشيوعية ، يجب علينا سرد موجز عن الصين الشعبية ، هذا البلد الشاسع ، الذي يبلغ تعداد سكانه اكثر من سبعمائة وخمسين مليون نسمة ، ويتزايد سنويا ١٥ مليون نسمة، ويحكمها حاليا حكام مسنون ينتمون الى الحزب الشيوعي الصيني، وهم الذين قادوا ثورتها حتى ظفروا بالحكم فيها ، وأصبحت الآن الصين من

حيث التحية الصينية التقليدية بضم راحتي اليدين والانحناء بكل احترام الى كل زائر سواء كان صينيا أو أجنبيا • كما قدر دخل العائلة الصينية الواحدة بحوالي ٥٥٠ جنيه استرليني سنويا ، وهو مبلغ ضخم لان جميع حوائجهم الضرورية مؤمنة ومدة العمل ثماني ساعات ويوجد يوم استراحة في الاسبوع للجميع وتعتبر جميع المصانع في الصين مدنا صغيرة فيها أسباب التسلية والتعليم والعناية الصحية ، حتى دور السينما بالاضافة الى وجود نفس المصنع في وسط حديقة جميلة بالورود والازهار ، أما موضوع الزواج في الصين فهو من أيسر وأحسن طرق الزواج في العالم ، حيث يختار الصيني زوجته ويكتب بذلك طلبا الى رئيسه في العمل حيث يحدد موعد القران ، وتتحمل الدولة مصاريف الزواج • وعلى المرأة بعد الزواج أن لا تترك عملها أو تتخلف عن الفحص الصحي المجاني ليحفظ لها حقها في التقاعد مع الايام •

وحين تنتظر الزوجة الصينة حادثا سعيدا (ولادة) تمنح ثلاثة أشهر اجازة تتقاضى راتبها كاملا خلال ذلك ، حتى تضع طفلها وتستريح حسب وصية الطبيب أو الطبيبة المولدة ، لتعود الى عملها • بينما يؤخذ طفلها الى العمارة الخاصة للمصنع لتربية الاطفال على أحدث الطرق الصحية الحديثة بينما تزوره يوميا أثناء فراغها ، ومن المعلوم أن الصيني آمن رجل في العالم ، وباستطاعة أي صيني وضع أي شيء في أي مكان فلا يمد أحد اليه يده حتى انه ليس هناك في الصين شركات تأمين ضد السرقة ، لانه لا يوجد من يفكر بالسرقة ، كما لا يوجد في الصين شركات تأمين على الحياة ، لان الدولة تهتم بكل شيء للفرد الصيني من ساعة ولادته وحتى وفاته •

المخابرات الصينية ونشوءها :

أما المخابرات الصينية ونشأتها شأنأغلب مخابرات العالم من حيثالخطورة ومع ذلك تعتبر دائرة مخابرات جديدة نشأت مع استلام الشيوعيين الصينيين الحكم ، ومهمتها محاربة أعداء الثورة في الداخل ، وملاحقة الاعداء في الخارج لضمان استقرار الشيوعية في الصين كلها • ودائرة المخابرات الصينية تضم بصورة رسمية حوالي مليون موظف رسمي ، تصرف أقل مبلغ يصرف على المخابرات في العالم ، لانه من المفروض على الشيوعي الصيني مساعدة حزبه أو

حكومته دون أن ينتظر حمدا ولاشكورا • ومن واجبات المخابرات الصينية أيضا التجسس على خصوم الصين وأصدقائها ، وعلى الشعب الصيني نفسه لذلك ازداد عدد موظفيها وعملائها بصورة عامة حتى أصبح ثلاثة ملايين شخص ذكورا واناثا (أي أن تعداد عناصر مخابرات الصين الشعبية تعادل سكان دولة بكاملها) •

كيفية انتقاء موظفي المخابرات الصينية :

عندما ترغب المخابرات الصينية في ادخال موظفين جدد الى جهازها ، فانها تعلن عن حاجة وزارة الخارجية الصينية الى موظفين في السفارات والقنصليات والمؤسسات الصينية المختلفة في الخارج•ويشترط في القبول كون المتقدم يختلف في الملامح والشكل عن الصيني ، وهكذا يتقدم المئات للوظيفة فيصار الى اختيار المناسب منهم ، وهكذا يبدأ موظف المخابرات الصيني عمله فيصبح واحدا • من شبكة المخابرات الصينية الهائلة التي أصبحت منتشرة في جميع أنحاء العالم، بعد تدريبه في مدارس المخابرات الصينية •

بعض خطط المخابرات الصينية :

قبل أن نعرف من هو رئيس المخابرات الصينية ، هذا الرجل صاحب العقل الجبار الذي يعمل من وراء الستار حيث تدل منجزاته علىقدرته وعبقريته وجرأته كما أثبت في حالات عديدة بحيث أتعب الغربيين بصورة عامه والاميركيين بصورة خاصة ، وجعلهم لا يعرفون الاستقرار في أميركا اللاتينية أو آسيا او في افريقيا، حيث أصبحت اليد الصينية تظهر علنا في بعض الثورات التي وقعت في بعض هذه المناطق حيث نجد أن المخطط الذي تسير عليه المخابرات الصينية هو الاستيلاء على آسيا من شرقي جبال الاورال في روسيا، الى ما بعد ذلك من سهول وبحار • حتى تصبح الصين دولة مؤلفة من ألف مليون نسمة من البشر من جنس واحد ••• حتى ان وزير الدفاع الصيني أعلن عن خطة الصين في السيطرة على ثلثي العالم ، وذلك بتطويق الدول القائمة على شمال المحيط الاطلسي بواسطة الثورات الداخلية وتدبير الانقلابات في الدول المتأخرة• وتفسر المخابراتالصينية خطتها هذه بأنه حين تنتصر الشيوعية تنتهي متاعب المعذبين في الارض ويعم السلام في الارض ••

أقسام المخابرات الصينيّة واختصاص كل منها

للوصول الى حقيقة المخابرات الصينية وأسرارها وطريقة عملها وتخطيطها والرجوع للبحث عن العقل المدبر وراء هذا الجهاز الرهيب نجد أن المخابرات الصينية تقسم الى أربعة أقسام وهي :

١ ــ القسم الاول ويتبع وزارة الخارجية الصينية •
٢ ــ القسم الثاني ويتبع الحكومة مباشرة •
٣ ــ القسم الثالث ويتبع قيادة الجيش •
٤ ــ القسم الرابع ويتبع الحزب نفسه •

وكل جهاز من هذه الاجهزة الاربعة يعمل مستقلا عن الآخر ، ولكن هذه الاجهزة جميعها تلتقي بواسطة رؤسائها تحت سيطرة الحزب مباشرة• أما الاجهزة والدوائر المتفرعة عنها فانها تعمل لوحدها ، وقد علمنا أن بعض أعضاء الحزب الشيوعي الصيني يعملون في الدوائر كموظفين أو مراقبين، وهكذا يتمكن رئيس المخابرات بالذات مراقبة كل شيء ، وان هؤلاء الاعضاء يقدمون تقارير تتضمن ما يصل اليهم من معلومات ذات شأن فتجمع هذه التقارير ويجري التحقيق فيها ومقابلة ما جاء فيها من وقائع بما يكون لدى الرئاسة من معلومات من مصادر ثانية عن نفس الموضوع وهكذا تتم مراقبة جميع الاجهزة وتقدير الصدق في تقارير كل جهاز لوحده •

واذا بدأنا في شرح أعمال هذه الاجهزة وجدنا أن الجهاز الاول الذي يتبع وزارة الخارجية جهاز دقيق جدا ، وخفي وهو خاص بالاخبار الخارجية والعمل الخارجي ، ويقسم الى قسمين أيضا ، ويسمى بالصينية (هاي واي) •

١ ــ قسم لجمع والتقاط الاخبار وفحصها جيدا •
٢ ــ قسم للعمل والتنفيذ •

أما الجهاز الثاني فيتبع وزارة العدل ، ومن ثم الحكومة واسمه بالصينية (باوتنشو) • ومن شأن هذا الجهاز مراقبة الاجانب في الصين،والسيطرة ومراقبة البوليس الصيني نفسه ، وهذا الجهاز ينفذ أعمال السخرة التي تفرض على

المعارضين أو المعادين للشيوعية والحزب ، ومن مهمات هذا الجهاز أيضا توزيع العملاء على السفارات الصينية في الخارج لمراقبة الموظفين واخلاصهم •

أما الجهاز الثالث فيتبع الجيش وهو قوي يتجسس على العسكريين من جميع الرتب للتأكد من اخلاصهم للحزب الشيوعي بالاضافة الى مراقبة البعثات العسكرية والملحقين العسكريين في الصين وفي الخارج •

أما الجهاز الرابع وهو الجهاز التابع للحزب مباشرة ، وهو اكثر الاجهزة تكتما ومهمته التجسس على كل انسان في الصين تقريبا • وقد علمنا أن هذا الجهاز يتجسس حتى على أعضاء الحزب من كبارهم لصغارهم ما عدا رئيس الوزراء ورئيس الدولة • ولهذا الجهاز الرابع اسم لطيف وجذاب هو (دائرة الاعمال الاجتماعية) ، ومكتبه في عمارة تقع في الشارع /١٥/ في بكين • ومثل هذه المسؤولية الضخمة لا يمكن أن يتحملها انسان واحد ، مهما بلغ من الذكاء • ولكن اذا راجعنا تاريخ الجهاز الرابع وجدناه قد أسس منذ خمس وعشرين سنة، وأول رئيس له هو (كانغ شي) ، وقد قتل في ظروف غامضة عام ١٩٥٢ • وجرى تعيين الجنرال (لي كونونغ) ليحل محله ولكن مصيره لم يكن خيرا من مصير سلفه ، حيث قتل أيضا في ظروف غامضة بعد عشر سنوات من ادارته الجهاز ١٩٦٢ ، وبعد ذلك أصبح الجنرال (تشوتايننغ) مدير قسم (هاي واي) يرأس أيضا القسم الرابع • وهذه الطريقة في تسليم شخص واحد ادارة قسمين من أكبر أقسام المخابرات الصينية تدل على أن (تشوتايننغ) ذو أهمية خاصة •

من هو رئيس المخابرات الصينية :

بعد هذه المعلومات عن الصين الشعبية وعمل مخابراتها وأهدافها وفروعها يحق للقارىء أن يتساءل : من هو الرئيس الفعلي لهذا الجهاز الرهيب ؟ من هو الرجل الغامض الذي يشرف على هذه الاجهزة كلها ؟ ويتحمل مسؤولية أعمالها ولا مسؤول بعده الا رئيس الوزراء ؟ انه الجنرال (لوجو شينغ) هذا الرجل الحديدي الذي ولد في مدينة (ستشوان) عام ١٩٠٧ ، ودرس بعد حصوله على الشهادة الثانوية بالكلية العسكرية ، ومن ثم انضم في عام ١٩٣٤ الى اللجنة التنفيذية للمؤتمر الصيني الشيوعي عام ١٩٣٧ ، وعين ضابطا سياسيا في جامعة يوتان ، حيث استقر الشيوعيون فيها بعد هزيمتهم وجعلوها منطقتهم ، بعد أن

ساروا مسافة ستة آلاف ميل للوصول اليها ، ومنهم من عاش في المغاور والكهوف على حدود منغوليا مع ماوتسي تونغ ، لقد استفاد ماوتسي من الجامعة كمركز لتدريب رجاله على حرب العصابات وبث الدعوة الشيوعية بينهم أما (لوجو شينغ) فقد أرسله ماوتسي الى المنطقة العسكرية في (شانتونغ) ليكون قائدا ، كما عينه بعد ذلك عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ، ومن المعروف أن هذا المركز لا يرقى اليه الا من تثبت جدارته واخلاصه العميق للحزب ، وكان (لو) قد بلغ في هذه المرحلة الثالثة والثلاثين من عمره ، وبعد ذلك اختير ليكون مدير التوجيه المعنوي بالجيش ، ثم أعيد في عام ١٩٤٣ نائبا لرئيس جامعة يوتان • وحين كان الشيوعيون ينتصرون على خصومهم في عام ١٩٤٩ انضم (لو) الى (بنغ شن) لتنظيم الادارة المدنية في بكين وعند ذلك تبدل مركزه وانتقل في عدة أعمال منها أنه عام ١٩٤٩ أصبح مسؤولا عن الامن العام أمام (ماوتسي تونغ) وفي عام ١٩٥١ عين وزيرا للامن العام فأصبح يسيطر على أجهزة البوليس المتفرعة وأصبحت تخضع لسلطاته منطقة يعد سكانها أكثر من أربعمائة مليون نسمة • وفي عام ١٩٥٣ امتد سلطانه باستلام مخابرات الصين العامة والجيش نفسه ، ومما يدل على عظمة مكانته أنه صدف أن ثار اثنان من قادة الجيش في الصين عام ١٩٥٤ على قرار اخضاع الجيش للحزب ، واعتبر ماوتسي تونغ ثورتهما تمردا ، وأمر (لو) باعدامهما ، ونفذ الحكم فيهما فورا ، وبعد هذه المناصب العديدة عين (لو) عضوا في مجلس الدفاع الوطني ، وفي عام ١٩٥٥ رقي الى رتبة جنرال في الجيش الصيني ، حيث أصبح سلطانه لا حدود له • وصرح بنفسه أن أجهزة المخابرات والبوليس التابعة له تقوم بواجبها خير قيام • غير أنه عاد وصرح في عام ١٩٥٨ أنه يأسف لظهور بعض حالات الاهمال واللامبالاة في الحزب، واعترف أنه خلال عامي ١٩٥٧ و ١٩٥٨ أمر بتشكيل ٧٥٠ ألف لجنة تحقيق ، واتهم حوالي مليون وستمائة ألف شخص بالاشتراك ب ٣٢٨ ألف حادثة معارضة أو اشتباه ، وانه اكتشف ٣٠٠٠ متآمر و ٢٦ ألف شخص من المشبوهين الفاسدين، وهذه نسبة بسيطة بين أمة تعدادها أكثر من سبعمائة وخمسين مليون نسمة ، واعترف أيضا باكتشاف /٢٢٠/ شخصا فاسدا في المراكز العليا في الدولة ، وبعد مدة نقم ضباط الجيش والجنود عندما طلب منهم (ماوتسي تونغ) التعاون مع

العمال ، ورفضوا التعاون وأصروا على بقاء الجيش في مكانه ، مستقلا عن الحركه العمالية . كما أن الحزب نفسه أصابه القلق من عدم تعاون الجيش مع أجهزة الحزب والعمال وموقفه السلبي، فأصدر ماوتسي تونغ أمره باقصاء رئيس أركان الجيش، وكثير من ضباطه .

ولكي يتأكد الحزب من أن أحدا لن يتجرأ بعد الآن على الاعتراض وعدم تنفيذ أوامر الحزب فقد عين (لو) رئيسا لاركان الجيش ، ولكن تعيين الجنرال (لو) رئيسا لاركان الجيش الصيني لم ينهي الخلاف على الاقل ضمن تنفيذ قرارات الحزب وفرضها على الجيش وجميع شعبه وفروعه بدون مراجعة وحيث أن الجنرال (لين) وزير الدفاع الجديد كان مسنا مريضا لا يقوم بأي عمل الا نادرا لذلك أصبح (لو) الآمر الناهي في وزارة الدفاع بالاضافة الى كونه رئيس أركان الجيش ومدير المخابرات وسكرتير الحزب وعضو مجلس الدفاع الوطني وما جاء عام ١٩٦٥ حتى اختير الجنرال (لو) نائبا لرئيس الوزراء وبذلك التعيين أصبح الجنرال (لو) قد ظفر بمناصب خلال ستة سنوات لم يحصل عليها أحد من قبله ، في أية دولة .. وقد أصبح مصدرا لجميع السلطات ، حتى ان نشاط جميع الجواسيس في الداخل والخارج كان من توجيهه بالذات.ولم يكن مسؤولا أمام أحد عن تصرفاته المطلقة سوى أمام رئيس الوزراء ، وقد بدأ يوعز بتحريك الثورات في البلاد الثانية بعد أن استتب له الامن في الداخل ، وبدأ بالايعاز الى عملائه بتخطيط الانقلابات في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية . وهذه الخطوة لم تتخذ الا بعد الاستقرار الداخلي في الصين،حين أصبح (لو) يختار الجواسيس ويبعث بهم للتدريب على أعمال الجاسوسية مع أن الجواسيس الصينين لم ينجحوا نجاح الجواسيس الروس والاميركيين وغيرهم بسبب مظهرهم كصينيين، بحيث أن المرء يعرفهم من النظرة الاولى ، ومع ذلك فقد أثبتوا براعتهم في بعض الحوادث والمؤامرات ، ولكي تتستر المخابرات الصينية على أعمالها التجسسية قامت بانشاء (وكالة الانباء الصينية) ، وأختير جميع رجال الوكالة من الحزب الشيوعي الصيني المحترفين ، وأسس لهذه الوكالة فروع في كل من لندنوطوكيو وباريس ومكسيكو ستي والقاهرة ودار السلام وبيروت ، ويرأس هذه الوكالة

(كاوليانغ) وآخر مكان لعمله قبل رئاسة الوكالة كان في دار السلام ، وينحصر عمله في أي مركز يوجد به في تنظيم الجبهات والجمعيات للقضاء على المعادين للشيوعيين ، ويغذّي هذه الجماعات بالمحاضرات والنصائح والمال المتوفر لديه وكان يعاونه في التنقل بين هذه المراكز الكولونيل (كان ماسي) ، وهو يجيد اللغتين الانكليزية والهندية واختصاصه في حرب العصابات حيث كان يعمل في السفارة الصينية في الكونغو برازافيل عام ١٩٦٤ ، وقد قام بتدريب المئات من الثوار الكونغوليين على حرب العصابات لقلب حكومة ليوبولدفيل ، حتى انهما اتهما بتدبير مقتل رئيس جمهورية (بوراندي) ، مما دعا بوراندي على قطع علاقاتها من الصين الشعبية ، وقد بدأ الصينيون باستخدام الآسيويين بايعاز من الجنرال (لو) ، ومنهم الإندونيسيون الذين استخدموا قسما منهم في الهند وفي اندونيسيا نفسها .

عودة المشاكل إلى الصين

في أوائل عام ١٩٦٧ تواردت الاخبار من الصين عن حصول بعض الاضطرابات في عدة مناطق ، وذلك بين الحرس الاحمر والمعارضين من الشباب البورجوازيين ، لذلك سارعت المخابرات الصينية الى الغاء بعض أعمالها في البلدان الثانية ، ما عدا آسيا حيث تفرض عليها سياستها أن تبقى مطلعة على كل شيء فيها . وحصرت معظم مهامها في الالتفات الى المعارضة بينما حافظت على تولي المهام الآتية خارج الصين :

١ ـ مساعدة مؤيدي الصين بحذر (مثل مساعدتها لفيتنام الشمالية) .

٢ ـ افتعال أحداث في جميع أنحاء العالم لالهاء الولايات المتحدة .

٣ ـ جر الاتحاد السوفياتي الى التدخل في المشاكل التي تثيرها باسم الشيوعية .

٤ ـ التدخل من تحت ستار في بعض الدول ، ثم تحميل هذه الدول المسؤولية كما حدث في اندونيسيا عندما كان الرئيس أحمد سوكارنو ـ الرئيس المطلق لاندونيسيا حيث بلغ عطفه على الشيوعيين الصينيين ذروته مما أدى الى اعلان أندونيسيا المجابهة مع ماليزيا .

وكما ذكرنا أن الصين ألغت ارتباطها في بعض الدول ما عدا (آسيا) ، وسبب اهتمام الصين بآسيا وهو وجود مصالح عديدة ـ حيث يوجد العديد من التجار الصينيين والجالية الصينية في كل من تايلاند ـ بورما ـ سيلان ، وأغلبهم من الشيوعيين بالاضافة الى العديد من أبناء هذه البلاد الذين انتسبوا للحزب الشيوعي بعد اقتناعهم بالعقيدة الشيوعية ، وهؤلاء جميعا مع عدد من الضباط المختصين الموفدين من المخابرات الصينية تعتبرهم (بكين) النواة أو القدوة لكل انقلاب أو حادث تعتزم القيام به في تلك المناطق • بينما نسمع أنه في أوائل عام ١٩٦٩ اختفت المعارضة في الصين نهائيا وعادت الصين الى التطلع الى بناء جيشها وجهاز دفاعها خصوصا الاسلحة النووية التي سوف تصبح قريبا تضاهي أميركا بل روسيا •

واذا رجعنا الى عنصر المخابرات في الكتاب نجد أنه من الصعب على الصين التجسس على اميركا لمعرفة أسرارها، بسبب عدم وجود سفارة أو تبادل ديبلوماسي بينهما سابقا ، لذلك تكتفي المخابرات الصينية بالحصول على أخبار الولايات المتحدة السياسية والاقتصادية من بعض الصينيين الذين يحملون الجنسية الاميركية،حيث يعمل بعضهم مختارا والبعض الاخر تحت الضغط • وأغلب الانباء عن أميركا تحصل عليها المخابرات الصينية من مركز شركة وكالة الانباء الصينية في مكسيكو وهذا المركز يديره رجلان من أقدر عملاء الصين هما (ووشو) والثاني (شنغ يين) ، حيث يديران الوكالة للتجسس ضد أميركا بواسطة بعض المكسيكين من الذين أغروهم بالمال •

في عام ١٩٦٦ أسست المخابرات المركزية الاميركية بالتعاون مع مكتب التحقيق الاتحادي مدرسة خاصة للتدريب على مكافحة التجسس الصيني الشيوعي حتى يكون المتدربون على استعداد كامل لمجابهة المشكلة في حال قبول الصين في الامم المتحدة ووصول مندوبيها الى نيويورك ، وأكثرهم من رجال المخابرات وفعلا كان رعب المخابرات المركزية الاميركية في محله وقبلت الصين في الامم المتحدة فيما بعد ••• ؟ ودخلت المخابرات الصينية الى قلب الولايات المتحدة•

عودة الى داخل الصين :

ان أميركا ومخابراتها دائما تشيع أن في الصين اضطرابات داخلية ، وان الوضع غير مستقر فيها ، حتى ان المخابرات الاميركية تؤكد أن الصين مقبلة على تطور سياسي داخلي خطير مثلما جرى في الاتحاد السوفياتي بعد وفاة ستالين وهم يقولون ان الصين يحكمها شيوخ يتراوح متوسط أعمارهم الستين عاما وهؤلاء لا يثقون بأحد من الشباب الصيني الناشيء بالرغم من تعليمه وتغذيته بالعقيدة والدعاية الشيوعية لا يزال لم يتمرس على مشقات الحياة ، هذا ماتشيعه المخابرات الاميركية ، أما الحقيقة فهي أن الحزب الشيوعي الصيني مدرك كل الادراك ما يشاع ضد الصين لتفرقة الصفوف واللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني تجتمع دوريا للتداول في أمور الصين ومستقبلها وقد علمنا من بعض المصادر الموثوقة أن الرأي قد استقر على تسليم ليوشوشيليو الزعامة قبل وفاة (ماوتسي) وهو أذكى رجل في اللجنة المركزية للحزب ومع ذلك فهو كبير السن ولكن اختياره وهو في هذا العمر ليس الا تمهيدا لتسليمه الجنرال (اليوجوى شينغ) الزعامة بعده لانه يملك من الذكاء والسلطان والاخلاص للحزب ما يفوق الوصف ، وهو المشرف على الدولة بأجمعها ، ولننتظر مع الايام القادمة لنعرف مجريات الامور في الصين حسبما قدرنا مع أن المصادر الوحيدة لاخبارنا عن

الصين وما يجري فيها تأتينا عن طريق هونغ كونغ وبعض العائدين من الصين بعد أن أنهوا سنين عديدة من الخدمة في السلك الديبلوماسي . وهؤلاء بالطبع شاهدوا وعرفوا العديد من الامور التي يتحدثون عنها لدى عودتهم لاوطانهم . ولو أن بعض الذين يصغون لهم آذان خاصة .. ؟

تقدم الصين في عالم الذرة لاثبات وجودها وقوتها :

سبق أن شرحنا بأن الصين تقصد من تقدمها وتفجيراتها الذرية الضغط على أميركا والدول الدائرة في فلكها ، لتسمح بدخولها للامم المتحدة في حينه وتثبت وجودها ، وبالفعل حصلت على ما أرادت ، وقد علمنا أن الصين لجأت الى أسهل الطرق لصناعة قنبلتها الذرية الاولى . ثم ضاعفت جهودها لصناعة الصواريخ

الموجهة حاملة هذه القنابل الذرية الى أبعاد مختلفة وأهداف مدروسة ، ومن أهم علماء الذرة الآن في الصين هو الدكتور (تشيني هسر) المدرس السابق في أميركا والذي اشترك مع العلماء الاميركيين في صناعة الصواريخ وترك أميركا ليعود للصين في عام ١٩٥٥ وهو الان يشترك بصناعة الصواريخ الموجهة بعد الانتهاء من انتاج القنبلة الذرية ، كما علمنا أن للصين الان عدة مواقع لاطلاق الصواريخ حاملة القنابل الذرية ، والتي يصل مداها الى أكثر من ٦٠٠٠ كيلو متر كما أنها صنعت صواريخ عابرة للقارات ، وهذا التقدم الملموس في صناعة الذرة في الصين يذكرنا بحادثة جرت عندما كان خروشوف رئيسا لوزارة الاتحاد السوفياتي قال للصينيين ان صناعة الاسلحة الذرية يكلف الصين كثيرا حتى لن يبق لدى الصينيين ما يصنعون به البنطلونات لابنائهم ، ولكن الصينيين أكدوا أنهم سوف يصنعون الاسلحة الذرية حتى ولو كلفتهم البنطلونات نفسها • ومع ذلك ساعدت روسيا الصين في صناعة الاسلحة الذرية حتى عام ١٩٦٠ ، وحين شعرت روسيا بأن الصين تسير بخطى سريعة في هذه الصناعة أخذت تضع العراقيل والشروط للتعاون الذري،حتى حدث الخلاف بينهما ، وتابعت الصين المسيرة الذرية وحدها، ونجحت وهي تؤكد أنه مهما كانت درجة الفقر في الصين فانها لن تستسلم لتهديدات أميركا ، وتصل الاخبار من الصين عن اجراء تجارب على صواريخ بعيدة المدى • بالاضافة الى امتلاكها القنبلتين الذرية والهيدروجينية وضعها في مركز دولي ممتاز • واذا ما قارنا بين الاسلحة الذرية الاميركية نجد أن اميركا تملك قوة ذرية كبيرة منتشرة حول حدود الصين بالاضافة للاسطول السابع المزود بالاسلحة الذرية أيضا ، كما أنها وزعت قواعد صاروخية موجهة للصين في بعض البلاد المجاورة لها في آسيا مع وجود الغواصات من طراز بولاريس حاملة الرؤوس النووية ، التي حدد لها توجيه قذائفها للاراضي الصينية من البحر مع مساندة القوات اليابانية•وفرموزا مسلحة بالاسلحة النووية وجميع هذه القوى تعتمد عليها أميركا ، لمدة أقصاها خمس سنوات ، ومع كل هذه الاسلحة التي ذكرناها ، والتي كلفت وتكلف أميركا ملايين الدولارات فانها لا تستطيع تهديد الصين باستخدامها في أي اشتباك قادم ، وتعرف الصين مسبقا أن كل هذا العرض الذري الاميركي (من قبيل سياسة التهديد لاغير) •

إلى أين..؟

وبعد كل هذا البحث ، تتساءل : ما هو موقف أميركا من النزاع الصيني السوفييتي ؟ والجواب بأن أميركا تبقى متجنبة موسكو قدر الامكان في الوقت الحاضر حتى لا تتقارب موسكو مرة أخرى مع الصين . ودائما يضع مخططوا السياسة الاميركية نصب أعينهم احتمال عودة التقارب بين الصين والاتحاد السوفييتي ، لذلك يجب على أميركا أن تعمل على توسيع شقة الخلاف بين موسكو وبكين على أن تبقى على استعداد لعودة الوفاق بينهما ، كما ذكرنا سابقا مع احتمال قيام أميركا بهجوم خاطف على الصين بعد أي مناسبة أو تحرش ، وذلك بقصد تحطيم قواعد الصواريخ الصينية العديدة ، والمفاعلات الذرية ، ولكن الصين تحسب لذلك حسابا زمنيا دقيقا أيضا ، وهي مستعدة بما أصبح لديها من الصواريخ الجاهزة والموجهة الى أهداف حيوية ، حاملة الرؤوس الذرية لرد الهجوم الاميركي بهجوم مضاد يكون ضرره على أميركا أكثر مما يضر الصين بأضعاف مضاعفة ، مع احتمال قيام الاتحاد السوفياتي تلقائيا باعلان الحرب على أميركا بجانب الصين . وتكون الحرب العالمية الثالثة واقعة لامحال إلا اذا قدرت أميركا الصين حق قدرها ...

وآخر أخبار الصين الذرية أن لجنة الطاقة الذرية الاميركية التي تراقب مع المخابرات المركزية الامريكية نشاط الصين النووي أعلنت أن الصين قامت بتفجير قنبلة نووية جديدة ، تعادل قوتها ثلاثة ملايين طن من مادة ال ت ن ت شديدة الانفجار ، وأعلنت اللجنة المذكورة أن هذا هو الانفجار الثامن بهذه القوة الذي تسجله أجهزة الكشف الاميركية . وبالفعل فقد اعترفت الصين بهذا التفجير النووي أنه هدية الى مؤتمر الحزب الشيوعي الصيني في حينه .

منذ ظهور الاتحاد السوفياتي عام ١٩١٧ اعتبر زعماؤه أن المخابرات بأية صفة وبأي شكل من أهم الأسلحة التي يعتمد عليها . وبالتالي فقد [illegible] كل شيء من أجل انشاء جهاز مخابرات من شأنه أن يتفوق على أي مخابرات العالم .



نشوء المخابرات المركزية الأمريكية



يوجد مثل امريكي يقول: إذا صافحت رجل مخابرات عد أصابعك. وهذا المثل ينطبق على هذه الصورة التي تجمع ثلاث من رؤساء المخابرات المركزية الأميركية - الن دالاس - إلى اليسار وهو متردد في مصافحة وليم رابورن إلى اليمين خوفاً على إحدى أصابعه بينما وقف ريتشار هيلمز - ضاحكاً

C.I.A.

بتاريخ ١٨/٩/١٩٤٧ أمر الرئيس الاميركي في حينه (هاري ترومن) بانشاء المخابرات المركزية الاميركية (C.I.A.) التي أصبحت الان من أقوى المخابرات في العالم ، وذلك لتحل محل « مكتب الخدمات الاستراتيجية » سابقا .

كيف تعمل المخابرات المركزية الاميركية :

في الساعة التاسعة من صباح كل يوم . وقبل أن يقوم الرئيس الاميركي في مكتبه (البيت الابيض) بأي عمل (رسمي) يقدم له الضابط المناوب في رئاسة المخابرات تقريرا سريا مؤلفا من صفحتين او ثلاث صفحات[١] هو (موجز) عمل

---

(١) ويعرف هذا التقرير (بالنشرة اليومية) ، وكان الرئيس جونسون يطلب من المسؤولين في المخابرات الاميركية تقديم ما يحصلون عليه من الفضائح عن حياة بعض زعماء العالم ليطلع عليها باهتمام زائد ، وبسبب كون رئيس الولايات المتحدة هو المستهلك الوحيد لنشاط المخابرات فان له الحق في طلب معلومات اضافية وأفضل .

بضعة آلاف من الرجال والنساء موزعين في جميع أنحاء العالم ، وصل عددهم في يوم من الايام الى (٢٥٠ ألف موظف وجاسوس) ، هم أعضاء جهاز المخابرات المركزية الاميركيه (C.I.A.) • كما أن هذا الموجز الذي يقدم صباح كل يوم للرئيس الاميركي قد صرف عليه عشرات ألوف الدولارات (ميزانية المخابرات الاميركية سنويا أكثر من مليار دولار) ، وعلى ما يحتوي هذا التقرير أوعلى كلمات يسطرها الرئيس الاميركي بالقلم الاخضربجانب احدى فقرات هذا التقرير التقرير يتوقف مصير دولة أونظام حكم ، أو الموافقة بالقيام بانقلاب ، وقد يأتي يوم من الايام يتوقف مصير العالم على ما يحوي هذا التقرير ، مثلما حدث أثناء الحرب التحريرية التي شنتها مصر وسورية ضد اسرائيل في تشرين /١/١٩٧٣، حيث ذكرت المخابرات الاميركية للرئيس الاميركي في تقريرها بتاريخ ٢٤/١٠/ ١٩٧٣ بأن قطعة بحرية روسية حاملة صواريخ تحمل رؤوسا نووية قد اتجهت الى الاسكندرية لتنفيذ تهديد روسيا لاسرائيل بردعها ، اذا هي لم تستجب لقرار وقف اطلاق النار • فما كان من الرئيس نيكسون الا أن أصدر أوامره باعلان حالة التأهب القصوى لجميع القوات الاميركية ، حتى اتضح الامر بأن هذه القطعة البحرية ليست سوى باخرة تجارية •

كيف تجمع مواد تقرير المخابرات الاميركية اليومي :

١ ــ رسام عجوز في موسكو يبيع لوحة فنية الى سائح (غربي) •

٢ ــ في برلين الشرقية يلتقي سائق تكسي بجندي ألماني شرقي •

٣ ــ في باريس مراسلة صحفية أميركية تتحدث مع موظف فرنسي كبير في باز قرب دار الأوبرا •

٤ ــ في أنقرة خادم مقهى يتحدث الى المستشار العسكري للسفارة الروسية•

٥ ــ في فينا سيدة محترمة تستقبل ابن عمها العائد من هنغاريا ، وتعرفه على صديق لها يعمل في شركة تتعاطى تجارة المشروبات الروحية •

٦ ــ في لبنان سائح يشرب فنجان قهوةمع صديق في أحد مقاهي الجنوب •

هذا على الارض أما في السماء فالعجب العجاب :

قمر صناعي على علو /٢٥٠/ كيلو متر يلتقط ويسجل رسائل سرية بين غواصة ذرية تابعة لحلف وارسو وبين وزارة الدفاع في موسكو .

بدء العمل في مكاتب المخابرات الاميركية :

صباح كل يوم وفي الساعة الثامنة تبدأ المخابرات الاميركية عملها في مكاتبها بالمركز الرئيسي الكائن في ضاحية (لانغلي) التي تبعد ١٥ كيلو متر من واشنطن. فنجد أن الخبراء يقرأون رسائل الرسام الروسي والسائق الالماني والصحفية الاميركية والخادم التركي والسيدة المحترمة وغيرهم ، ويحللون ما بهذه الرسائل ويضيفون اليها ما جمع من أميركا بالذات ، ثم يقومون بنقلها الى أوراق خاصه تدخل الى العقل الالكتروني ، وهو الاحدث من نوعه في العالم ليقول فيها كلمته الاخيرة ، ويصنفها حيث يستخلص منها ما يقدم صباح كل يوم الى الرئيس ليبدأ به عمله . وهذه العملية أصبحت روتينية منذ انشاء المخابرات عام ١٩٤٧ . وكما ذكرنا في هذا الكتاب أن المخابرات موجودة في كل بلد ، وتختلف قوتها بالنسبة للبلد . كما ذكرنا أن التجسس من أقدم المهن الا أنه بعد عام ١٩٤٧ ، وبالضبط لدى بدء الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي أصبحت الجاسوسية في أميركا كل شيء تقريبا - بل وتعتبر صناعة وطنية ودقيقة .

في مقرّ المخابرات المركزيّة الأمريكيّة

اذا أردنا دخول مبنى المخابرات الاميركية في مقره في فرجينيا ، فان عدسات تلفزيونية خفية تراقب القادم حين دخوله في الطريق الفرعي المؤدي الى مقر المخابرات ، حيث يفاجأ الزائر بشدة احتياطات الامن . فالحراس المسلحون يرافقون الزائر خطوة خطوة ، ويحملون مفاتيح المصاعد الكهربائية . وجميعهم مدربون (كاراتيه وجيدو) ، بينما تتابع الجميع عدسات التلفزيون التي تنقل للموظفين حركات الزائر . وهناك غرف وصالات لا يمكن للزائر دخولها ، مهما كانت منزلته لانها غرف الخبراء والمهندسين والعلماء والاساتذة الذين يدرسون البرنامج الروسي المقبل لغزو الفضاء ، ويسمعون الاذاعات الاجنبية ، ويترجمون

الصحف الشيوعية ، بما في ذلك الاعلانات السينمائية والاعلانات المبوبة وأبواب الفكاهة • وهكذا نجد أن مهنة المخابرات في أميركا فقدت مظاهرها المشوقة ، ولكن ازدادت هدوءا ورصانة وانتاجا ، حيث نجد أن معظم عملائها من المثقفين ، غير أنه يوجد هناك أيضا العملاء (السود) ، وهؤلاء العملاء تتكفل المخابرات بتغيير شخصياتهم قبل أن تتعاقد معهم ، على أن يكونوا من عائلة معروفة وجيدة، ولها ماض ممتاز • ثم يخضعون لتمارين عديدة ، منها تمارين على التعذيب بالاضافة الى دراسة تقنية في تقليد عادات الشعوب التي سيوفدون اليها :حركاتهم ـ عاداتهم ـ قسم من لغتهم ـ كيفية العيش دون لفت النظر (امتهان مهن للتمويه) ، ومنهم من يدرب على تزوير جوازات السفر وتصاريح العمل واستعمال الشيفرة والتصوير بالكاميرات الصغيرة ، وبعد انتهاء فترة التدريب يوفدون الى البلاد التي يوجد مصلحة للولايات المتحدة فيها لانشاء شبكات التجسس التي يكون من مهماتهم اعداد الثورات (كثورة التشيلي) ، أو افشال الثورات بالقيام بعمليات مضادة مع تعليم استعمال القنابل (الموقوتة) والبلاستيكية عند اللزوم •

كل ذلك يكلف المواطن الأميركي (غاليا)من دخله ، ومن الضريبة التي يدفعها صاغرا ومع ذلك لا يتكلم ولا يحتج الا عندما تتدخل هذه المخابرات في حياته الخاصة ، مثل الضجة التي أثيرت في واشنطن بتاريخ ١٩٧٤/١٢/٢٨ لدى اكتشاف آلاف المواطنين الاميركيين (١٠ الاف أميركي) أن المخابرات الاميركية تتجسس عليهم وتراقب حركاتهم وسكناتهم بالميكروفونات الحساسة وآلات التصوير الدقيقة والاستماع الى مخابراتهم الشخصية بالتلفون عند ذلك ثار الاميركيون لكرامتهم، وجعلوا نوابهم يتدخلون في مجلس الشيوخ لاثارة القضيه على مستوى عال جداء مما اضطر أربعة من كبار المسؤولين في المخابرات الاميركية الى الاستقالة والاختفاء من الحياة العامة (مؤقتا) ، ثم تقديم وليم كولبي رئيس المخابرات الاميركية تقريرا مغلوطا الى الرئيس فورد ، مما دعاه لتاليف لجنة تحقيق على مستوى وزارة العدل الأميركية • وتشير الدلائل الى انغماس الدكتور هنري كيسنجر وزير الخارجية الاميركية وريتشارد هيلمز رئيس المخابرات الاميركية السابق وسفير أميركا حاليا في طهران في هذه القضية التي ستسمى (إنغماس المخابرات الاميركية في نشاطات خارجة عن النشاطات التي أسست

لاجلها ...) ، أي قيامها بالتجسس على أفراد الشعب الاميركي خلال عهدي ــ جونسون ونيكسون .

والشيء المهم الذي أزعج الشعب الاميركي أنه يدفع الملايين ، ويعلم كل شيء عن تورط مخابراته في الخارج ، وان ميزانية المخابرات الاميركية السنوية (سرية) رغم كل ما أعلن عنها ، وانها تعادل ميزانية (عدة) دول نامية حتى الكونغرس والبيت الابيض لا يعرفون مقدار هذه الميزانية بالضبط ، وكم من مرة صادق الكونغرس على مشاريع للحكومة باضافة نفقات الى مشاريع معينة ، دون أن يدري أن هذه الاضافة أخذت طريقها الى صندوق المخابرات وحسابات المخابرات الاميركية أيضا (سرية) ، ويمكن لامين الصندوق في (لانغلي) أن يدفع أي مبلغ دون الحاجة الى ايصالات أو (تبرير). كما أنه ليس على المخابرات أن تبرر للكونغرس طرق صرفها لميزانيتها ولذلك أصبحت المخابرات الاميركية (امارة) مستقلة داخل امبراطورية ، مرجعها الوحيد هو رئيس الجمهورية ، وحتى بعض الامور تشعر أنها ليست بحاجة الى الرجوع اليه ... وعلم أن الرئيس كندي انتهى عندما أقال ألن دالاس .. وان تنصيب وبقاء جونسون كان بفضل (امتداحه) للمخابرات الاميركية وتودده اليها .. وان من أسباب عظمة هذه المخابرات (عدم ادخال عنصر اليهود اليها حتى الان ...) .

غرائب في المخابرات الأمريكية

المخابرات الاميركية هي المخابرات الوحيدة في العالم التي تأتي الغرائب والعجائب في علاقاتها المثيرة،وهي لاتألو جهدا لاقامة أوثق العلاقات مع السياسيين البارزين حتى درجة (رؤساء الدول) ، ويحدث أن تكون المخابرات الاميركية تتصل برئيس دولة ما عن طريق موظفيها ، بينما يكون السفير الاميركي آخر من يعلم عما يجري الاتفاق عليه بين البلاد المعتمد لديها وبلاده ، وفي هذه الحالة يكون السفير لاقيمة له ، وهذا مايؤكد للقارىء أن المخابرات الاميركية فعلا دولة داخل دولة ، والعلاقات التي كانت قائمة بين فان ثيو رئيس دولة فييتنام الجنوبية قبل تحريرها وبين رئيس فرع المخابرات الاميركية هناك ، والعلاقات التي كانت قائمة بين راي كلاين رئيس فرع المخابرات الاميركية في (تايوان) الصين الوطنية

ورئيس الوزراء (تشانغ تشينغ كوو) خليفة (تشانـغ كاي شيك) في رئاسة الصين رغم وجود (سفير اميركي) في تايوان يدير سفارة اميركية مؤلفة من ست طوابق • ومع ذلك كان لايدري شيئا عما يجري من وراء ظهره بين رئيس الوزراء ورئيس المخابرات الاميركية في تايوان ، ألا يحق لنـا أن نتعجب من مثل هـذه المخابرات الدولية ؟ •••

استاذ المخابرات الاميركيـة :

واذا كنا في صدد شرح أعمال ومميزات المخابرات المركزية الاميركية ، فـلا يسعنا الى الرجوع الى (الن دالس) فهذا الرجل يعتبر من مؤسسي المخابرات الاميركية لارتباط اسمه بالجاسوسية الاميركية منذ عام ١٩٤٧ • هذا الرجل الذي توفي في أواخر عام ١٩٦٨ عن عمر يناهر السبعين عاما تاركا وراءه تاريخا حافلا بالمغامرات والمؤامرات والانقلابات والاسرار ، والفضائح وشراء الضمائر في جميع أنحاء العالم ، حيث جعل من الجاسوسية بالنسبة له أكثر من مهنة ، لانها كانت أحب الاشياء اليه • امضى حوالي خمسين عاما ، وهو يسترق السمع من وراء الابواب والنوافذ للحصول على معلومات يحارب بها في معركة الباردة على جبهته الخاصة • فشقيقه جون فوستر دالاس وزير خارجية أميركا الاسبق،كان يحرض العالم على محاربة الشيوعية ، بينما الن دالاس يحركه بالمؤامرات للغاية نفسها . ولكن من وراء ستار •

دخول ألن دالاس المخابرات :

بعد اتمام ألن دالاس دراسته الثانوية التحق بالجامعة حيث تخرج محاميا ، ثم عين في وزارة الخارجية الاميركية ، ثم ألحق بالسفارة الاميركية في فيينا ، وهو لم يبلغ الثالثة والعشرين من عمره • حيث تبدأ علاقته بالمخابرات والجاسوسية في فيينا (ويكتب في مذكراته) عن هذه الفترة : في الواقع كنت جاسوسا أكثر مما كنت دبلوماسيا • وفي سويسرا ارتكب أول خطأ فيحياته التجسسيه عندما رفض مقابلة (فلادمير أوليانوف) ، لانه بعد ذلك لم يحظ بمقابلة (لينين) مطلقا •

وبعد الحرب الحرب العالمية عاد (دالاس) الى أميركا ، حيث عمل في قسم الشرق الاوسط في وزارة الخارجية الا أن المهنة الدبلوماسية لم ترق له ، لانه كان يطمح الى افتتاح مكتب للمحاماة فترك الوظيفة وافتتح هذا المكتب مع شقيقه جون دالاس ، ومع ذلك لم ترق له مهنة المحاماة،فعاد الى الاعمال الحكومية (المخابرات بالذات)حيث أوفد الى (بون)وعين رئيس مكتب الخدمات الاستراتيجية هناك،حيث أنشأ علاقات وطيدة مع جواسيس أوربيين،استطاع بواسطتهم ارسال أكثر من ألفي وثيقة الى واشنطن ، ثم أوفد الى المانيا حيث لعب دورا هاما في اطلاع رؤسائه على ما يدور داخل المانيا الهتلرية ابان الحرب العالمية الثانية ، ثم أعيد في ١٩٤٧ الى واشنطن ليبدأ بتكليف رسمي بانشاء (وكالة المخابرات المركزية). وكان التكليف من الرئيس (ترومان) بالذات ، فانتقى للعمل معه في وكالة المخابرات نخبة من الرجال قليلي العدد نسبيا ، لا يحبون الظهور والمظاهر ، وجهدهم محصور في عملهم الخاص (المخابرات) .

ونتيجة لبعض الاخطاء قام الرئيس ترومان بابعاد آلن دالاس عن المخابرات، وعين عوضا عنه الجنرال فالتر سميث لرئاستها ، فصبر دالاس على مضض حتى استدعاه سميث وعرض عليه أن يكون مساعدا له ، وأفهمه بأنه حصل على موافقة الرئيس ترومان نظير خبرته في عمليات التجسس والتجسس المضاد . وبقي دالاس يعمل بصمت ، وهو ينتظر الفرصة لعودته الى القمة (رئاسة المخابرات)[1] .

بعد انتخاب الجنرال ايزنهاور رئيسا للولايات المتحدة أعفى الجنرال سميث من رئاسة المخابرات وأعاد دالاس الى رئاستها ، بينما كان شقيقه جون فوستر دالاس وزيرا للخارجية فحقق جميع آماله واقتراحاته بخصوص الاعمال التجسسية حسب خبرته ، وطوال مدة ثماني سنوات . حتى جاء الرئيس جون كندي الى الرئاسة فأقنعه دالاس بامكانية ترتيب غزو الى كوبا من قبل عملاء كوبيين ، تابعين للمخابرات الاميركية وبعض عسكرييها بمساندة بعض قطعات البحرية الاميركية. وأشرف دالاس على التنفيذ شخصيا ، ففشلت العملية فشلا ذريعا ، وأحرجت

---

(١) لأول مرة منذ تأسيس المخابرات المركزية الاميركية عام ١٩٤٧ ستخضع ادارة المخابرات لاشراف الكونغرس المالي ، بعد أن كانت طيلة السنين الماضية (معفاة) من هذا الاشراف بحيث كانت تغرف من مخصصات وزارة الدفاع ما يحلو لها دون أي تبرير ، ومع ذلك فان هذا الاشراف لا يتمكن من أن ينقص لها ما تطلبه ...

أميركا ، وتعرضت علاقاتها مع دول العالم الثالث الى هزات ، وكادت تودي الى مجابهة نووية ، مما اضطر كندي الى تنحية دالاس عن رئاسة المخابرات ، وتعيين المستر (جون ماك كون) عوضا عنه ، وهو من رجال الاعمال البارزين وإداري ممتاز ، بقي في رئاستها الى حين قتل كندي بالحادث المعروف ، ونصب جونسون رئيسا للولايات المتحدة ، فعين الجنرال رابون لرئاستها ، ولم يبق فيها طويلا حتى عين بتاريخ ٣٠ حزيران عام ١٩٦٦ المستر (ريتشارد هيلمز) رئيسا لها ، وهو أول رئيس للمخابرات الاميركية من ضمن جهاز موظفيها ، فهو موظف قديم أمضى فيها عشرين عاما متواصلة ، متنقلا في مختلف وظائفها • واشترك في أغلب أعمالها قام بتجنيد عملاء مزدوجين ، يتعاملون مع المخابرات السوفياتية، ومعهم اشترك بالاشراف الاميركي ، والتدخل في الكونغو ، وهو صاحب الفضل في اشراك المؤسسات الطلابية فيأعمال المخابرات وأوعز بنشر الكتب والمنشورات الدعائية لصالح أميركا ، ومنها مجلة (حوار) التي كانت تصدر في بيروت واتخذ صاحبها موقفا مشرفا عندما تأكد له بأن الاموال التي كان يقبضها لاجل الدعاية والنشر كانت من أموال المخابرات الاميركية أوقف المجلة فورا •

استمر ريتشارد هيلمز في رئاسة المخابرات الاميركية الى أن عينه الرئيس نيكسون (سفيرا) لاميركا في طهران [1] ، بينما انزوى دالاس بعيدا يراقب (أولاده) (موظفي المخابرات) من المكان الذي عين فيه في اللجنة المالية التي تشرف على تنظيم نفقات المخابرات ، وكان لا يبخل على هيلمز وغيره من مسؤولي المخابرات بمشورته وخبرته ، حتى انه كان يستدعى من منزله في ساعة متأخرة من الليل أحيانا لاخذ رأيه في مؤامرة تحاك أو عملية تجسس سوف تنفذ ••

النظام الوظيفي لمنتسبي المخابرات الاميركية :

لموظفي المخابرات الاميركية نفس الرتب التي يتمتع بها موظفوا الدوائر الحكومية الاخرى ، ويقبضون الرواتب المخصصة لهذه الرتب ، مضافا اليها

---

(١) في هذه المهمة الجديدة يستمر هيلمز في انتسابه الى المخابرات الاميركية ، لأن مهمته الجديدة كسفير وفي عاصمة كطهران تجعله يدير أكبر شبكة للتجسس ، في طهران ويشمل عمل هذه الشبكة دول الخليج العربي •

المخصصات المرتفعة تحت مختلف الحجج والاسماء، ومع ذلك فانهم لا يخضعون للسلطات المدنية • ومن المعروف أن لرئيس المخابرات الاميركية الحق بتعيين أي شخص أو طرد أي موظف دون الرجوع الى الانظمة الحكومية السارية المفعول على بقية الموظفين ، ولا يجوز مقاضاته على ذلك أبدا • وعندما يصبح الموظف الجديد داخل ملاك المخابرات ، فعليه أن يكيف نفسه مع هذا المحيط العجيب ، ويحاول كبار المسؤولين أن يجعلوا جميع الموظفين يشعرون بأنهم ينتمون لعائلة واحدة ، ويظهرون لهم الاهتمام الشديد بكل قضاياهم مهما كانت ، ولذلك يضمنون ولاءهم، وهم يعرفون بأن الموظف الذي يعيش في جو من عدم الاستقرار والراحة يكون هدفا سهلا للمخابرات المعادية •

وفي حالات الوفاة يوجد مختصون في الفرع الاداري للمخابرات الاميركية يتوجهون حالا الى منزل الموظف المتوفى ليساعد العائلة على اجراءات الدفن (وبالطبع للتأكد من أن المتوفى لم يترك أي وثائق كان قد نقلها الى منزله أثناء خدمته) •

أما اذا مرض الضابط أو الموظف فانه يحول الى المستوصفات الخاصة بالمخابرات ، واذا استدعى الامر الى اجراء عملية فان موظفا من المخابرات يرافقه الى غرفة العمليات للتأكد من أنه لن يبوح بأية أسرار ، وهو تحت تأثير المخدر ، وللمخابرات الاميركية (مصح خاص) لان مرض (الانهيار العصبي) متفش بين موظفيها ، ويعاد الذين يصابون بالانهيارات العصبية الى أعمالهم بعد شفائهم دون أن يؤثر ذلك على مكانتهم •

رأي الأمريكيين في مخابراتهم

ان أغلب الاميركيين كانوا يشعرون بحاجتهم الى جهاز مخابرات قوي يكشف لهم جواسيس أعدائهم بسبب عدم استطاعة (مكتب الخدمات الاستراتيجية) القيام بواجبه تجاه هذا الهجوم الكاسح من الجواسيس والعملاء ، الا أنهم لم

يستقبلوا بارتياح خبر انشاء (وكالة المخابرات الاميركية (C.I.A.))فأعلن بعضهم تخوفهم من أن تصبح هذه الوكالة (جستابو) على الطريقة الاميركية ، وأثيرت ضجة حول هذا الموضوع تقرر على أثرها أن لا يكون للوكالة أي تدخل في

الشؤون السياسية في الداخل ، وتاكيدا لذلك طلب الرئيس ترومان شخصيا من الجنرال سميث أن لا تتدخل الوكالة في شؤون وحياة الاميركيين (الخاصة). وهكذا اقتنع الرأي العام الاميركي بعد أن أعلن له بأن الوكالة لا تتدخل في شؤونه (الخاصة) . غير أن قوة الوكالة وامكانياتها المالية الضخمة جعلاهـ (تزج نفسها في أمور لاتعنيها) ، فمثلا لم تتدخل في شؤون المواطن الاميركي (العادي) ، بينما فرضت سيطرتها على بعض المؤسسات الكبرى مثل : راديو أوربا الحرة ــ الذي أضحى الناطق الرسمي للوكالة ــ وشركة الطيران الاميركية التي استخدمت طائراتها في نقل العملاء الاميركيين في تنقلاتهم الضرورية ، بل وتهريبهم من بعض البلدان أحيانا . غير أن نشاط الوكالة داخل أميركا لم يمنعها من القيام (بواجباتها) في الخارج ، والخارج بلغة المخابرات (العالم كله) ، حيث ظهرت آثار هذه الواجبات وراء معارك (برلين الشرقية) ، والتمرد الذي حصل في هنغاريا ، ونهاية (مصدق) رئيس وزراء ايران في حينه ، ونهاية جاكوب آربتيز في غواتيمالا ، ولومومبا في الكونغو ، ووصل بها الامر الى التدخل مع الجنرالات الذين أعلنوا العصيان في الجزائر ضد الجنرال ديغول ، وعملية خليج الخنازير ــ ضد كوبا ، ومقتل (تشي غيفارا) في بوليفيا ، والاطاحة بالرئيس أحمد سوكارنو في أندونيسيا[1] ، بالاضافة الى عمليات مختلفة في بلدان (مناوئة) لاميركا منها ما تكشف عنه التحقيق مع شبكة التجسس الاسرائيلية في البصرة (العراق) ، والتي كان أفرادها يتصلون لاسلكيا من كنيس (السبتيين) بالمخابرات الاميركية والمخابرات الاسرائيلية ...

---

(١) بالرغم من جميع الادلة على تدخل المخابرات الاميركية في اندونيسيا وتغذية اتحاد الطلاب الاندونيسيين ودعم بعض العملاء وتقديم الاسلحة لهم للاطاحة بحكم الرئيس الراحل احمد سوكارنو ، بسبب تعاطفه مع الشيوعيين . ومع ذلك فقد أصدر البيت الابيض (كان يرأسه في حينه الرئيس ايزنهاور) ووزير الخارجية جون فوستر دالاس بيانا نفيا فيه (كالعادة) تدخل اميركا في أحداث أندونيسيا ، وحين تم لهم ما أرادوا وجاء الرئيس سوهارتو للحكم قام الرئيس نيكسون بزيارة رسمية الى جاكارتا بتاريخ ١٩٦٩/٧/٢٠ بعد ترتيبات أمنية شديدة اتخذت بالتعاون مع المخابرات الاميركية. وعلى القارىء الكريم أن يقتنع بعد ذلك ... ؟



الرئيس أحمد سوكارنو أسقطته المخابرات المركزية الأمريكية والرئيس الراحل جمال عبد الناصر لم ينج من تخطيطها لاغتياله عدة مرات

بعض أخطاء المخابرات الاميركية :

كانت أغلب مؤامرات وعمليات المخابرات المركزية الاميركية ناجحة نوعا ما بسبب الخبرة والسخاء بالانفاق عليها ، فقد تمكنت من ازالة حكام ورؤساء ، وجاءت بغيرهم اشترت صداقات جديدة على الطريقة الاميركية تمكنت من الحصول على أسرار عسكرية هامة من الاتحاد السوفييتي وتكهنت قبل عام ١٩٦٧ بتفوق اسرائيل ، ومع كل ذلك ارتكبت أخطاء جسيمة منها :

١ ـ في عام ١٩٧٠ قدم فرع المخابرات الاميركية في سايغون معلومات الى واشنطن مفادها أن (قوات الثورة في فيتنام الشمالية الفيتكونغ) يحتجزون الاسرى الاميركيين وبالاخص الطيارين منهم في معسكر (سون تاي) في فيتنام الشمالية . فوافق الرئيس (نيكسون) شخصيا (في حينه) للخابرات الاميركية بالقيام بعملية عسكرية لانقاذ الاسرى . وتقلت كتيبتان من كوماندوس الجيش

الاميركي مع بعض الادلاء من عملاء المخابرات ، واقتحمت المعسكر فوجدوه خاويا الا من بعض (الدجاجات) •••

٢ ــ ارسال طائرة التجسس فوق الاتحاد السوفياتي بقيادة الكابتن فرانيس غاري باورز التي أسقطها الروس واعتقلوا قائدها ، واعترف بالتجسس •

٣ ــ فضيحة غزو كوبا الذي باء بالفشل واقصي دالاس على أثره •

٤ ــ فضيحة شراء المؤسسات الصحفية والادباء والصحفيين لاغراض دعائية•

ففي بداية عام ١٩٦٧ وبعد ما تحولت عملية غزو كوبا الى الملفات للحفظ تفجرت قضية شراء المؤسسات الطلابية والعملية التي استخدمتها المخابرات بطرق (مباشرة) أو (غير مباشرة) وبواسطة أموال (سرية) ، وهكذا علم الراي العام الاميركي الذي قيل لـه سابقا بأن المخابرات لا تتدخل في شؤونه بأن المخابرات تتدخل حتى في أصغر الشؤون ، وتستخدم لهذه الغاية الافراد والمؤسسات الوطنية • وانطلق الصحفيون يقومون بتحقيقات (شبه بوليسية) فاكتشفوا بأن (نقابات) و (نواد) ثقافية كثيرة هي فروع من المخابرات • واتضح بعد التحقيق أن ٨٠ مؤسسة تعمل لحساب المخابرات • وكان هدف المخابرات من وراء ذلك هو استخدام المؤسسات التي تهتم بالشؤون العالمية في سبيل شرح سياسة الدولة الاميركية واظهار (الجنة الاميركية) للاجانب • واتحاد الطلبة الاميركيين فضح بنفسه مسألة تعامله مع المخابرات التي جعلت البعض من أعضائه المسافرين الى (الخارج) جواسيس وعملاء لها ، وقدمت لهم المساعدات اللازمة مصحوبة بالاغراءآت المادية الضخمة •••

المخابرات الاميركية تقوم بتزوير الدولار :

قامت المخابرات الاميركية أثناء حرب فيتنام بعملية ضخمة لتزوير ملايين الدولارات لانفاقها في فيتنام ، لتغطية النفقات الضخمة التي كانت تدفعها . وقد جاءت كمية الدولارات المزورة ناجحة بنسبة ٩٠٪ .وصرفت عن آخرها في أسواق فيتنام ، ومن المعلوم أن للمخابرات الاميركية مكتبا ماليا خاصا يدير مثل هذه العمليات ، كما أن لهذا المكتب وحدات ميدان أي موظفين جاهزين لنقل الملايين من أي عملة تقتضي مصلحة المخابرات الاميركية نقلها ، وهؤلاء الموظفون لهم

مكاتب في هونغ كونغ وجنيف وبيروت وبيونس آيرس تحت مختلف الاسماء التجارية للتضليل ، ويتحركون بدقة وتنظيم لنقل العملات الى مكان الحاجة اليها، ويجري شراء هذه العملات من السوق السوداء وبأسعار يمكن المساومة عليها وبملايين الدولارات ...

شراء وتوزيع الكتب والمطبوعات :

ونحن اذ نتطرق الى هذا الموضوع عن المخابرات المركزية الاميركية ، فاننا نعرف أن المخابرات المركزية منذ تأسيسها تعاملت مع الصحفيين والطلبة والادباء الكبار ومختلف دور النشر والثقافة ، وذلك لنشر الدعايات المختلفة التي يهم اميركا أن توصلها الى أقاصي الارض . حتى شعر معظم المثقفين بهذا الخطر . فعبروا عن سخطهم بطرقهم الخاصة . فأحرقوا حوالي ١٠٠ مكتبة ومركز ثقافي أميركي في مختلف دول العالم . وفعلا فقد وجدوا أن بعض أو معظم الكتب التي تصل الى مراكز الثقافة الاميركية وتوزع مجانا كانت كتب دعائية وضعت بطلب من الحكومة الاميركية لتبرير سياستها دون أي احترام للحقيقة التاريخية. وعلى سبيل المثال في عام ١٩٦٥ صرفت المخابرات عدة ملايين من الدولارات لتوزيع ١٥ مليون كتاب في العالم . وليس من الصعب على المخابرات الاميركية وعن طريق وكالة المعلومات الاميركية اغراء الناشرين الاميركيين باصدار الكتب ذات الطابع الدعائي عن دورهم دون الحاجة لذكر اسم (مكتب المعلومات عليها).



مقر وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية في لانغلي قرب واشنطن .

وتوزع هذه الكتب بنسبة ٧٥٪ خارج الولايات المتحدة ، و ٢٥٪ يباع داخل الولايات المتحدة • حتى وصل الامر الى الكونغرس الاميركي حيث شكلت لجنة تحقيق استدعت ليونارد ماركس / رئيس وكالة المعلومات الاميركية للتحقيق ، حيث أفضى للجنة بمعلومات هامة حول هذا الموضوع حيث قال : أن الكتاب الذي لا يحمل اسم ناشر محترم بل يحمل اسم الحكومة الاميركية يقابل في الخارج بكثير من الحذر عند ذلك أفهمته اللجنة أن نشاطه في الخارج يهنأ عليه ، ولكن لا يسمح له بمزاولة هذا النشاط داخل الولايات المتحدة • فاميركا تقبل أن يكون الاجنبي عرضة لنشراتها وكتبها الدعائية•ولكنها لاتقبل ذلك للمواطنين الاميركيين••• وهذا من كرم أخلاق المنطق الاميركي ، حتى بلغت الصراحة في أن ريد هاريس أحد المسؤولين عن المخابرات الاميركية صرح بقوله : نطلب من الادباء أن يضعوا حسب رغبتنا كتبا ودراسات ضد الشيوعية على وجه الخصوص ، حيث يمكن لهذه الكتب أن تخدم السياسة الاميركية • ونطلب التعامل مع مؤلفين مشهورين في عالم الفكر والادب• فاسم المؤلف يعطي الكتاب وزنا وقيمة ويزيد من خدمة أميركا ، فمثلا خصصت المخابرات عام ١٩٦٦ مبلغ /٦٥٠/ ألف دولار لنشر ــ ١٠٤ كتب لم تكن لتنشر لولا تشجيع الجهات الرسمية (وكالة المخابرات) ، وفي نفس السنة صرفت المخابرات حوالي /٢٠٠/ ألف دولار لنشر ٤٦ كتابا كانت تحوي كل ما تريد أن تقوله الحكومة الاميركية للاجنبي •

ودور النشر التي تصدر هذه الكتب لاتعترف بتعاملها مع المخابرات المركزية نجد منها (حقيقة الجمهورية الدومينيكية) لمراسل مجلة (تايم) جي مالان الذي قبض من الوكالة أيضا حوالي /٥٠٠٠/ دولار على كتابه (فزع في فيتنام)، وكتاب (حرب فيتنام لماذا •••؟) للصحفي الهندي سيفارام الذي يشرح أن الحرب في فيتنام لا تنتهي الا بخروج المعتدي ، ويقصد الفيتنامي الشمالي أوثوار ــ الفيتكونغ من المعركة ، وقد اشترت المخابرات ٢٥ ألف نسخة من هذا الكتاب ووزعتها في مختلف أنحاء العالم لنفس الغاية•وحصلت من نفس الصحفي على حقوق ترجمته الى (٣١) لغة عالمية • ونفس دور النشر التي تنشر هذه الكتب تعمد أحيانا الى نشر كتبا لا تتفق مع تعليمات الحكومة الاميركية • وهذا أيضا

يدخل في لعبة اقناع القارىء الاميركي أولا والاجنبي ثانيا بأن هذه الكتب تصدر عن دور نشر محترمة ، لا تنشر الكتب الا لقيمتها الثقافية والعلمية .

اغراء الكتاب والصحفيين :

ان وسيلة المخابرات المركزية الاميركية في اغراء الكتاب والصحفيين بتأليف الكتب التي تخدم دعاياتهم أصبحت معروفة للجميع ، حيث تأخذ المخابرات أحد الاسرار التي تملكها حول قضية سياسية معينة وتعرضها على صحفي معروف مشترطة عليه مقابل الاطلاع عليها وضع كتاب عن الموضوع باسمه ، وتعطيه الوقت الكافي على أن يكون لها حق تغيير ما تشاء من الكتاب ، وقلائل من الصحفيين يتمكنون من مقاومة هذا الاغراء المزدوج في الحصول على دراهم أولا، والتمتع بشهرة ثانية عبر نشر الملفات السرية . ومثل هذا الاغراء يجعل الصحفي يتخلى عن حياته الفكرية والعقائدية بحيث يصبح أداة طيعة في يد المخابرات التي تملي عليه ما تريد هي أن يعرفه الناس ويطلعوا عليه .

تدخل المخابرات في الحياة الدراسية :

في عام ١٩٦٧ استغرب معظم الاميركيين الاحرار عندما علموا أن وكالة المخابرات المركزية تمول بعض النشاطات الجامعية . حتى ان صحيفة (النيويورك تايمز أكدت أن ٥٣٪ من ميزانية جامعة كاليفورنيا هي من مساعدات (حكومية)، وان معظم هذه الاموال تصرفها الجامعة المذكورة على أبحاث ذرية لاغراض عسكرية بطلب من الحكومة نفسها . ومع ما أثير من ضجة حول هذا الموضوع فالنشاط مستمر بنفس الاساليب طالما الخطر الشيوعي مستمر ، وأهمية الفوز بتأييد الناس لدى المخابرات المركزية كاهمية الحصول على الثروات الطبيعية ، والاحتفاظ بالتفوق العسكري كل هذا لخدمة أميركا ورسالتها المرسومة في العالم. وخدمة أميركا وأهدافها لا تعرف الحدود والمقاييس ، لذلك يشترك فيها كل من الافراد والمؤسسات والجامعات والدولة والمخابرات المركزية . حيث تتلاحم النشاطات لتنصب في أجهزة المخابرات في النهاية بحيث مالا تقدر على معرفته المخابرات تتكفل به المؤسسات الخاصة .

وعندما أثيرت فضيحة « لجنة العمل من أجل حرية الثقافة » التي تصدر المجلات الاتية Quadernos - engouter - Prouvos ومعها المجلة اللبنانية (حوار) التي كانت تصدر في بيروت والتي توقفت نهائيا عن الصدور،لان صاحب امتيازها لم يكن يعلم أن مجلته تمولها المخابرات الاميركية عبر مؤسسات أخرى • بينما استمرت باقي المجلات في الصدور بعد أن حلت وكالة فورد محل المخابرات الاميركية في التمويل •

المجتمع الافضل الذي تنشده المخابرات المركزية :

ان المشرفين على المجتمع الاميركي يدركون أنه بالرغم من مثالية هذا المجتمع فانه يعاني من بعض الامراض والاخطار • ولديهم القناعة بأن هذه الامراض والاخطاء يمكن تلافيها والمسألة هي مسألة وقت وصبر وايمان • وبانتظار هذا الوقت يجب الجهاد للقضاء على القوى الخفية في الداخل والخارج ، هذه القوى التي تهاجم المجتمع المثالي والحر هذا المجتمع الذي ليس انه يغذي نجاحه وتقدمه على حساب فقر وتعاسة وتخلف أكثر من نصف سكان العالم ، ولكن لا بأس طالما أن العالم في طريقه للتمتع بخيرات « الطريقة الاميركية في الحياة » ويكفي قليلا من الصبر والاخذ بوصفة النجاح الاميركية الصادرة عن المخابرات المركزية وهذه الوصفة معروفة وهي عبارة عن عشرات الكتب التي وضعت لشرحها وتفسيرها، كتب مختلفة من صناعة محلية واجنبية تتولى المخابرات ترجمتها ونشرها في مختلف أنحاء العالم كما شرحنا سابقا بعضها دعائي محض وبعضها وضع للتحدث عن نوعية الانتاج الفكري في أميركا •

صدق أو لا تصدق : المخابرات تستفيد من معلومات الصحف :

كثيرا ما تتصفح الجريدة أو المجلة . ونلقيها جانبا دون أن يلفت نظرنا فيها شيء ولكن المخابرات تأخذ الصحف اليومية وتضعها تحت المجهر ، لتاخذ منها بعض المعلومات النافعة للاستفادة منها في عمليات التجسس وعلى أثر حصول الاتحاد السوفييتي على أدق الاسرار الاميركية من الصحف تألفت لجنة من الكونغرس الاميركي ، وانقطعت عن حضور جلسات المجلس مدة ثلاثة أشهر لا عمل لها سوى مطالعة ما يقدم لها من الصحف والمجلات الاميركية فقط • واذا

بها بعد مضي هذه المدة تجمع (أسرارا) ومعلومات مصورة تعتبر من آدق الاسرار العسكرية والاقتصادية عن آميركا، حتى آدق المعادلات والمعلومات جرى جمعها من المجلات العلمية. وجميع هذه المعلومات تنشر بشكل عادي لذلك نرى أن المخابرات تطلب جميع الصحف الصادرة في البلاد التي تهمها معرفة أحوالها . ولكن ليس من جميع الصحف تستفيد المخابرات اذ لو جمعنا جميع ما يحلو لنا من الصحف الشيوعية خصوصا البرافدا ــ والازفيستيا لمدة طويله لما تمكنا من الحصول على أي خبر أو (سر) علمي آو حتى عادي لان جميع الصحف الشيوعية خاضعة لرقابة الحزب ، وبالتالي لمراقبة المخابرات . ومن المعلوم بأن السفارات تشترك في الصحف المحلية ، ولكن ثلثي هــذه الاشتراكات (الصحف) تذهب الى المخابرات فورا للاطلاع عليها ، والمخابرات الاسرائيلية بالذات تصرف عشرات الألوف من الدولارات على عملاء لها لا عمل لهم سوى شراء الصحف العربية يوميا وارسالها حالا الى تل ابيب ، ليقوم قسم الصحافة بأخذ ما يحلو له منها ، ثم ارسال الباقي الى الاذاعة الاسرائيلية . (ومن هنا يعرف القارىء من أين تستقي اذاعة اسرائيل) تعليقها على ما تنشره الصحف العربية بنفس اليوم .

بيفرجها الله :

من طرق التجسس في المخابرات المركزية الاميركية استعمال العلم الحديث والاجهزة الالكترونية وبث الجواسيس في جميع آنحاء العالم بمختلف الصفات منها الدينية ومنها التجارية ومنها الصحفية بالاضافة الى مكاتب المعلومات المنتشرة في كل البلدان التي لها علاقة دبلوماسية معها ، ولا تدع هذه المخابرات فرصة للاستفادة من عادات وتقاليد ولغات الشعوب الا وانتهزتها للاستفادة منها . فقد طالعت أثناء تأليف هذا الكتاب كتاباً لبنانياً شيقا محشوا باللغة اللبنانية العامية المحببة من تأليف الاستا ذ جورج ابراهيم الخوري تحت عنوان (بيفرجها الله). وهذا الكتاب يحوي على الحلقات المسلسلة من برنامج كان يذاع من اذاعة بيروت بنفس العنوان (بيفرجها الله) تقديم أبو بسام وأم بسام . وكنت (أثناء اقامتي في بيروت) من المعجبين بهذا البرنامج الناجح ، وأستمع اليه يوميا رغم مشاغلي ، والقارىء الكريم يتعجب ؟ فما دخل كتاب (بيفرجها الله) بالمخابرات.





كتب الاستاذ حسن الحسن مدير الاذاعة اللبنانية في حينه ومدير السياحه لاحقا مقدمة جميلة لهذا الكتاب كان من ضمنها ما يلي :.

(ان معهد السلك الدبلوماسي الاميركي في السفارة الاميركية في بيروت أخذ كتاب (بيفرجها الله) ووضعه على رأس المناهج الدراسية في المعهد ، لتعليم المستشرقين الاميركيين التحدث باللهجة اللبنانية • ونحن مع احترامنا للاستاد الحسن نؤكد أنه عندما ذكر ذلك كان من قبيل المديح من قبله للغة واللهجـه اللبنانية ولمؤلف الكتاب ولكننا نعلم أن المخابرات الاميركية ـ فـرع بيروت أوعزت باقتناء هذا الكتاب وتدريسه للمستشرقين وغيرهم من (الجواسيس) الذين يتبعون دورات عمل لصالح هذه المخابرات• ومع ذلك ليس لنا الا أن نؤيد مؤلف هذا الكتاب ونردد معه (بيفرجها الله ••) •

صورة عن ضحايا المخابرات الاميركية :

من أهم طلبات المخابرات الاميركية في نطاق سياستها العامة التي تسير عليها بالنسبة للدول الشيوعية هي حصولها على موقف كل شخصية شيوعية بالنسبة للاشتراكية وحصولها بالتالي على هواياتهم ونقاط ضعفهم لكي يتسنى لها أن تستغل أي نقطة ضعف لدى هؤلاء بالتشهير بهم وقد استخدمت هذه المخابرات في المانيا الغربية النساء كطعم للحصول على مختلف المعلومات من المانيا الديمقراطية وقصة الفتاة الايطالية المدعوة ماريا ديلاري خير دليل على اللاأخلاقية المسلكية المتبعة لدى المخابرات الاميركية . وتبدأ القصة عندما تعرف عميل المخابرات الاميركية المدعو جوبيتر على هذه الفتاة ، عندما كان يظهر في المجتمع كطالب جامعي . وأخذ يغريها بالوعود الزائفة حتى استسلمت له بفضل مئات الدولارات التي صرفها عليها وأخيرا فاجأها بكونه عميلا للمخابرات الاميركية فرع برلين ، وطلب منها العمل بالسفر الى المانيا الديمقراطية حيث قال لها بالحرف الواحد : « سافري الى برلين الشرقية لان من يحوز مثلك هذا الجمال الفتان لن يكون هناك اي صعوبة لها في الاتصال بمدراء ومهندسي المصانع الهامة او مع رجال التجارة الخارجية .. سافري الى مدينة لايبزغ واحضري المعرض هناك حيث تستطيعين اختيار من تريدين ، وكأنهم على طبق بين يديك ، ونحن كل ما نحتاجه أسماء .. عناوين .. صفات مميزة . ولا مانع لدينا من أن تقضي مع احد هذه الشخصيات وليكن مثلا (مدير عام) ، عدة أيام عطلة جميلة في يوغسلافيا أو بلغاريا او هنغاريا .. الخ ، انك ستحصلين على كمية من النقود بالاضافة الى استمتاعك بالعطلة .. ونحن هنا بدورنا (أي المخابرات الاميركية) نحصل على ما نريد .. انك لن تستعملي مسدسا ولا تضعي لاحد سما ، فقط سلاحك هو جسمك وهو سلاح فتاك . وبعد ذلك سنبقى معا ولكن ماريا رفضت ذلك بشدة وقالت له : أنا لا أستطيع ذلك ، مع أني لست بالملاك الطاهر لكني لن أتحمل عذاب الضمير، وأود أن تبقى يداي نظيفتين في المستقبل .. وكان (جو) قد أفاض بالحديث مع ماريا نظرا لاحتسائه معها بعض الويسكي ، وحدثها أثناء تناول الويسكي معها عن الكثير من مهماته ومشاريع المخابرات الاميركية لاستخدام طلاب جامعات ، وارسالهم الى المانيا الديمقراطية . وسألها اذا كانت تثق بأحد من هؤلاء الطلبة

حتى يقدمه لرؤسائه لاستخدامه ، فنفت معرفتها بأحد يقبل التعاون مع المخابرات الاميركية . وكانت من الجرأة الادبية رغم ما كانت تشعر من حب نحوه بحيث قالت له : أنا نفسي رفضت التعاون معك ومع مخابراتك فكيف تريدني أن أورط غيري ؟ فودعها غاضبا وانصرف ، وهو لا يدري أن جميع ما تفوه به قد سجل من قبل زملائه ، لان من عادة المخابرات الاميركية (عدم الثقة) في عملائها . فتعمد الى مراقبتهم والتدقيق في تصرفاتهم .

استدعي (جو) في اليوم التالي الى فرع المخابرات وأسمع حديثه المستفيض مع (ماريا) أثناء تناوله الويسكي (نوهنا في فصل سابق بعدم افراط رجل المخابرات بالمشروبات لكيلا يفقد ذاكرته ..) من قبل رئيسه المباشر (فورمز) الذي كان يتحرك في الغرفة جيئة وذهابا . وبعد انتهاء التسجيل قال له رئيسه آمرا : بسبب اخلاصك لنا سوف نتغاضى لك عن هذه الهفوة . انكم تثرثرون أكثر من اللازم . لقدأ طلعتها على أسرارنا ، لذلك عليك بالتخلص منها .
راجع المختبر لاستلام ما يلزم لذلك [1] .

توجه (جو) الى حيث تقطن (ماريا) مصطحبا بيده اليمنى هدية لمصالحتها، كسبب للدخول الى غرفتها . وباليد اليسرى زجاجة الويسكي التي ستكون سبب نهايتها فاستقبلته كعادتها.وتناولا طعام العشاء معاً،جلس بعد العشاء في الصالون مقابلها ، وأخذ يشعل السجائر تباعا . وهو يفكر بمصيرها ولسان حاله يقول : ما أقسى المخابرات والجاسوسية !. وتذكر الايام الجميلة التي قضاها معها . ولكن ما باليد حيلة لقد صدر الامر اليه بقتلها وهو أمر (مبرم) أقوى من حكم الاعدام الذي تصدره أية محكمة جنايات،لان حكم الاعدام من قبل محكمة الجنايات بحاجة الى تصديق رئيس الدولة ملكا أو رئيس جمهورية . أما هذا الحكم(الامر) فليس بحاجة الى تصديق وهو واجب التنفيذ الفوري .

---

(١) استلم انبوب (السم) ودرب كيف يستعمله، وهذا السم الفعال تكفي ثلاث نقاط منه في كأس ويسكي للقضاء على انسان (كما نشاهد في الافلام السينمائية) .. ولكنها هنا حقيقة وعلى يد المخابرات الاميركية .

وضع لها الكمية المحدودة من السم في كاسها أثناء وجودها في المطبخ ، وتناول كأسه (النظيفة) وشرب نخبها ، فشربت المسكينة معه حتى آخر نقطة في الكأس وارتمت على مقعدها .

أكمل (جو) سيجارته بعد أن تأكد من موتها بجس نبضها ، وتوجه الى الشباك وفتحه ليخرج الدخان ومعه رائحة الويسكي المشبعة برائحة الموت .

أما رئيس المخابرات في برلين (فورمز) فقد طلب من المحفوظات الملف (اكس ل ـ ٣٣٢) ، وهو الملف الذي فتح لماريا عندما طلب من (جو) التعامل معها ، وعندما أبلغه جو بتنفيذ الامر بقتلها أغلق الملف نهائيا . وهذه الطريقة التي تتبعها المخابرات الاميركية (ككل) لان أغلب الذين رفضوا التعاون كانت نتيجتهم نفس النتيجة وفي هذا الكتاب بعض الادلة على ذلك مدعومة بالصور والوثائق .

تقرير المخابرات الاميركية بطلبة الجامعات :

الطالب الجامعي من المانيا الغربية (كلاوسنتيرز) يعيش في برلين الغربية ، ويدرس الطب ، ذو طموح وحب للمغامرات والرحلات استدرجته مؤسسة (توسما) التي أنشئت ظاهريا لمساعدة الطلاب الجامعيين المحتاجين لاتمام دراستهم،بينما تمول هذه المؤسسة المخابرات الاميركية فرع برلين لتنفيذ أغراضها المختلفة .

دعا أحد أعضاء هذه المؤسسة الطالب كلاوسنتيرز لتناول زجاجة بيرة فقبل دعوته ، وأثناء الحديث علم هذا العضو أن كلاوسنتيرز يعاني من ضائقة مالية ، فعرض عليه ايصال سيارة الى المانيا الشرقية ، وتسليمها لاحد الاصدقاء لقاء مبلغ /٥٠٠/دولار صعق كلاوسنتيرز للمبلغ فوافق فوراً واستلم السيارة(مرسيدس٢٢٠ رقم B - EW - 981 وقادها باتجاه برلين الشرقية ، وعلى الحدود وجد رجال المانيا الشرقية بانتظاره . فتشوا السيارة تفتيشا دقيقا ، فوجدوا في أحد المخابىء السرية (ذخيرة مسدس نوع Supen Magnum 326 مع وثائق وجوازات سفر للتزوير ولدى التحقيق معه أفاد بما يلي :

اسمي : كلاوسنتيرز عمري : من مواليد ١٩٤١/١١/٤

الصفة : طالب طب سنة ثالثة جامعة برلين   العنوان برلين الغربية ــ شارع سكالتيزر رقم ١٣٣ .

المحقق (سيركولد) يسأله : أفدنا عن كيفية قبولك ايصال هذه السيارة.

جواب كلاوسنتيرز : تعرفت منـذ أسبوع على زميل جامعي عرض علي ايصال هذه السيارة عبر برلين الشرقية الى مدينة دوسلدروف ، وتركها مـع مفاتيحها في مطار دوسلدروف كل ذلك لقاء /٥٠٠/ دولار .

المحقق سيركولد : نحن نعرف ياسيد كلاوسنتيرز أنك استلمت السيارة من عنوان : برلين الغربية رقم ١٣ ــ هايلمن رينج ٦٢ هاتف ٢٨٩٥٦٨ وان هذه السيارة هي ملك لاحد عملاء المخابرات الاميركية ، وهي مسجلة باسم (السيدة اليزابيت فروش ــ برلين الغربية هايلمن رينج) .

كما أننا سبق أن صادرنا لهم السيارة الاوبل رقم B - KE 706 بتاريخ ٢٤/٢/١٩٦٧ والسيارة المرسيدس رقم B - KM - 429 بتاريخ ٦ــ٦ــ١٩٦٧ والسيارة الستروين رقم B - HW - 499 بتاريخ ١٣ــ١٠ــ١٩٦٧ وجميع هذه السيارات تشتريها المخابرات الاميركية.وأضاف المحقق الالماني الشرقي سيركولد:

قد تتعجب لاننا لن نقدمك الى المحكمـة هنا لاننا نؤكد بأن المخابـرات الاميركية قد غررت بك . ونحن أحرص منهم على مستقبلك الجامعي . وتأكـد أننا نعرف أيضا أن هذه السيارة قامت بأربع رحلات الى برلين الشرقية (تحت أنظارنا) حتى لا نشتبه بها،أما الان فانك ترى نتيجة شطارة المخابرات الاميركية.

هنا أخذ العرق البارد يتصبب من الطالب كلاوسنتيرز فطمنه المحقق قائلا : اننا نأمل أن يعاملوك مثل معاملتنا هذه فأجاب كلاوسنتيرز :

انني أتعجب يا سيدي من المخابرات الاميركية كيف تستخدمني بهـذه الصورة ضاربة عرض الحائط بمستقبلي لاسيما وأنا غريب عن هذه الامور تماما ولولا قناعتكم بجهلي بما تحتويه السيارة وتقديركم لظروفي لكانت (هذه الغلطة) نهاية مستقبلي .

وأجابه المحقق سيركولد : ان المخابرات الاميركية تنفـذ مشروعا يدعى (المشروع الرمادي) هذا المشروع تعتبر بموجبه المخابرات الاميركية ومن ورائها

(الامبريالية) أن أراضي ومصانع جمهورية المانيا الديمقراطية هي فروع وامتداد لاراضي ومصانع المانيا الغربية .

ونحن (يقصد الشيوعيون) نزعنا ملكية الاراضي والمصانع من الرأسماليين الكبار بمقتضى معاهدة بوتسدام ، وأصبحت الآن ملكا للشعب ، ولكي تحقق المخابرات الاميركية مشروعها تستخدم جميع الوسائل من تخريب وتجسس ومؤامرات وتضليل الناس (أمثالك) حتى القتل وضعوه في حسابهم .

انظر الى هذه الطلقات المصادرة من سيارتك لمن كانت ستذهب ؟

ان الشيء الذي كانوا سيستغلونك به لا علاقة له بالسلم ولا بالسلام ولا بالانسانية أو مساعدتك لاتمام دراستك كما يدعون ...

وهكذا خرج كلاوسنتيزز من مكتب مخابرات برلين الشرقية وهو غير مصدق وعاد الى برلين الغربية ليفضح المخابرات الاميركية .

تسليط الضوء الاخضر على عميل :

في مختلف بلدان العالم يبحث المختصون من رجال المخابرات الاميركية عن عملاء جدد لضمهم والاستفادة ممايأتون به منجديد الاخبار والاسرار للمخابرات الاميركية ، ويركز الباحث في بلد ما بحثه عن عميل مرتقب في صفوف المسؤولين في الحكومة ، ثم بين أفراد القوات المسلحة ، وحتى بين موظفي مخابرات ذلك البلد . وينطلق معظم هؤلاء الباحثين من السفارة الاميركية لان الحصانة الدبلوماسية تتيح لهم الوصول الى (صفوة القوم) ، وبطبيعة الحال فان حياة الدبلوماسي الاجتماعية (وان كان دبلوماسيا وهميا) تتيح له الاجتماع مع مختلف الشخصيات في عشرات حفلات أعياد الاستقلال والجلوس وغيرها من الاعياد ، والتي يدعى اليها (الدبلوماسيون) . وتزرع المخابرات الاميركية ايضا موظفيها بين موظفي (وكالة للانباء الدولي) و (مكاتب المعلومات الاميركية) . وليس من الضروري لموظف المخابرات الاميركيــة في أغلب الاحيان ان يكون موظفا وله صفة رسمية لانه يوجد المئآت منموظفيها منالطلاب ــ والاساتذة ــ والصحافيين ــ وحتى المبشرين . والنوعية المعينة من العملاء الجدد الذين ترغبهم المخابرات الاميركية ، وتفضل التعامل معهم هم .

أولا : المسؤولون غير الراضين عن سياسة بلدهم ،ويجدون حسب تقديرهم في الولايات المتحدة النصير لهم ولافكارهم .

ثانيا : تفضل المخابرات الاميركية العملاء الذين يكون هد فهم الاساسي للتعامل معها المال ، لان مال المخابرات الاميركية الذي يتدفق لشراء الضمائر يساعد كثيرا للحصول على المعلومات ، وخصوصا من أبناء العالم (الثالث) ، ويعتبر العقائدي الخارج على نظام حكومته وهو في بلده..صيدا ثمينا للمخابرات الاميركية ، وأيضا ذلك المسؤول الدي يعيش حياة باهظة التكاليف . ولا يستطيع المحافظة على مستواها عن طريق دخله العادي . والذي يعاني نقطة ضعف تجاه النساء أو المشروبات أو المخدرات، كل هؤلاء يتم تجنيدهم بالاضافة الى أشخاص تأمل المخابرات وصولهم الىمراكز مهمة بعدبضع سنوات بمساعدتها أو دون هذه المساعدة . وأول من يوضع على قائمة عملاء المستقبل (طلاب العالم الثالث) . حيث يرتقي خريجو الدراسات العليا الى مناصب حكومية رفيعة بعد سنوات قليلة من تخرجهم وعودتهم لبلادهم .

دراسة عن العميل :

بعد وضع أي عميل موضع الترشيح للعمل مع المخابرات الاميركية تقوم الاجهزة المختصة بالتدقيق في ماضيه ، وتراجع سجلاتها الاساسية في القيادة لعلها تجد عنه بعض المعلومات . فاذا عثر على أي معلومات عن العميل فانها ترسل الى المسؤول الذي كلف بالتجنيد ، ويواصل بنفس الوقت تحرياته الخفية بما في ذلك (مراقبته) لمعرفة المزيد عن عاداته وآرائه ، ثم تبدأ الدراسة التقليدية عن أسباب قبوله العمل (عقائدية أم مالية أم نفسانية) حتى انه اذا لم يكن للعميل موضع الترشيح مثل هذه الدوافع ، وكانت المخابرات الاميركية بحاجة اليه ، فانها ستلجأ الى ما لديها من وسائل أخرى كالتهديد والضغط أو المساعدة المالية فورا ...

وعلى الضابط المسؤول عن ادخال العميل للمخابرات التأكد من أنه ليس عميلا مزدوجا - أي عميل للعدو - يتقرب من المخابرات الاميركية ليدخل في عدادها ... ؟

عملية التجنيـــد :

انفترةالتحقيق عن العميل ووضعه تحت المجهر قد تستغرق عدة أسابيع أو أشهر ، فاذا أعطي المسؤول الذي رشح العميل (الضوء الاخضر) مكن الاتصال مع العميل كي يبدأ العمل (هنا ينسحب المسؤول الذي رشح العميل وقدمـه للعمل من حياته) بعد تعريفه الى الضابط الذي سيتعامل معه مستقبلا . وفي هذا الاجتماع تتخذ خطوات أمنية توفر لهذا الضابط طريقا للهرب في حال وقوع ما ليس في الحسبان مثل كون العميل الجديد مراقبا من مخابرات بلده ، ومن المعروف أن جميع هذه الاجتماعات (تصور وتسجل) وتؤخذ بصمات أصابع العميل من حيث لا يدري وتوضع جميع هذه المستندات في ملفه (فاذا تردد في العمل) فان هذه البينات قد تستعمل ضده ...

وبعد أن يقبل العميل عرض المخابرات الاميركية أو يستسلم للتهديد تبدأ تفصيلات (الراتب) أو المكافأة ، فيقدم عادة للعميل الجديد مبلغ ٥٠٠ دولار أو ١٠٠٠ دولار شهريا ، واذا كان المبلغ مكافأة عن عملية معينة فيعطى العميل مبلغا كدفعة أولى ، ويوضع الباقي في حساب سري في مصرف أميركي أو سويسري بحجة عدم التبذير ولفت أنظار مخابرات البلد الذي سيعمل به . ويتعهد الضابط للعميل بأن تضمن المخابرات الاميركية سلامته وسلامة عائلته في حال تعرضه لمشاكل مع المخابرات العدوة . وقد يمنح جواز سفر أميركي كما يمنح راتبـا تقاعديا حسب الاتفاق (فيما بعد) .

هذه الوعود يتفاوت تحقيقها تفاوتا كبيرا اذ يتوقف على نوع العميل ومهمته التي سيكلف بها وشخصية الضابط المسؤول ، اذ أن بعض هؤلاء الضباط قساة القلوب ، يحنثون بوعودهم (وقد يكون رؤساؤهم لا علم لهم بهذه الوعود..) وبعضهم ينفذ ما وعد به الى أبعد الحدود .

وبعد اللقاء الاول وتسليم العميل الجديد الدفعة الاولى والخيوط الرئيسية لعمله يطلب منه الضابط توقيع ورقة استلام تربطه رسميا بالمخابرات الاميركية . ويمكن استعمالها في وقت لاحق اذا لزم الامر .

ابتـــداء العمـــل

متى انتهت اجراءات الاتتساب ، ومرت بسلام يبدأ الضابط فورا باختبار العميل ومدى الركون اليه وولائه ، فيعطى بعض المهمات الاستطلاعية لتعطى في حال تنفيذها بدقة الدليل على صلاحية العميل (وهو لايدري أن هذه المهمات سبق للمخابرات الاميركية أن حققت بها وحفظتها في الارشيف) •

فاذا لم تتفق المعلومات التي يقدمها العميل الجديد مع المعلومات المتوفرة سابقا • فسر ذلك بضعف العميل أو كونه عميلا مزدوجا فيعاد اختباره ، ويوضع تحت مراقبة خفية لرصد جميع حركاته بعد انتسابه للمخابرات الاميركية •

ولا يفوتنا أن نذكر للقارىء بأن المخابرات الاميركية اضافة لجميع ما ورد من التحقيقات عن العميل الجديد فانها تخضعه آخر الامر أيضا لجهاز الكشف عن الكذب ، فاذا لم يكن في ذلك البلد جهاز للكشف عن الكذب في السفارة الاميركية فيستدعي (خبير ومعه الجهاز على وجه السرعة) • ويقول أحد هؤلاء الخبراء ان فحص العميل الاجنبي على جهاز كشف الكذب يتعبه أكثر من فحص العميل الاميركي ، لان الاميركي يحب الصراحة وليس عنده ما يخفيه (حسب ادعاء الخبير) ، بينما اختبار العملاء الاجانب أصعب بكثير اذ يجب تعديل طريقة الاستجواب من ناحية الفروق الثقافية ، ويوجد حقيقة أخرى اذ من الممكن أن يكون سبب انخراط العميل (عقائديا) مما يجعله سريع الانفعال ، ويصعب على الجهاز (قراءته) أي كشف حقيقته • ويصعب كذلك كشف العميل الذي يقبل العمل لاجل المال أو لارضاء نزواته أو كشف الشخص الذي نشأ على الكذب أو لديه خلل عقلي أو مدمن المخدرات ، كل ذلك صحيح ، والجهاز شرحنا عنه في هذا المكان ، كونه تحقيقا متمما للتحقيق السابق • وكل ما في الامر أن الخبير الذي يدير الجهاز يعمد الى اقناع العميل الذي يخضع للفحص (بأن الجهاز من الدقة بحيث لا يخطىء) • وهذه احدى أخطاء المخابرات الاميركية •••

جهاز الكشف عن الكذب يحدث مشكلة للولايات المتحدة :

المخابرات الاميركية تبحث عن العملاء في أي زمان ومكان لتجنيدهم للعمل لصالحها ، ولمعرفة جميع ما يجري في مختلف أنحاء العالم حتى سنغافورة التي

كانت مستعمرة بريطانية في عام ١٩٦٠ وجدت المخابرات الاميركية من بين سكانها (عميلا) ليقوم بالتجسس لها فيها ، وبعد الاجراءات الروتينية تقرر عرض العميل على جهاز الكشف عن الكذب فاستقدم خبير يحمل الجهاز الى سنغافورة ، ونزل مع جهازه في فندق كونتيننتال ، واستدعي العميل لعرضه على الجهاز ، وما أن وصل الخبير الجهاز بالكهرباء المحلية حتى احترقت جميع الاجهزة العاملة بالكهرباء في الفندق وأطفئت الانوار نتيجة انقطاع التيار الكهربائي .

جرى التحقيق في هذا الحادث وأوقف الخبير والعميل وضبط الجهاز وعرض الامر على رئيس وزراء سنغافورة في حينه (لي كوان يو) ، فأصر على توقيف الجاسوسين (وكانت سنغافورة على وشك الحصول على الاستقلال من بريطانيا) . وهنا بدأت الضغوط والمفاوضات من أجل اطلاق الرجلين ، وعرضت الحكومة الاميركية على رئيس الوزراء مبلغ ثلاثة ملايين دولار للافراج عنهما ، ولكنه رفض العرض وطلب ثلاثين مليون دولار ...لكن تدخل وزير الخارجية والسلطات البريطانية الحاكمة أدى الى الافراج عن الرجلين .. وكعرفان بالجميل أرسل (دين راسك) وكان قد أصبح وزيرا للخارجية الاميركية برسالة (سرية) الى رئيس وزراء سنغافورة يعتذر منه ... ودارت الايام الى عام ١٩٦٥ ، وبينما كان (لي كوان يو) يلقي خطابا سياسيا أشار الى الحادثة كمثال على تدخل المخابرات الاميركية في بلاده ، فأسرعت وزارة الخارجية الاميركية كعادتها الى نفي هذه الحادثة بشكل روتيني (دون أن ينتبه المكتب الصحفي في وزارة الخارجية الاميركية الى أصل الاتهامات التي أطلقها (لي كوان يو) ، مما دعاه الى ابراز (رسالة الاعتذار التي استلمها من دين راسك) ، فأسقط في يد الحكومة الاميركية ، وتراجعت عن نفيها للحادثة ، وتورط المخابرات الاميركية . ولكنها أكدت أنها لم تعرض (مالا) لانقاذ الرجلين ، وبعد هذه الحادثة التي أثرت على العلاقات بين الولايات المتحدة وسنغافورة قررت وزارة الخارجية الاميركية اعادة النظر والتمهل قبل اصدار أية بيانات عن أعمال المخابرات الاميركية ...

دورة تدريبية للعميل الجديد :

لدى انتهاء عملية اختبار العميل الجديد والتأكد من ولائه وصلاحيته للعمل

في المخابرات الاميركية يقرر المسؤولون عنه اتباعه لدورة تدريبية حسب ظروف المهمة التي سيكلف بها • ويكون التدريب السري في بعض الحالات دقيقاً • فبعضهم يدرب على استعمال أجهزة التصوير الحديثة لتصوير الوثائق، واستعمال الحبر السري للكتابة ، وأجهزة استراق السمع ، واللاسلكي ، وتقضي عملية التدريب عزل العميل عدة أسابيع بعيدا عن أهله ومجتمعه ويطلب اليه اختلاق المبررات لغيابه هذا •• حتى ينتهي من التدريب •

معاملة العميل الجديد :

هناك نظرية تقول ان الضابط المسؤول يجب أن يقيم مع العميل الجديد علاقة وثيقة وشخصية ويقنعه بصداقته وأنهما يعملان لتحقيق هدف سامٍ مهم للبلاد • ومثل هذه البادرة تشكل لدى العميل قوة دافعة تشجعه على ركوب الاخطار في سبيل صديقه الجديد ، وهناك نظرية أخرى تقول : انه يجب على الضابط المسؤول عن العميل أن يعامله معاملة جدية وبعيدة عن الرحمة والتساهل لكي يحصل منه على النتيجة ، لان المهم بالنسبة للمخابرات هي (النتيجة فقط). لذلك يدفع الضابط العميل الى الدرجة القصوى من الخطر للحصول منه على أقصى مايمكن من المعلومات ولهذه الطريقة مضارها أيضا لانه ما ان يشعر العميل أنه موضع استغلال من ضباطه وعدم اهتمام حتى يتبخر ولاؤه بسرعة أو ينقلب الى الجهة المقابلة •••

وثمة عوامل عديدة تجعل العميل معقدا، ومنها المخاطر التي يتعرض لها وجو التوتر والخوف والحذر حتى انه يصعب التكهن عما يدور في خاطر العميل • لذلك فان على الضابط أن يكون واعيا لاية اشارة من عيله تدل على انزعاجه أو قلقه ويتلافى الاسباب فورا ، وأن يستعمل أسلوب التملق والمديح ، ومن ثم أسلوب التهديد والقسوة اذا كان العميل من الصنف الثاني • وخير دليل على نجاح المخابرات الاميركية في أسلوب التملق هي الطريقة التي اتبعت مع (أوليغ بنوفسكي) عندما ابتدأ بالتعامل معهم وجدوا أنه يحب المظاهر العسكرية ، فمنحوه رتبة (كولونيل) بالجيش الاميركي ، وهكذا شعر

بأنه لم يفقد شيئا من مركزه السوفياتي[1] كما منح الجنسية الاميركية سرا، ومنح وساما رفيعا (صنع المخابرات) كل ذلك من قبيل التملق .

ويوجد مشكلة واجهت المخابرات الاميركية وتواجه بقية مخابرات العالم وهي النقل الروتيني للضباط كل سنتين أو أربع سنوات ، وكل ضابط ينقل عليه أن يقوم بتعريف الضابط الذي يحل محله على العميل المرتبط به وبعض العملاء يعز عليهم فراق الضابط الذي قدمهم للمخابرات فيترددون في العمل مع الضابط الجديد لانهم يشعرون بأن التعامل مع ضابط تنقصه الخبرة يزيد في احتمال افتضاح عملهم ، لذلك فان عملية تغيير الضابط تكون محرجة للعميل ، ولكنها لن تؤدي الى الحاق الضرر بأية عملية تجسسية لانه اذا أخفقت المخابرات باقناعه لجأت الى الوسائل الثانية (التهديد). والابتزاز بما لديها من وثائق تدين العميل مثل ـ الصور ـ والعقود السرية ـ وايصالات القبض الموقعة من العميل ـ والتسجيلات الصوتية لمقابلات العميل وموافقته المبدئية . كل ذلك يجعل أشد العملاء ترددا يقبل الاستمرار في العمالة قسرا ، وقد تتفادى المخابرات الاميركية في حالات نادرة ومهمة في العمليات التجسسية الحساسة مسألة نقل الضابط المسؤول احتراما منها لرغبات العميل ذي المكانة العالية فيبقى الضابط بصورة استثنائية حتى انتهاء العملية .

تسليم البضاعـــة :

على الضابط الذي يتلقى معلومات من عميل ألا يجعل طريقة استلامه المعلومات مأمونة ، وأن يبدل بين فترة وأخرى هذه الطريقة للحد من احتمالات (الكشف) ، ولا يوجد أنظمة ثابتة للاجتماع بالعميل مطلقا هذا العمل يكون بلا قيد ما دامت (البضاعة) تصل الى المخابرات، فان للمسؤول (حرية) الإبتكار وتنويع المواعيـد والامكنة وبعض العملاء يفضلون الاتصال بضباطهم لنقل المعلومات اليهم (شفهيا) ، ويجدون ذلك أضمن لهم من حمل أوراق وتقارير

---

(١) اتبعت المخابرات الاسرائيلية حديثا هذا الاسلوب مع الجاسوس المصري / رجب عبد المعطي / فمنحته رتبة رائد في الجيش الاسرائيلي / الموساد / تشجيعا له على الاستمرار في خيانة وطنه .

تدينهم فيما لو حدث أي مكروه ، ولكن المخابرات الاميركية لا توافقهم الرأي لانها ترغب بالوثائق المكتوبة أو الرسائل اللاسلكية أو رسائل الحبر السري وبعض العملاء يجري سحب المعلومات منهم عن طريق شخص ثالث كوسيط •

ومن الممكن أن يكون هذا الوسيط يعلم حقيقة عمله أو لا يعلم كاستخدام (الاصدقاء) لنقل مثل هذه المعلومات الخطرة وهم لا يعلمون ما يحملون (لطفا خذ هذه الرسالة معك وحين تصل الى باريس ضعها في أي صندوق بريد) ، وهكذا يكون الصديق خدم صديقه عن حسن نية ، وهو لا يدري أن صديقه ممن (باعوا الضمير) •

أما اذا كان الوسيط يعلم أنه ينقل معلومات تجسسية ، ويتقاضى عن ذلك أجرا معلوما، كما حدث مع المدعو جعفر صادق الحاوي من أعضاء شبكة تجسس (البصرة) في العراق، الذي كان يتقاضى من الشبكة مبلغ مائة دينار ثمنا لايصال كل رسالة اما من البصرة الى بغداد وهذا نقل داخلي ، واما من البصرة الى عبدان في ايران وهذا نقل خارجي ، يضاف اليه المصاريف جميعها مهما بلغت،وأما سبب افلات هذا المراسل من حبل المشنقة في حينه مثل زملائه أعضاء الشبكة (جاء ذكر هذه الشبكة في مكان آخر من الكتاب) ، فلانه سلم نفسه للمخابرات العراقية عندما سمع بالقاء القبض على زملائه • والسبب الاهم لتخفيض عقوبة الاعدام عليه بالذات هو مساعدته السلطات والتحقيق واعترافه وندمه (أذيعت مقابلة تلفزيونية له من تلفزيون بغداد أثناء التحقيق مع الشبكة) •

ولمتابعة البحث في طرق المخابرات الاميركية لاستلام ضباطها أو موظفيها (البضاعة) من العملاء هو اعتماد نوع من صناديق البريد السرية (العفوية) التي لا يخطر على البال أنها تحوي رسائل من هذا النوع ، ومن هذه الصناديق على سبيل المثال ـ الفراغ القائم وراء أنابيب التدفئة المركزية في منزل (بنكوفسكي) في موسكو عندما كان يتعامل مع المخابرات الاميركية في حينه ، ومن الامكنة الصالحة صندوق بريد (سري) جذع شجرة قديم أو فراغ في مقعد في الحديقة العامة ، أو ثقب في جدار قديم ، أو مستودع قديم (مهجور) ، ووضع المعلومات في هذه الامكنة يتم بالاتفاق بين الضابط والعميل (على ساعة الاستلام) لكي

لا تبقى (البضاعة) مدة طويلة، وأغلب أوقات التسليم والاستلام تتم بين الساعه السابعة والتاسعة مساء .

وعندما يوجد سبب مستعجل لمقابلة الضابط والعميل يتفقان على اللقاء في مواقف المترو أو مدخل سينما ، ويتصرفان كالغرباء، اذ يكفي أن ينحني الضابط ليربط حذاءه (بحركة متفق عليها) ، فيضع العميل في هذه اللحظة في جيبه (البضاعة) . وفي بعض الحالات (يتبادلان) الصحف أو يتبادلان (الشنط) ، وهذه الاتصالات السريعة قصيرة جدا ومأمولة لان (طريقة التبادل) لا يعرفها سوى الاثنين فقط ، وتنفذ بأحكام ، وقد سلطت السينما الاضواء على هـذه الناحية في الافلام الجاسوسية ، وأبرزتها بوضوح للمشاهدين ..

وبعض هذه الاجتماعات يتم تحت مراقبة (عناصر من المخابرات المسلحة) تقوم بالمراقبة كاجراء وقائي ، واحتمال حدوث (شيء) . وعندما تعطي للطرفين اشارة (الامان) أي أن الطريق خالية يتم الاجتماع والا عند وجود اي اشتباه تعطي اشارة متفقا عليها ، فيلغى الاجتماع ويسير كل من الضابط والعميل في طريقهما .

واذا كانت الامور التي تستدعي اجتماع الضابط والعميل أو عدة عملاء لا يمكن أن تتم في مثل هـذه الظروف (الجيمس بوندية) ، فان المخابرات الاميركية غالبا ما تستأجر المنازل (المناسبة) لتكون مركزا للاجتماعات وتبادل المعلومات والتحدث بكل حرية .

نهاية الخدمـة :

كل عملية لها نهاية وكل عميل له نهاية أيضا ، ولكن نهاية بعض العملاء تكون مفجعة ، أما المخابرات الاميركية فقد اتخذت الحيطة لكافة الاحتمالات ، فاذا توفي أحد العملاء بأسباب طبيعية يجري تدريب غيره ليحل محله ، أما اذا اعتقل العميل أو سجن وربما (أعدم) وهنا تقوم الحكومة الاميركية من وراء المخابرات بانكار كل زعم بأن الرجل كان عميلا ، وتطلق الدعاية المعاكسة بـأن مخابرات البلد الذي اعتقل العميل فيه تريد الايقاع بين البلدين .. الخ .

وفي بعض الاحيان تضطر المخابرات الاميركية الى انهاء عملية ما للتخلص من العميل بسبب فقدانه عناصر وأسباب التعامل معه،ومنها الوصول الى الاسرار والمهمات التي ترغب المخابرات الحصول عليها .ومن أسباب انهاء أي عملية عدم الاستقرار العاطفي للعميل أو ظهور أشياء تدل على فقدان الثقة التي منحت له سابقا أو التأكد من كونه عميلا مزدوجا أو سقوطه بين يدي مخابرات الجهة المقابلة باكتشافها نشاطه . كل هذه الاسباب تجعل المخابرات تلغي العمليه للتخلص من العميل . وهنا تبدأ عملية (ما بعد العمالة) بحيث يمكن شراء العميل عديم الفائدة وغير المستقر بعد الغاء عمله بتهديده بعد التعويض عليه بمبلغ معقول ...

وهناك بعض الحالات الخاصة تضطر فيها المخابرات الاميركية الى تصفية (عميل خطر) ، فان قرار التصفية يتخذه رئيس الفرع الذي يتبعه العميل ثم يبرق هذا القرار مكثفا الى (المدير العام) ، وعندما يوافق على التصفية يوعز رئيس الفرع الى بعض المختصين لديه بالقيام بالتصفية بطريقة يظهر فيه (موت العميل) كحادث عادي أو انتحار ، لانه من الممكن استعمال أحدث الاساليب للقتل . وقد اضطرت المخابرات الاميركية بالفعل الى تصفية عشرات العملاء منهم من تقرر تصفيته لارتكابه بعض الاخطاء المميتة ومنهم من قتلته المخابرات الاميركية لانه لم يوافق على التعامل معها كما جاء في هذا الكتاب ....

أما العميل المفيد الذي ينفذ عمله حسب الاتفاق ويقدم الخدمات الممتازة (كجاسوس بكل معنى الكلمة) فيمكن تزويده بمبالغ ضعف الاتفاق ، ونقله الى أي بلد يختاره للاقامة فيه ، ويساعد على ايجاد عمل ملائم له وبعض العملاء الذين يخشى عليهم بعد انهائهم مهمات معينة لاسيما الذين يعرضون أنفسهم للخطر خلال قيامهم بخدمة المخابرات الاميركية فانهم يرسلون الى الولايات المتحدة للاقامة فيها برعاية المخابرات حتى انتهاء حياتهم ، خصوصا وان القانون الاميركي سمح لمدير المخابرات المركزية الاميركية ١٩٤٩ باصدار أذونات دخول خاصة للاجانب (العملاء) والاقامة بصورة دائمة ... بحجة خدمة الامن القومي ، ويمكن بعد ذلك التحاق بقية أفراد عائلته به تلقائيا ، حتى ولو كان بعضهم ممن

منعوا من دخول الولايات المتحدة (سابقا)٠أما الهاربون الى المخابرات الاميركية من مختلف الجنسيات فتجري معهم تحقيقات دقيقة ومطولة حتى يقتنع المحققون بأنه لم يبق لديه ما يفضي به عندئذ يحول أمره الى (قسم الاسكان) الذي يصبح مسؤولا عن ايجاد مكان ملائم لسكنى الهارب يعيش فيه بأمان من الانتقام وبشكل لائق لا يضطره الى الهرب من نعيم المخابرات الاميركية وافشاء مامر به أثناء استجوابه أو اتصاله مع من يغريه للعودة الى بلاده (بعد وعود) أو اغرائه للانتقال الى (معسكر آخر) ، يهمه معرفة (ما عرفته المخابرات الاميركية منه) فيبقى الهارب تحت المراقبة الدقيقة ، ويضع قسم الاسكان خطة يمليها على هذا الهارب تتلخص بما يلي :

١ ــ اعطاؤه جنسية مناسبة لشخصيته (لدى المخابرات الاميركية جنسيات تحت الطلب) ٠

٢ ــ يعطى اسما جديدا يناسبه ٠

٣ ــ يعطى مسكنا لائقا به ٠

٤ ــ يوضع تحت تصرفه مبالغ كافية لظهوره بمظهر الشخص الذي اختارته له المخابرات الاميركية ٠

وأحيانا يعطى اللاجيء أو الهارب الى المخابرات الاميركية تقاعدا (مدى الحياة) عندما يكون بهروبه قد أدى خدمة كبرى كما ينقل بعض اللاجئين الى المخابرات الاميركية للسكن في أوربا الغربية أو كندا ٠٠٠

أعمال المخابرات الأمريكيّة

اكتشف خبراء المخابرات الاميركية الموجودون في جزيرة (جواد لنكال) أسرار (الشيفرة السرية اليابانية) ، وأخذوا يطلعون على جميع الاوامر العسكرية اليابانية أولا بأول حتى علموا بأن الجنرال (ايزوروكوياماموتو) سيكون على مقربة من المواقع الاميركية في جولة تفتيشية على القوات اليابانية ومن الممكن (اسقاط طائرته) ٠

استشير الرئيس الاميركي روزفلت شخصيا ، واستشير معه الاميرال

(ارنست كنج) قائدا الاسطول الاميركي، ودارت بينهما وبين المخابرات الاميركية مشاورات هــل يكون ذلك عملا حربيا أم (جريمة قتل) ، وفي النهاية وافق الرئيس روزفلت على العملية بعد أن أقنع بأن الجنرال ياماموتو عنصر هام في المجهود الحربي وليس لدى اليابان من يحل محله في وضع استراتيجية الحروب بالاضافة الى حقد الاميركيين عليه لانه واضع خطة الهجوم الياباني المفاجىء على (قاعدة بيرل هاربر) الذي زعزع الاسطول الاميركي ، وقضى على نحو الفين من خيرة مشاة الاسطول وأسقط هيبة أميركا وعظمتها في حينه (مما جعل من اغتياله انتقاما) •

سجل حياة (ياماموتو) :

يبلغ التاسعة والخمسين من عمره (سنة ١٩٣٤) قصير القامة مثل أغلب اليابانيين ، ولكنه ممتلىء الجسم وجهه مدبب الانف • وله يعود الفضل في تشييد الاسطول الياباني الحديث (ابان الحرب العالمية الثانية طبعا) ، كما أنه أدخل تحسينات عديدة على فنون القتال البحري الليلي ووسائل •••استخدام الطوربيد التي ألحقت بالسفن الاميركية أبشع الخسائر • كما كان من رواد الطيران ، وله الفضل أيضا في مضاعفة انتاج طائرات الزيرو المهلكة • والاعتماد على حاملات الطائرات مما سبب انقلابا كليا في الحرب البحرية •• ومع ذلك كان من المعجبين بأميركا وهو من الطلبة الاوائل في جامعة هارفرد الاميركية • وبعدها عين ملحقا بحريا في السفارة اليابانية بواشنطن يتكلم الانجليزية بطلاقة تامة ومحبا للعبتي البيسبول والبوكر • وكانت بعض العناصر المتطرفة في اليابان تعتبره من أنصار أميركا • وقد تعرض نتيجة لهذا الشك لمحاولة اغتيال ••• ؟ وعندما دخلت اليابان الحرب ضد أميركا تولى ياماموتو قيادة الاسطول الياباني بمهارة ، ومن أروع منجزاته الهجوم على بيرل هاربر •

اعتراض طائرة ياماموتو واسقاطها :

في مساءيوم١٧نيسان١٩٤٣ صدر الامر الى الميجور تاماس لابنهايرمن سلاح الطيران الاميركي في مطار هندرسون بتقديم نفسه الىادارة العمليات العسكرية•

فوصلها مع الميجور جون ميتشل قائد سرب المقاتلات (٣٣٩) ، وأهم الابطال في جواد لنكال • وعندما دخلا المخبأ المعد للادارة أدركا أن في الامر شيئا ذا أهمية لان معظم ضباط القيادة كانوا موجودين • وسلم الى الميجور لابنهاير مظروف كتب عليه (سري للغاية) ، ولما فتحه وجد فيه برقية تقول (ان ياماموتو وكبار ضباط أركان حربه يصلون الى جزيرة (بوجينفيل) بطريق الجو بتاريخ ١٨ ابريل ، ويجب على السرب (٣٣٩) ب ٣٨ الهجوم على طائرته وتدميرها مهما كان الثمن • فان رئيس الجمهورية يعلق أهمية كبرى على هذه العملية) ، وتكفي هذه الجملة هنا لنتأكد أن رئيس الجمهورية في أميركا يطلع على الامور والمؤآمرات الهامة التي ترتبها المخابرات المركزية منذ تأسيسها وحتى الآن •

وقد ذكر في البرقية أن ياموتو وضباط أركان حربه يستقلون طائرتين من قاذفات القنابل تحرسهما طائرات زيرو مقاتلة ، وتفصيلا مدهشا للرحلة واختتمت البرقية بتوقيع : فرانك نوكس وزير البحرية الاميركية •

وتبادل لابنهاير وميتشل البرقية ونظرا الى بعضهما • وعرفا لماذا اختير سرباهما لهذه الغاية وذلك لان جزيرة (بوجينفيل) تبعد ٥٠٠ كيلو متر من جواد لنكال ، وطائرات السرب ٣٣٩ من نوع (لوكهيد لايتننج) هي الطائرات الوحيدة ذات المدى الذي يكفي لاعتراض طريق الاميرال •

تنفيذ العملية بدقـة :

رتبت العملية على أساس وصول طائرة ياماموتو في الساعة التاسعة و ٤٥ دقيقة من صباح ١٨ واعتراض طائرته قبل وصولها بعشر دقائق ، في منطقة تبعد ٥٦ كيلو متر شمال المطار ، وكان الامر كالمقامرة غير المضمونة ، حيث لا يملك الاميركيون سوى ١٨ طائرة بينما يملك اليابانيون حوالي مائة طائرة في كاهيلي• ومع ذلك فقد تقررت العملية ، وقام الميجور ميتشل بشرح العملية على الارض لقادة الطائرات بقوله : سننطلق في الساعة السابعة والدقيقة ٢٥ ، وسيكون سربي المؤلف من ١٤ طائرة على ارتفاع ٦٠٠٠ قدم ليتولى أمر مهاجمة الطائرات المقاتلة التي تغادر مطار كاهيلي • بينما يتولى سرب لابنهاير المؤلف من أربع طائرات على ارتفاع ٣٠٠٠ قدم بعملية اعتراض طائرة الاميرال ••• ومن ثم اسقاطها • وانضم

الى شرح العمليه ضابط المخابرات المركزية الذي أضاف الى تعليمات ميتشل ان الجنرال ياماموتو له أهمية كبرى للاسطول الياباني ، وكيف ان فقده سيكون ضربة قاضية تصيب ، روح العدو المعنوية • وأضاف ضابط المخابرات قائلا : ان الاميرال محب للكمال وتؤكد مخابراتنا سرعته ونشاطه فلا بد أن تحافظوا على الميعاد •

وأشرقت شمس ١٨ ابريل على (جواد لنكال) صافية ولكن الجو كان مشبعا بالرطوبة • ومع ذلك انطلقت الطائرات في الساعة السابعة والدقيقة ٢٥ حسب الخطة في السماء تسير بخط متعرج لتفادي رادار العدو • والجميع مصممون على المخاطرة لتنفيذ المهمة حتى أصبحوا فوق جزيرة « بوجينفيل » عند ذلك انطلق ميتشل بطائرته كالصاروخ يتبعه سربه الى علو ٦٠٠٠ قدم بينما انطلق لابنهاير قائدا سربه الى علو ٣٠٠٠ قدم ، وكانت الساعة التاسعة والدقيقة ٣٣ وبعد دقيقة واحدة قطع أحد الطيارين سرب ميتشل حبل الصمت قائلا في هدوء: أشاهد طائرات العدو على ارتفاع الساعة العاشرة « وهو تعبير في السلاح الجوي أن الطائرة تحلق على ارتفاع يتناسب مع ارتفاع الطائرة التي تراها » وعندما اقترب لابنهاير منهم شاهد من بعيد بقعا سوداء تشبه حرف « ٧ » وشاهد في وسطهم طائرتين من ذوات المحركين مطليتين باللون الاخضر وكانت الساعة تشير الى التاسعة والدقيقة ٣٥ ــ وهده الدقة جاءت بالنظر لمحافظة الاميرال على مواعيده أولا ، وثانيا لجهد المخابرات الاميركية وبالتالي الطيارين الاميركيين•

كان الطيارون الاميركيون يقتربون من الطائرات اليابانية بسرعة ، ولم تشاهدهم الطائرات اليابانية • وبدأ لابنهاير وسربه الاستعداد للقتال ، فرمى خزاني وقوده ، وحذا زملاؤه حذوه • وعلى ١٥٠٠ متر اكتشفتهم الطائرات اليابانية فارتفعت فوقهم ، بينما توجهت طائرة من ذوات المحركين الى فوق الغابة وتوجهت الطائرة الثانية نحوهم • أما لابنهاير فقد طاردته ثلاث طائرات زيرو ، مما دعاه الى اطلاق مدافعه حالا حيث أصاب احداها وشاهدها وهي تسقط تحته وتخلص من الطائرتين الثانيتين • وأخذ يبحث عن الطائرة ذات المحركين التي فقدها أثناء المعركة فشاهدها تنزلق فوق الغابةحتى تكادتلامس رؤوس الاشجار، فتبعها حتى مستوى رؤوس الاشجار ، وأخذ يطلق عليها النار من مدفعيه ، فبدأ

محركها الايمن والجناح في الاشتعال ، ثم سقط الجناح وشاهد الطائرة تهوي في الغابة وتتحطم . وكان زميله الطيار باربر قد أسقط الطائرة الثانية من ذات المحركين في المحيط . وحان وقت للتراجع وعند دورانه للعودة دخل سحابة من الغبار ، اذ أنـه كان يطير فوق مطار كاهيلي ، وكان الغبـار ناشئا عن انطلاق الطائرات اليابانية الى الجو مما دعاه الى الانطلاق بطائرته « اللايتنج » والصعود المريع ، وابتعد تدريجيا عن طائرات الزيرو اليابانية في طريق العودة . وبطبيعة الحال كان الطيارون الباقون من المهمة يعودون تدريجيا الى المطار ، وكان لابنهاير آخر العائدين بطائرته التي كان في خزانها آخر نقطة من الوقود . حيث التف حوله الميكانيكيون وزملاؤه الطيارون وأخرجوه من مقصورة القيادة (كان يشعر وكأنه لاعب كرة قدم سجل هدف الفوز) . أما زميله باربر فقد أسقط الطائرة الثانية وطائرتين زيرو وفقدوا طيارا واحدا . وفي المساء أقيمت حفلة على شرفهم ، حيث تليت عليهم البرقية التالية : من الاميرال (بول هالزي) قائد القوات البحرية الاميركية في جنوب الباسفيكي : تهنئتي للميجور ميتشل وصياديه . يبدو أن البطة التي في حقيبتهم طاووس «حيثعلم بعد ذلك أن طائرة الغابة التي أسقطها

لابنهاير كانت تحمل الاميرال ياماموتو . وقد عثر عليها ، وفيها الاميرال لا يزال قابضا على سيفه حيث نقلت جثته الى طوكيو وشيعت بجنازة رسمية ، اشترك فيها ملايين اليابانيين بينما أنقذ الاميرال أوجاكي والاميرال كيتامورا من حطام الطائرة الثانية التي أسقطها باربر ، وهما مصابان بجروح خطيرة .

أما بالنسبة للدولتين المتحاربتين أميركا واليابان فقد أذاعت طوكيو بعد شهر من الحادث أن الاميرال ياماموتو قد لقي مصرعه ، وهو يؤدي واجبـه العسكري . أما أميركا فلم تذع شيئا طوال الحرب لسببين : الاول عدم اشعار اليابان باكتشاف المخابرات الاميركية للشيفرة اليابانية ، والثاني وجود الميجور لابنهاير أسيرا في اليابان حيث أسقطت طائرته بعد شهرين من اسقاط طائـرة ياماموتو . ومع ذلك فقد مات تشارلي شقيق لابنهاير بالغرغرينا قبل وصول مشاة الاسطول الاميركي الى مكان أسره بأسبوعين . وهكذا أضيفت الى عمليات المخابرات الاميركية هذه العملية التي لم يتمكن الاميركيون من نشرها الا بعد الحرب .

من مهمات المخابرات المركزية الاميركية :

من المهمات العديدة للمخابرات المركزية الاميركية فتح الرسائل والاستماع الى المكالمات الهاتفية والاطلاع على الافلام والكتب والصحف والبرامج الاذاعية والتلفزيونية ، وذلك لان هذه المراقبة (ضروريه) وتكون ذات حدين أولا : تمنع وصول المعلومات الى (العدو) ، وثانيا تكشف العميل الذي يرسل هذه المعلومات فقد اكتشفت المخابرات الاميركية جاسوسا ألمانيا في نيويورك كان يتظاهر بأنه (تاجر جملة) ويتلقى اموالا طائلة من البنوك بعد مراقبة مراسلاته التجارية وحل رموزها ، فاعتقل وحكم عليه بالاعدام . وقد بلغ حتى الآن عدد الذين اكتشفتهم المراقبة هذه المئات .

بدء المراقبـــة :

مع نشوء المخابرات الاميركية وجدت المراقبة حيث أعد لها غرفة في مبنى الهاتف في واشنطن ، والآن أصبح للمراقبة في الولايات المتحدة /٩٨/ عمارة وموظفو المراقبة فقط /خمسون ألف/ ، أغلبهم خبراء في عملهم ، يعاونهم عدد ضخم من المترجمين والاختصاصين في القضايا الحقوقية والمالية والتقنية حتى (هواة الطوابع) ، وتصرف المخابرات على العلماء بسخاء لينضموا الى هذا الجهاز حتى انها تعاقدت مع أستاذ جامعي يجيد /تسع/ لغات منها اللغة السنسكريتية ، وفي كل يوم يمر من أمام جهاز المراقبة في سائر أنحاء الولايات المتحدة حوالي (مليون) رسالة ، ومع هذا تراقب جميعها خلال (٢٤) ساعة ، أما البريد الرسمي فيحظر فتحه ، ولكن كان لا بد من الاطلاع عليه (بدقة) ، لان بعض الجواسيس تمكنوا من تقليد مغلفات بريد الوزارات والاختام المستعملة . لذلك بما في ذلك تقليد بريد (البيت الابيض بالذات) .وقد وضعت لوائح بأسماء أشخاص مشتبه بهم وعملاء للعدو في جميع مراكز المراقبة لكي تتعرض رسائل وهواتف هؤلاء الذين يقدر عددهم بـ ١٠٠ ألف الى مراقبة دقيقة . والرسالة التي تضبط تحول حالا الى الدوائر المختصة ، ومن بعض المراقبة الهاتفية ابان الحرب العالمية أن أكتشف أحد المراقبين أن أحد المعامل سوف يصدر /١٥٠٠/ طن من فضلات النيكل الى السويد ، وكانت السويد بحاجة الى هذا النيكل لصناعة الفولاذ الذي

تبيعه فيما بعد الى المانيا ، فمنعت الصفقة بأمر من المراجع العليا ، كما كشف أحد المراقبين أن المانيا سوف تبيع مليون زجاجة شمبانيا الى اسبانيا • وهذه الصفقة سوف تتيح لها ربحا صافيا حوالي ٦ ملايين دولار من القطع النادر • واكتشفت رسالة مرسلة من أم ألمانية الى ولدها المقيم في نيويورك تخبره بأن يركب القطار لدى عودته فاستنتج الرقيب أن (خطا) حديديا قد بني الى بلدة المرسل اليه ووضع الخط ضمن أهداف الغارات الاميركية فيما بعد •

وفي مراكز الحدود يوضع مراقبون من عناصر المخابرات اضافة الي موظفي الجوازات تكون مهمتهم التدقيق في الاوراق التي يحملها المسافرون، أومراقبتهم بدقة بموجب اللوائح والصور التي يحملونها • ونتيجة لمراقبة الحدود فقد ألقي القبض على سيدة تحمل وثائق تجسس ومعلومات ضمن باقة من الازهار، ورسالة من جانسوس الي رؤسائه يشكو لهم (شدة المراقبة التي تشل عمله) •

واهم ما يلفت نظر المراقب بالنسبة للرسائل كل رسالة من الخارج الى عنوان عسكري ، كل رسالة الى أي شخص من عنوان (مشبوه) ، كل رسالة تحوي أرقاما غريبة أو رموزا أو يكون ورقها جافا (كتبت بالحبر السري ثم نشفت)• وأقل ظاهرة في الرسالة توحي بخدعة أو تجسس أو خبر سري تجعل المراقب يفتحها حالا ، فاذا وجد فيها شيئا أحالها الى القسم المختص • وهذا القسم يضم مختبرا يكشف الرموز المحتملة في الرسائل المشبوهة • وكل رسالة تمر عليها (اسفنجة) مغموسة بمادة خاصة لكشف الحبر السري ، ثم تفحص بالاشعة (فوق البنفسجية) ، وتوصل هذا القسم الى اكتشاف طريقة جديدة جدا في فن التجسس فتصور صفحة كاملة (مضروبة على الالة الكاتبة) ثم تصغر (عدة مرات) حتى تصبح بحجم (نقطة) تغرس في سطر (معين) من رسالة بريئة •

أما المخابرات الهاتفية فهي بحاجة الى مراقبين سريعين وأذكياء ، ويلزم أحدهم أن يمسك بيده قلما بينما يسجل المخابرة بيده الثانية ، ويترك القلم من يده ليقطع المخابرة في بعض الاحيان وهكذا •

ومن المخابرات التي كشفت أن أحد الضباط في واشنطن كان يملي هاتفيا على صديق له وبداعي التبجح أنه سوف يسافر مع وفد من كبار المسؤولين

والضباط وعدد رتبهم وموعد اقلاع الطائرةفسجلت مخابرتهلاداتته بافشاء أسرار عمله أمام مجلس تأديب عسكري •

والبرقيات المرسلة أيضا تقوم المخابرات الاميركية بمراقبتها ، فكل برقية تصدر من أي ولاية تحول فورا الى أحد مكاتب المراقبة • فاذا كان نص البرقية واضحا ، ولا يضر بالمصلحة الوطنية تابعت البرقية سيرها الى المرسل اليه ، وان كان هناك أدنى شك فكانت تخضع لفحص أدق، وكان خبراء المخابرات الاميركية يقومون بتصحيح بعض البرقيات لسببين : أولا لاضاعة المعنى المقصود منها ، وثانيا اذا كانت طبيعية ولكن لغتها ركيكة فتصلح لغويا • ومن ذلك أحد الجنود أرسل برقية مختصرة يقول فيها (٤ دولارات قرنفل) صححتها المخابرات الى (٤ دولارات زهور) لاشتباه المراقب بأن كلمة (قرنفل) ترمز الى شيء آخر بالشيفرة وبرقية ثانية يقول مرسلها (رحل الوالد) جرى تصحيحها الى (توفي الوالد) عند ذلك فضح المرسل اليهلانه أرسل للمصدر برقية يستفسر فيها (هل رحل أو توفي الوالد) فاعتقل ؟ والمعدل الوسطي للرسائل التي تصادر سنويا من مراقبة البريد حوالي /١٠٠٠/ رسالة مشتبه بها يتضح بعد التحقيق أن ٥٠٠ منها رسائل تجسس ذات أهمية بالغة كالرسالة التي وصلت الى سيدة تنزل في فندق نيويورك أخضعت للمراقبة ووضع عليها مادة خاصة ظهر بين السطور رسالة ثانية مكتوبة بالحبر السري تقول لها : (اكتبي الى تريزا أو أقصديها فانها تتسلم دراهم من السيد ميلر ••) • أخذ مكتب المراقبة يقرأ جميع رسائلها حتى أدينت بالتجسس ومعها خمسة شركاء حكموا جميعا أحكاما قاسية •

وهناك جاسوسة اعتقدت أنها تضحك على المراقبة فاسست شركة لبيع الدمى (اللعب) على مستوى عالمي • وكانت رسائلها التجارية أحسن تغطيه للتقارير التي كانت ترسلها الى اليابانيين ، وفعلا نجحت بعض الوقت ، ونقلت معلومات عن مراكز وحالة السفن وعن السفن الانكليزية التي تصل الى الموانىء الاميركية ولكن عودة بعض رسائلها المرسلة الى الارجنتين لان العنوان كان خطا بينما الرسائل كانت مرسلة من المدن الاميركية بأسماء أشخاص أميركيين اما من الدليل التجاري أو دليل الهاتف وهؤلاء قاموا باعلام المخابرات الاميركية تلقائيا عند استلامهم الرسائل المرتجعة ، أبلغت مصلحة المراقبة في المخابرات فوضع بريد

(فلفالي ديكنسون) تحت المراقبة الدقيقة . وكانت النتيجة جمع أدلة كافيـة لاداتنها حيث اعتقلت واعترفت وحكم عليها بالسجن عشر سنوات مع غرامـة /١٠٫٠٠٠/ دولار ، كما تمكنت المخابرات الاميركية من توقيف عميل برتغالي يدعى أرنست لهمتز بعد ارساله كتابا بالبريد المضمون الى لشبونة ضمنه بعض التقارير .

وكانت لدى المخابرات الاميركية معلومات عن عميل لالمانيا يدعى (هيزل) فوضع اسمه على لائحة المطلوب مراقبة بريدهم . وفي أحد الايام وقعت رسالة بيد المراقب كتب عليها اسم المرسل اليه /هيزل/ المقصود والمرسل : جيرسون بيرد ، وبعد طليها بمادة خاصة ظهرت رسالة أخرى كتبت بالحبر السري تتضمن أهم المعلومات عن انتاج الولايات المتحدة من الاسلحة . وانتظرت المراقبة رساله ثانية ظهر منها أن جيرسون قد دب فيه الخوف (وهذا شعور الجاسوس) ، ويطلب عدم مراسلته . ورسالة ثانية يقول فيها انه لم يبق لديه حبر سري للكتابة ورسالة ثالثة يقول انه سيوقع باسم بيل عوضا عن جيرسون وضمن هذه الرسالة معلومات عسكرية جديدة فاضطرت المخابرات عند هذا الحد الى توقيفه، وأخضع للتحقيق فتبين أنه ألماني الاصل يدعى الكونت فون روتر ، وأنه اتخذ الجنسيه الاميركية ستارا للعمل لصالح المخابرات الالمانية .. وساعدت المراقبة على توقيف ثلاثة أشخاص في يوم واحد أولهم سيدة يابانية تتنكر بزي هندية ، والثاني جاسوس حاول تركيب جهـاز ارسال في غابات واشنطن ، والثالث يطلب من رؤسائه نقله الى لندن .

وأكبر نجاح حققته مصلحة المراقبة في المخابرات الاميركية هو عملية منـع اليابانيين من معرفة نتيجة أحد أسلحتهم الجديدة وهو كناية عن بالون من الورق المقوى مملوء بالقنابل المحرقة ، تدفعه الرياح فوق الغابات في شمال الولايات المتحدة . والغاية منه زرع الرعب في قلوب السكان المدنيين فقد وجد أطفال في الاوريغون أحد البالونات فانفجر وقتل امرأة وخمسة منهم . أما عمال الغابات والمياه فقد وجدوا ٣٤٤ من هذه البالونات جمعت وأبطل مفعولها بتعليمات من

خبراء الجيش ، ولكن الخبر بقي طي الكتمان بايعاز من المخابرات حتى اعتقد اليابانيون أن بالوناتهم لاتصل فوق الاراضي الاميركية ، وبعد أن أطلقوا/ ٩٠٠٠/ بالون منها ألغوا المشروع بكامله •

ان أقسام المراقبة في أي مخابرات في هذا العصر ذات فائدة كبيرة لان الولايات المتحدة التي تعتبر نفسها رائدة الحرية ، فيها من أنواع المراقبة على الشعب الاميركي ما ذكر بعضه وما لم يعرف حتى الآن •

المخابرات الاميركية تعتقل جاسوسا من بين ٨ ملايين نسمة :

المخابرات الاميركية لديها الوسائل الحديثة منذ انشائها لكشف الجواسيس الذين يقدرون بالمئات ، ويعيشون داخل أميركا بمختلف الاشكال • وهذه حادثة أدت الى اعتقال جاسوس في مدينة نيويورك التي كان تعداد سكانها في حينه ٨ ملايين نسمة (الان عدد سكان نيويورك ١٣ مليون نسمة) جرى اعتقال الجاسوس بدون مغامرات سيف وقناع أو وضع امرأة حسناء أو اشتباك مع رجال المخابرات حتى بدون طلقة مسدس واحدة بل كان الاعتقال نتيجة (الصبر والخبرة) في البحث عن جاسوس ضائع بين الثمانية ملايين نسمة •

رقابة البريد :

في مساء ١٩٤٢/٢/٢٠ عثر موظف المراقبة في مركز بريد نيويورك على رسالة موجهة الى (البرتغال) ، وصادر الرسالة لان اسم المرسل اليه في البرتغال على اللائحة السوداء[1] لدى موظف المراقبة وكانت المخابرات الاميركية تعلم أن عنوانه كان كصندوق بريد للعديد من الجواسيس •

---

(١) ننصح رؤساء المخابرات ودوائر الامن العام باتباع طريقة (اللائحة السوداء) وادراج أسماء العملاء والمشبوهين في كتيب صغير وبموجب حروف الابجدية (تستعمل حاليا بالاضافة الى اميركا في يوغسلافيا وايطاليا) لكي يسهل على موظفي الامن العام في الحدود والمخابرات في عملهم بالمراقبة البريدية استعماله لكشفهم ، ولدينا الخبرة الكاملة لذلك نضعها بتصرفهم حين الضرورة •

ولدى فتح الظرف وجد رسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة ومضمونها(بريء) كتلك الرسائل التي يتبادلها الاصدقاء القدامى ، وفيهـا السوءال عن الصحه والاحوال والاصدقاء ••• الخ •

حولت الرسالة فورا الى واشنطن ادارة ــ المخابرات الاميركية ــ وبعد عدة ساعات كان أحد الخبراء يمر باسفنجة مغموسة بمادة كيماوية على وجه الرسالة وشيئا فشيئا أخذت تظهر كتابة على الوجه الابيض بالخط الالماني • ولما ترجمت تبين أنها تتعلق بمعلومات عن انتقال قوات على ظهر سفن راسية في ميناءنيويورك. والتي تستعد للابحار في قافلة • ومثل هذه المعلومات لو وصلت الى يد الألمان فهي تشكل خطرا قاتلا على الجنود المنقولين والبحارة والسفن الحربية إذ لا بد من اعتقال هذا الجاسوس للتخلص من خطره •

لكن المختبر لم يستخلص سوى أدلة ضئيلة ، والرسالة كانت مطبوعة على آلة كاتبة من نوع (أدروود) النقال ذي الصفوف الثلاثة من الحروف فانطلق العشرات من رجال المخابرات يبحثون عن وكلاء بيع آلة الطباعة ومؤجريها في المدينة الهائلة (نيويورك) بدون فائدة •

وخلال أسبوع أرسل الجاسوس رسالتين ثانيتين ، وهذا يدل على أنه يعمل بهمة ونشاط • وجميع الرسائل مرسلة من نيويورك مما يدل على أنه يقطن في المدينة ، وبينما كان أحد الضباط يراجع الرسائل المصادرة لفت نظره على أن بعض المقاطع تنطوي على لهجة صادقة • أما بقية الرسائل فتحوي على اختلاق ظاهر كما يلي :

بعد المقدمــة •• الطويلة ••

هيومفري تزوج • البيت الذي يسكنه هو ملكه لديه كلب أصيب بمرض وعنده وظيفة مستقرة ، يغادر منزله كل صباح بين السابعة والثامنة (بدّل) مؤخرا زجاج نظارتيه هو منتم الى الدفاع السلبي الذي يضم ٩٨٣٣٨ عضوا في مدينة نيويورك •

اذا كتب الجاسوس معلومات لرؤسائه بأنه منتسب للدفاع السلبي ، وهكذا تضيق الحلقة من ثمانية ملايين الى ٩٨٣٣٨ نسمة هم أعضاء الدفاع السلبي ،

وباصرار تام بدأت المخابرات بغربلة جميع أعضاء الدفاع السلبي من منهم يملك بيتا . كم منهم متزوج . كم منهم يملك كلبا . (مريضا) ، كم منهم يضع نظارات (بدل زجاجها مؤخرا) . واستمر البحث والتدقيق واستمر عدد الرسائل بازدياد فاتضحت الصورة بعض الشيء عن الجاسوس فهو يملك بيتا له حديقة لم يستطع دفع بعض الاقساط فوضعت اشارة حجز على منزله ، وهو يريد الحصول على (مزرعة طيور) واذا كانت صورته لا تزال غامضة ، لان هذه الصفات تنطبق على مئات الاشخاص وبعد أيام وليال مرهقة ضيقت المخابرات البحث . وأخذ عدد المشبوهين لديهم يتناقص من ٩٨٠٠٠ الى ٨٨٠٠٠ ثم ٨٠٠٠، وحتى الرقم الاخير كان يشكل شيئا ضخما .. حتى مساء ١٤ نيسان ١٩٤٢ وقعت بأيديهم الرسالة الثانية عشر ، وأخذ منها المحققون المقاطع التالية : الحرارة هنا مرتفعة ، والاشجار بدأت تزهر . هذا الربيع يذكرني بذلك الاسبوع الرائع الذي قضيناه على شاطىء البحر في استوريل ... والمخابرات تعرف بأن آستوريل هو شاطىء حديث على بعد عدة كيلو مترات من لشبونة ، وهو مكان هام للقاء الجواسيس الالمان .

عقد اجتماع على مستوى رؤساء فروع المخابرات وجرت مناقشة الموضوع من جميع نواحيه بحيث عرف الآن أن الجاسوس دخل مدينة نيويورك قادما من لشبونة . وكيف للمخابرات أن تعرفه من بين آلاف القادمين من الاميركيين ، والاجانب ، لا يوجد صورة ولا بصمات ؟ عند ذلك اقترح أحد المحققين قائلا : بأن كل شخص يدخل الولايات المتحدة عليه أن يملأ تصريحا للجمارك بخطه[1] والجاسوس (طبعا) ملأ مثل هذا التصريح لدى قدومه ، ولدى المخابرات نماذج عديدة من خطه (توقيعه على الرسائل باسم/فريد لويس) ، وما عليهم سوى مراجعة مصلحة الجمارك في نيويورك للاطلاع على التصاريح ، ومقارنه خطوطها بخط/فريد لويس/، وحالا انطلق رجال المخابرات من خبراء الخطوط وبدأوا بفحص ألوف التصاريح الجمركية ، وكانت نسبة القادمين من البرتغال الى

---

(١) تنصح أيضاً رؤساء المخابرات العربيـــة بالاستفادة من بطاقات الدخول والخروج للبلاد التي يملؤها الاجانب للمقارنة عنـد مصادرة أي رسالة مشبوهة وعند الضرورة .

نيويورك أكبر نسبة ، وكانت تصاريحهم مكتوبة باللغات : الروسية ـ الالمانية البولونية ـ الفرنسية ـ الهولندية ـ اليثوانية[1] وكانت جميع التصاريح تدرس بعناية ، وخلال أيام كان الخبراء يشقون طريقهم بين جبال من التصاريح الجمركية بدون تعب أو ملل •

النتيجـــة :

مساء ٩/٦/١٩٤٣ في الساعة التاسعة : وبينما كان أحد الخبراء يفحص لتصريح رقم /٤٨٨١/، وبعد تركيز عدسته على التوقيع شعر بارتياح شديد ، وان تعبه وتعب زملائه قد أثمر ، فانطلقت صيحة انتصار قفز لها زملاؤه حيث تجمعوا حوله وشاهدوا الصيد الثمين بيده ، شاهدوا التصريح الذي سيرشدهم الى ضالتهم الى (الجاسوس) الذي أمضوا الليالي الطويلة في البحث عنه ، وقد سجل بالتصريح ما يلي :

الولايات المتحدة الاميركية
وزارة الماليـة
ادارة الجمارك في مدينة نيويورك

تصريح رقم /٤٨٨١/
الاسم : أرنست ف ليهميس
الجنسية : ألماني
الزوجة : ميريل دايك
الاولاد : لا يوجد
أشياء تجارية مطلوب التصريح عنها : لا يوجد

---

(١) فحص الخط علم صحيح تعتمده المحاكم استنادا لتقارير خبراء الخطوط وشكل حرف واحد يمكن أن يكون الدليل على كاتبه • وقد اعتقلت المخابرات العربية أحد المشبوهين لارساله رسالة بتوقيع مخبر صادق يتهم فيها بعض الناس بالعمالة بعد أن استكتبته مع مجموعة من زملائه وكشفت خطه بعد ذلك •

نوع العمل : متقاعد
قادما من : لشبونة .
العنوان :
١ ــ الفندق ــ نيويورك فندق كونتيننتال ــ الشارع ٥٩ ــ هاتف/٦٤٣٨٩٢/٠
٢ ــ الاقارب : لا يوجد .

التوقيع

بعد هذه النتيجة المرضية توجه فريقان من المخابرات ، فريق الى مقر الدفاع السلبي للتأكد من وجود الجاسوس ضمن أعضائه ، والفريق الآخر توجه الى الفندق الذي نزل فيه الجاسوس لدى حضوره . فتبين أنه غادر الفندق ، ولم يعرف له عنوان . بينما كان يتردد لاستلام بعض الرسائل ، أما الفريق الاول فقد عثر على العنوان الكامل للجاسوس في سجلات الدفاع السلبي ، وكان يقطن في ١٢٣ اكسفورد بالاس توبكنسفيل . ستاشين ايلاند ــ نيويورك وبعد نصف ساعة كان رجال المخبرات يتوجهون الى العنوان لمشاهدة (الهدف) ، وهو بلغة المخابرات الجاسوس . وأمضوا ليلتهم يراقبون المنزل ، وفي الساعة السابعه من صباح اليوم التالي خرج من الباب رجل طويل نحيل يضع نظارتين سار مسرعا عبر الشارع ودخل الى مطعم غير بعيد عن منزله .

لحق به رجال المخابرات دخلوا المطعم الذي كان مزدحما بالبحارة والجنود رغم هذا الوقت المبكر فوجدوا (الهدف) وقد وضع على وسطه (مريلة قذرة) وراح يمسح الارض بالماء والصابون بشكل لا يلفت النظر ، متنقلا في عمله هذا بين الطاولات التي جلس اليها الجنود ، يتحدثون عن مهماتهم ومواعيد سفرهم (بعفوية) ظاهرة دون أن يعرفوا أن هناك من يسترق السمع اليهم ...؟

ترك أرنست تحت المراقبة الدقيقة ، بينما كانت الادلة تجمع من حوله دون أن يشعر سألت المخابرات الجيران عنه ، وكان يلقب بينهم بـ (ايرني) ، وكانت أجوبتهم كلها لصالحه من شدة ما اكتسب من شعبية خلال مدة اقامته .

نماذج من أجوبة الجيران :

جواب سيدة : ايرني أنا أعرفه جيدا انه رئيس جزيرتنا ، يجب أن تسمعه أثناء

التدريب على أعمال (الدفاع المدني) وهو يصرخ بأعلى صوته على أولئك الذين لا يخفون أنوارهم .

جواب جار له : ايرني رجل شهم مات كلبه في الصيف الماضي ، فحزن عليه وكأنه فقد صديقا عزيزا .

جواب ثالث : ايرني ليهميس طبعا أعرفه عنده أجمل حديقة في المنطقة .؟

جواب رابع : أعرفه ومن سوء الحظ أن البنك العقاري حجز له منزله ؟

جواب خامس : أعرفه طبعا لان من عادته أن يتوقف عندي ليشرب كأسا من البيرة قبل عودته للمنزل .

جواب سادس : ايرني جاري انه شخص في غاية الهدوء . هوايته تربية الطيور ، وينوي شراء مزرعة لتربيتها .

جمعت هذه المعلومات التي أتت مطابقة لما جاء في رسائله، ووضعت في ملف يحوي الرسائل التي صودرت تباعا منه ، وعلى وجه جميع هذه الاوراق (موافقة النائب العام) باعتقاله ؛ وهذا بكل هدوء وبعد سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام بعد ضبط المراقبة البريدية للرسالة الاولى توجهت مفرزة من المخابرات الى منزله صباح ١٩٤٣/٦/٢٧ في الساعة الثامنة (حسب الاصول القانونية)، وطلبوا منه مرافقتهم الى المركز ، وهناك وضعوا رسائله أمامه مع الادلة الدامغة ، فاعترف اعترافا صريحا وقعه بيده ، بأنه حضر لاول مرة الى الولايات المتحدة عام ١٩١٨ بصفة موظف في القنصلية الالمانية في نيويورك ، ثم سافر عدة مرات الى المانيا ، وأخيرا استقر في المانيا فترة طويلة حتى عام ١٩٣٨ وخلال اقامته (جندته) المخابرات الالمانية (الجستابو) للعمل لصالحهم ، وجرى تدريبه على استعمال الكتابة بين السطور وبالحبر السري ، وسائر وسائل التجسس وأمروه بالعودة للعمل في نيويورك ، لانها ستكون مقر عمله الجديد ، وفعلا سافر اليها في ربيع ١٩٤١ . ومن جملة ما درب عليه أن يسعى لايجاد وظيفة أو صفة رسمية له (فوجد الدفاع السلبي) ، وأن يكون مواطنا طيبا (فأحبه جميع الجيران) حسب الخطة الرسمية.

وفي اعترافاته اتهم جاسوسا آخر يدعى اورين هاري دي سبرتير وحوكم الاثنان أمام محكمة عسكرية ، حكمت على كل منهما بالسجن لمدة ثلاثين سنة ،

واتضح بعد القاء القبض عليه أنه لعب دوره باتقان لان معظم الجيران تقدموا الى زوجته بعد اعتقاله ، مواسين مؤآزرين ، وقدموا لها الهدايا •

واخبرها أحد الجيران قائلا أن ايرني لا يمكن أن يلحق الاذى بذبابه لذلك فانه يوجد خطأ ، وأن الامر ليس خطيرا •

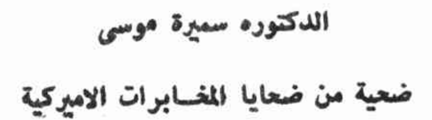
ومع ذلك فقد كان اعتقال هذا الجاسوس عملا من أعظم أعمال مكافحة التجسس حققته المخابرات الاميركية ابتداء من موظف مراقبة البريد الى خبراء الخطوط وجميع من عمل بهذه القضية • لان اعتقال جاسوس يعيش في ترف أمر عادي ، ولكن اعتقال أرنست أمر غير عادي لانه كان يعمل كغطاء لتجسسه (خادما) في مطعم ، ويلبس أحذية كاوتشوكية من الجنس الرخيص ، ويركب المترو أو يسير على قدميه ••

واذا تابعنا تقصي عن كل مايقال أو يسجل عن المخابرات المركزية الاميركية لوجدنا عشرات القصص عن منجزاتها ، التي تتسم دائما بطابع معرفة كل شيء عن الدول المحيطة بأميركا خاصة الدول الشيوعية ، وقد حصلنا من مصدر موثوق على أن المخابرات الاميركية كانت تخطط منذ قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ على عدم السماح لمصر بالتطور والتقدم • وهي تثبت استطلاعها على حالة كل دولة من دول العالم على حدة سلفا ، حتى قررت هذه المخابرات حرمان مصر من أي عالم يتخصص في الذرة• وبدأت بتنفيذ مخططها هذا بطلب معلومات من عملائها في القاهرة عن أسماء المهندسين الذين يرسلون في بعثات دراسية للخارج ،ويختصون

ـ من مهام المخابرات الاميركية توصية الاميركيين بالحذر ، وكان يحدث أثناء الحرب العالمية الثانية أن يبوح ضباط موثوقون بأسرار عسكرية (هامة) لنساء يلتقون بهن في النوادي الليلية والمراقص بداعي حب الظهور أمامهن ، لذا فقد عمدت المخابرات الاميركية الى استخدام بعض نساء الليل من الارتيستات الحسناوات لهذا الغرض ، وكن يخرجن مع الضباط ومن تجد صديقها (ثرثارا) يتكلم عن مهماته تبلغ عنه حالا فينتقل من مركزه استنادا الى الاخبار الموثوقة عنه بأنه غير أهل ليكون في مركز ذي أهمية (خاصة) •

بالذرة وغيرها مـــن العلوم الحيويــة ، حتى طالعتنا الصحف الصادرة في شهر أغسطس عام ١٩٥٢ بخبرا مفاده أن الدكتورة المصرية(سميرة موسى) لقيت حتفها في حادث سيارة على طريق كاليفورنيا ، وأن البوليس الاميركي حقق بالحادث واتضح أنه حادث غامض [١] ، واذا تحرينا حقيقة ماحدث وجدنا أن الدكتورة سميرة اتجهت في طريق كاليفورنيا صباح ١٥/ ٢/ ١٩٥٢ . وفي منتصف الطريق وقع الحادث حيث قفز الصديق الذي كان يرافق سميرة من السيارة. وبقي سليما معافى . بينما هوت السيارة الى وادٍ سحيق . ولدى وصول البوليس كانت سميرة جثة هامدة .. وبعد الحادث اصدرت السفارة المصرية في واشنطن بيانا صحفيا جاء فيه : أن الآنسة سميرة موسى الطالبه في جامعه اوكردج قتلت في حادث سيارة على طريق كاليفونيا ، بعد أن أتمت دراستها ، وكانت تقود سيارتها الخاصة عند وقوع الحادث . الى هنا فينتهي الحادث على الصعيد الرسمي ، أما بالنسبة لنـــا فالحادث حسبما عودتنا المخابرات الامريكيــة وعميلتها المخابرات الاسرائيليةهوامتداد لتآمرهماعلى النبوغ العربي خصوصا وأن الدكتورة سميرة





الدكتوره سميرة موسى

ضحية من ضحايا المخـابرات الاميركية

(١) مثل حوادث قتل العلماء والطيارين البارزين العرب في الولايات المتحدة والتي يفيد فيها البوليس الاميركي أنها حوادث غامضة ... الخ دائما ..

موسى سبق أن أعلمت ذويها قبل الحادث بمدة أنها تستعد للقيام بدراسات في غاية الاهمية بعد عودتها الى مصر وتخصصها في الذرة ، وكانت آخر مرحلة من مراحل دراستها هي زيارة معامل الابحاث الذرية في أميركا •

وهكذا حرمت مصر من هذه الدكتورة الاختصاصية في الذرة كما حرمت بعض البلاد العربية من خبرة علمائها وطياريها بنفس الطريقة المؤسفة •

المخابرات الاميركية تستعمل أحدث كاميرات التصوير :

بدأت أجهزة المخابرات في العالم وأولها المخابرات الاميركية تستعمل آلة تصوير جديدة تعمل بواسطة الاشعة تحت الحمراء • ومن ميزات هذه الآلة الدقيقة التقاط الصور في أشد الامكنة ظلمة دون اللجوء الى الخاطف الضوئي ـ الفلاش ـ الذي يملأ المكان نورا ؛ ويفضح المصور هذه الآلةاسمها - (Infrorib)

قياس ٣٥ ملم ، والى جانب العدسة يوجد كاشف ضوئي ، ولكن ضوئه غير مرئي بسبب تغطيته بمرشح (فلتر) أشعته تحت الحمراء •

ـ الذي يمنع مرور أشعة الضوء المرئية من خلاله ، وهي التي تمكننا من رؤية الاشياء بالعين المجردة ولايسمح هذا الفلتر سوى للاشعة ماتحت الحمراء باختراقه والى جانب العدسة فلاش مغطى أيضاً بمرشح أشعة ماتحت الحمراء،وعند تسليط الضوء على اتجاه فاننا لانرى أي أثر للضوء المنبعث منه ، ولكننا اذا نظرنا من خلال عدسة الكاميرا شاهدنا الشيء المراد تصويره أو الموجهة الكاميرا عليه وكأننا نراه في وضح النهار •

أما اذا حولت نظرك عن العدسة فانك لن ترى شيئا سوى الظلام أما عمليه التصوير بطريقة الاشعة تحت الحمراء فليست جديدة بالنسبة لدوائر المخابرات ، وكلنا نذكر الطائرة ـ يو ـ ٢ ـ التي أسقطت في روسيا ، وكانت مجهزة بآلة تصوير من هذا النوع وباستطاعتها التقاط الصور من علو شاهق • وقد علمنا أن ثمن هـذه الآلة يبلغ ٢٤٠٠ جنيه استرليني ووزنها ٦ كيلو غرامات وبامكانها التصوير من مسافة ٢٥ مترا وعند استعمالها يجب تركيزها على ثلاث قوائم لمنع الاهتزاز الناتج عن طول البعد البؤري لعدسة ـ ٣٠٠ـ ملم ، أما الفيلم المستعمل لهذه الاله فهو من نوع (High - Speed - Infra - Red)

عودة إلى صناعة المخابرات في أمريكا

« على عينك يا تاجر »



باري غولد ووتر عضو مجلس الشيوخ الامريكي يفحص مسدسا حديثا وزعته المخابرات الامريكية

بعد حرب حزيران وضرب باخرة التجسس الاميركية (ليبرتي) من قبل اسرائيل ، واعتذار اسرائيل رسميا وقبولها دفع قيمة التعويض عن مقتل بعض بحارتها واصلاحها • أشيع كما هو معروف أن اسرائيل ضربت ليبرتي لتغطية نقلها الاشارات والمكالمات الهاتفية البرية لها • ولكن بالحقيقة التي اطلعنا عليهامن مصادر موثوقة أن اقتراب ليبرتي في حينه من الشواطىء العربية لم يكن بنيه الاستطلاع لصالح اسرائيل بل كان لغاية رصد البواخر السوفييتيةوحركاتها.لان ذلك من أولى مهمات ليبرتي وعشرات البواخر مثلها والموزعة في بحار العالم،حتى جاءتنا الاخبار بأسر باخرة مماثلة لليبرتي تدعى (بويبلو) من قبل البحرية الكورية الشمالية في المياه الاقليميةلكوريا الشمالية،وهي تقوم بالتجسس باعتراف قبطانها الذي أظهر مع بحارته أسفه للسطات الكورية التي أحسنت معاملتهم • ولم تفرج عنهم حتى تقدمت أميركا باعتذار رسمي ، ثم سحبته بعد أن أطلقت السلطات الكورية الشمالية سراح البحارة •

ولم توقف أميركا تجسسها بطبيعة الحال على كوريا الشمالية بحرا وجوا حتى جاءتنا الاخبار مجددا بخبر اسقاط طائرة تجسس أميركية نوع أي سي ١٢١ بعد أن اخترقت المجال الجوي الكوري ، وهي على ارتفاع شاهق • وقد سقطت هذه الطائرة في بحر اليابان فسارعت قطع الاسطول الاميركية الموجودة في اليابان للتفتيش عنها • وقد شاركتها بصفة انسانية بعض قطع الاسطول السوفياتي هذا

المعدات الاكترونية . ويتألف طاقمها من (٣١) شخصا معظمهم من المختصين بشؤون الرادار • تبلغ سرعتها ٣٠٠ ميل في الساعة ولها قدرة على التحليق الى علو ٢٥ ـ ألف قدم ومهمتها الاساسية معرفة قدرة الرادار عند العدو ومدى ذبذبته ومن مهماتها الثانية الانصات الى الاتصالات اللاسلكية ومن مسافات بعيدة • وكذلك معرفة أمكنة محطات الرادار •••

واذا تابعنا هذه الطائرة يوم اسقاطها لوجدنا أقلعت من قاعدة آتسوغي البحرية في اليابان[1] وكانت خلال طيرانها (من ابتداء الاقلاع الى بدء عمليه التجسس في المرور فوق الاراضي الكورية الشمالية) على اتصال لاسلكي بالقاعدة•وبالرغم من أنها مزودة بأجهزة الكترونية تخولهامعرفة اقتراب الطائرات العدوة منها واعلام القاعدة بذلك الا أنها لم تبعث بأي اشارات مما يدل على دقة عملية اسقاطها من قبل الكوريين الشماليين •

وقد علمنا أن المخابرات المركزية الاميركية دأبت على ارسال مثل هذه الطائرات للتجسس منذ عام ١٩٥٠ •

كما برعت المختبرات التابعة للمخابرات المركزية في تقديم كل جديد ومفيد فيعلم التجسس كما تقدم وكالة الفضاءالاميركية الاقمارالصناعية التي تدورحول الكرة الارضية بسرعة ١٩ ألف كيلو متر في الساعة ، وآخرها كان (سوموز) ، الذي يصور كل شيء يمر فوقه خصوصا في الاتحاد السوفياتي والصين ، وأن الكاميرا المثبتة فيه تصوير السيارات الواقفة في الساحة الحمراء في موسكو • وهذا القمر يستمر تحليقه مدة أسبوع في الجو ، وعندما يصل الى منطقة معينة فوق المحيط فانه يلقي أتوماتيكيا الفيلم الجاهز به لتلتقطه باخرة من بواخر

---

(١) يوجد عدة قواعد أميركية في اليابان والشعب الياباني غير راض عنها وقد قامت عدة مظاهرات ضد هذه القواعد كان آخرها المظاهرة التي قام بها عشرة آلاف ياباني أمام قاعدة (اوكيناوا) التي تحوي وتنطلق منها اسراب القاذفات الاميركية (ب ٥٢) • وقد حاول المتظاهرون اقتحام القاعدة ، ولكن الشرطة اليابانية صدتهم ، وجرحت عشرة منهم واعتقلت عشرين •••

التجسس الاميركية ، وفي حالة حدوث أي خطأفي القاء الفيلم في المكان المخصص أو عدم وجود الباخرة فان الفيلم يذوب بفعل انطلاق مواد كيماوية جهز بها خشية وقوعه في يد السوفييت أو غيرهم • وهذا القمر باستطاعته التقاط مكالمة هاتفية تجري بين رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي في موسكو ورئيس وزراء المجر في بودابست • ومع أن هذا القول مبالغ فيه لكن ليس من المستبعد أن تصل دقة أقمار التجسس الى هذا المستوى ان عاجلا أو آجلا ••••

عودة الى رجل المخابرات الاميركي :

المئات من المثقفين الاميركيين جرى ويجري ادخالهم الى المخابرات المركزية الاميركية عن طريق اعلانات عن وظائف مدنية في وزارة الدفاع الاميركية • ومن ثم يجد المتقدم الذي يحوز رضى المسؤولين نفسه في كادر المخابرات ••• ومن جهة ثانية فان بعض رؤساء الاقسام المختلفة في المخابرات يقومون بادخال اشخاص يتم اختيارهم وعلى مسؤوليتهم الخاصة ، ولا فرق في أن يكون الشخص المختار أبيض أو أسود لأن مجال التجسس مفتوح للجميع ويتم اختيار هؤلاء الرجال بدقة تامة • ومن الصفات المطلوبة في هؤلاء أن يكون الشخص الذي يقع عليه الاختيار ذا وجه (عالمي) مثل الايطالي أو المكسيكي أو اللبناني • وأن يكون رياضيا ويستحسن أن يكون قد خدم في القوات المسلحة • وأن يكون غير عاطفي وحتى غير مثالي ويفضل من يكون متزوجا وصاحب عائلة لكي لايؤثر عمله على أعصابه فيرهقها • واذا أحب القاريء الكريم معرفة رجل المخابرات الاميركية عن كثب فيجده شخصا يشبه الى حد ما أبطال الافلام الذين نشاهدهم مع بعض الاختلاف بوجود قسم منهم يضع الغليون في فمه ويرتدي الملابس الوسيمة (ذات الفتحة من الخلف وبعضهم فتحتين) يحملون مسدساتهم تحت ابطهم (طبق الاصل كما نشاهد أبطال السينما) • وهم حريصون على حركاتهم وتنقلاتهم بسبب ازدياد النشاط المضاد لهم من قبل المخابرات السوفياتية في عقر دارهم ، حتى قيل أن أحدهم عندما يتحدث يصدر عنه بعض الحركات الصبيانية مثل وضع يده على فمه (لاعتقاده بأن شخصا يصوره) كما يوجد لديهم عقدة الخوف من التقاط صورهم حيث يعتقد كل منهم بأن شخصا يصورهم من عمارة قريبة أو من سيارة عابرة •

كما أن المخابرات المركزية الاميركية تسارع الى استئجار الشقق المقابلة للمكاتب والشركات ومنازل من تشك بعمالتهم • فاذا شاهد المواطن الاميركي نافذة مغلقة فانه يهز رأسه ، وهو يعرف أن أصحاب المنزل لم يهجروه بل أن هناك وراء النافذة من يسترق النظر بأحدث ما وصل اليه فن العدسات المكبرة •

أما اذا شاهد المواطن الاميركي بائع علكة يقف بجانب السفارة السوفياتية بواشنطن فانه لايتعجب لان أحد بائعي العلكة استطاع أن يلتقط من الهواء ورقة رماها ضابط أميركي من سيارته لتقع في حديقة السفارة • ولدى فحص هذه الورقة في مقر المخابرات وجد أن هذا الضابط يعرض بيع أسرار للسفارة السوفياتية • ورقي بائع العلكة في حينه من جاويش (رقيب) الى رتبة لفتنانت (ملازم) نظير هذه الخدمة (وبقي في مكانه بائع علكة) •

ومنذ مدة سمعنا احتجاجا قدم في الكونغرس الاميركي الى المسؤولين عن المخابرات ، لان آلة ارسال بحجم حبة الزيتون وضعت في كاس زبون بار بالخطأ مما أدى الى كسرضرسه•كما تستعمل المخابرات نوعا من علب السجائر فيها آلة لاقطة لنقل حديثك الى مسافة ٢٠٠متر، وتستعمل أيضا نوعا من أقلام الحبر ينقل الصوتويغلقتلقائياعندما لايكونهناك صوت وقداستعمله أحدموظفيالمخابرات أثناء مراقبته أحد العملاء ، فلم ، يسجل خلال يومين سوى صوت عصفور هذا العميل • ولدى سماع ذلك الى المسؤولين استغرقوا في الضحك المرافق لخيبة الامل ودرجت المخابرات الاميركية على ارسال راديو مع تحيات شركة وهمية ـ دعاية الى الشخص أو الهيئة المراد التجسس عليها ، ويكون هذا الراديو عبارة عن جهاز لاقط[1] للاستماع الى مايدور في الغرفة أوالمكتب الذي يوضع فيه • ونظرا لان هذه الوسائل مع جدتها اصبحت معروفة من قبل المواطنين حتى أن معظمها

---

(١) عممت وزارة الخارجية السوفياتية وبعض الدول الشرقية على بمثاتها التجارية والدبلوماسية عدم قبول مثلهذه الهدايا ، بعد أن كشفتالمخابرات السوفيتية الكثير منها (أو ارسالها الى مقر المخابرات السوفياتية فورا للاطلاع عليها ••)

ظهر في أفلام جميس بوند الجاسوسية لذلك نعتقد جازمين آن المخابرات الاميركية ماضية في تطوير أجهزة جديدة تضيفها الى دنيا التجسس الواسعه وسيأتي يوم ليس يبعيد تتمكن من الاطلاع على هذه الاجهزة وكشفها، كما كشفت الاجهزة السابقة والتي صرف العلماء جهدا عشرات السنين لاختراعها ...

ومن الاجهزة التي علمنا باجراء التجارب عليها الان جهاز يطلق أشعة الى منزلك فهذه الإشعة تعود حاملة كل كلمة قلتها لتوضع في جهاز تخرج منه شريطا ناطقا . (انها عجائب المخابرات ..) .

ومن تتبع حاجة المخابرات المركزية الاميركية الى مراكز لها في أنحاء العالم لتغطية ضخامة أعمالها وانشاءآتها التي تحوي الاجهزة الاكترونية الحديثة .وأهم مراكز المخابرات الاميركية في مدينة (أسمرة) عاصمة أرتيريا حيث شيدت قاعدة كاملة تحوي أحدث وسائل تتبع الاقمار الصناعية والتقاط الاتصالات الاكترونية والصور حيث يوجد في هذه القاعدة (قبة) ، تشبه القباب المشيدة في المراصد العالمية . وتحت هذه القبة تقع أحدث غرفة عمليات وتجسس في العالم ، منها تصدر الاوامر الى الطائرات والسفن وتوجه الصواريخ عند اللزوم . كما علمنا أنه يوجد في هذه القبة (زر أحمر)، وبمجرد الضغط على هذا الزر بأمر من رئيس الولايات المتحدة تنطلق عشرات الصواريخ والطائرات المحملة بالقنابل الذرية الى أهداف معينة لها في أراضي الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية.ومن الطبيعي أن مثل هذه القاعدة الهامة تكون لها حراسة قوية ، حيث أختير المكان الذي أنشئت عليه في موقع استراتيجي يرتفع ٣ آلاف متر عن سطح البحر ، وفي أعلى جبل شاهق قد أحيط بشبكة من الالغام والاسلاك المكهربة هذه الاسلاك تطلق صفارات انذار لدى ملامستها عدا عن خطر الكهرباء منها .

ويلاحظ من يقترب من القاعدة عشرات اللافتات المكتوبة بالانكليزية والعربية ـ والاريترية ـ بأنه ممنوع الاقتراب والتصوير . ومن يخالف التعليمات يرمى بالنار بدون انذار .

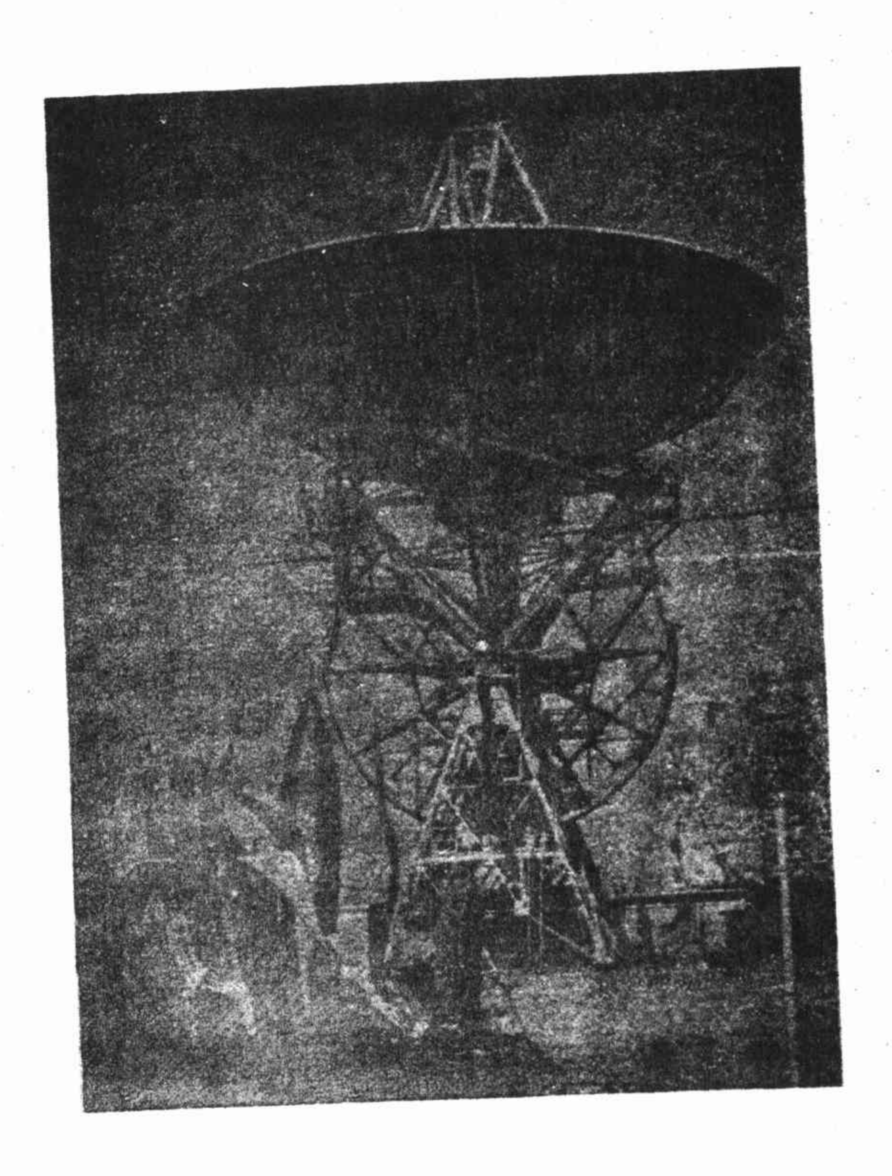
أهمية القاعدة

هذه القاعدة واحدة من القواعد الاميركية المنتشرة في أنحاء العالم : في الظهران ــ في ليبيا سابقا ــ في اسبانيا ، وغيرها من البلاد التي تقع تحت السيطرة الاميركية بأي شكل ، وينحصر عملها في جمع المعلومات والتقاط الشيفرات والمخابرات السرية لاي دولة تقع شبكة اتصالاتها اللاسلكية على مقربة من القاعدة أو في مجال (التقاط أجهزتها) البالغ في بعض الاحيان مئات الاميال • ويوجد في هذه القاعدة عشرات الاختصاصيين الاميركيين مستعدين في أي لحظة لفك رموز أي رسالة • كما ترصد تحركات القطع البحرية المعادية (السوفياتية) والطائرات ، كما أن لهذه القاعدة اتصالات مع جميع القواعد في العالم • وبحكم موقعها الجغرافي يمكنها التحكم في مضيق باب المندب على البحر الاحمر ، والسيطرة على أي تحركات في البحر الابيض المتوسط وعلى جزء كبير من أراضي آسيا وافريقيا • وهذه القاعدة هي همزة الوصل بين وزارة الدفاع الاميركية (البنتاغون) في واشنطون وبين طائرات ب ٥٢ التي تطيرحول الاتحاد السوفياتي بحزام وهي تحمل القنابل الذرية والهيدروجينية •

وبين البنتاغون وبين قطع الاسطول الاميركي المؤلف من سفن حربية وغواصات (بولاريس) حاملة الرؤوس النووية وبين جميع قواعد الصواريخ الاميركية الموزعة في أنحاء العالم •

دور قاعدة (اسمرة) في حرب حزيران العدوانية ضد العرب :

أما بالنسبة الى حرب حزيران العدوانية التي شنتها اسرائيل بما عرف عنها من غدر وخسة وتواطؤ مع المخابرات المركزية الاميركية كان أهمها دور هذه القاعدة في تسليم المخابرات الاسرائيلية صور المطارات في جمهورية مصر العربية وباقي البلاد العربية هذه الصور التي التقطت بواسطة الاقمار الصناعية الاميركية وطائرات التجسس التي أسقط الروس احداها ــ وكانت هذه القاعدة في حالة تأهب لدى الهجوم الاسرائيلي الغادر على البلاد العربية ، وكانت على اتصال مباشر مع الطائرات الاسرائيلية المتوجهة الى مطارات ج م ع والعائدة بعد القصف•



أحد أجهزة الارسال اللاسلكي الضخمة في أسمرة. وقد استعمل أثناء حرب حزيران ١٩٦٧ لصالح اسرائيل.

ولسنا بمغالين اذا قلنا بأن المسؤولين في هذه القاعدة هم الذين حددوا لاسرائيل الوقت المناسب للعدوان،وحددوا للاسراب الاسرائيلية الطريق المناسب لتحاشي شبكات رادار مصر . وأيضا فان هذه القاعدة أول من علم بتعرض سفينة التجسس (ليبرتي) للضرب من قبل الطائرات والسفن الاسرائيلية حيث تلقى المسؤولون فيها اشارة الاستغاثة الوحيدة من السفينة كما أن نفس المسؤولين تلقوا أول اشارة من سفينة التجسس (بوبيلو) أيضا التي أسرها الكوريون الشماليون فيمياههم الاقليمية ، ونقلوا هذا الخبر رأسا الى الرئيس الاميركي (جونسون) في حينه . يضاف الى كل ميزات هذه القاعدة بأن الخط التلفوني الاحمر بين البيت الابيض وقصر الكرملين يتم الاتصال به عن طريق هذه القاعدة. وهذا الخط لا يستعمل الا عند الضرورة القصوى أي لدى وجود خطر يهدد بنشوب حرب عالمية[1] .

ويستنتج مما تقدم عن أهمية هذه القاعدة وخطورتها أنه من المحتمل في يوم من الايام أن تكون السبب في تدمير العالم لان وجود (الزر الاحمر) في هذه القاعدة الذي يكفي الضغط عليه لتنطلق أسلحة الدمار الموجهة الى أراضي الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية . وبطبيعة الحال فان الاتحاد السوفييتي ومخابراته تعرف كل ذلك وتعرف أن عشرات طائرات (ب ٥٢) تحوم حوله ليلا نهارا ، ولذلك نجد في الطرف الآخر أي المعسكر الشرقي (تلفونا أحمر) في الكرملين هذا التلفون في غرفة العمليات . ويكفي أن يعطي آمرا مؤلفا من كلمتين في هذا التلفون لتنطلق عشرات الصواريخ السوفياتية المحملة بالرؤوس النووية متوجهة من جميع قواعد حلف وارسو الى اهداف لها لا تحيد عنها ، بينما تتكفل صواريخ ثانية طورت خصيصا لاصطياد الطائرات المغادية ، وخصوصا « ب٥٢ » التي يلاحقها الرادار السوفياتي ليل نهار . وهكذا نجد أن من الممكن قيام حرب عالمية ثالثة في أي لحظة . ويكون النصر في هذه الحرب لمن يسبق من المعسكرين المتصارعين الآخر « ٣٠ ثانية فقط » هي المدة الزمنية الكافية لوصول الامر

---

(١) علمنا ان هذا الخط الذي أنشيء بعد غزو كوبا الفاشل استعمل أثناء حرب حزيران (٢٠) مرة .

باعلان الحرب • أما بالضغط على « الزر الاحمر » أو في رفع سماعة (التلفون الاحمر) الا اذا توصل المسؤولون عن مصير العالم الآن الى اتفاق للعيش بسلام واتفاقيات للحد من الاسلحة النووية وحصرها بل واتلاف معظمها ، لكي تطمئن الشعوب على مصائرها • ويلتفت بنو الانسان الى العيش برخاء وهناء وتحويل هذه المجهودات الى الوصول الى المريخ[1] وغيرها من الكواكب ، لعلنا نجد في احدى هذه الكواكب جيرانا لنا ينتظرون منا البدء بزيارتهم ليردوا لنا الزيارة وليس على العلم بعسير من مجيء يوم تصبح المقاعد محجوزة سلفا في رحلات سياحية الى القمر • وهذا ما حصل فعلا في أميركا فقد حجز حوالي ٢٠٠ شخص محلات لهم لدى احدى وكالات الطيران للسفر الى القمر في المستقبل •

السوفييت يسقطون احدث طائرات التجسس الاميركية :

الكابتن (فرانسيس غاري بورز) قائد طائرة التجسس الاميركية (٢ـ ى ـ ٤) يعتبر أحدث جاسوس في العصر الحديث لانه لم يضطر الى التنكر أو التدرب على لغات وعادات بلاد ثانية ، ولم تجر له أي عملية تغيير معالم على وجهه ، ولم تعط له تعليمات الالتقاء مع جواسيس آخرين وكلمات تعارف واحتياطات أمن مطلقا • كل ما هنالك أنه كان طيارا ممتازا كلفه رؤساؤه باداء بعض المهمات الخاصة ، حيث ارتفع راتبه الشهري من ٧٠٠ دولار الى ٢٥٠٠ دولار ، وأصبح يرتدي اللباس المدني عوضا عن الملابس العسكرية • ثم أجريت له بعض التدريبات الخاصة ، وأرسل للانضمام الى سرب من الطائرات الاميركية الخاصة في (أضنة) في تركيا ـ ومنحوه الرقم (١٥) • وهناك أفهمه رؤساؤه بأن عليه الطيران على طول الحدود السوفياتية للحصول على المعلومات والصور التي تلتقطها طائرته لمواقع الرادار ـ والصواريخ والراديو •

---

(١) جرى ما توقعنا فعلا حين التاليف وهاهي مركبة الفضاء (فايكنغ ١) الاميركية قد هبطت على سطح المريخ ، ونقلت عينات من ترابه واحجاره ثم لحقت بها مركبة أخرى (فايكنغ ٢) ، وهبطت أيضا فوق سطح المريخ في الساعة الثالثة بتوقيت هرينتش صباح الجمعة ١٩٧٦/٩/٣ عند الدرجة ٤٧٥١ من خط العرض الشمالي لتكمل اكتشاف مجاهل هذا الكوكب البعيد •• ؟

ومن (أضنة) بدأ رحلاته التجسسية حول الاتحاد السوفياتي بطائرته المجهزة تجهيزا خاصا ، يمكنها من الارتفاع في الجو حتى ٢٠ ألف قدم . كما كانت تحتوي على آلات خاصة لالتقاط الاشارات اللاسلكية وخزنها . ثم جرى نقله بعد ذلك الى (بشاور) في الباكستان ليقوم بنفس عمله في قيادة طائرة (٢ ــ ى ــ ٤) فوق الاتحادالسوفياتيوهذه المرة منجنوبه الىشماله ثم النزول في (بورو) من أعمال النرويج ، وفيها قاعدة أميركية ليقدم ما عنده من الافلام ومن ثم يعاود طيرانه بالعكس وهكذا ..

أما اذا فحصنا طائرته الـ (٢ ــ ى ــ ٤) وجدنا فيها من أحدث المخترعات التي وصل اليها العقل البشري (لم يسمح سلاح الطيران الاميركي بنشر صورة لها . وقد نشرالسوفييت حطامهافيالمعرض الذي أقاموه لاتاحة الفرصة للمواطنين السوفييت للاطلاع على حطامها) . فهذه الطائرة مجهزة بآلات تصوير تستطيع التقاط أدق الصور ولو كانت تبعد آلاف الاميال ، كما كان باستطاعة الطيار الضغط على زر صغير فتتحرك الكاميرا التي تصور كل ما يبدو تحتها من المناظر في الارض السوفييتيةوكانتهذه الكاميرا آية في الدقة والاتقان ــ بالاضافة الى كاميرا تحمل الرقم (٧٣ــ ب) تستطيع التصوير ، والطائرة تسير بسرعة ألف كيلو متر في الساعة وبدقة تامة . هذا من جهة أدوات التجسس فيها . أما بالنسبة للاحتياطات المتخذة من أجل عدم اطلاع العدو على الدقائق الميكانيكية فيها فهي تحتوي على مادة ناسفة تنسفها حالما يتمكن الطيار من الهبوط منها بمظلة الامان. غير أن الكابتن نفسه يحمل سما قاتلا ، عليه استعماله عندما يشعر بالخطر يحدق به ، ولكيلا يعترف بشيء عن مهمته نتيجة تعذيب . أما اذا اضطر للهبوط في مكان بعيد ووجد باستطاعته النجاة فما عليه الا ارتداء لباس الفلاحين الذي يحمله مع بعض النقود السوفياتية وبعض القطع الذهبية ، والساعات لاستعمالها (رشوة) لمن يساعده . بالاضافة الى حمله (مسدسا حديثاكاتما للصوت)، وبعض الاغذية الضرورية المصغرة (بعضها حبوب فيها غذاء كامل) مصباحا كهربائيا ــ وزورقا ينفخ بالفم لاستعمالهفياجتياز نهر أو بحيرة[1] أو عند السقوط فيالبحر.

---

(١) منذ ابتداء عملي في المخابرات واطلاعي على أساليب وطرق التجسس وأدوات التجسس لم أعرف جاسوسا زود بمثل هذه المعدات سوى الكابتن (بورز) نظرا لاهميته.

منذ ابتداء طيران الكابتن (بورز) في ١ مايس١٩٦٠فوق الاتحاد السوفييتي، وهو يقوم بعمله خير قيام حيث أن رؤساءه طمأنوه الى أن لا الصواريخ ولا المدفعية المضادة السوفييتية تستطيع اصابة طائرته . وهي في هذا العلو الشاهق . ولكن حدث ما لم يكن بالحسبان اثناء وصوله الى منتصف الطريق في الاتحاد السوفييتي أصيبت طائرته وفقد السيطرة عليها فهوت من علو ٢٠ ألف قدم(كما ادعى السوفييت)، وعلى بعد أربعة آلاف متر من سطح الارض قفز منها (بورز) بالمظلة الواقية فوصل الارض سالما . وقبض عليه الاهالي الذين هبط في منطقتهم . ولم يقاوم بل لم يستعمل السم المزود به لمثل هذه الحالات[٢] . أما الطائرة فقد تحطمت لدى وصولها للارض فسارع السوفييت الى جمع حطامها واحضار طاقم الصاروخ الذي أسقطها ، واخذوا لهم الصور التذكارية . ومن ثم نقلوا حطام الطائرة الى معرض خاص افتتح في موسكو لمدة شهر شاهد فيه آلاف السوفييت طائرة التجسس الاميركية (٢ — ى — ٤) كل قطعة على حدة حتى أدوات ومسدس الكابتن (بورز) عرضت في هذا المعرض .

***

محاكمة الكابتن (فرانسيس غاري باروز) في موسكو :

نقل الكابتن (بورز) بعد اعتقاله الى مستشفى حيث عولج لمدة أيام ، ثم جرى نقله الى السجن العسكري ، حيث بدأت محاكمته فوجده القضاة يحب الكلام . وقد اعترف بأن رؤساؤه أخبروه عندما انتدبوه للعمل معهم ، بأن مهمته الاولى هي الطيران فوق الاتحاد السوفياتي للحصول على المعلومات ، وصور

---

(١) يوجد احتمالان لعدم استعماله السم والسلاح المزود به :

آ — حالة شبه الاغماء التي أصابته نتيجة اصابة طائرته ، وبالتالي صدمة هبوطه .

ب — حب الحياة وعدم رغبته في الانتحار في هذه اللحظات التي حاصره فيها الاهالي السوفييت وهم عزل من السلاح .

الراديو ومواقع الصواريخ • واعترف أمام قضاته السوفييت بأنه مذنب ، وأنه كان يعرف حقيقة مهمته التي كان مكلفا بها • وأنه وقع عقدا مع (ادارة المخابرات المركزية الاميركية) للعمل ، وان العقد ينص على أنه اذا أفشى سرا من الاسرار التي يشاهدها أو يطلع عليهـا أو يعلمها بحكم تعاقده مع المخابرات فسيعاقب بالسجن عشر سنوات أو بغرامة عشرة آلاف دولار أو بالعقوبتين معا •

وقد انتهت محاكمته في شهر آب ١٩٦٠ حيث حكم عليه بالسجن خمسة عشر عاما نظرا لاعترافه الصريح، وندمه[١] ومن ثم أنزلت العقوبة الى عشر سنين• واستغل « خروشوف » رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي حينئذ هذه الحادثة التي اعتبرها تعديا على الاتحاد السوفييتي بارسال أميركا طائرات تجسس علنا ، بينما اعترف الجنرال ايزنهاور الذي كان رئيسا للولايات المتحدة أن الطيران فوق الاتحاد السوفييتي هو من صميم السياسة الاميركية •

وبالطبع فان الكابتن (بورز) جرى تبادله مع جاسوس سوفييتي يدعى الكولونيل (آيبل)[٢] كان معتقلا في آميركا • وكان التبادل في شهر شباط ١٩٦٢[٣] •

وهكذا أسدل الستار على هذه الفضيحة التي شغلت الرأي العام أكثر من سنة لتضاف الى تاريخ التجسس الحديث وأعاجيبه •

---

(١) عقوبة الاعدام هي العقوبة المعروفة للجاسوس الذي يقبض عليه متلبسا في جريمته في اغلب بلدان العالم ما عدا الاعتبارات الثانية كوجود جاسوس محتجز لنفس الدولة لدى دولة الجاسوس كما جرى مع الكابتن (بورز) •

(٢) هو العقيد (رودولف ايفانوفيتش آبيل) من المخابرات السوفييتية العاملة في مدينة (بروكلين) في الولايات المتحدة ، وكان قد صدر عليه حكم لمدة ثلاثين سنة بايعاز من المخابرات الاميركية لان عقوبته في اميركا ايضا هي الاعدام • وبقي سجينا حتى جرى تبادله في ١٠/٢/١٩٦٢ مع الكابتن بورز في برلين •

(٣) يعمل فرانسيس باورز كطيار لطائرة هيلوكوبتر تابعة لادارة المرور في لوس انجلوس لتنظيم المرور من الجو •••

العميل المزدوج :

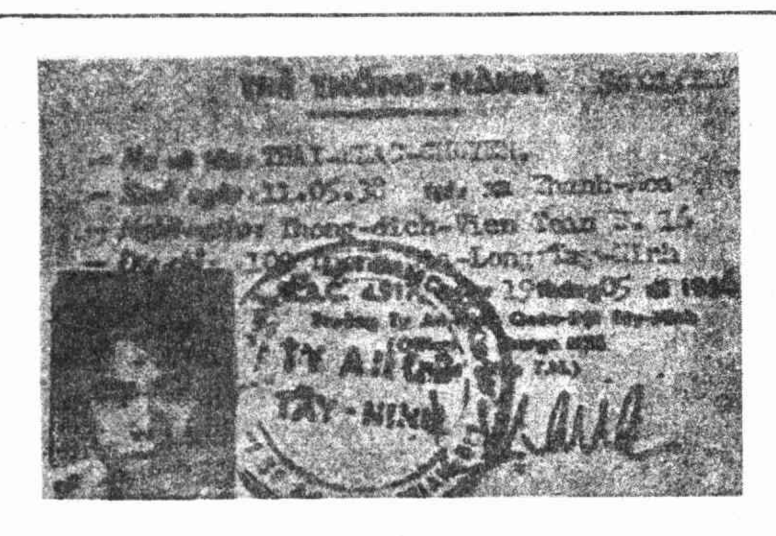
في هذا الكتاب قمنا بشرح واف عن كيفية بقاء /فيلبي/ جاسوسا مزدوجا عشرات السنين يعمل في المخابرات البريطانية (الانتلجانس سرفيس) ، وهو بالاصل يعمل للاتحاد السوفييتي لانه مقتنع أصلا بأن المعسكر الشرقي على حق بالنسبة لتطبيق الاشتراكية وتأمين المستقبل لشعوبه • ولم تستطع المخابرات البريطانية اكتشاف ازدواجيته بالرغم من خطئه في مساعدة أحد أصدقائه على الهرب ، حتى قررت المخابرات السوفياتية انهاء أعماله واحالته على ما يشبه التقاعد عندهم بسبب السنين الطويلة التي أمضاها في خدمتهم ، مخلصا كل الاخلاص• فاستدعي عن طريق بيروت وهو الآن يعيش معززا مكرما في الاتحاد السوفييتي وليس له عمل سوى استدعائه بين الفينة والفينة الى مركز المخابرات السوفييتيه لاستشارته في بعض القضايا الجاسوسية أو لسؤاله عن بعض الاشخاص الذين عرفهم اثناء خدمته أو مراجعته نشرات وكالة (نوفوستي) للانباء ، واستخلاص الاخبار التي تهم المخابرات السوفييتية من الصحف •

أما العملاء المزدوجون فموجودون في كل زمان ومكان . يستغلون الظروف وينتقلون بحرية بين بلدين عدوين . موهمين كل بلد أن البلد الآخر لا يعرف أنهم عملاء له • وهكذا يقومون باللعب على الحبلين ، ولكن نهاية هؤلاء تكون عادة غير مضمونة بل ويحفها الخطر أكثر من نهاية الجاسوس العادي الذي يعمل لدولته فقط • ومن أعمال الجواسيس المزدوجين القريبة في أيامنا هذه أن المدعو: تاي كاك شوبان وعمره ٣١ سنة كان يعمل مترجما للفرقة الخاصة الخامسة التي يرأسها الكولونيل /روبرت رولت/ وتسمى هـذه الفرقة ــ فرقة القبعات الخضر ــ •

وبنفس الوقت كان الكولونيل (رولت) يستقي الاخبار من (تاى) عن أماكن الفيتناميين الشماليين (الفيتكونغ) ، الذين كان يتردد الى مناطقهم ، وينقل لهم أيضا ما يسمع ويرى لدى الاميركيين • واستمر كذلـك لغاية ١١ حزيران ١٩٦٩حيث استجوب على جهاز أميركي حديث لكشف ماذا كان الشخص يكذب أم يقول الصدق ، وكان استجوابه هذا بسبب (شك) الكولونيل (رولت)

به نظرا لتغيبه كثيرا لدى (الفيتكونغ) ، وعن أسباب زياراته لفيتنام الشمالية •
فاذا قلنا ان الجهاز اكتشف أن (تاى) كان يكذب بخصوص تردده لفيتنام الشمالية وأنه كان يزود الفيتكونغ بالمعلومات ، وظهر هذا لدى عرضه على جهاز كشف الكذب كان ذلك مبالغة منا وذلك لان هذا الجهاز يعمل على تسجيل أحاسيس وذبذبات صادرة عن المخ ـ والقلب ـ فاذا وجه مثلا سؤال الى المستجوب عليه : هل كنت تعطي معلومات الى الفيتكونغ فان صيغة هذا السؤال ولهجته وما يحمل من اتهام خطير يعرف المستجوب نتيجته كل هذه الامور كافية لجعل المستجوب يرتعد من الخوف ، وتسرع دقات قلبه حتى ولو كان بريئا • وأجاب بالنفي فان الجهاز يسجل العكس لذلك فان المحاكم الاميركية لم تعتمد على الجهاز •

أما العميل (تاى) الذي كان فعلا عميلا مزدوجا فلم يستطع الكولونيل ادانته فقرر التخلص منه على مسؤوليته ، فقام بالاشتراك مع ستة من ضباط /فرقة القبعات الخضر/ بقتله بعد استجوابه ورمي جثته في بحر الصين الجنوبي•



بطاقة العميل المزدوج تاي كاك

ولكن زوجته تقدمت بشكوى للسفير الاميركي في (سايغون) لان زوجها المترجم لم يعد للمنزل منذ أيام ، وأنها استلمت ورقة من جندي اميركي في ١٣ حزيران ١٩٦٩ كتب في هذه الورقة أن زوجها لن يعود الى البيت لانشغاله في بعض الاعمال المستعجلة في المعسكر الذي يعمل به • فسكتت على مضض وبقيت تراجع وتسأل عنه لغاية ١٥ آب ١٩٦٩ حيث فوجئت باثنين من الاميركيين يزورانها • ويسألانها عن زوجها وهل سمعت بعودته فأجابت بالنفي • ونظرا لاختفائه بهذا الشكل ووجود الاثبات لديها بأن زوجها كان لآخر مرة في امرة الكولونيل (رولت) لذلك جرى تحقيق معه ومع الضباط الستة الذين اشتركوا في قتل الجاسوس الفيتنامي (تاى) ، وطبعـا حفظ التحقيق كعادة السلطات الاميركية في مثل هذه الحالات •••



« الكاميرا الفاضحة » وصورة سيلة التقطت في الظلام

من ضحايا المخابرات الاميركية :
الطيار العراقي الشهيد (النقيب شاكر محمود يوسف) :

الطيار الشهيد هو النقيب شاكر محمود يوسف ــ عراقي من مواليد محلة حسن جديد باشا في بغداد عام١٩٣٦أكمل دراسته الابتدائية في مدرسة البارودية والمتوسطة في المدرسة الغربية المتوسطة والثانوية في الاعدادية المركزية في بغداد وبعد حصوله على الشهادة الثانوية التحق بكلية الطيران العراقية دفعة عام ١٩٥٦، وتخرج بعدها برتبة ملازم طيار في القوى الجوية العراقية ٠

ــ التحق بدورة تدريبية في لندن ٠

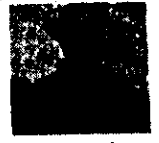
ــ التحق بدورة تدريبية في الاتحاد السوفييتي حيث أحرز أحسن الصفات كطيار ممتاز / للميغ ٢١/، وكان معه بنفس دورة موسكو الطيار الشهيد الملازم حامد ضاحي ٠ والطيار الخائن (منيرروفا) ٠

ــ في عام ١٩٦٤ التحق بدورة لتدريب القادة في مدينة تكساس في الولايات المتحدة ، وكان معه بنفس الدورة أيضا الطيار الشهيد الملازم حامد ضاحي والطيار الخائن (منيرروفا) ٠ وأثناء وجوده بهذه الدورة في تكساس تعرفت عليه عمدا الجاسوسة الاميركية / كروثر هلكر / في فترات الراحة والاستجمام التي يقضيها أثناء الدراسة ٠ وقضى معها بعض الاوقات باعتباره شابا ومن الشرق، وأعجبت به الجاسوسة ٠ ولدى قرب انتهاء الدورة ومعرفة الجاسوسة بذلك عرضت عليه متظاهرة بحبه أن يبقى في تكساس وأن يترك الجيش العراقي ، وصرحت أن لديها أشخاصا لهم قيمتهم يستطيعون تأمين أحسن المراكز له في الولايات المتحدة ٠ ولكنه رفض ذلك وهو الشاب الوطني أولا ، والمتحمس لخدمة بلاده والمتزوج ثانياً وزوجته وأولاده بانتظار عودته اليهم بفارغ الصبر ٠

وهكذا رجع الطيار الشهيد الى بلده ليخدمها بما حصل عليه من فنون الطيران ، فأوعزت المخابرات الاميركية الى الجاسوسة باللحاق به الى بغداد ، لعلها يمكنها اقناعه بالعمل معهم ٠ والا فعلى الاقل تحصل منه على بعض الاسرار٠ وفوجىء الشهيد بحضورها الى بغداد وراءه ونزلت في فندق بغداد الدولي ٠ وبعد أسبوع واحد فقط من وصولها باعتبارها محسوبة عليه وحضرت لاجله

اضطر تحت الظروف الحرجة التي وضعته أمامها أن يستاجر لها شقة مفروشة في منطقة الكرادة الشرقية في بغداد في عمارة تطل على نهر دجلة ، وأخذ يسرق من وقته ، ويتردد عليها خفية . وحاول مرارا اقناعها بالسفر بدون فائدة . واتضح لها أنه متصلب في موقفه منها ، ولم تستطع اقناعه بشيء مما جاءت لاجله فاستشارت بذلك روساءها الذين كانوا على اتصال دائم معها بمساعدة بعض العملاء المحليين من يهود العراق ، وأخبرتهم بأنها حاولت المستحيل معه بل انها صرحت له بأنها تسعى للحصول على معلومات تقدمها الى (هيئة دولية تهتم بأحوال البلاد العربية) ، وهو اسم مستعار للمخابرات المركزية الاميركية . فهددها بأنها اذا لم تترك بغداد خلال ٢٤ ساعة وتعود من حيث جاءت فانه سيضطر الى الابلاغ عنها مهما كانت النتيجة[1] . وفي اليوم التالي قاد سيارته الخصوصية الى مسكنها ، ولم يعلم أحدا بوجهته ليقف منها على قرارها بمغادرة بغداد أم لا . وكان يرتدي في هذه الاثناء (التاريخ ٦/٧/ ١٩٦٥) بنطلونا وقميصا فقط ولم يكن معه أي سلاح[2] وصعد الى شقتها دون أن يراه أحد . بعد أن ترك سيارته في مكان بعيد . ولما سألها عن قرارها كان الجواب (قتله) في غرفة النوم بمساعدة باقي الشبكة ولف جثته في شرشف ووضعها تحت السرير حيث انصرف الجناة ، واختفوا ... بينما قام العملاء من العراقيين بايصالها الى المطار حيث ركبت أول طائرة متوجهة الى لندن .

وفي اليوم التالي ولدى افتقاد الشهيد من قبل أهله ، ومن قبل قيادته جرى البحث عنه وتتبع أخباره حتى وجد مقتولا على هذه الحالة . وبعد ذلك جرى اعتقال المشبوهين الذين أوصلوا الجاسوسة الى المطار . بينما جاءت الاخبار من



(١) كان المفروض رحمه الله أن لا يتورط في علاقته معها منذ الاساس ولو كشف أمره معها قبل استشهاده لتعرض للعقوبات والتحقيق معه . ولكن يظهر أنه قرر التصرف على أساس اكراهها على السفر من بغداد . لينهي بذلك هذه الغلطة التي ارتكبها بمصادقتها في تكساس أصلا ...

(٢) جميع الطيارين يحملون مسدسات حديثة حتى أثناء اجازاتهم .

لندن بأن المخابرات الاميركية أوعزت بقتل الجاسوسة نفسها لتضع حدا لهـذه القضية التي فشلت بها المخابرات المركزية الاميركية ، فوجدت الجاسوسة ميتة في غرفتها في الفندق بلندن / وكأنها منتحرة / • وهكذا نجد أن المخابرات ـ الاميركية عندما تعجز عن الحصول على ما تبغيه ممن تختارهم تبادر الى التخلص منهم خشية فضح أعمالها أمام العالم (ولو كانوا من أعضائها) •

اسباب طلب التعامل مع الشهيد شخصيا :

كان الشهيد من أبرز قادة الطائرة الروسية الجبارة /الميغ ٢١/ ، وكانت للمخابرات المركزية الاميركية تطمع في أن تحصل على بعض أسرار هذه الطائرة أو على طائرة كاملة ومن وراء المخابرات الاميركية كانت المخابرات الاسرائيلية التي تلح على الحصول على طائرة /ميغ ٢١/ مهما كان الثمن • فكانت خطة الايقاع بالطيار الشهيد تسير جنبا الى جنب مع خطة تطبيق الطيار الشهيد الملازم حامد ضاحي الذي رفض التعامل معهم أيضا ، فجرى اغتياله بنفس تكساس •

كيف تتخلص المخابرات الاميركية من معارضيها :

في ليلة من ليالي صيف ١٩٦٥ وفي أحد الاندية الليلية في مدينة تكساس الاميركية كان الطيار العراقي الملازم حامد ضاحي يقضي سهرة عطلة (نهايـة الاسبوع) مع احدى الاميركيات التي تعرف عليها بحكم تردده على هذا النادي أثناء أوقات الفراغ من دراسته للطيران في حينه ، وبينما كان الجميع منشغلين بالرقص على أنغام الموسيقى الصاخبة وصيحات الراقصين الاميركيين (الهستيرية) أطفئت الانوار فجأة في النادي وأثناء ذلك سمع صوت (اطلاق نار) ، ثم صوت سقوط جسم على الارض وصرخة انسان عند ذلك حصل اضطراب وفوضى في النادي ، حتى عاد النور الكهربائي وجد الجميع الملازم العراقي ملقى على الارض وقد فارق الحياة • فساد الهرج في النادي وتدافع الجميع هاربين بما فيهم القتلة•

جرى التحقيق بعد ذلك من قبل الشرطة الاميركية التي أفادت بأن الشهيد الطيار قتل في ظروف غامضة ، لم يتمكن التحقيق من كشفها بسبب كثرة الرواد

في النادي وهرب صديقة الطيار واختفائها (هي عملية المخابرات الاسرائيلية والاميركية) • وسلمت جثة الشهيد الى القنصل العراقي الذي أعادها للوطن ، وقد تأكد بعد ذلك بأن الطيار الشهيد هو من الضباط الذين يقودون الطائرة السوفييتية (ميغ ٢١) أيضا ، وقد فشلت المخابرات الاميركية والاسرائيلية في جعله يوافق على التعامل معها ، بغية اختطاف طائرة ميغ ٢١ والهروب بها الى اسرائيل ، فقررت التخلص منه . وقبل عودته الى وطنه (العراق) لكيلا يفضح هذه الخطة الجهنمية لانه لو ترك يعود للوطن ويخبر المخابرات العراقية عما عرض عليه لاحبطت عملية سرقة الطائرة التي نفذها فيما بعد الطيار الخائن /منيرروفا/ ، لان المخابرات العراقية كانت ستقوم بمنع آي من الطيارين الذين كانوا في هذه الدورة التدريبية وفي تكساس من قيادة أي طائرة (احتياطا) لمثل عملية تطبيق منيرروفا عدا عن التحقيقات التي ستجري مع الجميع ، ولكن المخابرات المعادية كانت قد فكرت بكل شيء ، واتخذت احتياطاتها أيضا تحسبا لكل طارىء حتى تمكنت مع الاسف من جعل الطيار الخائن منيرروفا يهرب بطائرة ميغ ٢١ الى اسرائيل حيث وضعها لقمة سائغة بين يدي الخبراء الاسرائيليين والاميركيين الذين اطلعوا على كل ما فيها من ميزات قتالية جرى العمل فيما بعد على تلافيها أثناء حرب ٥ حزيران ١٩٦٧ • وهو ما قصدت معرفته المخابرات الاميركيه والاسرائيلية وصرفت على هذه العملية عشرات ألوف الدولارات ، وارتكبت الجرائم العديدة لانجاحها من قتل الطيار الشهيد حامد ضاحي الى قتل الطيار الشهيد شاكر يوسف الى قتل نفس عشيقة الطيار شاكر يوسف(الجاسوسة كروث هلكر) •

سبب الحاح المخابرات الاميركية والاسرائيلية للحصول على طائرة الميغ ٢١ :

بعد أن تمكنت المخابرات الاسرائيلية من الحصول على طائرة سوفيتية ــ ميغ ٢١ ــ نتيجة خيانة ــ منيرروفا ــ وهروبه بها الى اسرائيل [١] ، لم يعد

---

(١) القصة الكاملة لوقائع الهروب بالطائرة الميغ ٢١ الى اسرائيل في فصل المخابرات الاسرائيلية (الحقد الاسود) •

سراً أن يعرف الخبراء والمعنيون مميزات هذه الطائرة الجبارة والاسباب التي من أجلها استماتت المخابرات الاميركية والاسرائيلية للحصول على الطائرة • ومن هذه الاسباب أن هذه الطائرة الجبارة أعدت كطائرة قتال اعتراضية يتمكن طيارها المتمرن من التحليق بها خلال نصف دقيقة فقط لاعتراض طائرات العدو ، وانها تستطيع أن تكون جاهزة للاشتباك مع طيران العدو حال ارتفاعها عن أرض المطار ، وباستطاعتها الدوران حالا ، وفي اي أتجاه مما لا يتوفر في غيرها من الطائرات الاخرى عدا عن امكانية ارتفاعها في الجو بعد قطع مسافة ١٥٠ مترا فقط من مدرج المطار بسبب قوة اندفاعها •

جميع هذه المميزات والمقدرة الجبارة لهذه الطائرة توضع بين يدي الطيارين العرب الاكفاء ، هذا بالاضافة الى قدرة الطيار ومهارته واستعداده النفسي للقتال العادل الشريف دفاعا عن وطنه تجعل هذه الطائرة دوما من الطائرات الاصلح للقتال الجوي ، حتى مع الطائرات الاميركيــة الفانتوم والسكاي هوك التي يقودها (مرتزقة اسرائيل) • وهذا ما أثبتته المعارك المشرفة التي خاضها الطيران العربي السوري خلال حرب رمضان وما تبعها من حرب الاستنزاف التي شنتها سورية على اسرائيل قبل توقيع اتفاقية فصل القوات •

تنظيم المخابرات الاميركية :

على أثر الوفاق الذي حصل بين الدولتين العملاقتين الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية وبين الولايات المتحدة اختلفت متطلبات التجسس عليهما باعتبارهما الهدفان الرئيسيان (سابقا) لنشاطات المخابرات الاميركية ، فبدلا عن التقديرات التقليدية للصواريخ والمقدرات العسكرية الاخرى انصب اهتمام مسؤولي المخابرات وبايعاز من البيت الابيض بالحصول على تقديرات جديدة عن النوايا السياسية والاستراتيجية وانتاج الحبوب والتطور في صنع الادمغة الالكترونية •

وبغية تنفيذ هذه التغييرات اوعز الرئيس نيكسون شخصيا الى جيمس شليسنغر رئيس المخابرات الاميركيه في حينه باجراء تنظيم جديد والتخلص من العملاء الذين لم يقدموا نتائج مرضية عن عملهم • ويسمى هؤلاء (العملاء الهامشيون)

فاقدم على انهاء خدمات ـ ٦٠٠ ـ عميل منهم دفعة واحدة ووضع ـ ٤٠٠ ـ عميل آخرين تحت الانذار بالفصل •••

ومن الذين سرحوا في هذه العملية أهم مساعدي ـ هيلمز ـ المدير السابق للمخابرات في أكبر عملية تنظيم وتطهير تحدث في المخابرات الاميركية منذ عام ١٩٤٨ كانت نسبة التسريح ٦ ٪ بغية ابقاء هذا الجهاز الضخم مطلعا على تطورات الاحداث في جميع انحاء العالم ، خصوصا التأكيد على طلب الحصول على تحذير مسبق عن عمليات (الارهاب الدولي) • وتشمل هذه الفقرة عملية مراقبة نشاط المنظمات الفدائية الفلسطينية خصوصا منظمة (ايلول الاسود) • [1] ومعرفة أماكن تدريبهم والمصادر التي تمولهم ومن ثم تتقاسم المخابرات الاميركية هذه المعلومات التي تكلفها عشرات ألوف الدولارات مع ربيبتها (المخابرات الاسرائيلية) •

وما هجمات الوحدات الاسرائيلية الخاصة على مخيمات اللاجئين في لبنان بالاضافة الى الاغارة جوا على هذه المخيمات الا (نتيجة ما يقدمه عملاء المخابرات الاميركية من معلومات عن المنظمات والمخيمات الى المخابرات الاسرائيلية) • ولو أن حربا منظمة ضد هؤلاء العملاء المنتشرين مع الاسف وبمختلف الصور في لبنان حدثت مع التشديد في عقوبات التجسس بالقانون اللبناني لأصبحت عمليات اسرائيل أقل ضررا بكثير من الآن ، حيث علمنا بأن الجنود الاسرائيليين الذين يغيرون على المناطق اللبنانية وهم من أصل (شرقي) ويتكلمون اللغة العربية كانوا ينادون على الاشخاص لدى قرع منازلهم بأسمائهم الكاملة (أخرج يا حبيب ••• ؟) (أخرج يا مرهج ••) وما هذه الدقة في المعلومات الا مما يقدم لهم من المعلومات ، ومن أشخاص باعوا ضميرهم بالدولارات • وسيأتي يوم ينالو فيه جزاء ما اقترفوا عندما تقبض عليهم المخابرات العربية عاجلا ام آجلا في أي زمان ومكان •••

---

(١) (منظمة ايلول الاسود) منظمة فدائية مجهولة الرئيس والمكان ابتداء نشاطها باغتيال (وصفي التل) رئيس وزراء الاردن في مدينة القاهرة

المخابرات الاميركية (مختبر متنقل)

يسعى فريق من جواسيس المخابرات الاميركية وهم من الخبراء في التحاليل الكيماوية بالحصول على (عينات) من بول زعماء دول أوربا الشرقية بغية تحليلها ، ومعرفة أن هؤلاء الزعماء مصابون بأمراض خطيرة • وقد فعلوا ذلك (سابقا) مع ملك مصر السابق فاروق ولكنهم لم يستطيعوا حتى الان القيام بعمل مماثل مع (تيتو) الرئيس اليوغسلافي •

وفي (هونغ كونغ) تسلل أحد العملاء الى محطة السكك الحديدية ، وقام بفحص عجلات عربات القطار القادم من الصين لمعرفة مدى (البلى) الذي أصابها • ومن ثم يعرف اذا جرى عليها تنقلات عسكرية وبنفس الوقت يشتري عميل آخر عددا من (معاليق العجول الواردة من الصين لاجراء فحوصات مخبرية عليها ومعرفة كسية الاشعاعات الذرية المتساقطة عليها • كل ذلك تقوم به المخابرات الاميركية بل وأكثر من ذلك من الغرائب التي ستكشفها الايام •••

المخابرات الاميركية تستعمل السموم في أغراضها :

كشف السناتور الديمقراطي الاميركي (فرانك تشيرش) الذي يرأس (لجنة) من مجلس الشيوخ الاميركي تحقق في أعمال المخابرات الاميركية اللا أخلاقية ، بأن هذه المخابرات تنتج أقسى أنواع السموم فعالية في العالم ، وأن الرئيس (السابق) ريتشارد نيكسون أمر المخابرات في عام ١٩٦٩ باتلاف هذه السموم (عملا باتفاق دولي وقعته الولايات المتحدة) • ومع ذلك فقد أبلغ هذا الامر الرئاسي الى ريتشارد هيلمز رئيس المخابرات الاميركية في حينه وسفير أميركا الحالي في طهران ولكن هيلمز تغاضى عن هذا الامر ، لانه كان يشعر في قرارة نفسه كرئيس للمخابرات الاميركية بأنه هو رئيس الولايات المتحدة وليس نيكسون ، وأمر بابقاء هذه السموم (مخزونة) في أحد معامل المخابرات في واشنطون (لحين الطلب) • وقد علم أن من هذه السموم المخزونة كمية (١٠ر٩٧٢ غرام من سم مصنوع ومستخلص من المحار ••)، وكمية (٨ كيلو غرام سم مصنوع ومستخرج من الثعابين ••) ، وكسية (٣٠٠ حقنة من سم السيانيد الفتاك) • وان المخابرات الاميركية استخدمت

بعض هذه السموم وأن باستطاعتها استعمالها في شن حرب بكتريولوجية على نطاق واسع ضد بلاد أجنبية ، وان باستطاعة المسؤولين في المخابرات الاميركية تحديد نوعية ووقت استعمال هذه السموم فيما يطلق عليه (مهمات خاصة) •

عملاء المخابرات الاميركية ونهايتهم :

في مطلع عام ١٩٦٥ ألقت المخابرات السورية القبض على جاسوسين باعا نفسيهما للمخابرات المركزية الاميركية ، وهما «عبد المعين حاكمي وفرحان أتاسي» ـ الذي يحمل الجنسية الاميركية بالنظر لزواجه من سيدة أميركية ـ •وقد وجهت لهما تهمة افشاء أسرار عسكرية تتعلق بسلاح الصواريخ الموجهة للمخابرات الاميركية ، وقدما للمحكمة العسكرية التي حكمت عليهما بالاعدام • وهو أقل حكم يوجد للجواسيس الخائنين لاوطانهم •

عند ذلك بذلت الدبلوماسية الاميركية جهدها لانقاذهما ؛ وتدخل السفير الاميركي شخصيا لذلك ، وطلب مقابلة وزير الخارجية السورية • ولكن طلبه رفض وأعلم بالطرق الدبلوماسية أن على كل دولة أن تحكم على الجواسيس والخونة حسب قوانينها ومصلحتها وسلامة جيشها •

بعد ذلك نفذ فيهما حكم الاعدام في دمشق بتاريخ ٢٤ /٢/ ١٩٦٥ ، واعترفت السفارة الاميركية في دمشق أنها حاولت الضغط على الحكومة السورية لمنع تنفيذ حكم الاعدام بهما بحجة (انقاذ حياة •• فقط) ، وكان أحد موظفي السفارة الاميركية ويدعى (ستودون) هو أكثر المتحمسين والمراجعين للسلطات السورية بخصوص الجاسوسين ، فعمدت الحكومة السورية الى طرده واعتباره شخصا غير مرغوب فيه وفعلا غادر دمشق بعد ـ ٢٤ ـ ساعة من طلب وزارة الخارجية السورية بذلك •••

التجسس على طريق الميني جوب :

عودتنا المخابرات المركزية الاميركية على كل جديد في فن التجسس وجمع الاخبار والصور عن الدول الشيوعية خاصة ودول العالم عامة ، متبعة بذلك

المثل القائل (الغاية تبرر الوسيلة) • وآخر مبتكرات هذه المخابرات استخدامها لاعداد كبيرة من لابسات الميني جوب في أعمال التجسس حيث يرسلن في أعداد تحت اسم : « فرق السلام الاميركية الى الدول النامية » ، الى المناطق التي تخصص لهم للصيد فيها • والصيد بلغتنا نحن رجال المخابرات هو التقاط الخبر أو القصد من ارسال أي جاسوس او عميل وتقوم هذه الفتيات المدربات بالحصول على المعلومات من الاشخاص المختارين ، وذلك بايقاعهم في شباك غرامهم المزيف ثم تجمع من قبل عملاء محترفين وترسل الى المركز الرئيسي في واشنطون ، مع أن عمل هؤلاء الفتيات الظاهر « نشر الثقافة الاميركية » •

من رؤساء المخابرات المركزية الاميركية :

جيمس شليسنغر ـ رئيس لجنة الطاقة النووية الاميركية سابقا والبالغ من العمر الثالثة والاربعين وحامل ثلاث شهادات جامعية من هرفارد ورئيس قسم الادارة والموازنة في البيت الابيض عام ١٩٦٩ عينه الرئيس نيكسون في أواخر عام ١٩٧٢ رئيسا للمخابرات المركزية الاميركية ، خلفا لرئيسها السابق ريتشارد هيلمز الذي نقل الى العمل الدبلوماسي سفيرا للولايات المتحدة في ايران •

وقد آلى شليسنغر على نفسه أن يكون عند حسن ظن الرئيس نيكسون بتقديم نتائج أهم وأكثر فعالية مقابل التكاليف الباهظة التي تصرفها الوكالة •

أما هيلمز فقد حصل له الرئيس الاميركي على موافقة شاه ايران بتعيينه سفيرا في طهران بسبب دوره السابق في الاطاحة بحكم الدكتور ـ مصدق ـ رئيس وزراء ايران الراحل عام ١٩٥٣ بل ان شاه ايران شعر بأنه محظوظ لان بلاده ستحظى (بشرف) استقبال ضيف كبير جدا •• مثل هيلمز •

التحق هيلمز بمركز عمله الجديد في طهران ، بعد ان قدم أوراق اعتماده الى الشاه منوها بالصداقة التي تربط الشعبين الاميركي والايراني • أما شليسنغر رئيس المخابرات المركزية الاميركية فلم يطل به الحال • حتى شغر منصب وزير الدفاع فعينه نيكسون وزيرا للدفاع • وعين خلفا له في رئاسة المخابرات المركزية الاميركية (وليام كولبي) • فمن هو هذا الرئيس الجديد ؟

تخرج (وليام كولبي)من جامعتي برنستون وكولومبيا في القانون ، وعين في مكتب الخدمات الاستراتيجية للمخابرات الاميركية (قبل تأسيسها) ، ونقل للعمل في فرنسا والنرويج ابان الحرب العالمية الثانية وهبط بالمظلة خلف الخطوط الالمانية في فرنسا ، وبعد انتهاء الحرب وتأسيس المخابرات الاميركية عام ١٩٤٧ انضم اليها وارتقى في الوظيفة حتى اصبح خبيرا في شؤون الشرق الاقصى ... له مكتبه الفخم ذو الهواتف الاربعة . ونقل الى سايغون مديرا لمكتب المخابرات الاميركية من ١٩٥٩ الى١٩٦٢ ثم نقل مديرا لقسم الشرق الاقصى ، وعهد اليه رئاسة تنفيذ برامج المخابرات في جنوب شرق آسيا مبتدئا في (لاوس) حيث جند (٣٠٠٠٠) رجل من قبيلة (ميو) ، وبموافقة البيت الابيض وشن حربا ضارية ضد (باتيت لاو) مستخدما طائرات خاصة تملكها شركةطيران(اير أميركا) التابعة للمخابرات وتكلف هذه العمليات سنويا الولايات المتحدة مبلغ ـ٣٠ـ مليون دولار .

وفي عام ١٩٦٦ طلب (جونسون) من كولبي الاشراف بنفسه على تنظيم برنامج المخابرات الاميركية للارهاب المعاكس في فيتنام ، ورأى المختصون تبديل كلمة ارهاب فأصبح اسم (فرق الارهاب المعاكس) (وحدات الاستكشاف الاقليمية) وبدأ كولبي بتنظيم فرق الاستكشاف اي الارهاب ويمولها مباشرة ، وأجرت التدريبات لهذه الفرق لاستخدام نفس أساليب (الفيتكونغ) كالاغتيال والخطف والتخويف وأنشأ كولبي شبكة مراكز الاستجواب الاقليمية في كل اقليم من أقاليم فيتنام الاربعة والأربعين ، وعهد الى ضباط مخابرات أميركية يعاونهم مواطنون فيتناميون موالون بالتعذيب بمختلف السبل [1] لأخذ الاعترافات عن أماكن تدريب ووجود الفيتكونغ الحقيقيون . ولما جوبه بصلابة

---

(١) لا يخطر على بال اي اميركي الآن أن رئيس مخابراته وليم كولبي خريج جامعة برنستون يأمر موظفيه وبحضوره بربط أسلاك كهربائية حول العضو التناسلي لشخص فيتنامي معتقل ، ثم يصل التيار الكهربائي ليجبر الموقوف على البوح بما يعرفه عن الفيتكونغ (هذا هو أحد رؤساء المخابرات الاميركية ...) .

الفيتناميين وتفضيلهم الموت (تحت التعذيب) على البوح عن ثوار الفيتكونغ لجأ الى تنسيق هجوم على المناطق التي يشتبه بولائها للفيتكونغ أو وجودهم فيها •

اشترك في هذا الهجوم الذي سمي (عملية فوينكس) الجيش الاميركي والبوليس الفيتنامي الجنوبي ورجال المخابرات الاميركية وعملائهم (الخونة) وقتل نتيجته (٢٠ر٥٨٧) شخصا حسب الاحصاءات الاميركية • أما الاحصاءات الفيتنامية الجنوبية فتقول ان (٤٠ر٩٩٤) شخصا قتلوا ، نتيجة هذا الهجوم الذي باركه (جونسون) رئيس الولايات المتحدة في حينه •

وهذا الرقم من القتلى الفيتناميين الابرياء جاء ذكره بوسائل الاعلام الاميركية بالمئات حيث كان يذكر بالانباء أن الجيش الاميركي شن هجوما على الفيتكونغ قتل خلاله ١٤٠ من الفيتكونغ ، وخسر الاميركيين ثلاثة قتلى ، بينما كرر كولبي هذه العملية حسب الاحصاءات ـ ٢٩١ ـ مرة سمعنا اغلبها من الاذاعات • ولم يقتل سوى عدد ضئيل من الاميركيين ، بينما كان يدفع الفيتناميين الجنوبيين الذين اشتراهم بأموال المخابرات الاميركية (المزيفة) لقتل الفيتكونغ أو لقتل أي فيتنامي (بريء) •

المخابرات الاميركية تستنفذ الميول الادبية لمنتسبيها :

في عام ١٩٦٧ وافق هيلمز رئيس المخابرات الاميركية في حينه على اصدار (مجلد) تحت اسم (التاريخ السري لوكالة المخابرات المركزية الاميركية) • والسبب في اصدار هذا المجلد هو معرفة هيلمز أن أغلب الضباط والمستشارين وحتى العملاء في المخابرات الاميركية لديهم ميل الى كتابة مذكراتهم عن عملهم في المخابرات ، ومنعا لاحراج الحكومة الاميركية كما حصل لدى نشر بعض هذه المذكرات وكشف الحقائق ، فقد وافق هيلمز على اعداد مجلد سري يشترك في تأليفه جميع الذين ينهون أعمالهم مع المخابرات سواء كانوا ضباطا أو موظفين مدنيين أو عملاء ، بحيث تمدد خدمة كل من يصل الى سن التقاعد (سنتين) بنفس الرتبة والراتب ، ليعمل على تسطير مذكراته باشراف استاذ مختص

انتدب من احدى الجامعات ، ليعمل منسقا ومستشارا في الابحاث والاسلوب لاخراج المجلد واستنفاذ ما لدى هؤلاء من مذكرات ومعلومات .

ونحن نعتقد ، وهذا هو الصحيح ، بأن هذا المجلد الذي مضى على العمل به حتى الآن أكثر من ثماني سنوات لن يرى النور لانه مشروع دائم ومتواصل، طالما هناك من يحال على التقاعد ، وتخشى المخابرات الاميركية من كتابة مذكراته . وبعض هؤلاء المحالين على التقاعد كان لديهم بالفعل مخططات لنشر مذكراتهم ، لكن مشروع المجلد استنفذ منهم هذه المذكرات . وبالتالي فانهم تقاضوا أجرا كبيرا على جهودهم ، ربما كان أجرا أكبر من اي مبلغ يقبضونه من دور النشر فيما لو نشروا مذكراتهم بالعلن (وهــذه هي المخابرات الاميركيــة التي تفكر بكل شيء ...) .

سلطات (هنري كيسنجر) :

ان (هنري كيسنجر) وزير خارجية أميركا سابقا ظاهريا هو (رئيس مجلس الامن القومي) فيها ، ويتمتع بأعلى السلطات بعد رئيس الجمهوريه مباشرة . ومن هذه السلطات كونه مسؤولا عن لجنة المخابرات الاميركية التابعة (لمجلس الامن القومي) في الولايات المتحدة وتضم هذه اللجنة في عضويتها :

١ ــ رئيس المخابرات الاميركية .
٢ ــ وزير العدل .
٣ ــ وكيل وزارة الخارجية .
٤ ــ النائب الاول لوزير الدفاع .
٥ ــ رئيس الهيئة المشتركة للاركان .

ومهمة هذه اللجنة (اعداد التوجيهات والعمليات ــ المؤامرات للمخابرات الاميركية في انحاء العالم) وتوفير استمرار تقويم النتائج .

وقد أنشأ الرئيس السابق ــ نيكسون ــ هيئة جديدة أخرى عهد برئاستها الى (كيسنجر) أطلق عليها أسم (هيئة التقديرات) . ومهمتها تحليل القدرات العسكرية الاميركية ومقارنتها مع القدرات العسكرية السوفياتية والصينية . ويشغل كيسنجر ايضا رئاسة هيئة التدقيق) التي تجمع كل ما يتعلق بمفاوضات

تحديد الاسلحة الاستراتيجية ، وفوق رئاسة (هنري كيسنجر) لجميع هـذه الهيئات فهو الرئيس الفخري للمخابرات المركزية الاميركية • وبذلك يكـون (أقوى رجل مخابرات في العالم) •

المخابرات المركزية الاميركية وراء الانقلاب الاخير في قبرص :

في الدقائق الاولى لاعلان الانقلاب صبيحة يوم ١٥ تموز ١٩٧٤ في جزيرة قبرص على حكم مكاريوس ، واضطراره للفرار من الجزيرة بعد أن تولى الارهابي (نيكولاس سامبسون) السلطات بالقوة ، ولكنه لم يستطع السيطرة على الحكم في الجزيرة بسبب (تمكن الرئيس الاسقف مكاريوس من مغادرة الجزيرة) مما اضطره أيضا الى الاختباء ، وتنازله عن الرئاسة (الوهمية) التي لم يفرح بها الا لايام معدودة تبين أن أصـابـع المخابرات المركزية الاميركية (وراء الانقلاب) • ذلك لان الدكتور هنري كيسنجر ـ وزير الخارجية الاميركية ـ قد دعم (نيكولاس سامبسون) بالساعات الاولى للانقلاب ، وهو يأمل بأن ينفذ هذا الانقلاب كما أعد في مكاتب (فرع المخابرات المركزية الاميركية) في قبرص [1] بأن يقتل (الاسقف مكاريوس) وأن هذه المخابرات قد صرفت عدة ملايين من الدولارات لتنفيذ هذا الانقلاب[2] • وهكذا نجد المخابرات الاميركية وراء أغلب أحداث العالم ، مع أن نتائج انقلاب قبرص كانت الحاق الضرر في السياسة الاميركية في اليونان ، وانسحابها من حلف الاطلسي ثم عودة الحكم الديمقراطي الى اليونان تبعه عودة الملك قسطنطين الى عرشه وسقوط الحكومة العسكرية ومحاكمة أعضائها بتهمة الخيانة العظمى ثم عودة الاسقف مكاريوس بالذات الى رئاسة الجمهوريين في قبرص ـ رغم دخول القوات التركية اليها عقب الانقلاب لحماية الجالية التركية فيها بينما سجن سامبسون وحكم عليه بالسجن عشرين عاما بتاريخ ٣٠ /٨/ ١٩٧٦ •

---

(١) المصدر المطلق الاميركي (جارك أندرسون) من صحيفة واشنطون بوست

(٢) المصدر ـ الرئيس الاوغندي ـ عيدي أمين حيث قدم اتهام صريح بهذا المعنى الى رؤساء كل من اليونان وتركيا والرئيس مكاريوس بالذات •



المفتش الانكليزي جميس فبرين يقود سامبسون الى المحكمة ومسدسه بيده لمواجهة تهمة القتل في عام ١٩٥٧ .. ومع ذلك كان من الممكن أن يصبح رئيسا لقبرص بقوة المخابرات

كيف تتخلص الدول من عملاء المخابرات الاميركية :

في أواسط الستينات حدثت اضطرابات في المناطق الشرقية النائية في البيرو ، ولما عجزت الحكومة عن اخماد هذه الاضطرابات طلبت مساعدة حكومة الولايات المتحدة التي حولت الطلب الى المخابرات الاميركية ولبى فورا ، فوضعت حكومة (بيرو) تحت تصرف القوات الخاصة (المختلطة) حصنا كبيرا بالقرب من منطقة الاضطراب . واحتوى الحصن على قاعات للطعام وغرف للتدريس وثكنات ومبان ادارية ، وأبراج للقفز بالمظلات ، وجميع المتطلبات الاخرى اللازمة للعمليات شبه العسكرية . وقدمت طائرات هيلوكبتر تحت ستار برامج المساعدات الاقتصادية . فنقلت بواسطتها المخابرات أسلحة وأعتدة قتالية . وباشر بالتدريب في حينه (رجال القبعات الخضر) على سبيل الاعارة ، وبدأت المخابرات بضم الرجال المحليين لاشراكهم في عمليات مكافحة الاضطراب ، ودفعت لهم أجورا خيالية ، ولم تمض مدة حتى تمكنت هذه القوة من ابادة الثوار وقمع الاضطرابات نهائيا . ومع ذلك بقي هؤلاء في الحصن يعيشون حياة ترف ومجون روتينية حتى موعد احتفال (بيرو) بالعيد القومي للاستقلال ، حيث يقام عرض عسكري سنويا احتفالا بهذه المناسبة .

عند ذلك طلبت قوة المخابرات الاميركية والرجال الذين دربتهم الاشتراك في العرض العسكري ودخول العاصمة ، فرفض طلبهم مما اضطرهم للاحتفال في أماكن اقامتهم ، وهم متأثرون من حرمانهم دخول العاصمة . ولما كان زعماء بيرو يعرفون ان أنظمة حكم أميركية لاتينية أخرى قد أسقطت على أيدي كتيبة واحدة قوية مثل هؤلاء ، فانهم كانوا غير مستعدين للسماح لقوة المخابرات الاميركية هذه بالدخول الى ليما . ولما علم المسؤولون بأن رؤساء وعناصر هذه القوة مستاؤون من منعهم دخول العاصمة قدم مشروع الى الحكومة بحل هذه القوة ، وجرى تجريدها من أسلحتها فور توقيع المشروع والخلاص من شرها ... ؟

المخابرات الاميركية تستعين بجميع المغامرين :

عندما تكون المخابرات الاميركية بحاجة الى رجال اضافيين لتنفيذ احدى

العمليات الضخمة ، فانها تستأجرهم بموجب عقاد (خاصة) بحيث ينتدعي العسكريون السابقون •

والمغامرون المعروفون من قبل رؤساء الفروع والمرتزقة المسجلين (تحت الطلب) • وحين الحاجة الى المزيد من الرجال يستدعي عدد منهم من القوات الخاصة في الجيش الاميركي (القبعات الخضر) ، ومن وحدات مكافحة رجال العصابات في سلاح البحرية وسلاح الجو • وبعضهم يستقيلوا من الجيش الاميركي لكي يحصلوا على الستار اللازم لنشاطهم ، لأن أغلبهم كانوا يتمتعون بأبرع المهارات العسكرية القتالية •وحال انتهاء العملية يقبض المدنيون تعويضاتهم (السخية) ، بينما يعود العسكريون منهم الى وحداتهم بعد قبض المخصصات (المضاعفة) تشجيعا لهم ولغيرهم • بالاضافة الى اعتبار سنة الخدمة مع المخابرات الاميركية (سنة ونصف) بالنسبة (للتقاعد) و (الترقية) •

انسحاب صاحب ضمير حي من المخابرات الاميركية

عين أحد الضباط الاميركيين لتدريب عملاء المخابرات الاميركية في جزيرة (سالبان) في المحيط الهادي وابتدأت المهمة بتدريب بعض الاهالي المحليين على مكافحة رجال العصابات (حسب زعم المخابرات الاميركية) ، وسار التدريب روتينيا وبأسلحة غير مشروعة طبعا ، لان المخابرات الاميركية لم تسمع شيئا عن معاهدات جنيف ، ولذلك تستعمل وتقدم لعملائها :

ــ مدافع رشاشة مزودة بكاتم للصوت •

ــ طلقات تنفجر لدى ارتطامها بالهدف أو بالأرض وتحدث أذى مضاعفا (وقد استعملت في احداث بيروت ١٩٧٥) •

قنابل نابالم :

وجرى التدريب على جميع هذه الاسلحة والتدريب على صنع القنابل محليا حتى وصل البرنامج الى مادة (النسف) ، وفوجىء المدرب بالايعاز اليه بتدريب المنتسبين لهذهالدورةعلىجميع أعمالالنسف : طرقات ــ سكك حديدية ــ جسور ــ أبنية ••• الخ ووضعت تحت تصرفه المتفجرات اللازمة والمشرات

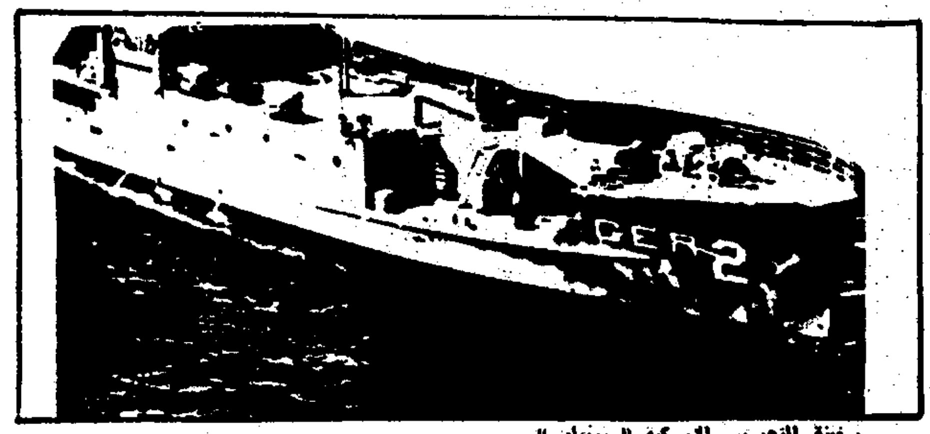
من السيارات من نوع حديث وعربات السكك الحديد وصهاريج خزن الغاز لاجراء التجارب عليها وتفجيرها تفجيرا حقيقيا من قبل المنتسبين بعد تدريبهم .. كما وجد في برنامج التدريب على استعمال مواد ناسفة مخلوطة بدقيق أو سماد .. وأخيرا التدريب على استعمال مدفع صغير من صنع المخابرات الاميركية يتألف من قطعة معدنية مقعرة فوق صفيحة مملوءة بمتفجرات بلاستيكية . وعندما ينفجر الجهاز كانت الحرارة الناجمة عن الاحتكاك بسبب دوران قطعة الصلب المقعرة فتحولها الى قذيفة متوهجة ، ويستعمل هذا المدفع لعدة أغراض وقد استعمل أثناء التدريب على سيارة باص عسكرية بحيث ربط هذا المدفع الى خزان البنزين بطريقة مزقت القذيفة معها الخزان ، وقذفت بالبنزين الملتهب الى داخل الباص ليحرق كل من فيه حسب التجربة . وهنا صحا ضمير المدرب وهو يشاهد ألسنة النار تتصاعد من الباص (التجربة) . وتلتهمه مع من فيه وفي هذه اللحظة قارن المدرب بين حرق باص بركابه بهذه الطريقة وبين الحرية التي تنادي بها أميركا فما هو الحق الذي يجيز للمخابرات الاميركية تنفيذ أحكام الموت بالطرق البشعة وباسم الحرية على المعارضين لسياستها .

وبعد ذلك قدم هذا المدرب استقالته فورا ، وعاد الى الولايات المتحدة ليعمل عملا شريفا يرضي ضميره ...

نظرا لان مؤسس المخابرات الاميركية قد تعهد منذ تأسيسها بأن تكون حربا على أعداء الولايات المتحدة ، وأن تبتعد عن كل ما يمس حرية المواطن الاميركي . وبما أن عشرات الألوف من الاميركيين شعروا بأنها أخذت تتدخل في حياتهم الشخصية خصوصا أثناء حرب فيتنام . ونظرا للحرية التي يتمتع بها الفرد الاميركي ، فقد انهمرت الدعاوي على المحاكم الاميركية ضد المخابرات بشخص رئيسها تطلب الحكم بابطال بعض الاجراءات التي شعروا بها تقيد حريتهم مثل التصنت على هواتفهم (يعرف الشخص حين الاتصال به بأن خطه مراقب من صوت التكتكة في الهاتف بالاضافة الى احساسه الشخصي) ، ثم مراقبة رسائلهم (أغلب الاميركيين كانت تصلهم الرسائل مفتوحة ومغلقة بمعنى أخذ المخابرات فوتوكوبي عنها) ، وبعض الوسائل غير المشروعة.. ونظرا لقوة واستقلال القضاء الاميركي (قضية ووترغيت واصرار القاضي

على استدعاء الرئيس (ريتشارد ميلهاوس نيكسون) الى المحكمة ، ومن ثم اضطراره للاستقالة • كل ذلك يبين لنا نوعية القضاء الاميركي لذلك فقد كسب أغلب هؤلاء المواطنين الدعاوي ضد المخابرات الاميركية (رغم قوتها وجبروتها)، واستحصلوا على أحكام (مبرمة) بابطال جميع اجراءاتها بل وحتى الحكم باتلاف ما سجل وصور وحفظ عنهم • وتراكمت هذه الدعاوى تطلب التنفيذ من المخابرات ، وبطبيعة الحال أخذت المخابرات الاميركية تماطل في التنفيذ من مصدر القوة • فالتجأ المواطنون الى نوابهم في مجلس النواب والشيوخ ، فاستدعي رئيس الاغلبية في مجلس الشيوخ الاميركي بتاريخ ٢٥ /٦/ ١٩٧٦ جورج بوش رئيس المخابرات الاميركية الى مجلس الشيوخ بالطرق القانونية ، وحصل منه على وعد ذكر فيه أن المخابرات الاميركية سوف (تحرق) جميع المعلومات غير الشرعية التي صدرت بها أحكام وغيرها •

وهكذا ظهرت الى الوجود حرب جديدة من نوع التحدي بين أعضاء مجلسي النواب والشيوخ ، وبين رئيس المخابرات الاميركية من أجل التأكد من تنفيذ أحكام (حرق واتلاف ما تجسست عليه هذه المخابرات) • وبطبيعة الحال سوف تماطل المخابرات الاميركية في حرق بعض هذه المستندات بحجة (دواعي الامن) ، أو تقدم (للحرق والاتلاف) نماذج (مسحوبة) عن الاشرطة والصور الاصلية بحيث تبقى المخابرات الاميركية (دائما) عصا تلوح بها تهديدا لمن لا يتعاون معها كما ثبت من عشرات الحوادث السابقة •••



سفينة التجسس الاميركية « بوبيلو »





الجستابو : وهو الاسم الذي أطلق على المخابرات الالمانية ودائرة التجسس الالمانية أيام الرايخ الثالث في تلك الحقبة من الزمن . وفي المانيا كانت كلمه الجستابو تعني البطش والارهاب والمعتقلات للمعارضين للحزب النازي ، ومن ثم (الحرق) في أفران خاصة بلا رحمة ولا شفقة • وكانت رئاسة المخابرات الالمانية (الجستابو) تشغل عمارة من ثمانية طوابق في برلين — شارع برنز — البرت ستراش رقم ٨ • وفي مركز الجستابو كان عشرات الضباط النازيين المخلصين للحزب ولهتلر يقومون بالتخطيط لاعمال تخريبية وتجسسية ، ويجندون العملاء ويدربونهم ويبعثو بهم الى مختلف البلاد التي يهمهم معرفة ما يجري فيها •

ولم تتأخر المخابرات الالمانية عن استخدام النساء في اطلاقهن كجاسوسات في دول أخرى • وبعد سقوط برلين بيد الحلفاء بعد مئات الغارات عليها عرض مقر الجستابو الى القصف ومن ثم الحريق والتدمير ، وهكذا ضاعت الملفات التي كان من الممكن الكشف بموجبها عن أعمال وحشية ارتكبتها المخابرات الالمانية • وكل ما نسمعه هو جزء قليل من المعلومات التي توفرت من عملاء

سابقين اعترفوا بجرائمهم ، وسجلّ الجستابو الـذي أمكن الحصول عليـه سلمّ الى الحلفاء واستخدم كدليل في محاكمات نورمبرغ ضد الزعماء الالمان ، وبعد ذلك كان مصيره الحفظ مع التحقيقات هذا عدا عما صرحت به السلطات الحليفة للصحافة للاطلاع عليه فاصبح بعد ذلك أفلاما سينمائية تعرض علينا بين الفينة والفينة حيث يرى المشاهد فيها كيف كانت تعامل المخابرات الالمانية المعارضين ولو أن في هذه المشاهد بعض المبالغة السينمائية الا انها تحكي جزءا من العهد الاسود عهد الجستابو .

من اعمال المخابرات الالمانية :

ومن أعمال المخابرات الالمانية إبـان الحرب العالميـة الثانية العديد من الانجازات والاعمال المهمة التي ساعدت في باديء الامر على اجتياح القوات الالمانية أوربا قبل الهزيمة ، ومن هذه المنجزات أنه في شهر كانون الاول عـام ١٩٤٢ تمكنت المخابرات الالمانية من اعتقال شبكة دقيقة للتجسس تقوم بعملها في هولندا المحتلة ومؤلفة من ١٥٠٠ شخص أغلبهم من المتطوعين لخدمة الحلفاء فيما وراء خطوط الالمان ، وتمكنت المخابرات الالمانيـة من اخفاء أمر اعتقال هذه الشبكة مدة سنتين ، وذلك بسيطرتها على محطات الاذاعـة السرية التي كانت تستخدمها الشبكة ، وحبك وبث القصص الخيالية عن نشاط الشبكة حتى حصلت على كثير من المؤن والعتاد من لندن التي كان لها نصيب الاسد من الخدعة الالمانية .

الخدعة بالتفصيل :

في شتاء عام ١٩٤١ كلفت المخابرات الالمانية (الجستابو) (اريك فاتر) بالاشراف على النشاط الذي يقوم به الجواسيس التابعون لدول الحلفاء في هولندا المحتلة من القوات الالمانية ، وكانت مهمته الاولى هو كشف مقر القيادة السرية لجماعات المقاومة ، وأن يحول بينها وبين الاتصال بلندن ، وكانت نقطة البداية بالنسبة لهذه المهمة ، عندما استطاع الكابتن (فاتر) أن يدخل أحد عملائه ضمن خلية تابعة لرجال المقاومة ، حيث استطاع هذا العميل أن يزود رئيسه بكثير من الاسرار التي حصل عليها ، وأكد في أحد تقاريره الخطيرة أن أحد ضباط اللاسلكي كشف اذاعة سرية كانت تبث مبتدأة بالاحرف (ر ـــ ل

ـ س) وفي ساعة معينة من مساء كل يوم ، فتقرر الاستيلاء على هذه المحطة وفي خلال ثلاثة أشهر تمكن الالمان من الاستيلاء على المحطة المذكورة ، واعتقال مديرها الانكليزي ويدعى (الكابتن هـ ـ م ـ بويدز) ، وبعد ساعتين تم اعتقال باقي الاعضاء والمعاونين •• ومعرفة جميع الرموز والشيفرة • وجاءت الاوامر الى الكابتن (أ ـ فاتر) بمتابعة الاتصال مع لندن وتضليلها فأوعز الى الكابتن بويدز بمتابعة الاتصال بلندن ، ولكنه رفض باصرار أن يواصل الاتصال وادارة المحطة باشراف المخابرات الالمانية ، كما رفض مساعدة ضابط اللاسلكي (تيمبس) أيضا ، ،وفشلت عدة محاولات لاقناعهما بالعمل باللطف واللين ، مما اضطر الالمان الى استعمال التهديد والعنف ـ ، وطلبوا منهما الاستعداد لتقديمهما الى المحكمة العسكرية التي ولا شك سوف تحكم باعدامهما ، وكان لهذا التهديد أثره لدى الكابتن بويدز ، فوافق على معاودة الاتصال ، وقام بارسال الرسائل الثلاث التي تعود ارسالها يوميا ، وتلقى الجواب عليها من لندن ، مع رسالة جديدة عن وصول مندوب جديد ، وطلب اعداد منطقة لهبوطه ومعه كمية من العتاد • (كانت عناصر المخابرات الالمانية على استعداد في كل لحظة لقطع الاتصال مع لندن عند أول بادرة من بويدز) •

وبعد هذا الاتصال ، لم يستطع المدير الانكليزي أن يكتم أسفه وحزنه على ما قام به ، وصرح بأنه لن يقوم بعد ذلك بالاتصال ، وانه يفضل الموت على أن يرتكب مثل هذه الجريمة بحق مواطنيه •

ولكن المخابرات الالمانية عادت الى التهديد ، وأفهمته أن رفضه التعاون سوف يؤدي بالمندوب الجديد الى الاعدام ، أما اذا استمر في معاونتهم فانه ينقذه وينقذ من سوف يحضر غيره بعد ذلك، فاضطر الى الرضوخ ومتابعة الاتصال تحت المراقبة الشديدة ، وكانت المخابرات الالمانية تتعجب من اخلاص بويدز وعدم محاولته الاشارة الى اعتقاله مع شبكته من قبل الالمان •

وفي تاريخ ٢٧ آذار وصلت اشارة من لندن تطلب منهم انتظار وصول الطائرة القادمة من لندن وهي تحمل المندوب الجديد والمعدات •

في الساعة الحادية عشر ليلا ، فانتظرت عدة سيارات صغيرة في غابة بالقرب

من الموقع المحدد لهبوط الطائرة التي تأخرت في الوصول مدة ساعتين ، وهبطت لمسافة بسيطة عن سطح الارض في المكان المحدد وألقت خمس مظلات ، أربعة تحمل صناديق العتاد والخامسة تحمل المندوب الجديد وهو ضابط لاسلكي ، ثم عادت الطائرة ، وبعد دقائق كان الضابط والعتاد في حوزة المخابرات الالمانية. وكلف بويدز بالاتصال بلنـدن للاعلام عن وصول المندوب والعتاد وهكـذا فعـل ...

استمرار الخدعة وظهور اذاعات سرية جديدة :

مضت عدة أسابيع بعد وصول المندوب الجديـد ضابط اللاسلكي ، والحالة هادئة ، ولكن المخابرات الالمانية كانت تخشى أن يكون البريطانيون كشفوا الخدعة ، ثم علمت المخابرات الالمانية أن قيادة المخـابرات الهولنديـة البريطانية ومركز لندن لا تزال تتصل ببعض الفدائيين وفرق المقاومة ، واستمع الاخصائيون الى اذاعات سرية جديدة تبث من منطقة (أوترخت) ، كما عثر على جثة فدائي بريطاني في منطقة « هولتن » ، كان قد قتل على الصخور عند هبوطه بالمظلة وعثر في جيوبه على ورقة سرية سجل بها مراكز خمس محطات اذاعة سرية وشيفرة جديدة لكي يذيع بها ... عند ذلـك رسم (أريك فاتر) خطة لكشف باقي العملاء والاستيلاء على هذه المحطات ... فتركت الجثة على حالها ، وشددت المراقبة حولها حتى حضرا اثنان من الفدائيين لدفنها ، والاستيلاء على ما في الجيوب من الاوراق فاعتقلا وعثر معهما على شيفرة ثانية وجديدة ومن ثم اعتقلت باقي المجموعات وآخذت المخابرات الالمانية تذيع الى لندن من الشيفرة الخاصة بالمحطة الجديدة ، وانطلت الخدعة على لنـدن . وفي نفس اليوم اطمأنت لندن ، وأخبرت الالمان عن وصول فوج جديد من الفدائيين مع كمية كبيرة من العتاد والمؤن الى موقع معين .. واعتقل الجميع ، وأبلغت لندن بوصولهم سالمين .. واستمر الاتصال ، ثم أخبرت لنـدن أن ضابط الارسال لقي حتفه ، وأنه يجري تدريب غيره لكي يحل محله ، فوافقت حالا ، وهكذا اصبح لدى المخابرات الالمانية ثلاث شيفرات للاتصال بلنـدن . ثم اخذت المخابرات الالمانية بالتخلص من الانكليز واحدا واحدا ، بعد أن تزعم للندن بأن الشكوك أخذت تحوم حولهم ، فتوافق لندن على تغييرهم في الحال ، حتى اصبح أغلب مذيعي المحطات السرية المستولى عليها من الالمان واصبحوا يديرون

أجهزة الارسال والاستقبال كاحسن ما يكون ضبـاط اللاسلكي ، وكـانت المخابرات الالمانية تخشى في هذه الحالة أن يكون البريطانيون قد قاموا بتسجيل أصوات عملائهم قبل ارسالهم ، وبذلك يكتشفون الخدعة الالمانية ، ولكن مع الاسف لم يجر شيء من هذا اما لاهتمام المسؤولين في الانتلجانس سرفيس لهذه الناحية ، أو لعجزهم عن تمييز الاصوات واستمر الالمان في خداعهم حتى أصبح لديهم بعد شهور اربعة عشر شيفرة اتصال يقوم بالاتصال بموجبها الضباط الالمان وتوالى ارسال المندوبين وكميات كبيرة من العتاد من أسلحـة وذخائر وأجهزة لاسلكية جديدة .

والقيادة في لندن لم تنتبه الى هذه الخدعة ولا الى مصير عشرات المندوبين الذين يقعون تباعا بين يدي الالمان .. ومما زاد في خداع الالمان هذه المدة التي وصلت فيما بعد الى سنتين ، ان المخابرات البريطانية لم تكن في حينه بمستوى ارسال مندوبين سريين في أوقات متفاوتة للتأكد من حسن عمل المندوبين السابقين والا كان من الممكن كشف خدعة الالمان هذه .

نجاح المخابرات الالمانية وحصولها على وسام بريطاني :

ومع سير العمل وتكرار المهمات ومتابعة خداع المخابرات الالمانية للمخابرات البريطانية ، عهدت لندن في أحد الايام الى المسؤولين في محطة (ر . ل . س) القيام بمهمة خطيرة هي القيام بنسف المحطة اللاسلكية في (كوتوجك) . وهذه المحطة كانت تستخدمها البحرية الالمانية للاتصال مع غواصاتها المنتشرة في المحيط الاطلنطي ، فأجابت المحطة (المخابرات الالمانية) بأن هذه المهمة سوف تكون سهلة وأنهم في طريق التنفيذ . ولكي يكون الامر طبيعيا أبلغت لندن في اليوم التالي بأن مهمة نسف محطة (كوتوجك) باءت بالفشل مع الاسف ، وأن عناصر المهمة فقد منهم خمسة وجرح اثنان عاونهم رفاقهم بسبب وجود حقل الغام حول منطقة المحطة . ومتابعة في جعل الامور طبيعية أخبرت لندن في الصباح بـأن اثنان من المفقودين تمكنا من العودة سالمين بعد جهود عظيمة ، وابلغوا عن وفاة زملائهم الثلاثة . وأن الالمان قد شددوا الحراسة (بعد هذه المحاولة) . وردت لندن بأنها تأسف للخسائر التي لحقت بالفرقة وطلبت عرض ما تراه مناسبا لتذليل تلك العقبات بسبب اصرارها على نسف المحطة .



الجنرال (جيرهارد فيسيل) رئيس المخابرات الاتحادية لالمانية الغربية استلم عمله في شهر ايار ١٩٦٨



هاينريش هملر – مدير المخابرات الالمانية الغستابو كان هتلر نفسه يخشاه ..

واذا تعمقنا في مضمون مثل هذه الامور ، نجد أن المخابرات وأعمالها هي المخابرات في كل زمان ومكان ، لا تتأخر عن القيام بأي عمل من شأنه ابستفادة الدولة منه وبالتالي القوات المسلحة ، خصوصا في أوقات الحرب وهذه الواقعة عن الخدعة الالمانية خير دليل على عمل المخابرات • فقد أوعزت المخابرات الالمانية بعد أيام من محاولة نسف محطة (كوتوجك) البحرية الى احدى الصحف بنشر خبر يقول بالحرف الواحد :

« احبطت محاولة غادرة لنسف احدى المحطات اللاسلكية الكبرى قامت بها عناصر اجرامية قتل منها ثلاثة ولاذ الباقون بالفرار ، وبعد فحص المواد المتفجرة تبين أن لاعداء البلاد يدا في هذه المحاولة الغادرة » [1] وضح ما توقعته المخابرات الالمانية من نشر هذا الخبر ، حيث وصلت الصحيفة التي نشرت الخبر الى لندن عن طريق احدى الدول المحايدة التي تصلها الصحف الهولندية بطبيعة الحال ، وبعد اسبوعين اتصلت لندن بالمحطة (ر • ل • س) وهنأهم على محاولتهم لتحطيم المحطة ، وزادت لندن بأنها قررت منح المدير (الكابتن بويدز وساما رفيعا تقديرا لجهوده [2] •

---

(١) يجب أن تفكر المخابرات بكل شيء (مثل هذه النشرة الصحفية التي تؤكد الخدعة ••) •

(٢) هذا الوسام يعتبر بلغة المخابرات من حق المخابرات الالمانية •

واستمرت الاتصالات والاعمال الوهمية ، حتى أبلغت لندن أنها بصدد ارسال مندوب جديد يدعى « جامبروز » الى هولندا ومعه فرقة من المواطنين الذين رغبوا في الاشتراك لتحرير وطنهم « هولندا » ، وكانت تعليمات لندن تقول ان هؤلاء المتطوعين سوف يقومون بتأليف فرقة للمقاومة يتألف كـل منها من مائة رجل •

قامت المخابرات الالمانية باعتقال الجميع لدى هبوطهم مع معداتهم • وكان عليها أن تخبر لندن بأنباء وصولهم ونشاطهم ، فاتصلت بلندن زاعمة ان بعض المخبرين كانوا مدسوسين بين (جامبروز) وفرقته فأوجدوا التفرقة بينهم ولكن « جامبروز » تابع مهمته بتدريب الفرق بعد أن تخلص من المـدسوسـين ، ولمتابعة الخدعة طلبت المخابرات الالمانية من لندن ارسال مدربين فنيين للقتال واللاسلكي ، فأرسلت لندن في شهر نوفمبر سبعة عشر فنيا بينهم خمسة ضباط لاسلكي مع أجهزتهم الجديدة ، ولكل منها ذبذبة خاصة ـ اعتقلوا جميعا وزاد الالمان من خدعتهم ، فأخبروالندن بانضمام ـ ١٥٠٠ ـ (متطوع هولندي) الى فرق المقاومة ويجري تدريبهم حسب التعليمات ، وطلبوا ارسال ملابس وأحذية جبلية وكميات من المؤن علب لحم محفوظ ـ شاي تبغ ـ وكعادة لندن سارعت بتلبية الطلب وارسال ما زنته عشرة أطنان من هذه الطلبات بواسطة الطائرات •

مندوب جديد ومحاولة كشف الخدعة :

نظرا لاستمرار هذه الخدعة لفترة السنتين كان على المخابرات الالمانية أن توافي لندن ودوريا بأنباء وهمية عن تدريب ونشاط الفرق ونظرا لتعـدد محطات الارسال والشيفرة وخشية كشف الخدعة فقد أعلمت المحطة الرئيسية (ر • ل • س) لندن بأن بعض المحطات سوف تتوقف عن الاتصال لضرورة الامن، وصدقت لندن وأمرت فعلا بوقف معظم هذه المحطات مما تسنى للالمان الاستمرار في خدعتهم ، وهم مطمئنون • حتى وصل منـدوب انكليزي جديـد يدعى (آري) ، وقد اعتقل فور هبوطه كالعادة • فطلب من الالمان أن يسمحوا لـه بأن يتصل بلندن ليقول لهم جملة اتفق عليها مع المسؤولين هناك وهي « لقـد

سافر الاكسبريس في الوقت المحدد » وأكد أن عدم اذاعته هذه الجملة بنفسه يكون دليلا على أنه وقع في أيدي الالمان .

وخشيت المخابرات الالمانية أن يكون العكس هو الصحيح أي أن معنى هذه الجملة بالذات أنه وقع بالاسر ، فوضعته بالسجن واذاعت في الوقت المحدد رسالة الى لندن جاء فيها : لقد وقعت حادثة مؤسفة لآري وهو فاقد الوعي ، وقرر الطبيب الفاحص انهمصاب بالارتجاج في المخ «وبعد يومينآرسلت الىلندن: لقد تحسنت حالة آرى وهناك أمل في انقاذه « وتتمة للعبة أرسل بعد يومين آخرين : أن آري قد توفي فجاة ... ومع الايام طلبت لندن أن يرسل اثنان من المندوبين للتشاور معهم . واسقط في يد المخابرات الالمانية هذه المرة ... ولكنها استمرت بجرأة في الخداع ، فأخبرت لندن أن بالامكان ارسال ما تطلبه ولكن طريق العودة غير مأمون بسبب انتشار الحراس في كافة المناطق ، فعادت لندن وطلبت تحديد أنسب الاماكن لهبوط طائرة تخطف مندوبا واحدا فقط للتشاور ، وأجابت المخابرات الالمانية باستحالة ذلك لان آنسب مندوب لديهم قتل في غارة المانية على « روتردام » فألغت لندن طلبهـا وأرسلت فريقـا جديدا من المندوبين باشراف « جولف جروب » فاعتقل الفريق ، واتضح آن مهمته الاولى هو البحث عن طريق آمنة لمساعدة الراغبين في العودة الىانكلترا.. وتشاء الصدف أن يقع طياران انكليزيان بين يدي المخابرات الالمانية ويرضيان بالتعاون معهما فأبلغت لندن بأنها هيأت طريقا آمنا حتى باريس ، وهي سوف ترسل رسولين للتشاورحسب طلب لندنمن قبل وكانالرسولان هما الطياران. أرسلا حسب الاتفاق . وبعد اسبوعين ارسلت لندن تهنىء بوصول الرسولين سالمين ، وتشكر جميع الفرق على نشاطها في سبيل تحطيم العدو ... وبعـد ذلك أخذت المخابرات الالمانية تخدم الحلفاء خدمات حقيقية غير ضارة استرسالا في خداعهم . فكانوا يتعهدون بعض الطيارين الذين تسقط طائراتهم في سهول وهضاب هولندا وبلجيكا ويوصلونهم عبر طرق وعرة الى الحدود الاسبانية باعتبار من أوصلهم أنهم من رجال المقاومة وكانوا يذيعون هذه الخدمات عبر محطات الارسال ذاكرين أسماء ورتب الذين ساعدوهم وانقذوهم من الموت المحقق .

ومع الايام خشيت المخابرات الالمانية من افتضاح أمرهـا لدى الحلفاء بسبب عدم توافق المعلومات التي تحصل عليها من الدول المحايـدة عن أعمال التخريب المزعومة التي ترسلها لهم ، فعمدت الى افتعال حوادث تخريب «مصغرة»، فكانت تضع أكوام الورق والاقمشة والمتفجرات الفاسدة قرب محطات السكك الحديدية ، وتضرم فيها النيران فيرتفع اللهب عشرات الامتـار وتنشر هـذه الحوادث في اليوم التالي في الصحف .. ومن ثم في لندن كما قامت المخابرات الالمانية لنفس الغرض بنسف سفينة المانية في وضح النهـار (وكـانت هذه السفينة ناقلة قديمة محطمة لا تصلح لشيء « وقد وصل خبر نسفها الى لندن فهنأت « المخابرات الالمانية » باعتبارها من اعمال فرق المقاومة ...

نهاية المطاف والخدعة :

استمرت عملية الخداع هذه سنتين قامت بها وتفذتها المخابرات الالمانيـة باتقان تام وبدون أخطاء حتى تاريخ ٣١ آب ١٩٤٣ حيـث تمكن اثنان مـن المندوبين المعتقلين من الفرار ليلا ، وعرف الالمان أنهما في طريقهما الى لندن ، وسوف يكشفان كل شيء ، فأسرعوا للابراق الى لندن ، بأن هذين المندوبين وقد اعطوا اسماءهم الصريحة الى لندن قد انضما الى المخابرات الالمانية وسوف يحاولان الوصول الى لندن لتضليل المسؤولين لصالح الالمان .

ومع ذلك ، فان المخابرات الالمانية علمت أن هذه الخدعة لن تستمر طويلا فاقترح (أ ـ فاتر) المسؤول الاول عن هذه الخدعة على رؤسائه وقف هذه العملية . فأجيب على طلبه وسميت هذه العملية من أولها لآخرهـا (القطب الشمالي) وأوعز الى العشر المحطات التي تعمل بنفس الوقت وبشيفرات مختلفه ومعتمدة من لندن باذاعة هذه البرقية : الى المخابرات البريطانيـة نشعر الآن أنكم تحاولون أن تديروا المعركة السرية في هولندا بدون معاونتنا ... ونحن نأسف لذلك فقد بذلنا كل ما بوسعنا لخدمتكم .. ؟ وكنا وكلاؤكم الامناء طيلة هذه المدة في هذا البلد ونؤكد لكم أنه اذا فكرتم في ارسال منتدبين جدد لزيارة هذا البلد أو العمل به فاننا سوف نستقبلهم ونرعاهم ونرحب بهم أجمـل ترحيب « المخابرات الالمانية » .. وقد اصيبت المخابرات البريطانية بالذهول لهـذه الصدمـة ....



دبابه سوفياتيه حديثه
بعث المخابرات الأمريكيه
ن سرها ..

كما ان المخابرات الحربية قامت بنفس الدور في خدعة المخابرات الاسرائيلية والحصول منها على معدات ومبالغ من المال ، ثم ختمت الخدعة برسالة وداعية الى المخابرات الاسرائيلية • كما نعلم أنه كان للمخابرات الالمانية عيون وجواسيس تقذف بهم في مختلف المناطق التي لها فيها مصالح حيوية ، وتود معرفة ما يجري فيها مثلها في ذلك مثل مختلف مخابرات العالم • ولدينا عيّنة من أعمال هذه المخابرات في مصر ابان الحرب العالمية الثانية ، حيث كانت ترزخ تحت نير الحكم الاستعماري البريطاني ، وتعج القاهرة بالدبلوماسيين والسفراء وعشرات الجنرالات قواد القوات البريطانية المرابطة في مصر ، والمكلفة بصد القوات الالمانية وكان بنفس الوقت في القاهرة بعض الجواسيس الالمان الذين دخلوها بمختلف الصفات وأندسوا بين فئات الشعب ، وأخذوا يتسقطون الاخبار ويرسلوها الى برلين بالوسائل التجسسية المعروفة في ذلك الوقت وهي اللاسلكي بعيد المدى ، والوسائل العادية فقط وكان من هؤلاء جاسوسا يدعى (ايلرهاتمن) جاء الى مصر مدعيا لنفسه اسم (حسين جعفر) ونظرا لاجادته اللغة العربية [1] تمكن حسين من العيش في القاهرة بما تغدقه عليه المخابرات الالمانية حياة صاخبة ، حيث كان يحضر الحفلات الراقية ، ويتردد على الاندية الليلية التي كان يرتادها الجنرالات الانكليز ، حتى تعرف على راقصة مصر الاولى في حينه (حكمة فهمي) بعد خطة وضعها للتعرف بها نظرا لمصاحبتها مختلف هؤلاء الجنرالات ، وكان مخدعها مرتعا للعديد من الاسرار الحربية الخطيرة عن الحلفاء بصورة عامة والانكليز بصورة خاصه ، ونجح الجاسوس الالماني في خطته ، وأصبح يقضي

---

(١) من المعروف ان جميع الجواسيس يدربون ويتعلمون لغة البلد التي يرسلون اليها وهذا الاجراء متبع منذ نشوء المخابرات •

معظم وقته في عوامة (حكمة فهمي) يستنزف منها الاخبار ، ويرسلها الى قيادته فيما بعد بواسطة عامل لا سلكي كان قد استحضره ايضا يدعى (مونكاسز) عن طريق الواحات ، وهو يحمل جهازه اللاسلكي ومع الايام ، كشف لها عن حقيقة عمله ، بعد أن تأكد له أنها أصبحت طوع أمره نتيجة صرفه لعشرات ألوف الجنيهات التي أنفقها عليها ، فأصبح يقيم بصفة دائمة في عوامتها ـ الراسية في نهر النيل مقابل مستشفى العجوزة بعد نقل جهاز اللاسلكي للعوامة حيث يتولى ارسال الاخبار أولا بأول الى مركز المخابرات الالمانية المتقدم مع قوات ـ روميل ـ . وكانت بعض هذه الاخبار السبب المباشر في اكتساح روميل للقوات البريطانية في أكثر المناطق قبل هزيمته المعروفة فيما بعد . ونحن نسجل في هذا الكتاب عن أعمال المخابرات في ماضي عهدها وحاضره ،، ويجب أن نعترف أن نجاح أي جاسوس مهما أوتي من ذكاء ومعرفة وحظ يتوقف على بقائه طبيعيا بدون أن يغير من نمط حياته التي أوصلته الى مكانته التي تعود الناس من حوله أن يروه بها ، لأن أي تغيير مفاجيء في حياته يجعل الفضوليين يتحدثون عن هذا التغيير مهما كان . وبطبيعة الحال هناك دائما مخابرات مضادة لها من العيون والجواسيس ما لنفس الجاسوس اذا لم يكن أكثر ، تحلل هذا التغيير بوضعه تحت مجهر المخابرات الحساس ، ومن ثم تقوم هذه المخابرات بعمل اللازم لكشف ما خفي وراء التغيير ، كما حصل مع ـ ايلر ـ اذ بلغ من الاهمية في نجاحه بعمله التجسسي أن حصل بمساعدة ـ حكمة فهمي ـ على حقيبة أحد القواد الكبار بما تحويه من أسرار عسكرية هامة ، مما دعا القيادة الالمانية الى زيادة المخصصات المقررة له آلافا مضاعفة ، فأخذ يبعثرها مع معاونه بدون حساب ، حتى قيل انه أشعل ذات مرة ورقة نقدية من فئة (المائة جنيه) ليشعل بها سيكارة راقصته المفضلة ، مما لفت بعد ذلك نظر المخابرات البريطانية التي

كانت قد وضعته تحت المجهر نتيجة التغيير المفاجيء في حياته بازدياد مصروفه وسخائه . وقد دفعت المخابرات البريطانية بفتاة يهودية الاصل اسمها (ايفيت) كانت تعمل ظاهرا موظفة في قسم الاستقبال في فندق (كونتننتال) ، وعملها

الحقيقي (جاسوسة مزدوجة) فهي أولا عميلة للوكالة اليهودية في مصر ، وثانيا عملية للمخابرات البريطانية بنفس الوقت ، فدخلت حياة (ايلر) كعشيقة (١) حيث استطاعت كشف ومعرفة ما يجري في عوامـة التجسس التي اصطحبهـا اليها • وبعد ذلك اقتحم البوليس الحربي البريطاني العوامة ، واعتقلوا ــ ايلر ــ ومعاونه وحكمة فهمي حيث جرى نقل الجاسوس ومعاونه بعد ذلك الى لندن ولم يكشف النقاب عن مصيرهما ، أما حكمة فهمي فقد قضت في السجن سنتين ونصف خرجت بعدها لتعود الى عملها (كراقصة مصر الاولى) •

وحكمت فهمي ليست المرأة الاولى التي عملت مع المخابرات الالمانية حيث نجد بعد تقليب الصفحات عن الحرب العالمية الثانية ومارافقتها من أعمال تجسـسية لصالح المخابرات الالمانية ، نجد أن هناك ايضا امرأة المانية من أصل سويسري تدعى (كارمن ماري مورى) تخرجت كارمن من معهد الجاسوسيـة الالماني بدرجة تفوق حيث عهد اليها بمهمة الكشف عن اسرار (خط ماجينو) هذا الخط الذي وصف في حينه بأنه قلعة منيعة لا يمكن اختراقها) •

توجهت كارمن رأسا الى العاصمة الافرنسية (باريس) لانها أكثر المدن اهمية ، كما أنها تعج بعشرات الضباط الفرنسيين حيث أصبحت مقصد أغلبهم بالاضافة الى صداقتها لعدد من الشخصيات الهامة ، وكانت تذهـب من وقت لآخر للقيام بزيارة قصيرة للمدن والقرى الواقعة على مقربة من خط ماجينو ولكنها كانت من الحذر حيث كانت تتردد على مكان تحصينات الخط والذي كان يتضمن ثكنات تحت الارض تتصل فيما بينها بدهـاليز وممرات تخترقهـا الخطوط الكهربائية والحديدية ، كما تعرفت أيضا على أماكن حقول الالغام ، وسدود الحواجز المضادة للدبابات وما تحويه من مدافع تم تمويهها باتقان تام لتحمي الخط ، كما تمكنت من معرفة النقاط الاستراتيجية التي كان يضعها الفرنسيون

---

(١) من المعروف أن اليهوديات وبأوامر من سلطاتهم حتى قبيل احتلال فلسطين يقدمن انفسهم بكل سهولة بل باندفاع لان تعاليمهم تقضي بتقديم الفتيات لقاء الحصول على أي شيء يفيد الحركة الصهيونية كما نوهنا عن ذلك في فصل المخابرات الاسرائيلية •

لاعاقة أي هجوم عليه ، ثم قامت بارسال جميع هذه المعلومات الى خطيبها ضابط الاستخبارات الالمانية (هنز) الذي كان قد ذكاها لهذه المهمة ، ومن ثم وعدها باتمام زواجه منها فور انتهائها من أداء هذه المهمة الشاقة .

الخطأ المميت

في احد امسيات شتاء عام ١٩٣٩ وبينما كان الشعب الفرنسي يتساءل بقلق هل ستدخل حكومته الحرب أم لا ، وفي هذه الاثناء اتخذت كارمن فندق (جورج الخامس) مقرا لها ، وأصبحت من نزلائه المرموقين حيث كان الجميع يعاملونها باحترام كبير . في هذا المساء بالذات تناولت الكثير من المشروب مع صديقين فرنسيين ، كانا من ضباط المخابرات الفرنسية حيث استدرجاها الى حديث تجاوز مداه ما يطلبه الحذر منها [1] وقد أجابت على بعض الاسئلة التي طرحت عليها بترتيب بعد أن تم اعدادها للايقاع بها .

في اليوم التالي تم اعتقالها ووضعت في سجن (بوتيت روكيت) الذي يقع في احدى ضواحي باريس ، ومن المعروف عن هذا السجن أنه سجن موحش يوضع به المجرمون الخطرون ومنهم المتهمون بالتجسس ، وبما أنها امرأة فلم تكن المعاملة التي لقيتها هناك حسنة بالنسبة لما تعودت عليه من حياة الترف والبزخ . وبقيت هناك حتى شهر نيسان من عام ١٩٤٠ حيث انتهى التحقيق معها من قبل المجلس العسكري الذي حكم عليها بالاعدام ولكن هذا الحكم لم ينفذ بعد أن عرض على الرئيس (لوبرون) الذي انزله الى السجن المؤبد مدى الحياة

حيث أعيدت الى سجنها الموحش ، وبقيت فيه حتى سقطت فرنسا ، ووصلت القوات الالمانية المنتصرة الى باريس حيث تم تحريرها من السجن ، ونقلت بطائرة الى برلين حيث قدمت الى زعيم الجستابو (المخابرات الالمانية) الذي رحب بها ، وأخذ يتمعن بها بعينيه الزرقاوين فبادرته بقولها : انها لا تستحق الحياة والعمل

---

(١) كانت كارمن موضع شبهة مسبقة من قبل المخابرات الافرنسية بأن تكون احدى عميلات النازين ولكن لم يكن لدى المخابرات أي دليل ضدها . حتى أخطأت بتناولها المشروب زيادة عن حد الامان المسموح لها به وهذا الخطأ أول ما يدرس في مدارس المخابرات الآن .

لهم بعد هذه الخطيئة ، فأجابها لنترك الحديث عن الماضي لاني وجدت لك عملا جديدا ينتظرك . سوف أبعث بك الى بلجيكا وهولندا لتكون مهمتك العمل والتظاهر كأنك عضو في منظمات المقاومة السرية . وعملك سيكون اكتساب ثقة رؤساء هذه المنظمات وكشفهم وكشف أماكن عملهم وأسلوبهم وبالنتيجة يجب أن تعرفي كل شيء عنهم وعن عائلاتهم وتمنى لها التوفيق وبعد ذلك نهضت كارمن وقد سرت لهذه المهمة الجديدة ووعدت زعيم الجستابو انها ستكون عند حسن ظنه هذه المرة .

جهزت لها المخابرات الالمانية جميع الاوراق اللازمة التي ستحتاجها في مهمتها الجديدة ، وقذف بها على الحدود على أنها فرنسية هاربة من باريس (هذه المهمة سيكون من السهل عليها تنفيذها نظرا لاجادتها اللغة الفرنسية)

كانت الضحية الاولى لها فتاة تعمل كضاربة على الآلة الكاتبة ، وعمرها سبعة عشر عاما وكان أخاها قد قتل أثناء الغزو الالماني لبروكسل . قامت كارمن بوشاية هذه الفتاة الى الجستابو بأنها تعمل مراسلة بين منظمات المقاومة لنقل الشيفرة لهم . وبعد وشاية كارمن بها لم يعثر لهذه الفتاة على أي أثر ....

بعد الكشف عما قامت به هذه الجاسوسة من أعمال وحشية ، لم يتمكن أحد من تنظيم لائحة رسمية بعدد الذين وشت بهم كارمن الى الجستابو من رجال ونساء وأغلبهم من الذين كانت لهم أهميتهم في قيادة الكفاح ضد النازية . ومن الثابت أن نتيجة أعمالها كانت رهيبة جدا لان الاسلوب الذي كانت تتبعه للايقاع بضحاياها هو نفس الاسلوب الذي كانت تتبعه قبلا عند استيلائها على أسرار خط ماجينو ، وكان لنجاحها في تنفيذ مهماتها اكتساب ثقة رؤسائها . ومع ذلك ، وجد من ضباط الجستابو من شك في ولائها ، ومنهم ضابط مخابرات الجستابو في امستردام ويدعى (هايك) الذي تورطت معه في نقاش حاد ذات يوم فاتهمها صراحة بانها تتغاضى عن بعض الاشخاص الذين طلب منها مراقبتهم وأنها تعمل على الايقاع بالعناصر العاديه والذين لا قيمة لهم تاركة رؤساءهم يسرحون ويمرحون .

ولكنها وهي الواثقة من نفسها ، تجاهلت هذا الضابط ، فما كان منه الا ان ارسل تقريرا مفصلا بشكوكه الى رئيس الجستابو (هايدريك) الذي درس هذا التقرير مع غيره من التقارير السابقة بحقها حتى قضية خطئها في باريس

قبل احتلالها من قبل الالمان • وكانت نتيجة الدراسة قرار رئيس الجستابو بأنه لا يوجد أي مبرر للشك في سلوكها نتيجة الخدمات الجليلة التي قدمتها الى الرايخ الثالث ، وأن اقدامها على الخيانة هو احتمال ضئيل وأمر يستبعد صدوره منها ، لذلك ونتيجة لقناعته باخلاصها قرر أن يسند اليها مهمة جديدة تتناسب مع طبيعتها المتهورة •

مهمة جديدة وضحايا جدد :

نقلت (كارمن) الى معسكر (رافنسبروك) الذي يقع على بعد ٨٠ كيلو متر من برلين ، حيث أدخلت الى المعسكر في صورة (معتقلة سياسية) ، وتحت التهديد والوعيد والاهانات ، عدا عن مظهرها المتقن ومعاملتها أمام المعتقلات معاملة قاسية • وكان من بين المعتقلات (ابنة اخ الجنرال ديغول) وكانت هذه المعاملة القاسية سببا في كسبها ثقة من في المعتقل •

تعرفت على (فريد زسوهيرن) وهو من أعوان هتلر الموثوقين ، والذي كان يدير المعتقلات في المانيا ، ومنها هذا المعتقل ، وكان معروفا بطبعه الشرس ، وحبه للسيطرة ، والظهور ، وتملق السلطة ، وتذكر التقارير التي ظهرت بعد انهيار النازية أن حوالي ثمانين ألف امرأة اعتقلوا من جميع أنحاء آوربا واتهموا بمقاومة النازية لقوا أجلهن في هذا المعسكر الجهنمي وأن (ايخمان) الذي عرضنا قصة اختطافه من قبل المخابرات الاسرائيلية في هذا الكتاب كان يقرر الموت لهؤلاء •••

ولما كشفت كارمن من قبل المعتقلات ، جرى تعيينها كرئيسة لاحد عنابر هذا المعتقل ، وكان مركزها الجديد كافيا لاشباع رغباتها ، وحبها للسيطرة ، وارهاب النساء الاخريات ، والتلذذ بمشاهدتهن يرتعدن أمامها • بل وكانت تجبرهن على الانحناء لها حتى سميت (الملاك الاسود) • وكان من ضمن عملها مساعدة رجال التحقيق التابعين للجستابو على انتزاع الاعترافات من المعتقلات بعدة طرق وحشية ، نذكر منها استعمالها السوط لجلد ظهور النساء المرهقات ، ثم طريقة انتزاع الاقوال بالماء ، وهي وضع المعتقلة على طاولة وتقييدها ، ثم غمر رأسها في سطل ماء مثلج عدة مرات حتى تعترف • ولا ننسى قسوتها يوما ،

عندما تلقت أمرا بالتخلص من سبعين امرأة، حيث عملت على جرهن من شعورهن عند الالقاء بهن في أفران الغاز .

بقيت كارمن حوالي اربع سنوات في هذا المعتقل ، وفي عملها هذا حتى دخلته القوات السوفييتية ، وحررت الاسرى فتمكنت من الفرار والاختفاء حوالي شهرين حيث دخلت المنطقة التي تسيطر عليها القوات البريطانية لان البريطانيين في نظرها أكثر تهذيبا ومرحا من السوفييت .

وضع خبرتها السابقة تحت تصرف البريطانيين :

قدمت كارمن الى السلطات البريطانية جواز سفر افرنسي (مزور) كانت تخبئه لمثل هذه الاوقات . وادعت امامهم بأنها احدى المعتقلات السياسيات (سابقا) في معتقل (رافنسبروك) ، وانها على استعداد لوضع خدماتها في معرفه ما علمته وشاهدته في هذا المعتقل تحت تصرفهم . رغبة منها في العثور على جلادي هذا المعتقل وعلى رأسهم (فريد زسوهرن) حسب ادعائها ... ؟

في بادىء الامر ، حامت حولها الشكوك ، مثلما يحدث في مثل حالتها مع كل من يتجاوز الحدود . ولكن في النهاية انتهى الامر بتصديقها . وقد أعجب البريطانيون بذكائها وتذكرها كل صغيرة وكبيرة عن السجانين والمسجونين على السواء ، واستمرت في عملها الجديد مدة خمسة اشهر حتى وصفها أحد ضباط (الانتلجانس سرفيس) بأنها ذات ذاكرة من (الصنف الدقيق) بسبب تذكرها جيدا أسماء وصفات وحتى العاملات الفارقة لضباط الجستابو السابقين ، مما دعا الى اعتقال عدد كبير منهم ، نتيجة ارشاداتها ومعلوماتها . وكان لها الفضل في اعتقال (فيشر) وهو أشهر أطباء النازيين في مجال التعذيب والتشويه والقتل . حيث كان يقوم بتجاربه الجهنمية على السجناء الذين تضعهم المخابرات الالمانية تحت تصرفه ، وكان يقيم في قرية تدعى (ميندن) وظهر السرور عليها عندما اعتقله رجال المخابرات البريطانية ، وكان من جملة أعمالها الانتقامية من الالمان مرافقتها لضباط المخابرات البريطانية الى معسكر (لوف توف) المشهور ، وذلك للتعرف على الضباط والمسؤولين عن الجرائم الوحشية . وذات مرة وهي تقوم بمثل هذه الجولات لمحت فتاة تعطي فتاة اخرى بجانبها في المعتقل ورقة مطوية . وبحركة سريعة تناولت كارمن الورقة وفتحتها وقرأت فيها أن هذه الفتاة تخبر

رفيقتها أن كارمن (يهودية) فغضبت جدا وصرخت في الفتاة (اذا أنا يهودية) وصفعتها صفعة قوية فوقعت المسكينة على الارض مغميا عليها [1] •

النهاية :

تمادت كارمن في ايذائها للالمان ، ولم تتمكن من كبح جماح نفسها وعاطفتها السادية وفي ذات يوم ، وبينما كانت ترافق احدى دوريات المخابرات البريطانية شاهدت في الطريق امرأة المانية من اللواتي كن يعملن في الجستابو فصرخت كارمن بالسائق أن يقف ، وهجمت على هذه المرأة أمام المارة الذين أصابهم الذهول وصرخت فيها : (تعالي يا بنزدوروفي) أما المرأة فقد جمدت في مكانها من المفاجاة ، ولم تتمكن سوى من نطق كلمة (موري) وقد اعتقلت هذه المرأة فورا وخضعت لاستجواب دقيق سبب نهاية كارمن • ولو أنها هي بنفسها سببت نهايتها باعتراضها لهذه المرأة • وأثناء التحقيق معها بدأت الحقائق تظهر بوضوح أولا بأول عن الاعمال التي زاولتها كارمن في المعتقل ، كما توصلت المخابرات البريطانية الى أن كارمن هي التي توجهت الى باريس في يوم من أيام ١٩٣٨ لتكشف على أسرار (خط ماجينو) • وهكذا اعتقلت كارمن في نفس الوقت الذي كانت أغلب قوات الحلفاء تبحث عنها ووضعت في سجن (التونا) في هامبورغ • حيث انضمت الى زملائها مجرمي الحرب الذين بدأت محاكمتهم المشهورة بتاريخ ٣ /١٢/ ١٩٤٦ وكانت التهم الموجهة اليهم (ارتكاب الجرائم ضد أسرى الحرب والمعتقلين وتعريضهم للتعذيب الوحشي حتى الموت) وفي بداية المحاكمة كانت تبدو وكأنها واثقة من نفسها ، ولكن هذه الثقة بدأت تتلاشى خصوصا عندما شهدت ضدها فتاة فرنسية تدعى (فيولنيت لوكوك) بأنها كانت تعطي الحقن القاتلة الى المعتقلات ، فوقفت كارمن منفعلة ، وصاحت في وجهها أنها كاذبة في شهادتها عند ذلك ، هددها رئيس المحكمة باخراجها من القاعة اذا لم تحافظ على الهدوء • وفي أول شهر نيسان ١٩٤٧ صدر عليها الحكم بالاعدام ، واعيدت الى سجن (التونا) ، ووضعت في زنزانة الموت ، ومع ذلك

---

(١) من تصرفات كارمن وتحولها من خدمة النازيين الى خدمة البريطانيين بهذا الشكل وعدم التزامها بمبدأ استخلصنا أنها من أصل يهودي حتى أكدت فتاة المعتقل أن كارمن يهودية •

لم تفقد الامل ،، فلعبت في آخر ورقةكان لها أمل فيها وهي جنسيتها السويسرية فقد وجهت بواسطة القنصلية السويسرية في هامبورغ نداء مستعجلا للحكومة السويسرية تطلب التدخل لوقف تنفيذ حكم الاعدام الصادر بحقها ، ولكنها أبلغت في ٨ /٤/ ١٩٤٧ بأن طلبها قد رفض ، وهذا يعني تنفيذ حكم الاعدام فيها واستقبلت هذا الرفض ببرود وهدوء حتى قيل انها صرحت لاحدى المعتقلات معها (بأنهم لن يستطيعوا شنقها !) .

رسمت كارمن في هذه الليلة اشارة الصليب على صدرها ، وجلست على فراشها القاسي ، وطلبت أن يحضروا لها حذاء غرفة النوم [1] فأحضروه لها من قبيل الشفقة والعاطفة الطيبة . وفي صباح اليوم التالي نظرت رئيسة الحرس من كوة باب الزنزانة فوجدتها ممدة على الفراش ووجها أصفر فأسرعت بالدخول اليها ، فوجدتها قد فارقت الحياة انتحارا بواسطة شفرة كانت قد خبأتها بين طبقات نعل حذائها ، وهكذا تمكنت كارمن من تطهير نفسها بدمها الذي أهرقته بنفسها . وكانت هذه النهاية المفجعة متوقعة نظرا لشراستها أولا ، وثانيا بسبب عدم تنفيذ اجراءات الأمن المفروضة في مثل حالتها ، خصوصا وهي من الخطورة بحيث لا يستبعد ممن تكون مثلها أن تقدم على الانتحار .

واذا تابعنا سبر غور أعمال المخابرات الالمانية (الجستابو) ابان حكم الرايخ الثالث نجدها مشحونة بالقصص والاعمال المتسمة بالقسوة والوحشية ، بالاضافة الى بعض القصص التي فيها من الاعمال الخارقة والبطولات الفردية ، التي قدمها مواطنون ألمان ، وكان لها الفضل في بعض الانتصارات العسكرية التي ساعدت هتلر على تهديد العالم بأسره نتيجة تهوره المعروف واذا راجعنا سجل المخابرات الالمانية نجدها حافلة بالقصص التي تستحق أن تسجل ، وأن يطلع عليها القارىء في هذه الظروف بالذات ، لكي يتعرف على ما قامت به ألمانيا من جرائم وحشية ضد شعوب آمنة من نتيجة هجوم الجيوش الالمانية ، أو من

---

(١) من دواعي الامن المتبعة مع المحكومين بالإعدام عدم ترك أي ملابس او أدوات مهما كانت بسيطة ومنها (الحذاء) تحت ايديهم وذلك خشية محاولتهم الانتحار نظرا لانهيار اعصابهم من الخوف الناتج عن تصور تنفيذ حكم الاعدام بهم فيستهينوا بالانتحار .

نتيجة أعمال تخريبية أو تجسسية قام بها عملاء المخابرات الالمانية المنتشرون في دول مختلفة وفي أوقات سابقة ، ومن قصص هؤلاء قصة : العميل الفريد ويهرينغ •

بداية العمل في اصلاح الساعات :

من المعروف أن كل مخابرات في العالم تدرس وضع كل عميل في مكـان مناسب وقبل مدة معقولة ليظهر بين اهل المنطقة المحدد له العمل بها ، ومن ثم يزاول تجسسه بدون أن يلفت اليه الانظار ، كما حدث مـع العميـل الالماني (الفريد ويهرنيغ) وهذه الطريقة تدعى (بـ الزرع) حسب تعبير المخابرات •

كان ويهرنغ ضابطا قديما من ضباط البحرية الالمانية في زمن القياصرة وبقي الى نهاية الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٩ حيث سرح من البحرية ، وبقي عاطلا عن العمل مدة أربع سنوات حتى عام ١٩٢٣ حيث عهد الى الاميرال (كانـاري) باعادة تنظيم ادارة الجاسوسية الالمانية فتذكر صديقه القديم الضابط ويهرينغ الذي كان يكنّ له كل تقدير ، فاستدعاه وعهد اليه بمهمة جديدة عليه ، ولكنه كان سعيدا بها لاستعادة نشاطه وحيويته ، وأصبح بموجب أوامر كاناري الوكيل المعتمد لاحدى الشركات الالمانية التي تستورد الساعات بكثرة من سويسرا ، مما سهل عليه السفر الى عدة بلدان في أوربا كان عمله ظاهرا بسبب تجارة الساعات، وكان يقوم بجمع المعلومات عن المنشآت البحرية التي يمر عليها والتي قيـد الانشاء ، كما كان يقوم بالتقاط الصور لها بحجة (الذكرى) ، وبعد ثلاثة أعوام من عمله الجديد ، اكتسب خبرة الجاسوس المتمرن ، فقرر كاناري ارساله الى سويسرا لتعلم مهنة الساعات. فقضى ويهرينغ مدة سنة في سويسرا ، ليعود كأمهر مصلح ساعات يمكن أن يفتتح واجهة ممتازة لتصليح الساعات في أي بلد ، ويختفي ورائها لمزاولة نشاطه الاصلي ــ التجسس ــ •

بالاضافة الى حصوله على جواز سفر سويسري بمساعدة السفارة الالمانية في جنيف •

قطف ثمار صناعة الساعات وتصليحها :

عام ١٩٢٧ وفي يوم من أشهر الصيف (أي قبل أن يفكر هتلر في محاولته للسيطرة على العالم باثنى عشر عاما) ، تقدم رجل قصير القامة ، يضع على عينيه

نظارات طبية الى رجال الجمارك والجوازات في بريطانيا على أنه قادم من سويسرا واسمه (البرت أورتل) وصرح لهم بأن عمله هو صناعة وتصليح الساعات بأنواعها ، وأنه قدم الى بريطانيا لمزاولة عمله ، وأضاف بلطف وابتسامة بريئة أنه يشرفه أن يجد عملا في الجزيرة البريطانية الساحرة التي تشبه على حد زعمه موطنه سويسرا .

سمح له بالطبع بالعمل في بريطانيا ، فاختار مدينة (كيركويل) واستأجر فيها مسكنا متواضعا اقام فيه ، ومن المعروف أن هذه المدينة لا تبعد عن (ميناء سكابافلو) كثيرا (أي أن موقعها استراتيجي) .

تمكن أورتيل من الحصول على محل صغير في المدينة وأخذ يزاول فيه بيع المجوهرات والتحف بالاضافة الى تصليح الساعات بمختلف أنواعها . وكان عمله متقنا (بسبب اكتسابه الصنعة ورغبة للنجاح في مهمته) لذلك اكتسب شهرة واسعة ، ولقي التشجيع والاستحسان لما كان يتمتع به من التهذيب والدقه والنبل الواضح في تعامله مع زبائنه ، ولم ينس في غمرة هذا النجاح أن يتقدم بطلب الحصول على الجنسية البريطانية [1] وبقي هذا الطلب حتى عام ١٩٣٢ حيث انتهت الاجراءات اللازمة لحصوله على الجنسية البريطانية عوضا عن الجنسية السويسرية المزورة . وهذا لم يكن واردا في التعليمات التي تلقاها قبل البدء في مهمته بل كان من نتاجه الخاص وذكائه ، لان بعض الجواسيس ومنهم من ذكرنا أعمالهم في هذا الكتاب كانت تعطى لهم الجوازات والجنسيات المزورة والمعدة في مكاتب المخابرات بينما نجد أن جاسوسنا هذا حصل وبالطرق القانونية على الجنسية البريطانية . نتيجة وضعه في هذه المهمة التي نجح بها أبعد حدود النجاح وكان لعامل الزمن أهميته لاكتساب ثقة مواطنيه حتى أصبحوا يدعونه الى منازلهم أيضا ويتباسطون معه في الحديث ، ولو عرفوا أن هذا الساعاتي لم يكن سوى ضابط من ضباط الجستابو ، لكانوا أكثر تحفظا في اظهار عواطفهم نحوه ، ولم يعلموا أن كل المعلومات التي

---

(١) يكون مضى على اقامته التجسسية في بريطانيا خمس سنوات وهي المدة القانونية لحصول أي شخص يقيم ويتقيد بالقوانين البريطانية على الجنسية البريطانية .

يتكلمون بها أمامه ، والتي كانت تهم الجستابو ، تأخذ مكانها في دفتره حالا بعد عودته من السهرة ، ومن حسن حظه أصبح له زبائن من ضباط البحرية الملكية البريطانية ، وبعض ضباط القيادة كانوا يترددون اليه لشراء الهدايا أو لاصلاح ساعاتهم ، وعندما يحصل على خبر مهم يستبق الزمن الى مسكنه ويغلقه على نفسه ويهرع الى جهاز اللاسلكي ، ويضبطه على تردد معين هو رمز التعارف مع محطة القيادة ، ويبلغهم ما حصل عليه من المعلومات • أما المعلومات العادية ، وصور القطع البحرية التي يحصل عليها ببراءة ، فقد كان يرسلها بالبريد العادي وعليها اهداء الى صديقه فون بيلو ولم يكن هذا الصديق سوى الملحق البحري الالماني

في هولندا بينما كان يتلقى رسائل عادية لاتثير الريبة كانت تحمل في طياتها أوامر رئيسه (كاناري) وتوجيهاته •

وقد حرص (أورتيل) على أن لايثير حوله أي شك مهما كان بسيطا ، حتى أصبح أهالي (كيركوبل) يعتبرونه واحدا منهم ، ولم يجرؤ أحد على التساؤل عن نزهاته اليومية في الميناء أو نظره الى الافق البعيد بالمنظار المكبر ، وهكذا سارت حياته رتيبة هادئة حيث تنقل من نجاح الى نجاح ، حتى تلقى رسالة واردة من سويسرا فييوم اعلان بريطانيا الحربعلى المانيا وقد ظهر الحزنعليه حال استلامه الرسالة واعتذر من جميع الذين دعوه لتناول الغذاء قائلا : إن الرسالة تخبره أن والدته البالغة من العمر ثمانين عاما مريضة جدا وتطلب رؤيته حالا •

بعد يومين تمكن من ايجاد باخرة متجهة الى (روتردام) فاستقلها حاملا معه كافة الرسوم والمخططات التي رسمها بنفسه ، وحصل عليها بمختلف الطرق • ولدى وصوله الى (روتردام) اتجه رأسا الى فندق البحارة ، وطلب مقابلة الهر (فوتيزبيرلو) رئيس فرع الجستابو الالماني في هولندا فاستقبله الاخير باحترام زائد ، وعندما قدم له (اورتيل) ماحمله معه دهش (بيرلو) وقام فورا باصطحابه الى مقر اقامة الملحق البحري الالماني (فون بيلو) ، الذي دهش أكثر مما شاهده من المستندات القيمة ، بالاضافة الى أعماله السابقة فهنأه بحرارة مشيدا بخدماته منوها أن الاميرال كاناريلم يخطىء عندما اختاره لهذه المهمة، وختم كلمته بتحية هتلر المعهودة (عاش هتلر) ، فرد أورتيل التحية بمثلها لانه بذلك الوقت لم يكن ذلك الساعاتي المسالم الهاديء المتحفظ ، وفعلا أرسلت كافة المستندات الى القيادة

مع رسول خاص ، بينما بقي أورتيل في ضيافة الملحــق البحري ورئيس فــرع المخابرات الالمانية في هولندا ....

حتى النهــايــة :

يحق للقاريء الكريم أن يتخيل أن مهمة (أورتيل) انتهت عند هذا الحد . ولكن المخابرات تحرص على السير في أعمالها للنهاية لكيلاتوجد ثغرات في أعمالها يكونُ لهافي بعض الاحيان خطر جسيم لذلك نجد أن أورتيل تلقى آمرا بالعودة الى مقر عمله .

شاركه جيرانه الحزن عندما ظهر بالملابس السوداء بعد عودته ، والذين علموا منه آنه وصل الى روتردام بعد ساعتين فقط من وفاة والدته ... كما قام بعد عدة أيام برفع علم بريطاني على محله قائلا لمن سأله : انني بريطاني مثلكم وعلي أن أظهر ابتهاجي تجاه الحلفاء ... بينما عكف فور وصوله الى اكتشاف آخر الاسرار المتعلقة بالدفاع عن (سكابافلو) ، لان السلطات البريطانية عمدت على اصلاح وسائل الدفاع عن هذه القاعدة لأن الصدأ تراكم على الافخاخ والشباك المعدنية المضادة للغواصات وقد ظهر له مدخل أحــد المحاور الشرقية لا يزال مفتوحا لم يتم اغلاقه بواسطة حبال الغواصات ومن الممكن لغواصة اجتيازه كما شاهد بأم عينه أن البارجة (البلوطة الملكية) واثنتين من القانصات البحرية قاربوا على الانتهاء من التصليح ...

اسرع (آورتيل) الى منزله وكان ذلك في احدى أمسيات شهر تشرين الاول وفتح دولابه الذي كان يخفي فيه جهاز الارسال فهيأه وأعطى نداء التعارف على الموجة القصيرة ، وأتاه الجواب بعد لحظات ، فأبرق لهم ما تمكن من معرفتــه وما دعاه الى الاسراع بالاتصال بهم ، ونقلت البرقية فورا الى الجنرال (دوينتز) الذي عزم على توجيه الضربة واستغلال الوقت الذي نبهه اليه (آورتيل) .





الغواصة (ى ـ ٤٧) •

أوعز الكابتن (براين) الى رجاله طاقم الغواصة (ى ـ ٤٧) بادارة المحركات والخروج من ميناء (كييل) باتجاه مجهول كان وحده يعرفه • سارت الغواصة ليلا في جو صافٍ حتى قاربت المحور الشرقي لميناء (سكابافلو) عند ذلك فقط أصدر الكابتن أمره الصارم « وضعية الغوص » وفي هذه الحالة ينفذ بقية طاقم الغواصة الاوامر تباعا • وكادت الحبال التي تربط الناقلات ببعضها أن تؤذي الغواصة عندما لامست فجأة أسفلها • وعلق مؤخرها في قبضة خطرة لاحد الحبال • عند ذلك وضع (براين) كافة خبرته ومعلوماته في الملاحة للخروج من هذا المأزق ولم يفقد أعصابه وأصدر أوامره الى غرفة المحركات كما يلي :

ـ وقف محركات اليسار •
ـ عمل المحركات اليمنى ببطء والى الامام
ـ الدفة الخلفية الى أقصى اليسار •

وهكذا وفي لحظات بدأت الغواصة في العوم البسيط ، فتخلى الحبل عن قبضته وتخلص (براين) من هذه اللحظة الحرجة وأصدر أمره : الى السطح•••

اهتزت الغواصة بدلال وهي تصعد الى السطح فرفع (براين) المنظار ، وشاهد (سكابافلو) وشاهد (البلوطة الملكية) تقف شامخة وقد عرفها من العلامات التي زودهم بها (أورتيل) الذي يقيم على بعد عشرات الامتار منه وعندما أصبحت (البلوطة) هدفا واضحا أعطى أمره : نار ••••

انطلق الطوربيد الاول وبعد ربع دقيقة أصاب مقدمة البلوطة ، والطوربيد الثاني ليصيب منتصفها ، والثالث مؤخرتها ، فاختفت تحت ستار عال من الماء نتج عن الانفجارات التي حدثت بعد ذلك في البلوطة • فانطلقت الشهب الزرقاء والبرتقالية والحمراء القاتمة والمندفعة من الحطام تخترق سواد الليل في كل اتجاه وكان أهمها صوت انفجار مستودع الذخيرة وأصبح منظر (البلوطة) هكذا كأن جهنم فتحت أبوابها في (سكابافلو) •

أما في القاعدة فقد أضيئت الانوار الكاشفة حتى أصبح البحر شعلة أخرى ، بينما انطلقت قاذفات الطوربيد البريطانية وقانصات الغواصات لتمشيط المنطقة بحثا عن الغواصة •

استغل (براين) الفوضى وأسرع عائدا ، بعد أن أمر بأن تدار المحركات بأقصى سرعة تاركا ورائه (البلوطة الملكية) تغرق رويدا رويدا حتى وصل الى ميناء (كييل) متمما هذا النصر البحري الذي هز البحرية البريطانية ، وطعنها في الصميم ، وحرمها بارجة من اعظم البوارج الحربية . ان هذا النصر كان نتيجة جهود (أورتيل) مصلح الساعات السويسري الذي اكتسب الجنسية البريطانية فيما بعد أو : الضابط (ألبرت ويهزينغ) جاسوس الجستابو الذي قضى هذه السنوات في مدينة بريطانية . بالرغم مما نعرف عن قوة المخابرات انبريطانية وبذلك يثبت لنا أن المخابرات مهما كانت من القوة ولديها الاجهزة الالكترونية والملايين لا تتمكن من كشف العملاء المضادين الا بالصدفة (أو من اخطائهم الشخصية)وليس من المستبعد وجود عملاء للمخابرات العربية في قلب واشنطون ولندن ...

كما يلاحظ من عملية اغراق البلوطة الملكية فقط من دلالة وتجسس (أورتيل) وما كلف من بقائه سنوات في بريطانيا ومن ثم عودة (غواصة خصيصا)) التقطته من مكان محدد بعد أن قام بتنفيذ مهمته على أكمل وجه ولم يعد يهم (الجستابو) أن يكتشف البريطانيون غيابه ...

كل ذلك يوضح بعض أسباب سرية ميزانية المخابرات في أغلب دول العالم أن لم يكن جميعها .. وتستمر الحياة في هذا العالم الذي تحركه المخابرات لنجد أورتيل بعد قضائه وقتا ممتعا مع أهله قد اختفى ... ليظهر في مكان جديد .. ومهمة جديدة ... انها المخابرات ....

الحرب العالمية الثانية .. اشعلها رجل مخابرات الماني :

عندما اجتاحت مئات الدبابات الالمانية ومن ورائها (١ر٢٠٠ر٠٠٠) جندي الماني . وفوقهم (٢٥٠٠) طائرة رسم على أجنحتها (الصليب المعقوف) الحدود البولونية من جميع الاتجاهات بتاريخ الاول من ايلول ١٩٣٩ ، أصيب الجيش البولوني بالذهول وتمزق اربا اربا ، بعد أن تحولت المطارات ومستودعات الذخيرة والمحروقات البولونية الى قطع من اللهب والشظايا ... بهذا الهجوم عرف العالم في حينه (الحرب الصاعقة) ، تلك الحرب الشاملة التي تنقض فيها

القوى الضاربة (جميع الاسلحة) على قوات العدو من الجو والارض فتدمرها تدميرا كاملا •••

أما بالنسبة للجيش البولوني فقد فوجيء أية مفاجئة ، وهو لم يستكمل تعبئته بعد بحيث لم يستطع القيام بأية أعمال دفاعية سوى بعض الاعمال الفردية التي منيت بالفشل حين أطبقت جحافل ــ البانزرز ــ فرق الدبابات الالمانية على العاصمة (فرصوفيا) ثم اندفعت باتجاه الحــدود الشرقية المتاخمــة للاتحاد السوفياتي ، وكانت أوامر هتلر تقضي باحتلال ــ بولونيا ــ خلال خمسة عشر يوما ، ولكن الاحتلال تم خلال عشرة أيام وأصبح نشيد (المانيا فوق الجميع) يعزف في شوارع جميع المدن البولونية على وقع خطوات القوات الالمانية••• المنتصرة •

وفي ألمانيا اذيع البلاغ الحربي الاول على الشعب الالماني في نفس اللحظات التي دخلت القوات الالمانية (بولونيا) على الشكل التالي :

(بلاغ من القيادة العسكرية هايل هتلر •••) •

في هذه الليلة •• وللمرة الاولى في أرضنا الالمانية فتحت القوات البولونية النظامية النار علينا ونحن نجيب على النار بالمثل منذ الساعة الخامسة من هذا الصباح •

ثم كرر هتلر بلذات هذه الكذبة بعد عدة ساعات أمام (الرايغشتاغ) آي المجلس النيابي الالماني ــ الذي انعقد بسرعة في قاعة (أوبرا كرول) في برلين ، وهو يرتدي بذته العسكرية ، ثم تبع ذلك بخطاب ناري بلهجة (هستيرية) حيث كان يقاطع بعد كل جملة بالتصفيق المحموم الذي يرتج له المبنى الضخم ولا سيما حين تحدى فرنسا وأنكلترا وايضا الرئيس الاميركي ــ روزفلت •••

عاد هتلر بعد ذلك رأسا الى مقر رئاسة الوزراء ، حيــث كان بانتظاره مساعده الاول مارشال ــ هرمان غورنغ ــ مصحوبا بشخصية سويدية كبرى هو « بيرجد داهاروس » الذي كان هتلر قد كلفه سرا بمهمة (تسوية الجو) في لندن ، فأعلمه داهاروس برفض لندن لكل تسوية وباخفاق مهمته بالتالي • فاستبد الغضب بالفوهرر ، وأخذ يذرع أرض القاعة جيئة وذهابا وهو منفعل ، ثم وقف وصاح بالرجلين : اذا كانت أنكلترا تريد الحرب فلها ما تريد ••••

سوف أحاربها سنة كاملة اذا ارادت حربا تدوم سنة .. واذا أرادت الحرب لسنتين فسوف أحاربها لسنتين ... ثم أردف هتلر وبصوت راعد « واذا استلزم الامر فسوف أحاربها لمدة عشر سنين » .

أما الشعب الالماني فنراه على عكس زعيمه فحين توجه موكب هتلر الى قاعة (أوبرا كرول) ذلك الصباح كان الالمان يشعرون بالوجوم الشديد وبأن المستقبل يحمل لهم في ثناياه شر مستطيرا . لذلك كانت الشوارع خاوية ، يهيمن عليها صمت مستغرب في مثل هذه المناسبة ، ــ مرور موكب هتلر ــ الذي كانت تحيط به الجماهير هاتفة هازجة ... أما في ذلك اليوم فان البرلينيين القلائل الذين مر بهم الموكب في طريقه ظلوا جامدين أشبه بالنافرين أو المذهولين وكانما استيقظ الشعب فجأة من النشوة التي كان (ثملا بها منذ ست سنوات) أو بصوره أدق منذ وصول هتلر الى الحكم أي بالتالي منذ شرع (غوبلز) وزير الدعاية يصب عليهم الانباء المهيجة المحمومة والمضخمة ... على أن جميع هده الدعاية والجهود لم تقنع الشعب الالماني بضرورة الحرب بدليل ما كتبه المؤرخ الالماني (وليام شيرز) يوم ٣١ أغسطس بالذات أي في اليوم السابق للغزو الالماني لبولونيا : (ان الناس جميعا ــ في المانيا ضد الحرب وهم يعلنون ذلك بصورة مكشوفة فكيف يمكن والحالة هذه اجبار شعب على خوض حرب لم يتقبل فكرتها ..) بيد أن هتلر يعلم أن موافقة الجماهير ليست الشيء الاساسي بالنسبة لمخططاته ، فهو يحتفظ بالكثير من السهام في جعبته وأولها (آلة الدعاية العملاقة) الكفيلة بحمل الجماهير على اعتقاد ما يشاء لها ، وقد صارح جنرالاته قائلا : (سوف تخلق لي الدعاية السبب اللازم للحرب) ولن يجرو احد في المستقبل على سؤال المنتصر عما اذا كان قد قال الحقيقة . وما يجب مراعاته في الحساب هو أن من يعلنون الحرب لا يهدفون الى الحق بل الى (النصر) أما الحق فهو ملك (المنتصر) ...

تمثل هذه الكلمات استراتيجية هتلر في هذه المعركة الاولى ، فقد كان واثقا من قدرته على احراز نصر ساحق على بولونيا ، فلم يعد أمامه والحالة كذلك سوى العثور على (سبب) يبرر اعلان الحرب .

فوجيء الجميع صباح ١ سبتمبر ١٩٣٩ بـ « الاهانة البولونية » وفي المانيا كانت اهانة لا تغتفر : فقد هاجمت قوة بولونية نظامية محطة الاذاعة في ـ غليوتيز (GLEiWTS) قرب الحدود البولونية ـ مخترقة الاراضي الالمانية . اذاً بولونيا هي التي بدأت العدوان وعليها أن تتحمل العواقب .

الرصاصات الاولى التي اطلقت في الحرب العالمية الثانية اطلقها رجل مخابرات :

لم تكن الرصاصات التي أطلقها رشاش الدبابة الاولى التي اقتحمت الحدود البولونية هي الرصاصات الاولى التي اطلقت في الحرب العالمية الثانية . بل سبقتها في الليلة المنصرمة (رصاصات أخرى اطلقها رجل مخابرات) وفيما كانت فرق ـ البانزرز وطائرات اللوفتواف تندفع على بولونيا في ذلك الصباح الباكر ، كان الرجل الذي أطلق الرصاصات الاولى يدلف الى منزله ليغط في نوم عميق يستعيض به عن الجهد الذي بذله في مهمته الليلية الناجحة ، دون أن يدور في خلده أن ما قام به سيكون له نتائج جسيمة : الحرب العالمية الثانية . ودون أن يدرك أحدا أنه هو الذي أطلق الرصاصات الاولى في هذه الحرب .

كان هذا الرجل هو ضابط المخابرات الالماني الملازم « الفريد هلمنت نوجوكس » أحد الاعوان المقربين من (رينهارت هايدريش) رئيس جهاز الامن السري في فرق الـ ـ SS ـ أي الفرق النازية الخاصة وقد بدأت مهمته في ٥ آب ١٩٣٩ حين استدعي الى المقر الرئيسي للمخابرات الالمانية في ـ برلين ـ شارع (برتز ـ البرت ستراش) حيث وجد رئيسه بانتظاره منتصبا بقامته المديدة وشعره الاشقر مرتديا بزته الرسمية الخاصة بفرق ـ SS ـ الذي بادره بقوله : أنت الرجل الذي يلزمنا في هذه المهمة وأخذ يشرح له المهمة التي سميت (الاطعمة المحفوظة) بالشيفرة . ولم ينسى أن يؤكد له أن هتلر نفسه قرر هذه العملية .

كانت العملية تقضي بأن يقوم نوجوكس بهجوم مفتعل على محطة (اذاعة غليوتيز) الالمانية القريبة من الحدود البولونية بصورة يكفل معها حصول

القيادة الالمانية على البرهان الكافي على آن هذا الهجوم حدث بفعل من القوات البولونية ... واختتم هايدريش حديثة الى نوجوكس بالتعليمات التالية :

ستذهب لمقابلة (هايزيخ مولر) رئيس الجستابو (المخابرات الالمانية) الذي سيسلمك سجينا وثيابا عسكرية بولونية وسيكون هذا السجين ضحية «الاعتداء» الذي ستتركه القوة المهاجمة صريعا خلفها لدى انسحابها وأضاف هايدريش حديثه قائلا بلهجة صارمة : من البديهي أن احتمال الاخفاق في هذه المهمه يعتبر خارج نطاق البحث بصورة مطلقة ... ؟

لم يدهش نوجوكس لطبيعة المهمة ، فقد نفذ هو شخصيا ما يفوقها غرابة حين ارسل الى سلوفاكيا ـ واخذ يلقي المتفجرات وافتعال الاعتداءات وذلك قبيل غزو ألمانيا لتشيكوسلوفاكيا .

بالعكس فقد وجد أن مهمته هذه أسهل من ذهابه الى سلوفاكيا وتعريض نفسه للخطر هناك . كل ما يطلب منه هو مهاجمة محطة اذاعة ألمانية وضمن الاراضي الالمانية واحتلالها لفترة وجيزة ومن ثم اذاعة بيان يهين فيه ألمانيا ، ويتوعدها ، وستكون جميع الاذاعات الالمانية مفتوحة لتلقي هذا البيان وبثه في المانيا لتهييج الرأي العام الالماني . ولكن نوجوكس دهش في اليوم التالي للعملية حين علم باندلاع الحرب .

أما هتلر فقد حدد أول شهر أيلول ١٩٣٩ موعدا للهجوم على بولونيا وأسر بذلك للجنرال (كاتيل) ، وكلف الاميرال كاناريس رئيس ادارة مخابرات الجيش الالماني بالاستعلام عن احتمال دخول فرنسا وبريطانيا الحرب الى جانب بولونيا ، وعندما أبلغه الاميرال كاناريس أن لندن مصممة على حماية بولونيا ، لم يصدق ذلك ، وظل معتزما الاقدام على مغامرته بيد أنه كان ينقصه اللمسة الاخيرة والاساسية في مخططه هذا ، وهي الحصول على (السبب اللازم) الذي يستحيل فيه عليه الرجوع الى الوراء ، وأنه بالتالي سيقامر بمصيره ومصير وهكذا قرر رأيه أخيرا على عملية (الاطعمة المحفوظة) . وصدرت أوامره الى مساعديه الذين شرعوا في البحث عن الرجل القادر عن تنفيذ هذه العملية فكان (نوجوكس) الرجل المنشود ..

كان هتلر مدركا كل الادراك خطورة ما هو مقدم عليه عندما اتخذ قراره

شخصيا بشأن عملية (الاطعمة المحفوظة) • فهو يعلم أنه يختار بذلك الطريق الذي يستحيل فيه عليه الرجوع الى الوراء ، وأنه بالتالي سيقامر بمصيره ومصير المانيا ومصير العالم أجمع • فلم يثنه ذلك عن عزيمتـه وقرر المضي في (لعبته) حتى النهاية • لذلك لم تصدق شعـوب العالم اذنيها وهي تستمع طيلة شهر أغسطس ١٩٣٩ الى تصريحات هتلر تنادي بالسلام والوئام ورغبة شعب المانيا في تجنب الخلافات مع جيرانه طالبا منهم حسن الجوار والصداقة والعلاقـات الودية ، وكان هتلر في أوج خداعه للعالم عندما رفع غصن الزيتون فجأة ، ولم يعلم أحد أنه يعد بالخفاء لضربته الكبرى •

عندما قال هايدريش الى نوجوكس : أن احتمال الاخفاق في هذه المهمة يعتبر خارج نطاق البحث بصورة مطلقة •• كان يعني بذلك الاعـدام الفوري لنوجوكس ورفاقه في حالة الاخفاق لذلك انصرف نوجوكس الى دراسة مهمته دراسة دقيقة مستعينا بالخرائط الجويـة لمنطقة الحدود كمـا سلمـه الاميرال كاناريس الملابس العسكرية والأسلحة البولونية ، وخصص له صالة تسيحة في أحد المعسكرات لتدريب رجاله الستة الذين انتقوا بدقة لهذه المهمة •

بدء التنفيذ :

بعد اتمام الدراسات والتدريب غادر نوجوكس برلين مع رجاله كمسافرين عاديين واتجهوا الى بلدة (غليوتيز) حيث حلوا في إحد فنادقهـا ، وسجلـوا أسماءهم (مهندسين) مما يبرر انصرافهم الى دراسة الاراضي المجاورة للبلدة ، ومنها الاراضي المحيطة بمحطة الاذاعة طيلة عدة أيام • ثم استدعى نوجوكس الى مدينة (أوبلن) في الايـام الاخيرة من شهر آب لمقابلـة (هاينريغ مولر) من كبار ضباط المخابرات الذي أعلمه ان الخطة قد توسعت مجددا وأنها أصبحت تقضي بتدبير عدد من حوادث الحدود ، وأنه أحضر بالتالي عشرة من السجناء العاديين المحكوم عليهم بجرائم مختلفة ، وسيقوم أحد الاطباء التابعين للمخابرات بحقنهم بمادة مخدرة ، ثم تستبدل ثيابهم بثياب عسكرية بولونية ، وتوضع في أيديهم أسلحة بولونية تمهيدا لاطلاق النار عليهم في منطقة الحدود ، حيث ستترك

(جثثهم) كشواهد على العدوان البولوني (المزعوم) ، حين يتهال الصحفيون على المنطقة الحدودية في الايام التالية لتغطية هذه الاحداث .

وعاد نوجوكس الى (غليوتيز) ونفذ القسم الاول من مهمة الحـدود وأطلقت النار على السجناء (الجنود البولونيون) وحضر الصحافيون ، وتوترت الاحوال على الحدود حتى ظهر ٣١ آب استلم نوجوكس البرقية الآتية : (اتصل بمولر لاجل الاطعمة المحفوظة) . وقد اتصل بمولر فعلا وأعلمه أنه مستعد للتنفيذ ثم توجه الى غابة « رايتبوزر » الملاصقة للحدود حيث ارتدى الالبسة العسكرية البولونية هو ورجاله وفي الساعة السابعة والنصف مساء اقتحم نوجوكس محطة الاذاعة التي لم يكن فيها سوى فنيين يشرفون على الاجهزة الفنية وأطلق الرصاصات الاولى فاستسلم الفنيون فورا ثم توجه الى ميكروفون الاذاعة وأمر أحد الفنيين ببدء الارسال : ثم ألقى خطابا جامحا هاجم فيه ألمانيا وكال لها الشتائم والتهديدات والاهانات الجارحة[1] وأطلق بعد ذلك مع رجاله عدة طلقات على البناء ثم اختفوا وقد دام هذا الهجوم مع اذاعة الخطاب دقائق معدودة . وأمام درجات المدخل وضعت جثة السجين وهو يرتدي الملابس العسكرية البولونية امعانا في التضليل .

قدر لتلك الرصاصات التي أطلقت في هذه المهمة من قبل ضابط المخابرات الالمانية نوجوكس أن تكون ابتداء الحرب العالمية الثانية ، التي امتدت كالنار في الهشيم . حتى أغرقت العالم كله بالدمار والويلات وملايين القتلى وبحر من الدماء لم تشهد له الانسانية مثيلا لاسيما وقد تممت هذه الحرب الضروس الولايات المتحدة الامركية بالقائها قنبلتين ذريتين على مدينتي هيروشيما ونغازاكي في اليابان ، حيث قتل عشرات الالوف خلال أقل من ساعة . واستمرت هذه الحرب حتى تضافر الحلفاء ودخلوا المانيا منتصرين وانتهى هتلر منتحرا أو مقتولا وطوت الايام والسنون ذكريات هذه الحرب المدمرة ليبقى منها ما خلاصته أن المخابرات هي التي أشعلت هذه الحرب .

---

(١) كان الخطاب معد سلفا في ادارة المخابرات الالمانية .

طمع جاسوس الماني :

كان موي زيش من الصحفيين البارزين في برلين ، وقد انضم الى الحزب النازي الالماني فأرسل مكافأة له كملحق تجاري في (أنقرة) العاصمة التركية ، وباعتباره مخلصا للحزب فقد كلف ضمن مهامه باداؤ قسم المخابرات في السفارة الالمانية ، وقد عثر على اسمه فيما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في كتاب شكر وثناء مرسل من سفير ألمانيا في تركيا (في حينه) فون بابن الى رئيس المخابرات الالمانية (الجستابو) هملر•فأوقف من قبل البريطانيين ، واتهم بجرائم حرب ، واخضع الى استجواب ، ثم اطلق سراحه ، ففضل الاختفاء في المنطقة الفرنسية من النمسا (وطنه الاساسي)•ولكن ظهوره في عملية تجسس على السفارة البريطانية في أنقرة جعلت المخابرات البريطانية تنطلق وراء موي زيش مجددا وتعتقله وتحقق معه فيما نسب اليه •

مساء ٢٦ تشرين الاول من عام ١٩٤٣ أفاق موي زيش على صوت جرس الهاتف في منزله الذي يقع ضمن السفارة الالمانية في أنقرة ، وكانت المتكلمة (فروجنك) زوجة السفير وأعلمته أن زوجها يريد مقابلته حالا •

فتح معاون السفير بنفسه الباب ، واستقبل موي زيش قائلا :

يوجد في الصالون شخص لديه معلومات تهمك باعتبارك مسؤولا عن قسم المخابرات وعندما تنتهي المقابلة أخرجه من السفارة وأغلق الباب ، وانسحب معاون السفير بينما وجد موى زيش أمامه شخصا قصير القامة ذو ملامح ناشفة ومتجهمة قدم نفسه قائلا :

اسمي ديبلو ألباني الاصل بامكاني تزويدكم بمعلومات قيمة هي صور لاهم الوثائق الموجودة لدى السفارة البريطانيةفي أنقرة ولكن مقابل ـ ٥٠٠٠ ـ خمسة آلاف جنيه استرليني لكل صورة •

تعجب موى زيش من طلبه وصراحته،وخطرت له فكرة طرده ولكن الجرأة التي أظهرها هذا الزائر بفرضه هذا السعر الجنوني قد شوشت تفكيره فقال له : من يضمن لي أنك لست عميلا بريطانيا ؟

أجاب ديبلو مشيرا الى السفارة السوفييتة : اذا كان عرضي لا يهمك أنه يغر غيرك ، فينبغي أن تصدقني بدون اثبات وصدق أن الوثائق التي أعرضها

عليك تساوي ضعف السعر الذي طلبته (كان واثقا من أهميتها) • وانا أعلم ايضا أنه لا يمكنك اتخاذ أي قرار بدون مراجعة السفير ، لذا أعطيتك مهلة لغاية الساعة الخامسة من مساء ٢٨ تشرين الاول (المهلة لا تتعدى اليومين) •

اعترض موي زيش مطالبا بمهلة أطول ، فأجاب (ديلو انه سوف يتصل به في يوم ٢٨ هاتفيا ، فان كان استحصل على الموافقة فانه على استعداد لمقابلته في الساعة العاشرة من مساء نفس اليوم في الحديقة العامة ليسلمه صورا لاربع وثائق هامة مقابل ـ ٢٠٫٠٠٠ ـ جنيه استرليني واستأذن بالخروج •

في صباح اليوم التالي ، عرض موى زيش الموضوع على السفير مضيفا أن ٣٠٫٠٠٠ جنيه استرليني أي ما يعادل ٣٫٥ مليون فرنك في ذلك الحين لهو ثمن ضخم لوثائق نجهل ما تتضمن • أما اذا كانت تلك الوثائق لها من الاهمية كما صرح ديلو فانه أيضا يجدر بنا أن لا نتركها تفلت منا •

قام السفير الالماني بدوره بمخابرة مستعجلة الى رينتروب في وزارة الخارجية الالمانية يعرض عليه القضية ،وأعلمه في حال موافقتهم ارسال المبلغ لعدم وجود مال احتياطي في السفارة لمثل هذه الامور ـ وقد وصل المبلغ بعد ظهر اليوم نفسه بطائرة خاصة الى انقرة ـ •

في الساعة الخامسة من مساء يوم ٢٨ تشرين الاول اتصل ديلو حسب الاتفاق ، وفي الساعة العاشرة كان يلتقي مع موي زيش وبدون أي تعليق سلم موي زيش المبلغ ضمن مغلف معدني واستلم مغلف الصور ، وسار كل منهما في طريقه • وما أن وصل موي زيش الى مكتبه حتى طلب من السفير فون بابن والمعاون جنك الحضور ، ثم استدعى المصور الخاص الذي عينته (الجستابو) لمساعدته في أعمال التجسس ، وبعد بضع دقائق كانت الصور مكبرة بقياس ٣٠ × ٤٠ سم وقد وافق الرجال الثلاثة بأن الوثائق تساوي فعلا ضعف الثمن المدفوع • فاللائحة الاول تحوي أسماء العملاء البريطانيين في تركيا ، والثانية هي ملحق لتقرير اميركي للائحة دقيقة لكمية ونوعية السلاح الذي أرسلته أميركا للاتحاد السوفياتي، والثالثة هي نسخة لمذكرة مرسلة الى لندن من قبل السفير السابق في انقرة تتضمن مجمل محادثاته مع

وزير الخارجية التركية لاقناعه ، ومن ثم حكومته باعلان الحرب على ألمانيا ، والوثيقة الرابعة والاخيرة تتضمن تقريرا أوليا عن آخر المقررات المتخذة من قبل هول ـ ايدن ـ مولوتوف في مؤتمر وزراء الخارجية المنعقد في موسكو ...

على أثر اطلاع السفير على هذه الوثائق ابتسم وقال : لا شك باننا وفقنا برجل ذكي لا يمكننا تسميته باسمه الحقيقي (ديبلو) فلنطلق عليه اسم (شيشرون) .

أرسلت الصور الى برلين مع رسول خاص ، وفور وصولها عرضها رينتروب على (هتلر) شخصيا الذي أمر باطلاعه بعدذلك على كل ما يستطيع (شيشرون) أن يوفق بالحصول عليه من صور الوثائق . فأبلغ رينتروب السفير فون بابن بوجوب استخدام (شيشرون) بصورة دائمة والسعي لاقناعه بجعل اسعاره (مناسبة) .

استدعي (شيشرون) للمقابلة بعد مخابرة أجراها مع موي زيش ، واقتنع بوجوب تسليم عشرين صورة نقية لقاء ١٥٠٠٠ جنيه استرليني ، وبعدها أنزل هذا السعر الى ١٠٠٠٠ ، وخلال خمسة أشهر قبض (شيشرون) مبلغا قدره (١٢٥٠٠٠) جنيه استرليني أي ما يعادل (٢٢) مليون فرنك في حينه .

وكان موي زيش لا ينفك فيكل مرة يسألهعن الطريق التي يستعملها لتصوير هذا القدر من الوثائق السرية . وكان الجواب في آخر مرة وبعد الحاح : ان السفير البريطاني هاو موسيقى شغوف بها ، وقد سر جدا عندما علم أن رئيس خدمة (ديبلو أو شيشرون) يحفظ عن ظهر قلب عددا من الاوبريتات الايطالية وقد طلب منه عدة مرات أن يسمعه بعض الالحان منها ومع الزمن وبهذه الطريقة اكتسب (شيشرون) ثقة السفير وأصبح أمير سره الخاص . وبينما كان ينظف احدى بدلات السفير ، وجد في أحد الجيوب (مفتاحا صغيرا) وقدر أنه مفتاح خزنة السفارة ، وأنه من الممكن أن يحصل على ثروة نتيجة أهمال (السفير) ، فاستحصل على نسخة من المفتاح صنعها له حداد تركي مقابل خمس ليرات تركية ، واستحصل على (آلة تصوير) اشتراها صدفة من أحد السياح ، وأخذ يصور الوثائق الموجودة في الخزنة وكان يقومعادة بالتصوير عندما يكون السفير (مسافرا) أو يكون (نائما) .

ان شخصية (شيشرون) سحرت موي زيش خصوصا وقد علم أن والده قتل بيد الانكليز أما شيشرون فكان همه الحصول على أكبر قدر من المال ، وهو مقتنع بأن الالمان يدفعو أكثر من غيرهم ثمنا لهذه الوثائق ، مع أنهم أنقصوا له القيمة الى الثلث .

نتيجة استخدام المانيا لوثائق (شيشرون) :

لا شك أن المستندات التي حصل الالمان على صورها لها أهميــة بالغة ، فصورة التقرير البريطاني عن (مؤتمر طهران) تتضمن المناقشات التي جرت حول فتح (جبهة ثانيــة) ، مذكرة السفير البريطاني عن مؤتمر القاهرة ، تقيد هتلر لمعرفة مايجري بين بريطانيا والاتحاد السوفييتي لجر تركيا لتعبئة جيوشها ودخول الحرب ضد ألمانيا ، وقد تلقى السفير فون بابن تعليمات صريحة باستعمال الرشوة ثم التهديد لابقاء تركيا على الحياد . ولكن اتكاله على مضمون وثائق شيشرون في القيام بمهمته ، جعل وزير الخارجية التركية (في حينــه) نعمان مينوغلو يتعجب من معلومات السفير الالماني الدقيقة لدرجة أنه أبلغ السفير البريطاني بأنه لا بد أن يكون هناك (جاسوس) في سفارته . فقام السفير باعلام حكومته عن مخاوف الوزير التركي في برقية استحصل (شيشرون) على صورة لها ، وسلمها للسفارة الالمانية ايضا مقابل ثمن وعلى اثر تلك البرقية أرسلت الحكومة البريطانية جهازا تحذيريا معقدا جدا مع بعض خبراء الانتلجانس سرفيس الذين ساعدهم شيشرون بتركيبه ، مما جعله على علم بطريقة تعطيل جرس الانذار . وبهذه الطريقة تمكن من اكمال تصوير جميع ما تحويه خزنة السفارة من وثائق حتى أنه قام بتصوير بعض الايصالات المالية التي يقوم السفير بالتصرف بها شخصيــا .

بتاريخ ٦ نيسان عام ١٩٤٤ انفجرت قنبلة موقوته في السفارة الالمانية في أنقرة ، واختفت على أثر هذا الانفجار المدعوة (نيلي كاب) ابنــة القنصــل الالماني السابق في بومباي وقد عرف بعد أنها كانت تعمل لحساب المخابرات البريطانية ، وهي التي (أعلمت السفير البريطاني عن تردد شيشرون الى السفارة الالمانية) وفضحتــه .

لم يستطع السفير البريطاني اتخاذ أي اجراء ضده سوى طرده من خدمته ، لان تركيا كانت قد دخلت الحرب الى جانب الحلفاء .

قرر شيشرون أن يسافر الى اميركا اللاتينية للعمل فيها بما لديه من مال في المشاريع العمرانية وباسم (مستعار) ، وعندما بدأ يخرج المبالغ التي جمعها من التجسس ليصرفها تبين له بأن ما يعادل خمسة عشرة مليون فرنك كانت مزورة ، وأن ما تصرف به وكان عملة صحيحة هو ٥ ٪ فقط مما دفعته له المخابرات الالمانية ... ومع هذا خسرت ألمانيا الحرب .

أما موي زيش فقدمته المخابرات البريطانية الى محكمة نورمبرغ ، التي حاكمت الزعماء والضباط الالمان بجرائم الحرب ، فلم تجد المحكمة انه مذنب سوى باشتراكه في قضية شيشرون وتجسسه على السفارة البريطانية ، فبرأت ساحته وعاد الى بلدته ــ فاين ــ في منطقة جبال الالب .

الريفو هرر هنريخ هملر رئيس المخابرات الالمانية مريض :

مبنى رئاسة (الجستابو) المخابرات الالمانية القائم في شارع البريشت رقم ٨ ــ برلين كان له من الرهبة لوجود العديد من الحراس العسكريين والمدنيين وعشرات الاعلام ذات الصليب المعقوف ، وحراسة الذين يتفحصون الجميع بنظرات ملؤها الاستخفاف والتعالي وعندما كان الناس يمرون أمام هذا المبنى ، يسرعون الخطى ويخفضون رؤوسهم أو يميلون بانظارهم عن المبنى

في هذا البناء كان مركز (الجنرال هنريخ هملر) رئيس المخابرات الالمانية ، الذي كانت له المنزلة الرفيعة في الارهاب حتى أن الالمان كانوا يخشونه أكثر من خشيتهم لهتلر نفسه .

أقامت المخابرات الالمانية ــ الجستابو ــ مدرسة للجاسوسية ضمن معهد كلوبستوك في مدينة هامبورغ كانت هذه المدرسة تخرج الجواسيس الالمان وغيرهم من العملاء ليوفدوا الى جميع أنحاء العالم .

بتاريخ ١٥ /٣/ ١٩٣٩ توقفت سيارة ذات طابع بورجوازي ، يقودها سائق مهذب امام هذا البناء وهبط منها رجل مدني في الاربعين من عمره ، وتوجه الى رئيس حرس المبنى بهدوء بالغ (وكأنه لا يعرف الصفة الرهيبة للمبنى)، وطلب منه أن يقابل (الريخفو هرر هملر) وهذا اللقب أوجده هتلر خصيصا لهملر ، فسأله الضابط : هملر شخصيا ؟ أجابه الزائر : شخصيا.. سجل الضابط اسمه ثم دخل مسرعا وبعدقليل ظهر ضابط يرتدي قميصا أسود وشارة الجستابو برفقته ، وأشار له على الزائر ، فمد يده بالتحية الحزبية التقليدية ــ هايل هتلر ــ ورفع الزائر قبعته وقال له : صباح الخير أيها الملازم فقال الضابط : هل تتفضل بمرافقتي :

وكانت لهجته وموقفه ذات مدلول خاص ، وعندما دخل الرجلان تبادل الحرس مع رئيسهم نظرات الدهشة ، ذلك لان زوار هذا المبنى هم من ضباط الجستابوا والعملاء المشبوهين الذين يطلبون للتحقيق ومنهم من يخرج ومنهم من لا يخرج مطلقا ...

سار الضابط في ممرات الجستابو ، حتى وصل الى قاعة خرج من احدى غرفها جنرال قصير ضيق الكتفين ، وعلى عينيه الرماديتين نظارات لهما اطار معدني شمعي اللون . هو هملر نفسه استقبل الزائر بقوله : أهلا بك يادكتور سمعت عنك كثيرا ربما يمكنك معالجة آلام المعدة القاسية التي أعاني منها ... ثم تابع قائلا : لم ينجح أي طبيب في ألمانيا بشفائي ، ولكن بعضهم آكد لي أنك قادر على ذلك فهل تعتقد أنك تستطيع مساعدتي .

ودون أي جواب بدأ الدكتور : فلكس كيرشين ــ يفحص هملر بعد أن طلب منه التمدد على مقعد ، وهو يقول في ضميره هذا هو الانسان الذي يخطط جميع عمليات الارهاب التي تجتاح المانيا وتروع جميع الناس المتمدنين : اعتقالات جماعية معسكرات الاعتقال والتعذيب ومع هذا احس الدكتور بنداء الجسم المريض ، فبدأ بلمسات خفيفة مدروسة وسريعة للعنق والصدر والمعدة . وبغتة صدر عن هملر (صرخة) لان أصابع الدكتور كيرشين شدت على مكان الالم فقال لهملر : حسنا طالما عرفنا الالم يحسن بك أن لا تتحرك ، ثم بدأ بتدليك مكان الالم وكان هملر ينتفض بين الفينة والفينة والعرق يتصبب منه حتى توقف.

وقال له : يكفي هذه المرة كيف تشعر الآن : أجاب هملر : انه أمر مدهش أن يختفي الالم لقد عولجت حتى بالمورفين ولم ينفع وها أنت تشفيني .. أرجو

أن تبقى بجانبي ، سوف أعينـك برتبـة كولونيل في (الجستابو) لدينـا

استطاع كيرشين منع نفسه من الضحك وأجابه: لشدما تأثرت بالشرف الذي اضفيته عليّ ، ولكن يستجيل عليّ لسوء الحظ قبوله ، وذلك لان لي منزلا في هولندا وعائلة وعيادة ومرضى ينتظرونني ، وكلما احسست بالالم ما عليك سوى استدعائي وها أنا الان باقيا في برلين اسبوعين لمعالجة مرضاي هنا .

قال هملر : اذن ارجوك اعتبرني واحد من هؤلاء المرضى ، واحضر كـل يوم لمعالجتي مثل اليوم — ودق جرس فدخل سكرتير هملر وأدى التحية الحزبية فقال له : الدكتور كيرشين يحضر لمقابلتي في أي وقت يشاء ، ليأخذ الجميع علما بذلك وضعوا اسمه في مكتب الدخول ...

كل صباح طوال الاسبوعين التاليين كان كيرشين يزور هملر ليعتني به ، ولم تكن هذه المهمة عن طيب خاطره وما كان كيرشين يفعل ذلك لولا أن واحدا من أعز اصدقائه وهو الصناعي الالماني المعروف (أوغست ديهن) أتاه في ٢٠ /١٢/ ١٩٣٨ ليقول له : هل تريد فحص هملر ...

أجابه كيرشين برفض قاطع وهو يقول : لقد تجنبت حتى الآن اقامة أيـة علاقة مع هؤلاء الناس ولا أريد أن أبدأ بأسوئهم ...

تابع ديهن باصرار : انني حتى الآن ورغم العشرة الطويلة التي تجمعنا لم أطلب منك أية خدمة يا دكتور . أما اليوم فاني اسمح لنفسي بالاصرار من أجلي وأجل الآخرين . هملر ينوي أن يؤمم صناعة البوتاس وهذا ما يصيبني بالدرجة الاولى بضرر كبير ، وأنا أعرف التأثير العميق الذي تستطيع ممارسته على مرضاك بعد أن تشفيهم من آلامهم وسيكون هملر منهم ولاذ بالصمت .

قبل كيرشين على مضض وكان قراره بعيد المدلول انه يعني انقاذ عشرات الالوف من البطالة وصديقه من الافلاس ...

لم يكن كيرشين (طبيبا حقا) ، بل كان اسمه في اللغة الدارجة (مدلكا) ولكن القدر أعطى ليديه مقدرة استثنائية فهو من مواليد ١٨٩٨ في أستونيا ،

ولكنه بعد الحرب العالمية الاولى أصبح مواطنا (فنلديا) ، وبــدأ دراسته في علم التدليك في هلسنكي . والتدليك هناك علم قديم وفن محترم جدا حتى عام ١٩٢١ حيث نال كيرشين شهادة عليا في التدليل العلمي ثم انتقل الى (برلين) . لمتابعة دراسته . وهناك التقى في مأدبة خاصة بالدكتور (كو) وهو من الصين وقد عاش في دير تيهنّي حتى اصبــح ــ لاما ــ ثم انغمس في علم التدليــك وخاصة الفن الالفي الذي يعالج الاسقام بالتدليــك ، وبعد عشرين عاما انتقل الى لندن حيث حصل على (دكتوراة) فيالطب واستقام فيها . ورغم الدكتوراة التي نالها عن جدارة لم يكن يعالج مرضاه سوى بالتدليك (كماتعلم في التيبت)، وخلال المأدبة أبدى الدكتور (كو) اهتماما بالطالب الشــاب (كيرشين) ، وطلب منه أن يطلعه على فنه الفنلندي الخاص بالتدليك ، وبعد أن قام الشاب بالتجربة أمام الطبيب الكبير ركز عليه نظرة محبة ورعاية وقال له : يا صديقي انك تعتبر مبتدئا وسوف آخذك تلميذا لي ...

وخلال ثلاث سنوات قضى كيرشن جميع أوقاته بالقرب من استاذه يساعده في أعماله ، ويتعلم منه التدليك العجيب المدهش ، تعلم منه كيف أنالطبيبيجب أن يعرف مكان الالم وطبيعته ومنبعه بدون أدوات سوى رؤوس أصابعه ، وهذه الاصابع يجب أن تكون قادرة على اكتشاف الالم الخبيث الذي يكمن تحت الجلد وتحديد المجموعة العصبية المتعلقة به .

حتى عام ١٩٢٥ عاد الدكتور (كو) الى التيبت ، بعد أن زود كيرشين بكل ما يلزمه وسلمه عيادته ومرضاه . تبدلت حياته بين ليلة وضحاها ، فالطالب الفقير الذي عمل في مختلف أعمال الخدمة أثناء دراسته ليؤمن حاجته من المال ، أصبح الآن غنيا فالزبائن وكلهم من الطبقة الارستقراطية والمتنفذين يتدفقون على عيادته حتى تجاوزت شهرته حدود المانيا .

في عام ١٩٢٨ استدعته ملكة هولندا ولهلمينا الى لاهاي ليفحص زوجهــا الامير هنري وقد أعجب بهولندا ، وقرر أن يجعلها مقره الرسمي ، ولكنه احتفظ بعيادة برلين واشترى منزلا بالقرب منها ، ثم تزوج من الشابة ايرمفارد التي أحبته وكان سعيدا معها ورزق بطفل تمم سعادته ، وكان لا يزاول عمله متنقلا

من نجاح الى آخر تارة في برلين وتارة في هولندا وتارة في روما ، وفي نفس السنة التي ولد فيها ابنه قام هتلر بضم النمسا الى المانيا ومن ثم التطاع شطر من تشيكوسلوفاكيا ولكن كيرشين تجاهل عن عمد الامور السياسية وانغمس في عمله وعلى الرغم من تعوده على مفاجآت مرضاه ، فقد ادهشه موقف (هملر) منه الذي يقبض على أخطر اسرار الدولة ، ولا يعيش الا بصحبة الجواسيس والجلادين في الاقبية تجده في الحالات العادية يشكك في كل شيء وفي كل الناس ولكن ما ان يرتاح من آلامه بين يدي كيرشين حتى يبدو منفرج الاسارير تماما ويأخذ في الكلام .

تكلم هملر أمام كيرشن عن نفسه بزهو ، ثم عن ألمه . ثم ألقى عليه درسا طويلا حول الدم الجرماني ، والامجاد المنتظرة للمخابرات الالمانية التي تضم نخبة ممتازة من الضباط (حسب قوله) وهو يختارهم أقوياء الاجسام شقرا زرق العيون حتى وصل بالحديث الى (هتلر) وعندها لم يتوقف عن الحديث حتى ولو أدرك شهرزاد الصباح : هتلر عبقري فذ لم تعرف ألوف السنين مثله . رجل ملهم . يعرف كل شيء . يستطيع كل شيء (شبيه بالآلـة) وليس على الشعب الالماني الا أن يطيعه طاعة عمياء لكي يصل الى أوج رفعته وعظمته في التاريخ ....

وكان كيرشين يصغي الى هذا التمجيد بهتلر دون أن يجاوب بكلمة . ويحاول أن يغير الحديث السياسي مع هملر ، لأنه ينظر اليـه كنظرته الى أي مريض آخر ، وفي احدى جلسات التدليك وبينما كان هملر عاريا وممددا على السرير قال بهدوء : ستقع الحرب قريبا يا دكتور .

صاح كيرشين : دعنا الآن نهتم بعلاجك ثم أردف قائلا : بلا مبالاه .. ؟ وما هو السبب ، ارتفع هملر بمرفقيه وأجاب بحدة ستقع الحرب لأن هتلر يريدها أن تقع . ان الحرب تكشف الرجال وتظهر منهم الاشداء . ثم عاد الى الاستلقاء على السرير من جديد وهو يضيف بهدوء : ستكون حربا قصيرة . صغيرة . سهلة . وظافرة لان الدول الديموقراطية متفسخة وممزقة وستركع لنـا بسرعـة .

بعد أن مضت الايام الاولى بخير وسلام ، أصبح كيرشين في وضع يسمح له بطلب أية خدمة من مريضه (رئيس المخابرات) عند ذلك قرر أن ينتهز أية فرصة للتحدث عن موضوع تاميم (البوتاس) حتى مساء أحد أيام كانون الثاني الباردة ، وبعد أن قام كيرشين بعملية (تدليــك مريضه) سأله بعفوية قــائــلا :

ما معنى تأميم الملكيات الخاصة والصناعات المزدهرة في هــذه الظروف لانها بعد التأميم لاتعطي أية فائدة للقطاع العام ، لان تبديل الادارة والمختصين والورديات يؤدي الى (نقص فادح) في الانتاج عدا عن تقلص (إلتصــدير) وانكماش السوق الخارجية . والى هذا الحد من الحديث التجاري كــان هملر صاغرا فاغر الفاه نظرا لمفاجئته من كيرشين بهذا الحديث فقاطعه بقوله :
لم أدر أنك يا دكتور خبير فيالشؤون التجارية مثل خبرتك في التدليك وشفائي. على كل حال لندخل في الموضوع رأسا ... ما الــذي تقصد بحديثك عــن الصناعات بالتحديــد .

أجابه كيرشين: صناعة البوتاس بالذات انها تبقى مزدهرة ، لو بقيت في أيدي أصحابها الاصليين ... (وكان هملر قد انتهى من ارتداء ألبسته) فقال له : أنا تعودت بحكم عملي كضابط جستابو ومن ثم رئيس الجستابو أن أكون صريحا وأن يكون عملي وتدخلي يؤديان الى نتيجة ... لذلك آمل منك يا دكتور أن تصارحني لدرجة الدقــة في الصراحة حتى أتمكن مــن خدمتك التي أصبحت أعتبرها واجبا علي (عند ذلك أطمئن كيرشين واستعاد هدوئه) وصارح هملر : بأنه مشغول الفكر عــلى مصير عائلات ألوف العمال الذين يعملون في صناعات (البوتاس) ولم يصارح هملر (بحقيقة) سبب تدخلــه هــذا لكي يحفظ خط الرجوع والامان لصديقه (صاحب معامل البوتاس) .

عند ذلك جلس هملر وراء مكتبه وسحب من تحت يده ملفا أخضر وأخرج منه ورقة مطبوعة باتقان ... وكيرشين يراقبه بفضول وحذر وأعطاه الورقــة قائلا : تفضل يادكتور هذا قرار تأميم البوتاس الذي كان سيوقع قريبا من هتلر أعطيه لك هدية شفائي وتحسن صحتي على يديك وآمل أن يبقى الامر بيننا ... نظرا لاهميته كما ترى .

سر كيرشين بهـذه النتيجة وودع مريضه وهـو يردد لـه عبارات الشكر والمجاملة ....

مضت فترة اقامة كيرشين في برلين ، وشفي هملر من آلامه ، فودع طبيبه وداعا كله اعتراف بالجميل وهو متأثر وعاد كيرشين الى هولندا لمتابعة معالجة مرضاه هناك بالتدليك . وبعد ثلاثة أشهر عاد الالم الشديد الى هملر فاتصل بكيرشين ليحضر لمعالجته وعادت الجلسات العلاجية من جديد ، وعاد الحديث عـن الحـرب التي ينوي هتلر شنهـا وكـان قـد اغتصب البقية الباقية مـن تشيكوسلوفاكيا ، ومن الاقوال المأثورة التي رددها هملر أمام طبيبه كيرشين :

ــ لا يستطيع العالم أن يعرف سلما حقيقيا قبل أن تطهره الحرب ...

ــ أننا بعـد أن جندنـا غالبية الشعب الالماني (كمخبرين) لدينـا حققنا السيطرة على ألمانيا أما الجيش الالماني فنترك له أمر السيطرة على العالم .

وبالتدريج أصبح كيرشين يرد عليه لكي لايعتقد هملر أنه يوافقه في كل ما يقول لانه كان يبدأ بجملة هتلر ــ قال قرر ... الخ .

أخبره هملر أن هتلر سيهاجم بولونيا ... وأن لديه معلومات بـأن فرنسا وانكلترا سوف تدخلان الحرب ضد المانيا ... عند ذلك قرر كيرشين استشارة السفير الفنلندي في برلين لانه لايزال مواطنا فنلنديا وعندمارحب به السفير روى له جميع ماسمع من هملر قائلا:ان هملر عندما يأخذه الالم يروي لطبيبه معلومات عسكرية وسياسية يصعب تصديقها ... فهل ينبغي له متابعة معالجته . ؟

أجابه السفير:طبعا وهذا من واجبك وليس لك أن تتردد لحظة واحدة عليك متابعة معالجته ونقل ما تسمعه منه الينا لان هذه المعلومات تساعدنا كثيرا لان الامر بالغ الخطورة . وودعه السفير بعد أن وعده كيرشين ببذل كل جهده .

في شهر أيار من عام ١٩٤٠ أصبح موقف كيرشين في منتهى التعقيد فبلاده الاصلية ــ أستونيا ــ قد الحقت بالاتحاد السوفييتي التي حملت السلاح في وجهها عام ١٩١٩ وهو بذلك أصبح معرضا للخطر ووطنه الثاني هولندا اجتاحته القوات الالمانية الهتلرية وكان النازيون الهولنديون يريدون له الموت انتقاما لانه كان على علاقة بالقصر الملكي ، ووطنه الثالث فنلندا منعت دخوله بسبب كونه الطبيب الخاص لرئيس (المخابرات الالمانية هملر) .

أما في المانيا فاخذت حريته في التنقل تتناقص أكثر فاكثر وفي أثناء غـزو هولندا وضع في (الاقامة الجبرية بضواحي برلين) وفي ١٥ أيار يتلقى (أمرا) وليس دعوة بمرافقة هملر الى الجبهة فيقطاره الخاص . وكـانت القوات الالمانية تتدفق على الاراضي الفرنسية ببرعة مذهلة وكان قطار هملر مقرا حقيقيا متحركا للعمليات . مخابرات ـ جاسوسية ـ مقاومة الجاسوسية ـ مراقبة المناطق المحتلة ولكي يهرب كيرشين من هذا الجو لجأ الى مكتبة هملر فوجد فيها كتبا دينية قيمة مثل ـ الفيدا ـ التوارة ـ القرآن وأبحاث لاهوتية مع تفسيرات وترجمة عن كل منها الى اللغة الالمانية فسأل هملر : لقـد أعلمتني بنفسك أن أشتراكية وطنية حقيقية لا يمكنها أن تكون تابعةلمذهبمن المذاهب ـ أجابه هملر : بالتأكيد.قال كيرشين : اذن ماهذا ـ مشيرا الى الكتب الدينية ضحك هملر وقال : بصراحة أنا لست مؤمنا . هذه الكتب ليست (سوى أدوات عمل) لقد كلفني هتلر بأن أضع توراة الدين الوطني الاشتراكي . فقال كيرشين : لم أفهم . تابع هملر :بعد انتصار الرايخ الثالث سوف يلغي الفوهرر (المسيحية) [1] ويقيم على أنقاضها (المعتقد الجرماني) وسيحافظ على مفهوم (الله) ولكن بشكل غامض جدا ، وهكذا يتحول الوف الناس بصلواتهم الى منشيء الدين الجرماني الجديد هتلر وبعد مائة سنة لايظل أحد يذكر سوى الدين الجديد ....

كان كيرشين يصغي وهو خافض الرأس لكيلا يبدو التعجب على وجهه من هذا المشروع ، وأكمل هملر قائلا : لذلك أنا بحاجة الى كل هذه الكتب الدينية من أجل وضع مسودة التوراة الجديدة (للدين الجديد) لإلهنا الجديد ... ؟

في كل مناسبة كان كيرشين يشرب الانخـاب التي تشرب احتفالا بهزيمـة فرنسا والضباط العاملون تحت أمرة هملر في المخابرات كانوا يتهامسون كيـف يدخل هذا الطبيب المدني على هملر ساعة يشاء ونحن ضباطه فالبروتوكول ينفذ معنا بكل صرامة ولكـن ضابطا واحدا كـان يخالفهم الرأي والغيرة انه الملازم رودلف برانديت الذي كان مثل كيرشين ضائعا بين القتلـة الـذين يملؤون القطار .. بالبزات الرسمية .

(١) قرار الفوهرر هتلر بالغاء (المسيحية) يذاع لاول مرة ولو تمت له السيطرة على معظم بلدان العالم مثلما خطط لقيام بتنفيذ اطلاق (دينه الجديد) .

انه يحمل اجازة في الحقوق وكان قبل الحرب يشغل منصب الكاتب الاول في لرايخشتاغ وعندما طلب هملر من أجهزته أن يجدوا له شينوغرافا ممتاز ذكر له رودولف برانديت وكان لايحمل أي ود للنازيين ولكنه لم يجرؤ علـى الرفض وبسرعة وجد نفسه من موظفي المخابرات الالمانية وبعد مدة ونتيجة ذكائه وثقافته وجاذبيته الهادئـة اكتسب ثقة هملر شخصيا وأصبح سكرتيره الخاص

وكـان يشكو من آلام فيمعدته أيضاً فطلب هملر من كيرشين الاعتناء به أيضاً وهكذا تم اللقاء بين كيرشين وبرانديت ففي أول الامر أبدى كل منهما حذرا شديدا تجاه الآخر فكيرشين ظن أن هملر يريد أن يختبره بجمله يداوي سكرتيره ، ويستمع منه رأيه به ٠ أما براندیت فكانت خشيته أن هملر طلب من طبيبه الخاص أن يعرف ما يجول بخاطر سكرتيره،ولكن بعد عدة جلسات اكتشفا بعضهما : رجلان معزولان لم يفقدا العاطفة الانسانية ٠

بعد سقوط فرنسا عاد هملر الى برلين ، وعادت حياة كيرشين إلى طبيعتها عمله ــ عيادته ــ هدوئه وعاد ليتمتع بكل عطلة أسبوع في الحقول وبين الأشجار والطبيعة حتى قطعت نوبة ألم حادة تعرض لها هملر هدوءه فاستدعى على عجل إلى الجستابو واستطاع كالعادة تهدئة آلام (المريض)هملر ٠ ولكن النوبة كانت من الحدة بحيث بقي هملر مستلقيا على السرير ومن أعماق نفسه المريضـة نظر الى كيرشين نظرة المعترف بالجميل وقال له : عزيزي الدكتور كيرشين ، ماذا أفعل بدونك أبدا لن اعرف كيف أعبر عن شدة امتناني لك مع أني مقصر جـدا تجاهك ، فأنا لم أسدد لك حتى الان شيئا من أتعابك ، وفهم كيرشين بأنه لو قبض من هملر أي مبلغ فسيتحول الى مأجور عادي في خدمة الريخفوهرر ، وسيشعر أنه لم يعد مدينا له بشيء ٠ وكان يعرف أن هملر لا يمكن له أن يهب دفعات كبيرة لانه رغم كونه رئيس المخابرات الالمانية كانت المبالـغ التي تصرف عـلى العملاء والجواسيس بموافقة هتلر الذي لم يبقي بين يدي رئيس للمخابرات أيا من الموارد السرية ومن مرتبه الشهرى / ٢٠٠٠ / مارك كـان عليه أن يصرف على زوجتـه الشرعية وأبنه وكذلك على (عشيقة) ضعيفة البنية رزق منها بولدين فيما بعد ٠٠

ظهر التعجب على وجه كيرشين وقال لهملر : ايها الريخفوهرر لا أريد منك شيئا ، أنا أكثر منك غنى بسواردي المتعددة قال هملر : هذا لايهم فمن واجبي أن أسدد لك أتعابك فأجابه كيرشين : عندما تزداد غنى ثق تماما أني سأقبض منك. وفجأة تذكر أنه يحمل بطاقة من صديقه أوغست روسترج لتذكيره باستخدام نفوذه لدى هملر لاطلاق أحد عماله الذي اعتقلته المخابرات بتهمة انتمائه للحزب الاشتراكي الديموقراطي ، فقدمها الى همملر وقال له : هاك قسم من أتعابي (اطلاق هذا الرجل(واتنفض هملر وقرأ البطاقة وقال:مادمت أنت الذي يطلب هذا الطلب فلابدمن تلبيته وطلب سكر تيره براندیت وأمره أن يعمل على اطلاق سراح الرجل لان طبيبنا يريد ذلك أسرع براندیت بسعادة الى تنفيذ الامر مما أكد لكيرشين أنه صديق وحليف ضد الجستابو ومعسكرات الموت ...

علد هملر الى صحته وقوته وعاد الى تعصبه وقسوته في المعاملة حتى مـع كيرشين طبيبه الساحر الذي كان ولا يزال ينقذه من الامه .

فبعد ثلاثة أيام من اطلاق سراح العامل سأل كيرشين بنشافة : هل صحيح ما أبلغني إياهعملائي فيهولندا من أنك تحتفظ الى الان ببينك فيلاهاي وقد انذرتك أكثر من مرة بأن الحزب النازي في هولنـدا سينظر اليـك نظرة خطورة بسبب العلاقات التي كانت لك مع القصر الملكي والتي لم تزل محافظا عليها ، لذلك أطلب منك تصفية هذا البيت خلال عشرة أيام من الان . كما طلب منه أن يـزور فرع المخابرات النازي في لاهاي كل يوم في الساعة الثامنة مساء (لاثبات وجوده) . وفي خلال عشرة أيام التي قضاها كان كل يوم يختفي واحدا من أصادقائه حتى اعتقل صديق عزيز عليه يدعى /بينفيل/ فتوجه فورا الى فرع المخابرات ودخل على رئيسه / روتير / قائلا : أردت أن أقوم هـذا الصباح بزيارة لصديقي بنيفيل فمنعوني من دخول منزله لان رجالك كانوا يجرون تفتيشا وقد اعتقلوه ، لذلك أطلب منك العمل على اطلاق سراحه لانه بريء ، ولم يقم بأي شيء ضد المصلحة العامـة .

تعجب روتير منهذه الجرأة غريب ومشبوه موضوع تحتمراقبته اليومية.

يعطيه أمرا ••؟ ضرب الطاولة بقبضته بغضب : نطلق سراح هذا القذر • مطلقا وخاصة بعد تدخلك وطلبك•؟ سيطر كيرشين على أعصابه وقال لروتير ببرود : هل يمكن أن تتلفن من هنا اطلب لي هملر من فضلك • أجابه روتير بعد أن قفز من مقعده : هذا مستحيل حتى بالنسبة لي عندما يوجد ضرورة وأريد الاتصال به يجب أن يكون هذا الاتصال عن طريق هيدريشن نائبه ولكن كيرشين أصر على الاتصال بهلمر وتجاه الحاحه طلب روتير الرقم بتردد ثم تظاهر بأنه غارق في اضباراته لم تمض لحظات حتى كان هلمر على الخط ، فظهر الرعب على وجه روتير وهب واقفا مؤديا التحية الحزبية /هايل هتلر/ وكأن هلمر يراه ثم تابع : سيدي الريخفوهرر الدكتور كيرشين يريد التحدث معكم[1] وسلم سماعة التلفون للدكتور الذي حيا هلمر بأدبه المعروف ثم فاجأه بقوله :

لقد أوقف رويتر واحدا من أحسن أصدقائي ، وأنا أضمن براءته هل تتكرم بالايعاز باطلاق سراحه (رويتر لا يزال واقفا بالاستعداد) تظاهر هلمر بعدم فهم أقوال الدكتور وقال له : متى تعود الى برلين •• انني أشعر بألم شديد •

شعر كيرشين بارتياح عميق • هلمر متألم هلمر يطلب مساعدته ، وهو الذي يشفيه وحده انه أشبه بمدمن المخدرات الذي يطلب المخدر •••

أجاب كيرشين : فترة اقامتي هنا لم تنته بعد واذا ظل صديقي معتقلا فسأعود يائسا محطما فطلب منه أن يعطيه رويتر حالا : أعاد سماعة التلفون الى رويتر وشاهده وهو يضم كعبيه في وقفة استعداد عسكرية وهو يقول : أمرك سيدي الريخفوهرر ــ تحت أمرك سيدي حالا حالا ثم أعاد السماعة الى كيرشين فقال هلمر : اني أثق بك • صديقك سيطلق سراحـه ولكن عد اليّ بأسرع ما يمكن •

وأغلق الخط •

---

(۱) من المعروف عن هملر انه كان يتمسك تمسكا أعمى بتغطية رؤساء فروع المخابرات مهما ارتكبو من أخطاء وكان يطلب منهم فى كل اجتماع أن يخبروه بأية مشكلة مهما كانت ليتمكن من تغطيتهم في حال وصولها للفوهرر عن غير طريقه •••

خيم على الاثنين روتير وكيرشين صمت عميق كان كل منهما ينظر الى الآخر وكأنه لا يراه أما كيرشين فكانت سعادته لا توصف ، وهو يخرج من فرع المخابرات ، ومعه صديقه بنيفيل (استطاع أن ينقذ ضحية جديدة من بين مخالب المخابرات الالمانية) .

في أول شهر آذار عام ١٩٤١ وصل كيرشين الى مقر هلمر . ولكنهم أخبروه انه في اجتماع مهم وكالعادة قرر أن ينتظره في (نادي الجستابو) فأسرع مدير النادي وقدم له (قهوة قوية) مع أحسن ما لديه من الحلويات (كاتو) فهو يعرف ذوق الدكتور ، ويهمه أن يرضيه نظرا لمكانته لدى (الرئيس) . وبعد فترة لمح روتير وهيدريشن يدخلان وقد حياهما الجميع وجلسا في زاوية قريبة منه دون أن يشاهداه ، لشدة انصرافهما للحديث وانكمش كيرشين على نفسه وأدار وجهه لكيلا يرياه ، ولكنه كان يسمع حديثهما من هذه المسافة . قال روتير : أي صداقة لهؤلاء الهولنديين الخنازير القذرين هذا الاسبوع اغتالا اثنين من رجالي . أجابه هيدريشن : لقد تلقيت تعليمات العملية وسوف تنفذها بعد فترة قصيرة وعندها لا يبقى لك يوم تضيعه سدى .

لم يستطع كيرشين أن يسمع غير ذلك لأنهما خفضا صوتيهما (ولكن ما سمعه كان كافيا) وبعد أن سيطر على نفسه خرج من النادي وهو مترنح مما سمع وأبلغ برانديت أنه سيعود لمقابلة هلمر في الساعة الثالثة وطلب منه أن يوافيه مساء الى عيادته ، وهناك أعاد كيرشين على برانديت ما سمعه من الاثنين فانفعل برانديت وأغلق باب العيادة قائلا : اذا جاء أحد فسأقول أنك تعالجني . أما موضوع العملية التي تكلم عنها روتير وهيدريشن فسوف أخبرك به ، ولا تنسى

أني لم أقل لك شيئا بحق السماء ، وتوجه الى النافذة وهو يتابع : أمر هتلر الريخفوهرر هنريخ‌هملر رئيس المخابرات بأن‌يعدعميلة ترحيل الهولنديين جماعات جماعات الى بولونيا (مقاطعة لوبلن) لأنهم (حسب رأي الفوهرر) مسؤولون عن المقاومة والاعمال السلبية ، وبالتالي هم (خونة) وسيرحل ثلاثة ملايين رجل سيرا على أقدامهم،أما أسرهم فتلحق بهم بالمراكب والسكك الحديدية (المتوفرة).

تغادر برانديت العيادة مسرعا عندها تصور كيرشين وهو يرتعش عملية التهجير والشقاء البشري الهائل والغربة والجوع والبرد وما سيتعرض له الهولنديون من ذلك فوجدها لوحة جهنمية ومريعة (شعب كامل في العبودية وتحت سيطرة المخابرات تفعل به ما تشاء) فقرر أن يتحدث الى هلمر بموضوع الترحيل رغم معرفته بالخطر الكبير المترتب على ذلك • وفي اليوم وبينما كان هلمر ممددا أمامه على السرير يقوم بتدليك عضلات معدته وفي منتصف العلاج ، قال له بصوت هادىء رصين : في أي موعد ستقومون بترحيل الهولنديين • وكان هلمر في حالة ارتخاء وتحت كابوس المعالجة فأجابه ببساطة في ٢٠ نيسان لمناسبة عيد ميلاد هتلر • وخيم على القاعة سكون وصمت قطعهما هملر (منتفضا) : ـ وكيف علمت بذلك •

ـ سمعت روتير وهيدريشن يتحدثان عن العملية في النادي بالامس •

ـ يا لهما من غبيين (أشكرك يا دكتور لأنك أعلمتني أنهما ثرثاران لهذه الدرجة وهذا شيء هام) •

واستراح هملر مجددا على السرير وقد علم أن طبيبه بريء وأن ما علمه كان صدفة وعن حسن نية ولكن كيرشين وهو يتابع العلاج قال :

ـ ان هذا الترحيل هو أكبر حماقة يمكن أن ترتكب •

فأجابه هملر محتدا :

ـ أنت لا تفهم شيئا في السياسة • خطة الفوهرر عبقرية لقد احتللنا بولونيا ولكن البولانيين يخونونا • يلزمنا هناك دم جرماني والهولنديون أصلهم جرماني سوف نعطي أرضهم للهولنديين ونرسل فلاحين ألمان شبابا لاستلام أراضي الهولنديين • أليست خطة عبقرية •

أجاب كيرشين ببرود :

ـ هذا ممكن ••• ولكني كطبيب لا أفكر الا بصحتك ففضلا عما تعانيه من متاعب أعلمتني أن الفوهرر طلب منك أن تزيد عناصر المخابرات الى المليون بينما عندك الآن منهم /١٠٠٠٠٠/ فقط • وهذا يعني أنه الى حين موعد الترحيل

في ٢٠ نيسان (ثلاثة أشهر) ينبغي لك أن تدرب /٩٠٠ر٠٠٠/ جندي ليتحولوا الى عناصر مخابرات، وبعد هذا العمل الضخم يأتي الترحيل أليس في ذلك من الاجهاد العظيم لك ولديك هذه الآلام فقاطعه هملر :

ـ لا بد من ذلك فهو أمر شخصي من الفوهرر ..

ـ اذن أجبني بصراحة من مريض الى طبيبه من بين أمرين أيهما أهم لك شخصيا زيادة المخابرات التي هي قوتك الى المليون أم عملية الترحيل .

أجابه : زيادة المخابرات بدون ريب .

ـ اذن يجب ارجاء عملية الترحيل الى حين النصر لأني لست قادرا على اعطائك القوة الكافية للقيام بالمهمتين معا ، وأنا أعرف أنك بما أوتيت من ثقة الفوهرر تستطيع التأجيل . فاقتنع هملر برأي كيرشين ، وما زال كيرشين بعد ذلك يستغل لحظات ضعف هملر وتأمله ، فيوحي له بأفكاره وآرائه بتخويفه تارة من مرضه واقناعه بعدم جدوى العملية ، وهملر يستغل صفته ويؤجل العملية حتى تحولت الى عملية ترحيل افرادية بينما كانت الحرب التي شنها الحلفاء على ألمانيا النازية تغير مجرى الامور فانشغل هملر نهائيا عن الخطة الجهنمية وذلك بفضل الجرأة الادبية التي تحلى بها الدكتور كيرشين في هذه الفترة من حكم المخابرات الالمانية أيام النازية ...

المخابرات الالمانية (حاليا) المخابرات الاتحادية

بعد اطلاع القارىء على نوعية المخابرات الالمانية (سابقا) أيام الحكم النازي يحق له التساؤل (والآن كيف تعمل المخابرات الالمانية) :

في عام ١٩٤٩ ـ أعلنت دولة (ألمانيا الغربية) وأنشئت الوزارات المختصة والاجهزة الادارية ومن ضمنها (المخابرات) ولكن هذه المرة (للاستعلام فقط) وتترك التعقبات القضائية فيما بعد للشرطة المدنية والمحاكم العادية ذلك لأن المواطن الالماني سواء كان نازيا سابقا أو لم يكن فلديه عقدة من المخابرات (لا يوجد عائلة ألمانية الا أصيبت في أحد أفرادها منهم) ، وقد أسس هذه

المخابرات الجنرال الالماني (راينهارت غلين) وهدفها الاول التجسس على الاتحاد السوفياتي ، ودول أوربا الشرقية ، وكانت المخابرات الاميركية (وراء تأسيس المخابرات الاتحادية) وتمويلها :

في أواخر عهد هتلر ، والحلفاء يحيطون ببرلين ــ كان الجنرال (راينهارت غلين) يرأس مؤسسة (جيوش الشرق) الاستخبارية / في المخابرات الالمانية واختصاصه الجبهة السوفيتية والمشاكل مع السوفييت . وكان بسبب وظيفته أوسع الاتصالات مع أوربا الشرقية ، ولديه أضخم /أرشيف/ عن الاتحاد السوفياتي والدول الدائرة في فلكه وقد أحس بالخطر المحدق بألمانيا ، وأن الاحتلال لا مفر منه فقرر انقاذ مؤسسته ، حفظها لما بعد الهزيمة ..

جمع رجاله ، وطلب منهم تحضير ميكروفيلم عن الارشيف وصور/كوبي/ عن جميع المستندات الضرورية ، وقسم رجاله الى ثلاثة أقسام رأس هو أحد هذه الاقسام ، وكل قسم حصل على (نسخة) من موجودات المؤسسة (المصغرة) ــ على الاقل قسم يحتفظ بالتراث الاخباري ــ وحدث ماتوقعه (غلين) فقد عبرت الجيوش السوفياتية ــ الحدود الالمانية ــ فأعطى أمره الى مؤسسته بالاتجاه نحو بافاريا بالجنوب . ولدى وصولهم الى بلدة ميسباخ ــ أصدر أمره بالتفرق واتجاه كل قسم الى المكان المعد له ، على أن يبقى بينهم اتصال (دائم) .

انتظار اسره من قبل الاميركيين ،

ترك (غلين) ورفاقه سياراتهم على بطريق قرب (ميسباخ) ، وتوجهوا الى كوخ كبير يقع على جبل يطل على الطريق الرئيسي ، وحفروا حفرة وضعوا فيها ما يحملونه من الاسرار (وأصبحوا جاهزين بانتظار الاميركيين ليأسروهم) .

مضى يومان ولم يحضر الاميركيون وفي اليوم الثالث شاهدهم (غلين) بالمنظار ، وهم يعبرون الطريق باتجاه النمسا ، وحالا أرسل أحد رجاله الذي ادعى أنه من أهل المنطقة وأنه (علم بوجود ضباط ألمان مختبئين في الكوخ) أرسلت قوة احتلت الكوخ بعد أن أعلنت عن نفسها . أعطى (غلين) وضباطه

أسماءهم ورتبهم ونقلوا الى معسكر للتحقيق معهم لغاية شهر حزيران ١٩٤٥ ونظرا لتعاون (غلين) مع الحلفاء ، كان موضع احترام هو ورجاله . عندما صرح للجنرال الاميركي (وليم دونوفان) « رئيس مكتب العمليات الاستراتيجية » بأنه يملك معلومات عن الاتحاد السوفياتي ودول أوربا الشرقية لا تقدر بثمن ولا يعلى عليها وأن وثائقه السرية المحفوظة أكبر دليل على خطر التغلغل السوفياتي اتصل دونومان بواشنطن حالا ومن ثم سافر وبصحبته الجنرال (غلين) وفي البنتاغون (رئاسة الاركان الاميركية) جرت اجتماعات عديدة بحضور كبار ضباط المخابرات الاميركية .كان غلين يتحدث اليهم باسهاب بأن خطط السوفييت هي متابعة سيطرتهم على أوربا ، ولديه الخطة اللازمة لوقف هذه الخطط ، وما عليهم الا التعاون معه لإحياء مؤسسته وعندما وافق الاميركيون وضع غلين شروطه :

١ ــ تبقى مؤسسته (المانية) الهوية .

٢ ــ كل رجال مؤسسته يبقون تحت أمرته وله حق التعاقد مع من يشاء .

٣ ــ يمول الاميركيون المؤسسة ماديا .

٤ ــ لا يحق لأي عضو في مؤسسته أن يجبر على القيام بأي نشاط يخالف المصلحة الالمانية .

٥ ــ تبقى هذه الشروط على حالها الى حيث تشكيل حكومة ألمانية تؤول هذه المؤسسة اليها (وهذا ما حدث بعد ذلك) .

ومن الواضح أنه وضع الاميركيين تحت الامر الواقع فوافقوا على مضض بسبب ما يلي :

١ ــ الجنرال غلين كان ذا قيمة استخبارية هائلة (ضابط قديم له خبرة) .

٢ ــ مؤسسته (المحفوظة) كاملة العدد والعدة وتعطي النتائج حالا ..

٣ ــ لو لم يقبلوا لكان عليهم إنشاء مثل هذه المؤسسة التي كانت ستكلفهم ضعافا مضاعفة .

٤ ــ ظهور بعض الاحداث جعلت الاميركيين يؤكدون معلوماته عن الخطط التوسعية السوفياتية .

بدأ غلين عمله في بناء تابع لمكتب العمليات الاستراتيجية في فرانكفورت بالاتصال مع عملائه السابقين في أوربا الشرقية ، ولكن هذه المرة كانت ميزانيته مضاعفة (أموال أميركية) بينما كان زملاؤه من ضباط (الجستابو) السابقون يساقون الى المحاكم ...

كان (غلين) عند حسن ظن الاميركيين ، فزال مع الايام الشك نهائيا من أذهان بعض القادة الاميركيين الذين عارضوا اعطاء (جنرال ألماني) مجال تأسيس مؤسسة مخابرات قائمة بذاتها وتحت امرته الشخصية .

في عام ١٩٥٦ انتقل غلين ومؤسسته من فرانكفورت الى بلدة بولاخ ، قرب ميونيخ عاصمة ولاية بافاريا في ثكنة عسكرية ضخمة محاطة بجدار وأسلاك شائكة ، ووضعت تحت تصرفه فرقة المانية خاصة للحراسة واستخدمت الآلات الالكترونية لمنع الانصات من الخارج ، وضعت آلات حساسة تنبىء باقتراب أي شيء من المقر .

زرع غلين العديد من العملاء الجدد في الدول الشيوعية ليعرف كل صغيرة

وكبيرة وتمسك بمبدأ عدم تعريف العملاء على بعضهم (العميل لا يعرف سوى من هو أعلى منه) فقط .

افتتاح مكاتب تجارية رسمية لصالح المخابرات الاتحادية :

أوعز غلين بافتتاح فروع وشركات تجارية (من ميزانية المخابرات الاتحاديه)، وتخرج من مؤسسته أشهر رجال الاعمال لاستلام هذه الفروع وادارتها، ولضمان استمرار هذه الشركات وسريتها وانتاجها المغطى فقد نفذت تعليمات غلين الآتية :

١ ــ سجلت هذه الشركات رسميا لدى الدوائر التجارية ، ودفع عنها الرسوم القانونية الى غرف التجارة والصناعة المحلية .

٢ ــ تقديم سجلات تجارية عنها الى مصلحة الضرائب ، وبالتالي ما يترتب عليها من ضرائب .

٣ ــ تسجيل موظفيها في الضمان الاجتماعي والصحي .

٤ ـ الحصول على لوحات سيارات من مصلحة الميكانيك كأية شركات تجارية أخرى .

أما من جهة شروطه مع الاميركيين ، فقد استخدم في مؤسسته الاشخاص الذين كانوا في خدمته (أيام مؤسسة جيوش الشرق) خلال الحرب وذوي الخبرة الفائقة . هؤلاء كانوا أكثر من سعداء لعودتهم لممارسة خبراتهم السابقة بالاضافة الى حصولهم على الصفح والرضى في فتح صفحة جديدة ...

مخابرات المانيا الشرقية تقلد :

أظهرت اتصالات غلين وعملائه في ألمانيا الشرقية أن المخابرات هناك قامت بنفس الشيء من التعاون مع رجال المخابرات النازيين . واطلاق العملاء السابقين باتجاه (ألمانيا الغربية) وحصلت بعض الحوادث التي ثبت منها أن المخابرات الشرقية اعتمدت قدامى رجال الجستابو لكشف زملائهم من الطرف الثاني من برلين .

مؤسسة غلين تصبح : المخابرات الاتحادية لالمانيا الغربية رسميا :

في عام ١٩٥٦ جرى نقاش بين مسؤولي الدول الحليفة حول حل مؤسسة غلين (نظرا لتأسيس المانيا الغربية رسميا) ومن ثم تكليفه بتأسيس جهاز جديد مع من يود . عارض غلين (الحل) قائلا : إن موظفيه سيضعون أمام الاغراء للعمل في أجهزة مخابرات أجنبية ، بالاضافة الى تفكيك الخبرات المجمعة خلال (سنين) . وهكذا سلمت مؤسسة غلين كما هي كاملة الى الدولة وأصبح اسمها (المخابرا تالاتحادية) الالمانية . بدلا من حلها وتأسيسها مجددا عدا عما يضيع على الدولة من أسرار في هذا الفراغ الزمني .

ضخامة المخابرات الاتحادية وتوسيعها :

أنشأت المخابرات الاتحادية شبكات ضخمة للاتصال بالاجواء العليا ، والتقاط ما تبثه الاقمار الصناعية من صور تلتقطها من مختلف مناطق العالم ،

وباستطاعة هذه الاجهزة التقاط مخابرة تجري بين المانيا الشرقية وموسكو ــ عبر أحد الاقمار الصناعية بالاضافة الى مقدرتها على معرفة كل قطعة عسكرية ــ جوية أو برية أو بحرية ــ من حلف وارسو •

أدخلت الامخة الالكترونية الى المخابرات الاتحادية لاستعمالها في حل وفك الرموز التي تلتقطها الاجهزة المختلفة •

ووبهت من شبكة العملاء فأدخلت منهم في شركات لها علاقات مع الشرق الاوسط (وخاصة الدول العربية) وأفريقيا وأميركا الجنوبية •

من منجزات المخابرات الاتحادية :

بعد هذا الشرح عن توسيع المخابرا تالاتحادية الالمانية ، والفرق الشاسع بين عملها وعمل الجستابو (سابقا) خصوصا بانتقال الجنرال (راينهارت غلين) نفسه الى جانب الحلفاء ومتابعة عمله بنفس اختصاصه (المخابرات المضادة للشيوعية) • نورد هنا بعض منجزاتها التي كانت حتى الآن خافية عن القارىء :

١ المخابرات الاتحادية تبرعت عام ١٩٦١ الى خصوم (رئيس حكومة الكونغو باتريس لومومبا الذي أغتيل فيما بعد بمساعدتها) بسطبعة وطائرات مدنية لاستعمالها ضد لومومبا •

٢ ــ دعمت المخابرات الاندونوسية بالاموال ، وأجهزة اللاسلكي والاسلحة لمقاومة التغلغل اليساري عام ١٩٦٥ (بايعاز من المخابرات الاميركية) ومعها •

٣ ــ قدمت الى مستشار ألمانيا الغربية ــ أديناور خبر وفاة ستالين قبل أن يعرف بذلك أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في موسكو ؟؟ من أوصل لهم خبر الوفاة؟•• أهو عميل سوفياتي••؟ أم ألماني •••؟ هذا هو سر المخابرات•

٤ ــ حددت المخابرات الاتحادية موعد الهجوم الاسرائيلي في ٥ حزيران ١٩٦٧ على الدول العربية بأدق تفاصيله مما أذهل المخابرات الاميركية بالــذات ووزارة الخارجية الاميركية •• من أعلمها بذلك ؟ عملائها داخــل المخابرات والجيش الاسرائيلي •••

٥ ـ عرفت موعد زحف القوات السوفياتية وقوات حلف وارسو على تشيكوسلوفاكيا قبل الزحف بشهر واحد (خلافا لتقديرات المخابرات الاميركية ومخابرات حلف الاطلسي) .

اما اعمالها اليومية فتبدا بما يلي :

١ ـ في الساعة الثامنة صباحا يقدم تقرير مسهب من عدة صفحات حسب أحداث العالم وخلاصة أعمال المخابرات الاتحادية ، وما نفذ وما يقترح تنفيذه الى مستشار ألمانيا الغربية (طبق الاصل عن المخابرات الاميركية) التي تقدم مثل هذا التقرير يوميا للرئيس الاميركي في البيت الابيض .

٢ ـ يوجد اتصال دائم بالتلكس مع المخابرات المركزية الاميركية في لانغلي (واشنطن) .

٣ ـ تبادل المعلومات مع (جميع دول حلف شمال الاطلسي) .

٤ ـ تقدم الى مخابرات دول حلف الاطلسي (منهم تركيا) جميع ما يهم عن النشاط في ألمانيا الشرقية والدول الشيوعية عامة ...

٥ ـ تصلها تقارير (تقدم عوضا عنها) من كل من مخابرات ـ ايران ـ اسرائيل ـ اليابان ـ فورموزا ـ بعض دول افريقيا وأميركا الجنوبية .

٦ ـ تقوم شركات تجارية بتمثيلها في الدول التي لا تتعاون مع مخابراتها مثل : اسبانيا ـ اليونان ـ جنوب افريقيا .

٧ ـ تؤمن الخدمة والمناوبة في مركز مخابرات (ثان) أنشيء على ساحل الاطلسي احتياطا في حال نشوب حرب للانتقال السريع اليه وفيه مطار ضخم ومرفأ ـ وصورة طبق الاصل عن أجهزة المركز الرئيسي في (بولاخ) .

استراحة الجنرال راينهارت غلين :

بعد خدمة مخلصة مدة (٢٢) عاما رئيسا مطلقا للمخابرات . وهذه خلاصة سريعة نقدمها للقارىء عن أهم منجزات المخابرات في عهده :

١ ــ جعلها غير تابعة لا لوزارة الدفاع ولا لوزارة الداخلية بل تتبع المستشار (رئيس الدولة مباشرة) •

٢ ــ أوصل عدد موظفيها الى ثلاثة عشر ألف موظف موزعين في القيادة بيولاخ وبقية المدن الالمانية وأنحاء العالم (العملاء والمخبرين) •

٣ ــ ميزانية المخابرات الالمانية من ميزانية مجلس الوزراء وهي (سر الدولة) لا يعرفه سوى المستشار وأمين سره • ورئيس المخابرات •

٤ ــ كان لا يسمح لاحد (حتى في قصر الرئاسة) بمطالبته بكشف أسماء عملائه وأين (زرعهم) (في الكرملين ••؟) (في البيت الابيض •• ؟) (في الكنيست الاسرائيلي ••؟) (في المغرب ••؟) •

٥ ــ بقي طيلة خدمته صاحب اختصاص في عمله مخلصا لواجبه ولو أنه خدم العهد النازي القاسي كذلك خدم النظام الديمقراطي المتجدد في المانيا الغربية•

في أواخر عام ١٩٦٧ بدأ البحث عن خليفة له بسبب رغبته في التقاعد والخلود الى الهدوء بعد هذه السنين الطويلة من العمل المسؤول •

قال غلين (خليفتي في رئاسة المخابرات الاتحادية يجب أن يكون رجل اختصاص من الطراز الاول وأن يقع الاختيار عليه وأنا لا أزال في مركزي) •

وتوجه بعد ذلك الى منزله الجديد (فيلا في قرية بيرغ على ضفة بحيرة شتاربزغ) المهدى اليه من المخابرات المركزية الاميركية ، للدلالة على تقديرهم لاخلاصه لهم بالدرجة الاولى ثم المخابرات الاتحادية لينعم بالهدوء والمناظر الطبيعية مع زوجته وأولاده الاربعة •

خليفة (غلين) في رئاسة المخابرات الاتحادية :

أخذت السلطات المسؤولة بنصيحة (غلين) أبي المخابرات الاتحادية.وعينت مكانه الجنرال (جيرهارد فيسيل) الذي كان من كبار مساعدي (غلين) في (مؤسسة جيوش الشرق) وصاحب خبرة واسعة في مجال المخابرات اذ يعتبر شؤون الجيش الاحمر والبلدان الشيوعية من صميم اختصاصه • عدا عن كونه

عضوا في (مكتب بلانك) الذي تولى اعادة تسليح ألمانيا وكونه ضابطا ألمانيا غربيا وفي المخابرات العسكرية وعضوا في لجنة حلف شمال الاطلسي .

استلم الجنرال فيسيل رئاسة المخابرات من صديقه ومعلمه (غلين) ، بعد إجراءات بسيطة في الاول من شهر أيار ١٩٦٨ وكان لاستلامه أسوأ الاثر لدى الجيران (مخابرات المانيا الشرقية) .

من المعروف في البلدان الديمقراطية أن أجهزة الامن فيها (بما في ذلك المخابرات) لا تتبدل بتبديل الاحزاب الحاكمة أو الحكومات ، وذلك لكيلا يضيع على الدولة أسرار ومؤامرات تحاك في الفترة الزمنية التي يخلو الجو فيها ، حتى يكتسب الموظفون الجدد (بعض خبرة القدماء) . وهذا ما جرى في ألمانيا في فترتين من الزمن لكن حين انتقل الحكم الى الديمقراطيين الاشتراكيين في تشرين الاول ١٩٦٩ جعلهم يتطلعون بفضول الى ما يجري في داخل مكاتب المخابرات ، حتى يطمئنوا الى أن أعمالها لا تتعارض مع السياسة التي يتبعونها لذلك عينو (نائبا) للجنرال فيسيل ذي صبغة ديمقراطية اشتراكية .

تشابك مصالح مخابرات الحلفاء مع المخابرات الاتحادية :

يتعرض عمل المخابرات الاتحادية الى عراقيل تتعلق بتنفيذ مهمتها ، فألمانيا الغربية عضو في حلف شمال الاطلسي ، وفوق أراضيها ترابط جيوش أميركية وبريطانية وفرنسية وبموجب القوانين الموضوعة (أيام الاحتلال) ؛ يحق لكل جيش من هذه الجيوش انشاء (فرع مخابرات) خاص به لحماية أسراره وأسلحته.

مقابل ذلك (المانيا الشرقية) عضو في حلف (وارسو) ويوجد أيضا لهذا الحلف عدة فروع مخابرات في (برلين الشرقية) .

وسبب تعدد أجهزة المخابرات في أراضي الدولتين الالمانيتين هو ضخامة التجسس والعمالة لكلا المعسكرين واللغة الالمانية اللغة الرسمية لـ (٩٠٪) من العملاء في الدولتين .

نموذج من أعمال مراقبة المشبوهين :

حين وجود حاجة ماسة الى مراقبة تلفون أو بريد شخص مشبوه (ألماني أو أجنبي) فان الدستور الالماني المؤقت يقر في المادة العاشرة منه على ما يلي :

لأجل السلامة العامة يسمح ضمن القانون والصلاحيات الى موظفين بالاطلاع والانصات على وسائل البريد والبرق والهاتف[٢] .

وهذه المراقبة تتم من قبل السلطات (المحتلة) سابقا (والحليفة حاليا وهذا أمر غريب بالنسبة لدولة مستقلة لكنه الواقع) .

يتوجه موظف مزود باذن مكتوب الى دائرة البريد والبرق والهاتف، وهناك يقوم الفنيون بتركيب أجهزة الاستماع على التلفون بعد اطلاعهم على الامر المتعلق بذلك . أما اذا كانت المراقبة للرسائل فيحول الموظف الى قسم الرسائل ــ حتى اذا انتهت مهمته عاد الى فرعه وكأن شيئا لم يكن حيث لا يوجد مراقبة هاتفية وبريدية مستمرة .

كيفية القاء القبض على الجواسيس في المانيا الاتحادية :

هناك مشكلة في كيفية القاء القبض على الجواسيس في ألمانيا الغربية ، لافتقار موظفي المخابرات الى الصفة (القانونية) ليتم لهم ذلك، وعملهم هو جمع المعلومات (كما شرحنا) ومراقبة المشبوهين الوافدين ، وحصر نشاطهم وتسجيله اولا بأول . لتقديمه كدليلا لاداناتهم أمام المحاكم المدنية فيما بعد ، ويستحيل على المخابرات الاتحادية اعتقال أي جاسوس بالجرم بسبب ما يلي :

١ ــ عدم حملهم أي سلاح للدفاع عن النفس (عكس الجواسيس) .

٢ اعتقال الاشخاص (حتى ولو كانوا جواسيس) هو من حق الشرطة العادية التي يحق لها وحدها توقيف الاشخاص وبأمر من المدعي العام ...

لذلك سمعنا عن فشل كثير من حالات مطارده الجواسيس والعملاء ، وتمكنهم من الهرب ، لان التنسيق لم يكن على أتمه بين المخابرات والشرطة التي لا تصل الى مكان المطاردة في الوقت المناسب ، كما لا يمكن لشرطي أن يقوم

(٢) هذا الدستور المؤقت فرضه الحلفاء على المانيا الغربية عام ١٩٤٩ .

بمراقبة أو ملاحقة (مشبوه) ، وهو باللباس العسكري والسبب في عدم السماح لرجال المخابرات الالمان باعتقال الجواسيس هو الروتين أولا . وثانيا لان نفسيه الشعب الالماني معقدة من أيام حكم (الجستابو) ، أيام هتلر عندما كان يسجن الابرياء ، ويحرق ، ويصفي الكثيرين باسم مكافحة التجسس . لذلك رغب المشرعون في مداراة الشعب الالماني وعدم (نبش) ذكرياته المؤلمة ..

اخطاء المخابرات الاتحادية :

هاجمت مجلة (دير شبيغل) عام ١٩٧١ المخابرات الاتحادية بشدة وقدمت تحقيقات وفضائح استغرقت في اعدادها سنتين بعضها سبق للقضاء أن أصدر حكما بها ، وكانت النتيجة احالة بعض موظفي (غلين) على التقاعد المبكر ، واجراء تبديلات هامة في الجهاز وقد علم أن حملة المجلة كانت بموافقة الجنرال (فيسيل) ومباركة (فيلي برانت) رئيس الدولة بنفسه . ومع كل ذلك راعى الجميع مبدأ الجنرال المتقاعد (راينهارت غلين) في عدم افشاء اسم أي عميل..؟

سقوط جاسوس :

في الساعة الثالثة من تاريخ ٢٥/٤/١٩٧٤ أذاعت محطة لندن ــ القسم العربي ــ بأن المخابرات الالمانية اعتقلت المستر /غونتر غيلوم/ أحد مساعدي المستشار الالماني الغربي بتهمة التجسس لصالح المخابرات الالمانية الشرقية .

من هو غونتر غيوم :

التجأ غونتر غيوم من ألمانيا الشرقية الى ألمانيا الغربية في عام ١٩٥٦ . وكان قبل لجوئه قد اتبع دورة تدريبية في ألمانيا الشرقية (كبياع فني) والتحق بعدها بالكلية التكنولوجية ثم عمل في دار النشر الحكومية المعروفة باسم (الشعب والمعرفة) ما بين عام ٩٥١ و ١٩٥٥ حتى التجأ الى (بون) . أما زوجته كريستل غيوم ــ التي ألقي القبض عليها معه فقد تزوجها منذ ٢٢ سنة أي في ١٩٥٢ أثناء عمله في دار النشر الحكومية في ألمانيا الشرقية ، وقد لحقت به فيما بعد الى بون ،

وهي من العاملات في الحزب الاشتراكي الديمقراطي ، ثم موظفة في الحكومة كسكرتيرة لرئيس مستشارية مقاطعة هيس ، ولها ولد عمره (١٦) سنة ويقيم الجميع في ضاحية (بادغودسبرغ) على مسافة خمسة كيلو مترات من مكتب المستشار (برانت) ، وقد عمل غوتتز بعد أن أستقر له الامر في ألمانيا الغربية في تجارة الورق ثم مصورا أخذ يتعامل مع العديد من الصحف حتى ورد اسمه في عام ١٩٦٦ في سجل المصورين الصحفيين المتخصصين • وفي السنة التالية للجوء انتسب الى الحزب الاشتراكي الديمقراطي (حزب المستشار برانت) وأظهر في الحزب انضباطا وأخلاقية واعتبر من أنصار الجناح اليميني لانه كان يحبذ (طرد) الشبان الاشتراكيين المتطرفين من الحزب •

الجاسوسية ذات المستوى الرفيع :

حين قررت المخابرات الالمانية الشرقية (زرع) عميل لها فيمكاتب الحكومة الالمانية الغربية لم تتصور أن عميلها غوتتر سيصل الى هذه الدرجة (مساعد شخصي للمستشار برانت) •

استدعي غوتتر في ٢٠ نيسان عام ١٩٥٦ الى مكتب رئيس المخابراتالالمانيه الشرقية لامر هام ، وهناك أفهم بضرورة اتباعه دورة تجسس مؤقتة لمدة شهرين، درب فيها على بعض أمور التجسس ، وكيفية الاتصال بالعملاء، وارسالالمعلومات وبعد انتهاء فترة التدريب قطع علاقته مع دار النشر الحكومية ، ثم قام بتمثيلية هروبه الى المانيا الغربية (١٩٥٦) •

نجاحه في بون :

بعد أن استقر له المقام في ألمانيا الغربية ، لحقت به زوجته وولده ، وأخذ ينتقل في مختلف المناصب الحزبية الرفيعة حتى عين مساعدا موثوقا للمستشار برانت (بمهمة ضابط اتصال بين مكتب رئيس الوزراء وحزبه الاشتراكي الديمقراطي) • وكان يظهر من دماثة الاخلاق وأسلوب عمل رائع ومنظم يوحي بأنه شخص أمين يمكن الاعتماد عليه شهد بذلك وزير الدفاع الالماني الغربي)•

وكان يتصل بالمخابرات الالمانية الشرقية بشتى الطرق ، ويزودها بجميع ما يقع تحت يده من المعلومات الهامة (من ذلك أن بعض المفاوضات جرت بين المسؤولين فيالبلدين فوجد الغربيون أن جيرانهم قدهيأوا جوابات مقنعة وجاهزة لبعض الامور التي كانوا يطرحونها على بساط البحث لاول مرة) ولم يستطع أحد من المسؤولين أن يعرف أن المخابرات الالمانية الشرقية قد اخترقت مكتب مستشار ألمانيا الغربية بالذات وزرعت له جاسوسا من أقرب المخلصين له •

مكافاة غونتر :

على أثر النجاح الباهر الذي حققه غونتر في وصوله الى مكتب المستشار ورتبة / مساعد / له تعادل مرتبة أمين عام وزارة • فقد جرى منحه رتبة (مقدم) في الجيش الشعبي الالماني ، كما صدر أمرا وزاريا بتعيينه (وهو في ألمانيا الغربية) موظفا في وزارة الامن في ألمانيا الشرقية وصدر له راتب ضخم يجمع لحين الضرورة •

اخطاء غونتر :

كان المركز الممتاز الذي وصل اليه غونتر يسمح له بالتنقل بحرية تامة بين دول أوربا لاسباب تتعلق بعمله أو حينما يرغب في تمضية بعض العطل بمناسبة الاعياد •

توجه في عيد ميلاد عام ١٩٧٢ الى باريس لقضاء فترة راحة ، وحضور احتفالات الميلاد هناك • وكانت المخابرات الافرنسية له بالمرصاد حيثوضع تحت المراقبة الدقيقة منذ نزوله من الطائرة الى حين عودته وقد دهش المراقبون عندما وجدوه يخرج من أحد ملاهي الشانزليزيه ، ويركب تكسيا أوصله الى مقر البعثة العسكرية [illegible] السوفييتي) ومركز المخابرات السوفييتية في باريس [illegible] بيف ميروكين(١) ثم رجع الى

---

(١) برفيجرنيف ميروكين — من البعثة العسكرية السوفياتية في باريس وطرد منها في الشهر السادس من عام ١٩٧٣ بعد أن حاول الحصول على آلة دقيقة من معرض الطائرات في مطار لوبورجيه (موضوع تجسس) •

فندقه وشوهد في مطار أورلي بعد ذلك (صالون الانتظار) ثم استقبل سيدة جميلة صحبها الى فندقه ، تبين فيما بعد للمخابرات الافرنسية أنها : ماري لوزم ٢٥ سنة ـ سكرتيرة ايغون باهر وزير المستشارية ، والمكلف بالمفاوضات مع ألمانيا الشرقية وغيرها من دول حلف وارسو . واتضح من المراقبة أنها عشيقته ، ولحقت به الى باريس استنادا الى موعد سابق بينهما ، ولا يستبعد اختيارها بالذات /عشيقة/ له نظرا لمركزها الدقيق وما تطلع عليه من المعلومات التي لاتبخل لها على العشيق غوتتز (وهكذا الجاسوسية) .

ترك غوتتر يعود من باريس بدون اتخاذ أي اجراء بحقه نظرا لصفته (الدبلوماسية) ثم أعلمت السلطات الالمانية الغربية نتيجة المراقبة الروتينية التي أجرتها في باريس المخابرات الافرنسية لأخذ العلم ، واتخاذ الاجراءات اللازمة حسب ما جاء في كتاب الاعلام الذي لم يصل قط الى أي مسؤول في المخابرات الالمانية (ألقي القبض على أربعة أشخاص يتعاونون مع غوتتر في التجسس ومنهم سارق تقرير المخابرات الافرنسية) . وبسبب اختفاء هذا التقرير أتيح لغوتتر أن يستمر في مركزه وتجسسه منذ كانون الاول ١٩٧٢ الى ١٩٧٤/٤/٢٤ .

نهاية غونتر كنهاية جميع الجواسيس :

في أوائل عام ١٩٧٤ قامت وحدة مكافحة التجسس في المكتب الاتحادي للمباحث الجنائية ومنظمة الامن (مكتب حماية الدستور) وهو نفسه مكتب المخابرات الالمانية الغربية بمراجعة عامة وتحقيق رسمي مفصل عن جميع العاملين في جهاز الحكومة ومنهم غوتتر غليوم ـ بسبب استفحال الاعمال الجاسوسية في المانيا الغربية[1] وقد ضيق التحقيق على غوتتر ووضع تحت مراقبة شديدة ، وهو لا يشعر بل استمر في لقائه مع مندوبي المخابرات الالمانية الشرقية كعادته ، وتزويدهم بما يجد لديه من التقارير ، فوضعت تحت متناول يده معلومات

(١) المانيا الغربية ساحة طيبة ينعم فيها الجواسيس بصيد وفير (تجسس) ويقدر عدد الجواسيس فيها بـ ١٥ الف جاسوس يعتقل منهم سنويا حوالي /١٠٠٠/ جاسوس لا يبقى منهم في السجن سوى حوالي /١٠٠/ والباقي يجري تبادلهم مع جواسيس معتقلين في بلادهم .

جديدة (مزيفة بمعرفة المخابرات الالمانية الغربية) ، سرعان ما ظهرت نتائجها بعد أيام في المانيا الشرقية وهكذا أعلم النائب العام في مدينة كارلسروه . ووضعت بين يديه جميع الأدلة الدامغة، فأمر باعتقال غونتر وزوجته وجميع من يثبت التحقيق اشتراكه معه بالتجسس (تبين أنهم أربعة أشخاص) فاعتقل من منزله في بادغودسبرغ مع زوجته ، ووضعا في سجن الانفراد وحضر النائب العام شخصيا بعد ساعة من اعتقاله ، وأجرى معه تحقيقا اعترف فيه بتجسسه ، وأنه ضابط في الجيش الشعبي الاهلي في المانيا الشرقية ، وأنه موظف أيضا في وزارة الامن هناك . فطبعت هذه الاعترافات حالا وقدمت الى مستشار المانيا الغربية فيلي برانت شخصيا الذي أصيب بالذهول لهذه المفاجأة الغير متوقعة .

بعض نتائج تجسس غونتر :

أدت قضية القاء القبض على الجاسوس غونتر غيوم الى هزة سياسية في المانيا الغربية بأسرها ، حيث استغلت المعارضة هذه الحادثة ، وطلبت تبيان نوع المعلومات التي سربها غونتر الى الشيوعيين نتيجة اطلاعه عليها بحكم مركز عمله، أجابت الحكومة بأنها معلومات ليست بذات قيمة (كما يذاع دائما في مثل هذه الحالات) . ولكن المعارضة أكدت أنها معلومات على غاية من الاهمية والسرية، وان جواب الحكومة لا يقنع أحدا . عند ذلك اضطر فيلي برانت الى تقديم استقالته الى رئيس الدولة الالمانية مؤكدا أن هذه الاستقالة لا رجوع عنها ، وتوجه الى منزله للراحة ، بعد أن تحمل مسؤولية الاهمال السياسي فيما يتعلق بغونتر مع العرض بأن فيلي برانت هو صانع سياسة التقرب من المانيا الشرقية ، وأنه أحس أنه طعن في نواياه الطيبة (لأنه حائز على جائزة نوبل للسلام نتيجة سياسته هذه) ..

بريجنيف يعتذر عن تجسس غونتر غيوم :

خلال استقبال بريجنيف في الكرملين للمستر فيلي برانت مستشار المانيا الغربية السابق بتاريخ الثالث من تموز ١٩٧٥ ، أبلغه أسفه الشديد بخصوص



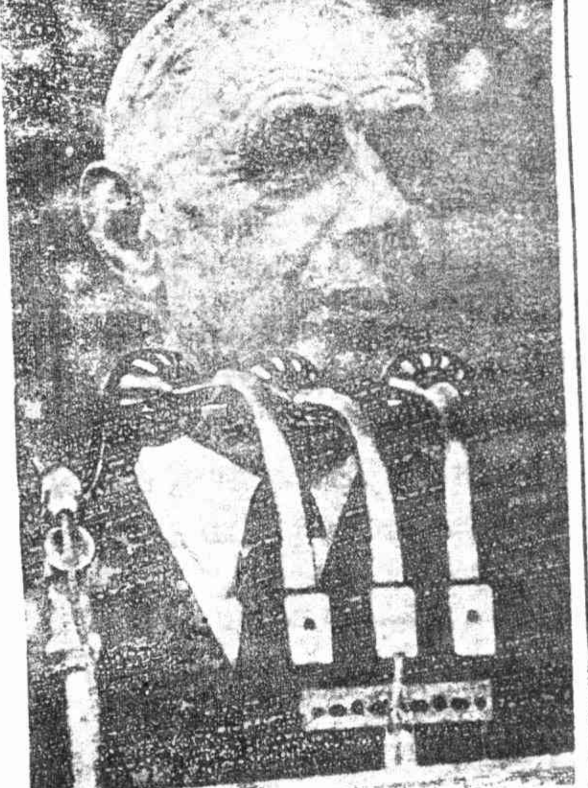
برانت وزوجته وبينهما

الجاسوس الذي وصل

الى اعلى المراتب الادارية

الجاسوس غونتر غيوم (مساعد فيلي برانت السابق) ، وأكد بريجينيف ، بأنـه لا علم له في موضوع التجسس مطلقا لأن غونتر كان يتجسس لالمانيا الشرقية كما هو معلوم وليس للكرملين •

وهذه أول مرة يتعرض شخص مسؤول مثل بريجينيف لموضوع تجسسي، ويعتذر علنا بسبب فداحة الاذى الذي ألحقه الجاسوس بشخصية فيلي برانت ، مما اضطره الى الاستقالة كما هو معروف • رغم أن المحكمة العليا في دوسلدرف أصدرت في حثيثيات حكمها نصا صريحا (يبرىء) فيلي برانت من أي تدخل أو علم في موضوع تجسس غيوم في حينه •





المخابرات الفرنسيّة

المخابرات الفرنسية منذ تاسيسها

لعل المخابرات الفرنسية هي المخابرات الوحيدة التي تكاد تكون من نوعية خاصة بين مخابرات العالم ، لانها منذ تأسيسها تقوم على عمل (اللامعقول) من أجل بقائها ضمن اطار اختصاصها ومهمتها الاساسية • رغم أن غيرها من مخابرات العالم جرّت بعض الحكام الى فضائح وفوضى نتيجة تجاوزاتها ، حتى كادت بعض هذه التجاوزات أن تؤدي الى صدام دولي • ولكن المخابرات الفرنسية بقيت محافظة على مكانتها بالنسبة للدولة • ولكن بعد الحرب العالمية الثانية بدأت تظهر في الأفق علامات استفهام حولها : هل المخابرات الافرنسية مع الحكومة القائمة في فرنسا أم ضدها ؟ هل هي مع فرنسا أم مع أعدائها ؟ وهكذا •

وهكذا وصلت الحال بالمخابرات الفرنسية في فترة مابعد انتهاء الحرب العالمية الثانية الا أنها كانت شكلا من أشكال (الشرطة السرية الداخلية) • ولم تكن في خدمة الدولة ككل بل كانت في خدمة الاحزاب السياسية المتنافسة ، وحتى

في خدمة (المرشحين للنيابة) ، وفي خدمة أوكـار القمار والعصابات ، ولكن الفرنسيين (كشعب) (وكرأي عام) كانوا بالمرصاد لمخابراتهم ، وأظهروا أنهم لا يطيقون تجاوزات مخابراتهم للقانون والتصرف اللامعقول ، فاشتكوا عن طريق نوابهم في المجلس الوطني (النيابي) . ولكن رجال المخابرات دافعوا عن أنفسهم (بأن أي تجاوز ارتكب كان للمصلحة العامة ، وأن طبيعة مهنة المخابرات تجيز بعض التجاوز ..) . ولكن معارضي المخابرات أصروا على أن مثل هذه التجاوزات لم تعد مقبولة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ولم تعد جائزة لا قانونيا ولا أدبيا . فانتصروا في النهاية وجرت بعض التنقلات الهامة في حينه في المخابرات فقضي على الشكوى .

مؤسس المخابرات الفرنسية :

يعتبر جوزف فوشيه ـ وزير الشرطة في عهد نابليون بونابرت عام ١٨١٥ هو مؤسس (المخابرات الفرنسية) ، لأنه أول رئيس للمخابرات لدى الامبراطور (نابليون) .

كان جوزف فوشيه في الاصل (كاهنا) ، لكنه انضم الى الثورة بأقنعة متعددة ، بحيث ينسجم مع الظروف . وفي عام ١٧٩٥ دخل في خدمة الجنرال (باراس) ، وأقنعه بأنه (ذو نفع كبير) لكل شيء ، ولا سيما التجسس على أي كان ، وبث البغضاء بين الحكومة والشعب. فأخذ يتجول في الازقة متنكرا منصتا الى الاحاديث،ويجلس في المقاهي يستمع الى الاقاويل والاشاعات من فم أصحابها. ثم يعود الى (باراس) حاملا ما حصل عليه من الاكاذيب والحقائق . ومع ثقة باراس وتطور العمل اتبع فوشيه نظام (المخبرين) ، فعين منهم العشرات وأخذ يدربهم بفن وذكاء حتى وصل الى ما وصل اليه فيما بعد أيام نابليون ، حيث أخذ ينقل اليه شخصيا ما يجمعه من (مخبريه) ، لأنه يعلم أن الامبراطور كان شديد الحذر والخوف على نفسه ، وبالتالي مستعد لمعرفة جميع ما يجري في فرنسا ضده .

وصل فوشيه الى مرتبة كبيرة في الغنى بسبب أعمال الاستغلال والضغط

والتهديد التي مارسها (مستغلا مركزه) . ومع جميع الاحتياطات التي اتخذها فان ذلك لم يمنع (المخابرات البريطانية) من التغلغل في دوائره من مخابرات وشرطة . فقد توصل الانكليز الى زرع (عميلين) ومن الافرنسيين في أهم الدوائر الرسمية ، وتمكنوا بذلك من الحصول أولا بأول على جميع التعليمات التي يصدرها نابليون بالذات . لكن هذين العميلين لم يتوصلا الى درجةالخدمات التي قدمها (فوشيه) نفسه لأعداء نابليون ، فقد أصبح بعد غناه أسير (المادة) فأغدقت عليه المخابرات العسكرية البروسية الاموال الطائلة حتى قدم الخدمة الجليلة للفلدمارشال (غيبهارت بلوشر) البروسي ، بحيث مكنه من تحطيم سيده (نابليون) . ولكن موضوع (ولاء) فوشيه أو خيانته للامبراطور (وهو رئيس مخابراته) بقي حديث رجال الدولة في أوربا سنين طويلة .

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية واستتباب الامن في فرنسا صدر مرسوم جمهوري في ١٨ كانون الاول ١٩٥٠ بتعيين (بيار بورسيكو) وهو مدير للامن العام سابقا وذو ميول اشتراكية رئيسا للمخابرات الفرنسية وأنهيت خدماته في عام ١٩٥٧ ، وعين مكانه الجنرال غروسان . وقد حافظ على بقاء مديريته خارج الصراعات السياسية ولكن السياسيين زجوا برجاله في الحرب الجزائرية . فكانت المخابرات الفرنسية تقوم (بمراقبة ومباغتة) أعضاء جبهة التحرير الوطنية الجزائرية .

في عام ١٩٦١ عين الجنرال (جاكييه) لرئاسة المخابرات بدلا من غروسان ، فاتبع ولأول مرة نظاما قاسيا جدا في المخابرات . وفي عهده (٥ تموز ١٩٦٢) حصلت الجزائر على استقلالها ، رغم أن منظمة الجيش السري وضعت بين أهدافها تصفية بعض الفرنسيين ، وعلى رأسهم جاكييه لأن المنظمة تعارض منح الجزائر استقلالها .

ومع الهدوء النسبي الذي ساد المخابرات الفرنسية عقب استقلال الجزائر وعدم وجود مهمات لرجال المخابرات الفرنسيين فقد انصرفوا الى حماية بيوت الدعارة والحانات مستغلين مراكزهم ، ويقبضون مقابل ذلك الاموال الطائلة ،

بحيث اذا أوقف (شخص ما) بسبب حيازته سلاحا بدون رخصة كان يجري اخلاء سبيله لمجرد وصول مكالمة هاتفية من (أحدهم) أي المخابرات يقول : ان الموقوف كان يقوم بمهمة وطنية .

كانت هذه التصرفات تصل تباعا الى مجلس الوزراء فقرر في شهر حزيران من عام ١٩٦٥ وضع المخابرات الفرنسية تحت اشراف وزارة الدفاع . وهكذا أصبحت المخابرات الفرنسية تنجز أعمالها بشكل جيد ، وأخذت وزارة الدفاع تقوم بعملية تجديد بين موظفي المخابرات الذين يبلغ عددهم/٢٠٠٠/ موظف منهم حوالي /٨٠٠/ عسكري . وأخذت هذه المخابرات تزود وزارات الدولة بالمعلومات السياسية ذات العلاقة بتطور الانظمة الحاكمة في الدول الشيوعية (والعربية) والافريقية . ثم تركت هذه المعلومات (للبعثات الدبلوماسيه) .
اهتم الجنرال الراحل ديغول شخصيا بالمخابرات وأوعز بوضع المخابرات مجددا تحت اشراف وزارة الداخلية بتاريخ ٢٠ أيار ١٩٦٩ . أما الملحقون العسكريون في السفارات الفرنسية في الخارج فوضعوا تحت تصرف رئيس الحكومة بالذات . لأن عمل الملحق العسكري هو (صوريا) تحت اشراف السفير ، ولكن هنالك حالات خاصة لا تمر فيها تقارير هذا الملحق على السفير ، بل تذهب رأسا الى مكتب خاص في مجلس الوزراء .

المخابرات الفرنسية الأن :

المخابرات الفرنسية الآن تدعى (مديرية الوثائق الخارجية ومكافحة الجاسوسية) . تضم (رسميا) ٢٥٠٠ موظف و (تقديريا)٦٠٠٠ ما بين عملاء في مختلف الاقطار التي لفرنسا مصالح فيها ومخبرين محليين . ويرأسها (الكولونيل) الكسندر دومارانش وهو من مواليد ١٩٢١ — والده (جنرال سابق في الجيش الافرنسي) ، والدته (أميركية) ، متزوج من (مطلقة اسكوتلندية) وله منها ولدان .

عمل الكولونيل دومارانش أثناء الحرب العالمية الثانية الى جانب الماريشال

(الفونس جوان) معاونا له ثم عمل (مترجما) بين القادة الفرنسيين والبريطانيين والاميركيين بسبب اجادته اللغة الانكليزية من والدته الاميركية. وفيما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عمل في المصالح العسكرية الادارية • وكان يعيش في قصر صغير في الريف الافرنسي متنقلا بين أملاكه وممارسة الحياة الاجتماعية على المستوى الرفيع وفي النوادي الباهظة التكاليف ، حتى استدعي الى قصر الاليزيه في تشرين الاول عام ١٩٧٠ ، وبلغ تعيينه (رئيسا للمخابرات) وهو أصغر ضابط يحمل رتبة (كولونيل).ومنذ أن استلم مهام منصبه الجديد أخذ الهمس في دوائر المخابرات يردد سؤالين :

١ ــ كيفية وصوله الى هذه الرتبة بالرغم من صغر سنه •• ؟

٢ ــ كيف يسمح له وقد أصبح رئيسا للمخابرات (بالزواج من أجنبية)، بينما نفس (المخابرات) تمنع زواج حتى الافراد من (أجنبية) ••؟

والظاهر أن الاجابة عن هذين السؤالين لم (تثر) المسؤولين لا سلبا ولا ايجابا لأن الاقتناع (الرسمي) لدى رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة هو أن (دومارانش) كان ولا يزال فوق الشبهات بالنسبة لنظرته في الولاء الوطني للدولة الفرنسية •

وهكذا تخطى هذا الكولونيل أول عراقيل التشكيك ، وسار بالمخابرات الافرنسية قدما الى الامام ، وهو الذي جعل المخابرات تقلع عن مبدأ حفظ الملفات عن المؤسسات والاشخاص (الارشيف) • فاستعان بالدماغ الالكتروني ماركة (يونيفاك رقم ٩٤٠٠) ، وقسم ميزانية مديريته الى ٢٥ مليون فرنك للعمل الاداري و ١٧ مليون فرنك للتجهيز وشراء أحدث معدات التجسس وكشف التجسس المعادي وأبقى لمديريته ميزانية محترمة ، تقطع من ميزانية مجلس الوزراء وتبلغ /٨٠/ مليون فرنك[١] • واتجه بالمخابرات الى التخفيف من العمل

---

(١) حوالي ٤٠ مليون ليرة لبنانية هي الميزانية السنوية للمخابرات الفرنسية وهو مبلغ متواضع جدا بالنسبة لدولة كبرى لفرنسا •

الروتيني ، وزاد الاختصاصيين فيها بالقانون والادارة والتخريب ومكافحة التخريب ومكافحة التجسس والارسال والالتقاط اللاسلكي والتحقيق مع المعتقلين (الاستنطاق) . وفي كل ما تتطلبه ظروف المهنة[٢] . كذلك نجأ الى التخفيف من الاستعانة بالعسكريين ، وقوى الاعتماد على المدنيين أصحاب الاختصاص وركز الاهتمام على الحصول على المعلومات العسكرية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية بدرجات متساوية ، لأنها تؤلف مجتمعة العناصر الضرورية للمعلومات التي تريدها الدولة .

أما الفضائح ، المشاكل ، التدخلات في السياسة ، التشابك في الصلاحيات، فإن كل هذه الامور اختفت في عهده . وقد يكون مرده أن الرجل الجديد لم ينقض زمن طويل على ممارسته ادارة المخابرات ومع ذلك من الواضح أن اجتناب الفضائح في عهده هو (نجاح) ، حتى يعود لفرنسا ذلك الدور العالمي الذي تستطيع مخابراتها أن تمارس نشاطها في ضوئه . وقد شعر الافرنسيون تلقائيا بما قدمه لهم دومارانش بتنظيمه للمخابرات ، فأخذوا يقدمون له الاحترام أينما ظهر .

المخابرات الفرنسية تشترك في اغتيال الشهيد المناضل المهدي بن بركة :

يذكر القارىء من سماع الاخبار وقراءة الصحف عام ١٩٦٥ نبأ اختطاف وتصفية المناضل المغربي الشهيد المهدي بن بركة في باريس وما جرى بعد ذلك من محاكمات صورية . وفي هذا الكتاب الوثائقي عن المخابرات وتحريكها للعالم أحببنا أن نقدم مقتطفات رسمية عن جريمة الاغتيال السياسي هذه ، بسبب اشتراك بعض عناصر المخابرات الفرنسية ورجال الامن في هذه الجريمة البشعة مقابل ملايين الفرنكات التي دفعت لهم .

---

(١) كان يتخرج من مدرسة المخابرات الفرنسية الواقعة في احدى ضواحي باريس دفعات متتالية من الاختصاصيين .

الشهيد المناضل المهدي بن بركة في سطور :

ولد بالرباط سنة ١٩٢٠ .

التحق وهو طفل بالكتاتيب القرآنية ، ومن ثم ألحق في مدرسة العلوم حيث حصل على الشهادة الابتدائية ، وأتم دراسته الثانوية بليسي كورو بالرباط أيضا . وكان طوال فترته الدراسية هذه من أنبغ الطلاب في جميع المواد الدراسية وخاصة مادة الرياضيات .

ـ التحق بجامعة الجزائر حيث أتم دراسته الجامعية وكانت الجامعة الجزائرية فرعا لجامعة باريس .

ـ وفي سنة ١٩٤٣ أصبح أستاذا لمادة الرياضيات في ليسي كورو أي نفس الثانوية التي درس فيها المرحلة الثانوية .

ـ وعلى أثر حوادث المطالبة بالاستقلال سنة ١٩٤٤ اعتقل الشهيد المهدي ابن بركة لاول مرة من طرف السلطات الفرنسية .

ـ ويرجع نشاط المهدي بن بركة في الحياة السياسية حينما انضم الى العمال الوطنيين سنة ١٩٤٣ .

ـ وشارك في تأسيس جمعية الرباط الوطنية الثقافية والتي منحتها السلطات الفرنسية سنة ١٩٤٤ .

ـ **لقد كان المهدي بن بركة على رأس من حرروا وثيقة ١١ يناير ١٩٤٤ والتي تطالب باستقلال المغرب .**

ـ بعد خروج المهدي من السجن تحمل مسؤولية الكتابة الادارية للجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، ومن ثم عضوا في اللجنة التنفيذية . وفي ٢٨ فبراير ١٩٢١ اعتقل الشهيد المهدي مرة أخرى ، ونفي الى الجنوب المغربي حيث بقي منفيا الى اكتوبر ١٩٥٤ .

ـ بعد اطلاق سراحه لعب المهدي دورا بارزا في نشاط الطبقة العاملة بالمغرب . وهذا الدور الذي أسفر عن تأسيس المنظمة العمالية المغربية الاتحاد المغربي للشغل في ٢٠ غشت (آب) ١٩٥٥ .

ـ وفي غشت[1] ١٩٥٥ ، وأثناء مفاوضات ايكس ليبان التي نظمتها حكومة ادغار فور هذه المفاوضات التي أسفرت عن استقلال المغرب شارك المهدي بن بركة في الوفد الذي شكله حزب الاستقلال لهذه المفاوضات بالاضافة الى عبد الرحيم بوعيد ، ومحمد البزيدي وعمر بن عبد الجليل ومحمد بوسته .

ـ وفي نوفمبر ١٩٥٦ انتخب الشهيد المهدي رئيسا للمجلس الوطني الاستشاري ، وظل رئيسا له حتى حل المجلس سنة ١٩٥٩ .

ـ وفي سنة ١٩٥٦ تولى الشهيد المهدي الاشراف على مجلة « الاستقلال » الاسبوعية ، والتي تصدر باللغة الفرنسية حيث عرفت هذه المجلة أنها الصوت الثوري للجناح التقدمي داخل حزب الاستقلال .

ـ وفي سنة ١٩٥٦ أشرف المهدي على بناء طريق « الوحدة » والذي يربط شطري المغرب ويجسد وحدته . ولقد شارك آلاف من الشباب المغربي في انجاز هذا المشروع .

ـ وفي سنة ١٩٥٨ بعث المهدي بن بركة الى المؤتمر الافريقي الاسيوي بالرغم من معارضة قيادة حزب الاستقلال ، برقية عبرت عن الاختيارات التقدمية التي يطمح اليها الجناح اليساري داخل الحزب .

ـ وفي ٢٥ يناير استطاع الجناح اليساري بمشاركة المهدي بن بركة الفعالة تأسيس الجامعات المتحدة لحزب الاستقلال ، والذي أصبح فيما بعد الاتحاد الوطني للقوات الشعبية .

بعد المؤامرة الاولى ضد الاتحاد والمقاومة وجيش تحرير واعتقال المناضل محمد البصري وعبد الرحمن اليوسفي ، اضطر الشهيد المهدي للبقاء خارج المغرب ، وأصبح الناطق الرسمي للحزب في المحافل الدولية ، وأخذ يوثق الصلات بين الحزب والحركات الثورية في العالم .

ـ في خريف ١٩٦٣ حكم عليه بالاعدام من قبل السلطات المغربية .

ـ ١٤ مارس ١٩٦٤ حكم عليه مرة ثانية بالاعدام مما اضطره للبقاء خارج وطنه ، حتى خطف واغتيل في أحد شوارع باريس بتاريخ ٢٩ أكتوبر ١٩٦٥ .

---

(١) شهر غشت في بلاد المغرب هو شهر آب (اغسطس) .

وفيما يلي نقدم هذا الشرح المأخوذ من السجلات الرسمية الفرنسيه عن أدوار المتهمين المغاربة أولا ثم المتهمين من الفرنسيين . وبذلك يصبح لدى القارىء قناعة واطلاع على كيفية تنفيذ خطة الخطف ومن ثم التصفية (القتل) بمباركة السلطات المغربية وأولهم :

١ ـ الجنرال محمد اوفقير :

ضابط سابق في الجيش الفرنسي ومسؤول في أجهزة الدولة المغربية ، قتل في القصر الملكي يوم ١٦ آب ١٩٧٢ اثر فشل عملية الانقلاب .

٢ ـ احمد الديلمي :

كولونيل في الجيش المغربي،متهم رئيسي في قضية اختطاف واغتيال الشهيد المهدي بن بركة التحق بسلك الشرطة المغربية في آب ١٩٥٥ بعد أن تخرج من مدرسة جنود المظلات .

وقد كلف الديلمي بأن يكون المسؤول عن تنظيم التعاون مع المجموعة الاميركية من أجل انشاء جهاز خاص للاجانب . ويقوم هذا الجهاز بتدريب الكوادر اللازمة لعمليات التسلل الى السفارة الاميركية بالرباط ، ومعرفة التنظيمات النقابية والسياسية والدبلوماسية في الشرق العربي .

وعلاقة الديلمي بالمخابرات الاميركية تبدأ بعلاقته الشخصية مع المستر « بدوني » الذي كان يعمل لصالح المخابرات الاميركية في المغرب ، ويتكلم اللغة العربية واللهجة المغربية الدارجة ، ويعرف المغرب شبرا شبرا . وكان يتلقى تعليماته من المستر (هار) الذي يعمل بالسفارة الاميركية بالرباط ، وعرف عنه أنه حلقة وصل بين فرع الوكالة في المغرب والمركز الرئيسي لها ١/س.ب.أ في الولايات المتحدة .

وقد زود أحمد الديلمي من المخابرات الاميركية بأشهر خبير أميركي في

التسجيلات السرية وأدوات الجاسوسية هو المستر (وينس) • وفي مجال تخطيطاته لعملية اختطاف الشهيد المهدي قدم الى باريس قبل ثمانية أشهر برفقة المدعو الشتوكي لتحضير عملية الاختطاف واجتمع الى بعض أصدقائه الفرنسيين حيث نزل في فندق الاليزيه غرفة رقم ٥٥ ، واتصل بالمتهم « لومارشان » بباريس•

ووصل أحمد الدليمي الى باريس يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٦٥ حيث استقبله في المطار المتهم انطوان لوبيز في مطار أورلي . واستأجر له سيارة يقودها سائق جزائري أوصلته الى ــ فيلا ــ يحتجز فيها المهدي بن بركة •

ــ غادر باريس بعد تصفية الشهيد •

وقبل صدور الاحكام على المتهمين في قضية الاختطاف من طرف المحكمة الفرنسية عاد أحمد الدليمي الى باريس ليسلم نفسه الى القضاء الفرنسي لارجاء صدور الاحكام من جهة ، وتمييع المحاكمة بعد أن رتبت مسرحية تسليم نفسه الى القضاء ــ في الخفاء ــ بين الجهات العليا المغربية والفرنسية •

وأثناء المحاكمة قال الدليمي ان المبلغ الذي قال الغالي الماحي انه أعطاه له لتهريب السيد ياليس كذب . ولكنه قال ان المبلغ عبارة عن تسديد ايجار شقة يملكها الغالي الماحي في المغرب •

وكان الدليمي قد فقد أعصابه . وبدأ يصرخ أمام رئيس المحكمة السيد ــ جان بيريز ــ حين وجه هذا الاخير سؤالا الى المتهم انطوان لوبيز بصدد المكالمة الهاتفية من أحد شوارع باريس يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٦٥ مع مدير الشرطة المغربية وقال له : لقد وصل ضيفكم (يعني الشهيد) ••

وقد أجاب القاضي على صراخ الدليمي (اخرس) • وأحمد الدليمي مشهور بجرائمه ؛ فقد كان من العناصر النشيطة في تصفية جيش التحرير المغربي الذي كان يخوض الكفاح ضد الاستعمار الاسباني في الصحراء المغربية المحتلة •

كما قام بتعذيب المناضلين الاتحاديين شخصيا ، وعلى رأسهم الشهيد عمر دهكون سنة ١٩٧٣ •

٣ ـ الغالي الماحي :

ينتحل صفة طالب مغربي في باريس مسجل في فرع التجارة بالجامعة الفرنسية ، وقد اتضح دوره كأحد رجال المخابرات المغربية في باريس وذلك لدوره في جريمة اختطاف بن بركة وهو دور الوسيط بين المتهم الكولونيل ـ أحمد الدليمي ـ والمتهم أنطوان لوبيز .

وقد اعتقل بعد اختطاف المهدي بن بركة من قبل البوليس الفرنسي ، وفي أثناء المحاكمة قال : ان الكولونيل أحمد الدليمي حول له عشرة آلاف فرنك فرنسي جديد لتسليمها الى رجل العصابات : « ياليس » لمساعدة هذا الاخير على الهروب من فرنسا .

ويقول المتهم الماحي انه تعرف على المتهم المدعو العربي الشتوكي في الرباط حيث كان هذا الاخير يشغل مركزا مهما في الاستخبارات المغربية .

٤ ـ التهامي الازموري :

مغربي الجنسية من مواليد ١٩٣٧ طالب مغربي في فرنسا .

كان يقيم في شارع بيير لوي رقم ٥ باريس متزوج من سيدة نرويجية . وقد كان السيد الازموري يحضر الدراسات العليا في مادة التاريخ في جامعة السربون .

ويعتبر الازموري الشاهد الرئيسي في عملية الاختطاف ، حيث انه كان يرافق بن بركة في شارع الشانز ليزيه عندما أبعده المختطفون عن المهدي بن بركة ، وقادوه في سيارة سوداء من نوع بيجو ـ ٤٠٤ ـ وزوجة التهامي الازموري هي التي أبلغت أصدقاء الشهيد بن بركة من مغاربة وفرنسيين بحادثة الاختطاف حيث أبلغوا المسؤولين في الامن والخارجية الفرنسية بالحادث .



٥ ـ السيد الحسيني :

عميل الإستخبارات المغربية ، ومساعد الكولونيل الدليمي مدير الامن المغربي وممرض مكلف بالتخدير في الفرق الخاصة التابعة للشرطة المغربية .

والحسيني متهم في قضية اختطاف الشهيد المهدي بن بركة ويقول عنه المتهم الرئيسي انطوان لوبيز ان المتهم الحسيني كان حاضرا حفلة الغداء التي شارك فيها لوبيز ـ وذيباى ـ وليني ـ وباليس ـ يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٦٥ في المكان المعروف ـ باري فياي بوسف . وقد رافقه الدليمي منذ وصوله من جنيف الى فيلا فونتاي لي فيكونت سجل اسمه أي المتهم ـ الحسيني ـ في فندق هيلتون باورلي تحت اسم الحسيني بوهيب المولود يوم ٢٨ آب ١٩٣٨ ومهنته موظف رفقة الشرطي المغربي عشاشي عبد الحق ليلة ٢ ـ ٣ نوفمبر١٩٦٥ كما نزل المتهم الحسيني رفقة عشاشي عبد الحق في فندق الاليزيه ستار ليلة ٣ ـ ٤ ـ ١٩٦٥ شارع ليو ٦٣ .

٦ ـ العربي الشتوكي

مسؤول كبير في الاستخبارات المغربية ، ويقال انه (عباس) الذي لم يظهر دوره واسمه في التحقيقات .

اتهمه أنطوان لوبيز بقوله أمام المحكمة انه هو الذي لعب دورا رئيسيا في اعداد خطة الخطف والاغتيال مع الكولونيل أحمد الدليمي .

قدم الى باريس قبل ثمانية أشهر من تنفيذ خطة الاغتيال صحبة الكولونيل أحمد الدليمي ، ولم يسجل اسمه في أي مكان ، ولكن اسمه في سجل فندق الاليزيه ١٠٠ شارع « لايوتي » منذ تاريخ ٣ الى ٧ نوفمبر سنة ١٩٦٥ .

سافر الى القاهرة في ١٢ سبتمبر ١٩٦٥ حيث التقى مع جورج فيغون المتهم في القضية ، والمتهم الصحفي برنييه الذي اعترض على وجود الشتوكي ، حينما رآه في القاهرة وذهب الى جنيف يوم ١٩ سبتمبر تحت اسم الشتوكي أيضا .

وفي يوم ٣٠ إكتوبر في الساعة التاسعة وستة وثلاثين دقيقة غادر باريس

متوجها الى المغرب تحت اسم الشتوكي عمر ، بتذكرة صادرة عن الرباط بتاريخ ٢٢ أكتوبر ١٩٦٥ •

أثناء مقابلة بين المتهمين : لوروا ، ولوبيز يوم ١٤ مارس ١٩٦٥ أكد أنه سرق حقيبة الشتوكي قبل سفره الى القاهرة ، وصور ما بداخلها ولم يستنكر — لوروا — هذا التصرف •

كما أن المتهم — الشتوكي — كان برفقة المتهم الغالي الماحي الذي يعرفه جيدا في مطار أورلي يوم ٣٠ أكتوبر١٩٦٥بعد عملية الاختطاف لاستقبال الجنرال أوفقير ويقول الماحي انه تعرف على الشتوكي في الرباط ، حيث كان الشتوكي يشغل مركزا مهما في المخابرات المغربية •

٧ — السوطي العربي :

عامل اقليم وجدة نزل أسطور ١١ شارع استورك من ١٤ الى ٢٦ اكتوبر ١٩٦٥ ومن ٣١ أكتوبر الى ٥ نوفمبر ، حضر اجتماعا مشبوها في بيت نبيل في ظرف ٤ أيام قبل اختطاف الشهيد المهدي بن بركة •

٨ — عشاشي عبد الحق :

شرطي مغربي من مواليد مدينة وجدة بتاريخ ٢٤ مارس ١٩٣٦ • ويسكن سابقا في زنقة مولاي ادريس رقم ١١ •

وصل الى مطار أورلي قادما من الدار البيضاء يوم ٢ نوفمبر ١٩٦٥ •

نزل في ليلة ٣ نوفمبر مع المتهم العميل الحسيني في غرفة ١٤٦ بفندق الهيلتون • وفي ليلة ٣ — ٤ نزلا معا في فندق الاليزيه ستار ٦٣ شارع ليلو •

٩ — الصقلي سعيد ويعرف كذلك بالصقلي حميد :

من مواليد مدينة فاس سنة ١٩٢٨ ، ويسكن في مدينة طنجة ٣٠ شارع باستور •

متهم في قضية اختطاف الشهيد المهدي بن بركة ومشاركته •

وقد ظهر هذا الاسم في لائحة طيران أورلي ـ الدار البيضاء تحت رقم ٠٠٧ بتاريخ ٣٠ آكتوبر • وظهر كذلك في لائحة احتياط بنفس الشركة تحت رقم٦٢٥ مع أورلي ـ تولوز ـ الدار البيضاء في٣١اكتوبر الى جانب اسم المتهمالكولونيل أحمد الدليمي والمتهم الحسيني والمتهم الشتوكي ، في حين أن المتهم الصقلي سعيد قد وجد في سجل القادمين من الدار البيضاء الى مطار أورلي بتاريخ ٣١ آكتوبر ١٩٦٥ •

تلقى السيد زولينجر قاضي التحقيق في قضية اختطاف الشهيد بن بركة محاضر حول المتهم الصقلي سعيد تتضمن معلومات من الاوساط المغربية على أساس أنه صديق للجنرال محمد أوفقير المكلف بتمويل العملاء الذين باشروا باختطاف المهدي بن بركة •

١٠ ـ ايلي ترجمان : مساعد الجنرال محمد أوفقير وزير الداخلية للعمليات السرية • وهو يهودي مغربي ويحمل الجنسيتين الاسرائيلية والمغربية

صرح للجنرال محمد أوفقير وزير الداخلية المغربية عند بداية التخطيط لعملية الخطف أنه لا يمكن خطف المهدي بن بركة الا اذا استدرج الى باريس أو مدريد ، حيث يكون البوليس فياحدىهذه الدول متواطئاً معنا ، الى أن يقولايلي ترجمان :

ومن المعلوم أن لدينا أصدقاء كثيرين في باريس سواء في أجهزة البوليس أو المخابرات السرية أو داخل الحكومة نفسها • وايلي ترجمان هو الذي فاتح المتهم لومارشان وجورج فيغون وأنطون لوبيز في موضوع الاختطاف •

والصهيوني ايلي ترجمان يعمل حاليا ضمن سكرتارية الحكومة ومكلف بالعلاقات الخارجية مع باقي العملاء للمخابرات الجاسوسية للولايات المتحدة الاميركية والاسرائيلية •

ويدعى هذا المكتب S.R.P. Service charge des Relations poltiques

المشتركون الذين يحملون جنسيات اجنبية :

١ ــ انطوان لوبيز : فرنسي الجنسية مواليد ١٩١٣ ٠
يعتبر انطوان لوبيز المتهم الاول في قضية اختطاف الشهيد بن بركة وانطوان لوبيز عميل للمخابرات الفرنسية يملك مجموعة من البارات والكبريهات في حي « مونمارتر » في باريس ٠

وقد سبق للمتهم أن شغل منصب مدير مطار طنجة المغربي ٠ وهو الذي أعطى الاشارة للمخابرات الفرنسية بالتنسيق مع المخابرات المغربية ــ بحكم هذا المنصب ــ لكي تختطف طائرة الزعماء الجزائريين . وهم في طريقهم الى تونس (أثناء حرب الاستقلال الجزائرية) ٠

وفي سنة ١٩٦١ رقي الى منصب كبير في شركة اير فرانس في مطار أورلي باريس وبحكم منصبه في المطار أصبح انطوان لوبيز وكيلا للعديد من وزراء المغرب يقدم لهم التسهيلات والخدمات ٠

وأمام المحكمة التي نظرت في قضية الاختطاف قال لوبيز : إنه استقبل يوم السبت ٣٠ اكتوبر ١٩٦٥ الكولونيل الدليمي في مطار اورلي ، وأعطاه سيارة مستأجرة يقودها سائق جزائري ذهبت به الى بيت في فونتاي لي فيكونت ٠

كما استقبل الجنرال محمد أوفقير في المطار في نفس اليوم في الساعة ١٧ والدقيقة ٣٠ مساء وشخص مغربي آخر يحمل حقائب الجنرال ٠ وقاد هو بنفسه السيارة التي أقلته هو والجنرال أوفقير ومعاونه الى بيت المتهم « شوشون » ٠

كما أكد أمام قاضي التحقيق أنه يعتبر نفسه مرؤوسا في هذه القضية لجهات عليا ــ علما أن البوليس الفرنسي استطاع تحديد مكان التلفون الذي استعمله يوم ٢٩ اكتوبر للاتصال بالجنرال أوفقير في المغرب يُعلمه بنجاح عملية اختطاف ابن بركة ٠ وقد كان انطوان لوبيز قد أخبر شعبة مكافحة الجاسوسية بالامر ٠ وجاء في التقرير المؤرخ في ٣٠ ابريل ١٩٦٥ ٠ « أن الجنرال أوفقير قد كلف من قبل الملك بأن يتصل بالمهدي بن بركة لمحاولة اقناعه بالعودة الى المغرب مع رفاقه » ٠

هذا وكانت الصحافة الفرنسية قد أطلقت على أنطوان لوبيز لقب المتهم المراوغ ٠

ـ صدر عفو عن المتهم أنطوان لوبيز في الاسابيع الاخيرة من سنة ١٩٧١، وقد أعلن ذلك للصحافة محامي لوبيز •

٢ ـ جورج بوشيس : فرنسي الجنسية من مواليد ٦ مارس ١٩١٤ معروف في الوسط الصحفي ، ولص معروف ذكر اسمه لاول مرة بعد تحرير فرنسا من النازية ، حيث كان الجيش الفرنسي يبحث عن أعضاء عصابة كانت تتعاون مع ـ الجستابو ـ وقت الاحتلال الالماني حيث كان من بين المتهمين •

صرح المتهم جورج فيغون قبل اغتياله أنه رأى بوشيس في فيلا « فوتتاي لي » • حكم عليه في محكمة السين بالسجن لمدة سبع سنوات ، ثم أطلق سراحه• متزوج من مدام انديو التي تملك فندقا بالمغرب وعاونته أيام محنته •

والمتهم بوشيس يملك منزلا بضواحي باريس في منطقة تسمى « فوتتالي في فيكونت » كما يعتبر من أصدقاء الجنرال أوفقير عندما كان بوشيس يشغل منصب مدير مواخير في المغرب أيام الاحتلال الفرنسي •

وقد اجتمع المتهم بوشيس بعد ثمانٍ وأربعين ساعة من اختطاف المهدي بالجنرال أوفقير في بيته في « فوتتاي لي فيكونت » •

في ١ نوفمبر استقل بوشيس طائرة كارافيل قاصدا المغرب في حالة فرار • وفي الثامن من نوفمبر صدرت مذكرة توقيف بحقه من قبل قاضي التحقيق ، الذي ينظر في قضية اختطاف المهدي ابن بركة • وقد صرح المتهم جورج فيغون قبل اغتياله أنه رأى بوشيس في « فيلا فوتتاي لي فيكونت » ، وكذلك مجموعة من أصدقائه يعذبون المهدي بن بركة بعنف حتى مقدم الجنرال أوفقير الى الفيلا،

وقد كلف جورج بوشيس بعملية الاختطاف من قبل رجل الامن المغربي المدعو الشتوكي •

بعد أن تأكدت السلطات الفرنسية من وجود بوشيس في المغرب قدم سفير الجمهورية الفرنسية في الرباط مذكرة الى السلطات المغربية يطلب تسليم بوشيس الى العدالة الفرنسية •

٣ ـ جورج فيغون ـ فرنسي من مواليد ١٩١٦ : المتهم جورج فيغون ابن

أحد كبار موظفي الحكومة ، وشقيق طبيب فشل في دراسته . انخرط مع عصابات اللصوص ، وأثناء حادثة سطو قام بها سنة ١٩٥٥ أطلق النار على أحد رجال الشرطة ، وحكم عليه بالسجن ١٢ سنة مع الاشغال الشاقة . وبعد الافراج عنه بدأ يشتغل في البارات ، وأقام علاقات مشبوهة مع رجال الامن والإستخبارات (مرشدا لهم) ، بالاضافة الى علاقته بالمخابرات الاميركية .

وأخيرا استقر به المقام كصاحب دار للنشر ـ وهوصديق الصحفي الفرنسي « برنييه » المتهم كذلك في عملية اختطاف المهدي بن بركة .

وعند التقائه يوم ١٠ اكتوبر بالمتهم انطوان لوبيز اعترف له بأن الهدف من استدراج المهدي بن بركة الى باريس قد يكون لغرض التصفية .

وفي السادس من نوفمبر كلف البوليس بالبحث عن المتهم جورج فيغون المتهم في قضية الإختطاف .

وقد قتل جورج فيغون في السابع عشر من شهر ديسمبر ١٩٦٥ ، وأشيع أنه انتحر . ولكن الذي عرف أن قاتل جورج فيغون هو صحفي ألماني غربي له علاقة بالاستخبارات الاميركية .

وحين اقتحم البوليس الفرنسي شقته في باريس وجدت لديه وثيقة تحتوي على ٢٥ سؤالا،كانت من المفروض أنتطرح علىالشهيد بن بركة عقب الاختطاف.

٤ ـ الكولونيل ـ فانفيل ويدعى مرلاسيللوروا ـ ويدعى أحيانا«دونالد» رئيس لمفرزة مكافحة الجاسوسية ورئيس انطوان لوبيز مباشرة المتهم في قضية الاختطاف .

أعفي من منصبه هذا في الثامن عشر من شهر يناير بعد أفتضاح دور أجهزة الامن في تدبير عملية الاختطاف حيث إنه كان قد تلقى معلومات تقول إن الغرض من جر المهدي بن بركة الى باريس هو التصفية الجسدية .

الجنرال جاكييه ـ صديق الجنرال ديغول رئيس الجمهورية الفرنسية ورئيس ادارة مكافحة الجاسوسية (سيدكو) .

أقاله الجنرال ديغول من منصبه بتهمة الاهمال في قضية اختطاف المهدي ابن بركة في التاسع عشر من شهر (يناير) .

والحق هذا الجهاز بصلاحية وزير الدفاع بعد أن كان تابعا لرئيس الوزراء الفرنسي بعد الحادثة ...

ــ فيليب برنييه ــ صحفي فرنسي ــ•

كان فيليب المتهم في قضية اختطاف المهدي بن بركة رئيس تحرير مجلة ــ انتر ــ التي يملكها الجناح اليساري في الحزب الديغولي • استخدم كطعم لاحضار بن بركة الى باريس • وكان قد اتصل هاتفيا بالمهدي بن بركة في ٢٦ ــ ١٠ ــ ١٩٦٥ عندما كان المهدي في جنيف ٢٢ شارع دوفيفي • والسيد برنييه صديق للمتهم جورج فيغون كما يعتبر فيليب برنييه صحفي مختص في شؤون المغرب حيث كان يتردد على المهدي منذ عدة سنوات ، وله علاقات مع رئيس الاستخبارات المغربية •

وعن طريق الصداقة اتصل المدعو الشتوكي رجل الامن المغربي المفاوض ــ بالسيد فيليب برنييه عارضا عليه مبلغا هاما من المال لكي يساعد شخصيات مغربية متنفذة على ن تتصل بالمهدي بن بركة •

وقد تقدم للسفارة المصرية في باريس يوم ١٠ سبتمبر ١٩٦٥ لطلب (الفيزا) للذهاب الى القاهرة حيث كان يوجد المهدي آنذاك• اعتقل في السادس والعشرين من شهر نوفمبر ١٩٦٥ •

ــ فيليب لومارشان ــ نائب في البرلمان الفرنسي عن دائرة ليون من الحزب الديغولي • وقد لعب وزير الداخلية الفرنسي دورا رئيسيا في سبيل إنجاحه • وهو محام لامع متزوج من السيدة فرانسواز ميران ابنة ــ لوبيرك وزير المالية في حكومة الجنرال ديغول ، التي تشكلت في المنفى •

كما تولى لومارشان الاشراف على تأسيس منظمة مضادة لمنظمة **O.A.S** التي عارضت استقلال الجزائر•والمعروف أنالمنظمة التي شكلها السيدلومارشان معظم أفرادها من رجال العصابات ، والمطاردين قانونيا (مرتزقة) •

اتصل ايلي ترجمان بلومارشان وعرض عليه مشروع الاختطاف واستدراج المهدي بن بركة • فوافق لومارشان مقابل عشرة ملايين فرنك جديد ، كمبلغ

للاشخاص الذين سوف يقومون بعملية الخطف ، وعشرة ملايين أخرى لعملية الاستدراج والمصاريف الطارئة التي يجب رصدها لهذه العملية (كل هذه المبالغ من ميزانية المخابرات المغربية) •

وأثناء عملية الاختطاف في شارع سان جرمان يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٦٥ كان السيد لومارشان يقف على الرصيف في هذا الشارع عندما تعرض الشهيد المهدي لعملية الخطف من قبل الضابط سوشون ومعاونه ريمون فواتو والعميل المغربي الغالي الماحي •

ـ روجيه فراي ـ وزير الداخليــة الفرنسي في حكومة السيد جورج بومبيدو ـ ورئيس الشرطة ، وهو صديق للمتهم فيليب لومارشان •

في التاسع من تشرين الثاني قام السيد روجيه فراي بإرجاء محادثات جميع رؤساء مختلف مصالح البوليس بشأن قضية اختطاف الشهيد المهدي بن بركة •

في ٦ ماي ومن على منبر الجمعية الوطنية الفرنسية (البرلمان) تكلم السيد روجيه فراي حول قضية الاختطاف ، وكمحاولة منه للتستر على رجاله من رجال الامن قال « إن موظف البوليس يستطيع بشكل صحيح أن يتذرع بالسر المهني عند رفضه الاجابة أمام قاضي التحقيق •

وكان السيد الوزير قد صرح أنه لا يخفي كرهه لمناضلي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية • (الاتحاد الاشتراكي حاليا) •

وفي يوم ٣ نوفمبر عندما كان الجنرال أوفقير للمرة الاخيرة في باريس • وقد تبين دور أوفقير في الاختطاف عندما استقبله السيد الوزير الفرنسي في حفلة تمت بساحة بوفو حيث أصدر في وقت ما بعد نوفمبر ١٩٦٤ قرارا بطرد محمد اليازغي المسؤول عن تنظيمات الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بفرنسا • إلا أن تدخل نقابة المحامين وعميد كلية الحقوق لدى الجنرال ديغول أدى الى الغاء قرار الوزير •

ـ جوليان لناي ـ أحد زعماء العصابات السابقين متهم في قضية إختطاف الشهيد المهدي بن بركة •

لوني ـ أحد المجرمين المعروفين ، ومتهم في قضية اختطاف الشهيد المهدي بن بركة .

صحب المتهم الرئيسي انطوان لوبيز الى مقهى ليبر حيث تقرر أن يتناول الشهيد المهدي بن بركة يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٦٥ طعام الغذاء عند وصوله من جنيف.

السيدة انطوانيت ديماسانس ـ صاحبة اوبيرج رد ستيكو في ضاحية فوتني لي فيكونت . سمعت انطوان لوبيز يخاطب شخصا على الهاتف يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٦٥ يقول بحدة (لا بد بأي وسيلة من إيجاد مكان لهذا الراكب) .

ـ جورج فرانجو ـ ممول ومخرج الفيلم السينمائي المزعوم « باستا » الذي يصور نضال شعوب العالم الثالث بمناسبة انعقاد مؤتمر القارات الثلاث بهافانا في يناير ١٩٦٦ .

يقول عنه المتهم انطوان لوبيز أنه من بين الاشخاص الذين حضروا في حفلة الغداء يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٦٥ في باري فياي يوسيف ضمن المجموعة التي شاركت في الاختطاف .

ـ جان باليس ـ أحد زعماء العصابات السابقين متهم في قضية اختطاف الشهيد المهدي بن بركة .

باليس فار من وجه العدالة . ولم يعتقل ويقول عنه المتهم انطوان لوبيز : إن باليس حضر حفلة الغداء يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٦٥ في المكان المعروف باراي فياي يوسيف ضمن المجموعة التي قامت باختطاف الشهيد المهدي بن بركة .

ويقول المتهم المغربي الغالي الماحي . إن الكولونيل أحمد الدليمي قد حول له مبلغ عشرة آلاف فرنك فرنسي جديد ليسلمها الى المتهم المجرم باليس لمساعدته على الهروب من فرنسا .

وكان من المفروض أن يلتقي جورج فرانجو بالشهيد المهدي بن بركة بوصفه السكرتير العام لهذا المؤتمر .

يقول ديهيم ناشر صحيفة (ليتر كونفيد انسيل) في تصريح له عقب الاختطاف إنه حصل على نبأ اختطاف واغتيال المهدي بن بركة من مخبر مجهول.

ـ الان بير يسفت ـ وزير الانباء الفرنسي في حكومة السيد جورج بومبيدو ـ أبلغ الصحفيين في مؤتمر له أن الحكومة الفرنسية أطلعت المغرب على جميع الخطوات التي اتخذتها منذ حادث الاختطاف بعد مضي عدة أسابيع على حادثة اختطاف الشهيد المهدي بن بركة •

ـ جوزيف بول بونكورا ـ رئيس الاتحاد الدولي لحقوق الانسان قال إنه يعتقد أن السلطات المغربية التي قامت باختطاف المهدي بن بركة قامت بنقله الى المغرب بعد الاختطاف •

ـ بتر كوفارشان ـ نائب برلماني ومن نواب الاغلبية الديغولية ، وجهت اليه تهمة المشاركة في قضية اختطاف المناضل الشهيد المهدي بن بركة من طرف اليسار الفرنسي والصحافة الفرنسية عموما • وذلك لانه كان على علم بقضية اختطاف الشهيد المهدي قبل وبعد تنفيذ هذه الجريمة •

ـ جان فينو ـ صديق جورج فيغون المتهم في هذه القضية •

كان البوليس الفرنسي قدأصدر أمرا بتوقيفه وظل متخفيا عقب الاختطاف، وقد تطوع السيد فينو للادلاء بافادته أمام القاضي جان بيريز ـ وقد أكد صدق تصريحاته التي أدلى بها في مقابلة له مع مجلة « مرابو » ، والتي تضمنت أن المتهم جورج فيغون قد أخبره أنه في يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٦٥ رأى الجنرال أوفقير يدخل الى الغرفة التي احتجز فيها الشهيد بن بركة • وفي يده خنجرا • علما أنه رأى المهدي بن بركة في غرفة المستودع في حالة يرثى لها قبل دخول الجنرال أوفقير (مما يدل على ثبوت تعذيبه من قبل العملاء الفرنسيين) •

ـ لويس سوشون ـ رئيس مفرزة مكافحة المخدرات • متهم في قضية اختطاف الشهيد بن بركة اعتقل يوم ٢٣ نوفمبر • وقد اعترف أن المتهم الجنرال أوفقير وزير الداخلية المغربي قد كلفه بادارة فندق للدعارة في « مونبارناس » لاستثماره وليعمل وينطلق منه عملاء الجنرال أوفقير ، في نفس الوقت يكون فخا للبوليس بالنسبة لمهربي المخدرات •

كما اعترف أنه انضم الى عملية اختطاف الشهيد المهدي بن بركة بناء على طلب المتهم انطوان لوبيز •

ـ ريمون فواتو ـ متهم في قضية الاختطاف معاون المتهم سوشون في مفرزة مكافحة المخدرات اعتقل في الثالث والعشرين من شهر نوفمبر اعترف بانضمامه الى جماعة مختطفي الشهيد المهدي بن بركة بطلب من المتهم انطوان لوبز .

ـ بيرد جيمس ـ المولود بتاريخ ٩ آب ١٩٣٦ بطريطون في بريطانيا في مدينة لندن ، ويسكن في مدينة طنجة المغربية تحت عنوان ٩ شارع ريبونس ـ الدار البيضاء ـ .

ـ جيمس ـ صديق المتهم الشتوكي رجل الاستخبارات المغربية .

وقد نزل المتهم جيمس برفقة الشتوكي من ٢٥ الى ٣٠ اكتوبر ١٩٦٥ في غرفتين بفندق غاليا ٦٣ شارع بيير شارون (والسفارة المغربية بباريس هي التي حجزت الغرفتين) .

وفي ليلة ٣٠ ـ ٣١ اكتوبر انتقل جيمس والشتوكي الى غرفتين في فندق الهيلتون باورلي (على نفقة السفارة المغربية أيضا) .

ـ جان كاي ـ كمسير (مفوض) في البوليس الفرنسي وأحد المساعدين المباشرين للسيد روجيه فراي وزير الداخلية الفرنسي .

ـ جان كاي ـ متهم في قضية إختطاف المهدي بن بركة . حيث إنه تلقى معلومات تتلخص في أن عددا من الذين شاركوا في عملية الاختطاف اجتمعوا بعد ظهر يوم ٣٠ اكتوبر . وحاولوا اخفاء جثة الشهيد بن بركة في إحدى الغابات . وان الكولونيل أحمد الدليمي كان يريد تنفيذ حكم الاعدام فيه مباشرة . (أي اعدام الشهيد المهدي بن بركة) .

وقد وجهت مذكرة بطلب من المحامين ع. الشهيد بن بركة يطلبون فيها من الكوميسير كاي بالكف عن إخفاء مخبريه . وقد كان السيد كاي يلوذ بالصمت حتى ٢٠ يناير حين مثل أمام قاض التحقيق السيد زولينجير .

ـ جان جارك سير فار شرايبر ـ مدير صحيفة ـ الاكسبريس التي نشرت تفاصيل اختطاف واغتيال الشهيد المهدي بن بركة .

استجوب السيد شرايبر من قبل قاضي لتحقيق في قضية الاختطاف بمفرده. وقد أعلن بعد التحقيق أن القضية تطورت نحو شيء آخر غير الموظفين .

ـ السيدة اندريو بوشيس زوجة المتهم جورج بوشيس •

أعلنت بتاريخ ١٩٧٢/٨/٢٥ فيحديث أدلت به بباريس أن بعض المسؤولين المغاربة أبلغوها يوم مصرع الجنرال أوفقير أن زوجها قتل في أحد السجون المغربية بأمر من الكولونيل أحمد الدليمي • وكان زوجها المتهم في قضية اختطاف الشهيد بن بركة والذي فرّ الى المغرب من وجه العدالة الفرنسية • وقد ألقي عليه القبض في مارس ١٩٧١ بأمر من المتهم احمد الدليمي علما أن أحمد الدليمي قد أمر بوشيس سنة ١٩٦٧ أن يقيم في فندق كران اتيل بالدار البيضاء • وهذا الفندق هو ملك بوشيس وكان قد اشتراه قبل اختطاف بن بركة بوقت قصير ، كما صادقت السيدة اندريو بوشيس أن أحمد الدليمي قد طلب منها البقاء في فرنسا • ولكنها كانت تتردد على زوجها بوشيس في أحد الفيلات من مجموع الفيلات التي يمتلكها بوشيس في المغرب •

النتيجة :

على أثر اعلان هذه التحقيقات للرأي العام الفرنسي ، ومن ثم الحكم على العناصر الفرنسية التي اشتركت في هذه العملية وايداعهم السجون بغضّ النظر عن انتمائهم للمخابرات أو لأي جهاز أمن وكان لذلك أسوأ الاثر لدى الشعب الفرنسي الذي جدد النقمة على مخابراته •

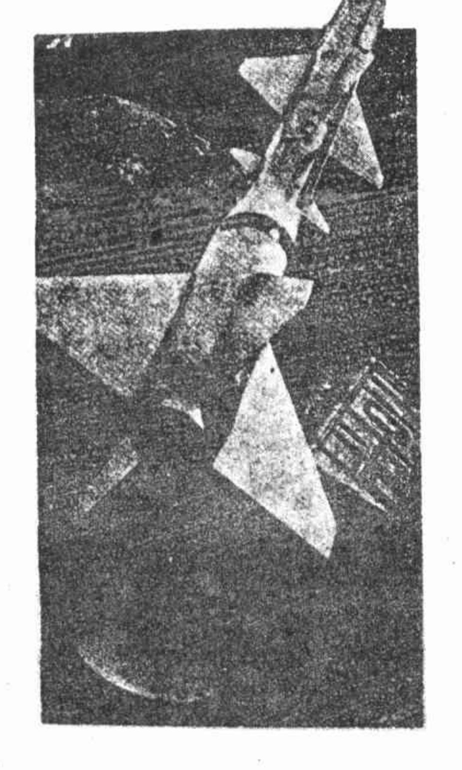
مقتطفات من اقوال المهدي بن بركة عن فلسطين :

« إن تلك القواعد المادية للثورة العربية في المشرق والمغرب هي التي ستمكننا وتمكن قضية فلسطين من أن تخرج من إطارها العاطفي الى اطارها العملي حتى يتحقق التحرير الفعلي لفلسطين •

إن قضية فلسطين اليوم دخلت في اطار قضية عرب ويهود ، بل حركة عربية ثورية ضد قوى الاستعمار بلا تعصب عنصري » •

« من واجب المناضل إما أن يكون واقفا على قمة جبل ، وإما ممتدا على تبن زنزانة مظلمة » •••

***





المخابـرات الاسرائيليّة

تأسست المخابرات الاسرائيلية عـام ١٩٣٧ من لقاء جمع بـين قادة جيش (الهاغاناه) السري في حينه وقادة الحركة العمالية الاشتراكية • وسميت بالـ (الموساد) وباللغة العبرية (العلياه بت) أي منظمة الهجرة الثانية والامن ، بحيث كان من أول مهامها (تنظيم برنامج الهجرة السرية الى فلسطين) بالرغم من مراقبة السلطات البريطانية• والمهمة الثانية للموساد: هي الحصول على السلاح[1] وتوزيعه على اليهود • والمهمة الثالثة : جمع المعلومات عن الانكليز والفلسطينيين على حد سواء ، بل ومراقبة المنظمات اليهودية المتطرفة مثل (الأيرغون والليهي) • وكانت وسائل الموساد ضعيفة لذلك ماعدا (الأموال) التي كانت متوفرة ، بحيث أسس

---

(١) خلال زيارتي شخصيا لفلسطين في أواخر عام ١٩٤٧ ـ شاهدت بعض العائلات اليهودية التي وصلت الى القدس تقطن في مخيمات أعدت لها لحين انتقالها الى المستعمرات وكانت هذه العائلات تملك مع الالبسة الضرورية السلاح الذي سلم لها من قبل لجان الموساد •••

مركـز قيادة في عام ١٩٣٨ في جنيف (المدينـة التي شهدت أهم المؤتمرات الصهيونية) • ثم أسست شبكات في قلب المانيا النازية فيما بعد ، مهمتها (تسهيل فرار اليهود وارسالهم الى فلسطين) ، فيما بعد اكتشاف معسكرات الموت الرهيبة بقيادة (أيخمن) •

عمل المئات من رجال الموساد ليهيئوا للناجين من معسكرات الاعتقال (الهجرة) الى (أرض الميعاد) • وكان لا بد لهم من شراء بواخر للنقل • وهذا ليس بالامرالهين في أوربا التي اكتسحتها الحرب طوال أربعة أعوام ، مما اضطرهم الى شراء السفن المستعملة من أميركا بأثمان باهظة ، ثم إقامة معسكرات على الشواطىء الايطالية والفرنسية لإيواء الناجين ، وتقديم الطعام والمؤونة لهم في بلاد (قنن) فيها الخبز وأغلب المواد التموينية •

بالاضافة الى كل هذه المهمات أخذت الموساد على عاتقها القيام بشتى العمليات فأنشأت بالقرب من مرسيليا (قرب محطة سان شارل) مركزاً برآسة الدكتور (زفي ديفيشتين)[1] لاعداد كميات من الهويات المزورة •

وقامت الموساد أيضاً بالارتباط مع بعض قناصل أميركا الجنوبية لمساعدتها، ولكن (الثمن غال جداً) بغية تأمين (سمات الهجرة)• وسرقت عشرات السيارات الشاحنة من الجيشين البريطاني والاميركي لنقل آلاف المهاجرين اليهود عبر أوربا • وقد انضم للعمل في فروع الموساد في باريس وجنيف بعض الناجحين من معسكرات الموت • وهؤلاء انصهروا مع زملائهم وأصبحوا (نواة الموساد) الذين سيصبح لهم فيما بعد شأن في دولة اسرائيل •

وخلال تلك الفترة إكتشف قادة الموساد أهمية الاصدقاء ذوي النيات الحسنة في الخارج ، خصوصاً في فرنسا التي كان لهم فيها محطة ارسال كاملة • وفي قصر باريس بمساعدة/مدير مكتب وزير الداخلية المسيو أدريان تكسييه/ واكتسبت الموساد صداقة بعض من هزتهم مشاهد الابادة الجماعية ، ومن هؤلاء

---

(١) أصبح فيما بعد وزيرا للمالية في اسرائيل •••

(ميلفيل مارك) يهودي انكليزي أصله من مانشيستر انضم الى الموساد عند انتهاء الحرب ، وقدم لها خدمات (ثمينة) بالاضافة الى عدد غير قليل من الضباط الانكليز والاميركان الذين عملوا لاجل الموساد •

صارت مهمة شراء وجمع الاسلحة جنباً الى جنب مع الهجرة السرية الجماعية، وكان (يهودا ازاري) المكلف بالاشراف على قسم (ريكيش)، أي قسم الاسلحة هو الذي وفر للجيش الاسرائيلي (نواة أسلحته) • حيث بدأ في ميلانو بايطاليا عند انتهاء الحرب بتشكيل فرقة من الموساد والمتعاونين ، سماها (فرقة النقليات ٤١٢) جمع لها بالسرقة والوسائل الاخرى خمسين شاحنة عسكرية أميركية نقلت من قاعدتها ، وهو مرآب عدة مرات حمولات من مهاجرين ومن أسلحة وذخائر الى مرافىء (خفية) ، تحت أنف السلطات لتنقل فيما بعد الى فلسطين • كان السائقون يرتدون بذات عسكرية تناسب الشاحنات ••

وكانت أول الاسلحة التي اشتراها أزاري وأرسلها لليهود في فلسطين بهذه الطريقة عبارة عن مسدسات ، بنادق خفيفة ، رشاشات مستعملة ، قذائف• ومنها ما سرق من معسكرات الجيش الاميركي (الذي لم يكن مقتصدا في هدر الاسلحة (• وزيادة في الحيطة اتفق ازاري مع مدير (فابريكا مدتتي) وهو معمل لانتاج الاشغال العام والكماليات فأخذ يشحن البضائع الى فلسطين بشكل قانوني ومعاملات جمركية • الا أنها كانت محشوة بالاسلحة والمتفجرات • ومع هذا كانت (الهاجانا) في فلسطين تطلب المزيد من الاسلحة ، وبالحاح لان معلوماتها تفيد : أن الجيوش العربية المجهزة بالطيران والمصفحات والمدفعية ستهجم بالتأكيد (لمجرد اعلان الاستقلال) ، والجالية اليهودية في فلسطين مع كل وسائل الهجرة لا تعد (٦٠٠) ألف نسمة ووسائل دفاعها عبارة عن (ميلشيا) من الهاجانا والايرغون •

نشطت الموساد في أوزبا بحثاً عن الاسلحة • فالاموال متوفرة مما تجمعه من كبار رجال الاعمال اليهود ، وحتى اليهود الذين اكتسبوا جنسية البلاد التي يقيمون بها كانوا يتبرعون أكثر من الذين احتفظوا بجنسياتهم •

١ ــ توجه (ويلي كاتز) مندوب الموساد الى رومانيا عام ١٩٤٧ . واجتمع بآنا بوكر سكرتيرة الحزب الشيوعي (المرأة القوية بمركزها) ، وأجرى معها مفاوضات انتهت بالفشل ، لان رومانيا أكدت أنه ليس لديها سلاح كاف حتى لجيشها ..

٢ ــ توجه بعد ذلك الى يوغسلافيا وبولونيا وعاد بنفس الفشل ونفس النتيجة .

٣ ــ برز الامل في شراء الاسلحة من تشيكوسلوفاكيا .

٤ ــ أغدق عملاء الموساد الرشاوي على بعض من يمثلون مصالح (الحبشة وذلك لشراء الاسلحة بواسطتهم (للتغطية) .

٥ ــ لم يتمكن من الوصول الى نتيجة في براغ وحصل انقلاب ، واستلم الشيوعيون الحكم بمساعدة السوفييت حيث عاد الامل في الحصول على الاسلحة (تشيكية) .

بعد فترة قصيرة من استلام الشيوعيين الحكم وصل (أيهود أفريل) رئيس الموساد في أوربا الى براغ ودخل في مفاوضات مع شركة (سكودا). وبنفس الوقت كانت هناك مفاوضات يجريها مندبون آخرون مع المجر بخصوص بعض أمور الترانزيت . تكللت مهمة أيهود بالنجاح ، فأسرع لاستنجار طائرة أميركيه من طراز DGA نقلت أول شحنة من براغ ، مؤلفة من الرشاشات والبنادق والمسدسات والذخيرة التابعة لهذه الاصناف .

اشترى (أفرام بليني)[1] في ايطاليا مركباً متوسطاً بمبلغ ٦ملايين ليز ايطالي. وسمي هذا المركب (نورا) ، وشحن لاول مرة (بطاطا) من ميناء البندقية متجهاً الى فلسطين . وفي عرض البحر ألقيت البطاطا واتجه المركب نحو مرفأ يوغسلافي ليحمل شحنة من السلاح المعبأ ضمن صناديق أدوات منزلية لم يلبث أن كسر أحد هذه الصناديق فظهرت منه المسدسات عند ذلك (زال) تعجب البحارة الايطاليين من القاء أكياس البطاطا بالبحر . وصلت (نورا) الى يافا في

---

(١) أفرام بلهني ــ الان يملك اكبر معمل لتجميع وصناعة السيارات في اسرائيل وذلك مكافأة على خدماته مع الموساد .

منتصف نيسان١٩٤٧وأفرغت حمولتها التجارية ٠؟ دون أن تثير شكوك الانكليز.
كانت الموساد في سباق مع الزمن لتأمين أكبر كمية من السلاح بينما كان (دافيد بن غوريون) يراجع مسودة (وثيقة اعلان الاستقلال) التي قرأها فيما بعد في متحف تل أبيب .

بالرغم من تقديم بريطانيا فلسطين (لقمة سائغة) لليهود نتيجة وعد (بلفور) كانت هناك حرب سرية بين الموساد والسلطات البريطانية حتى إن الانكليز صادروا عشية رحيلهم عن فلسطين سفينة محملة بالاسلحة لليهود قادمة من ايطاليا ، فاجتمع لبحث هذا الامر كل من (أزرائيل غاليلي) رئيس الهاجانا في حينه (وزير الانباء حاليا في اسرائيل) ليفي أشكول الذي أصبح فيما بعد (رئيس وزراء)وبنحاس سافير (وزير مالية فيما بعد) وأيهود أفريل رئيس الموساد في أوربا . ونتيجة الاجتماع عاد أيهود الى أوربا لمضاعفة شحن الاسلحة . وأشرف بنفسه على تحميل السفينة (البوريا) التي تحمل العلم البانامي والتي استوعبت الاسلحة الآتية : .

١ ـ ٥ مدافع عيار ٧٥ مم جديدة .
٢ ــ ١٥٠٠ قذيفة عيار ٧٥ مم .
٣ ــ ٢٠٠ رشاش ماركة (شاكو) جديد .
٤ ــ ٦٠٠ مخزن اضافي لرشاش (شاكو) بمعدل ٣ مخازن للرشاش .
٥ ــ مليون خرطوشة (طلقة) عيار ٨ مم (أسلحتها سبقت هذه الشحنة).

كل هذه الاسلحة وضعت تحت /٤٥٠/ طن من أكياس البصل على أمل أن تمنع رائحة البصل رجال الجمارك البريطانيين من التفتيش . ومع ذلك تلقت (البوريا) أمرا لدى وصولها الى المياه الاقليمية الفلسطينية بالتوجه الى حيفا (مركز القاعدة الملكية البحرية) . وهناك وبقدرة قادر اكتشف موظفو (الجمارك) أن ما خبىء تحت أكياس البصل (هو علب عصير البندورة) ، فجرى الحكم على القبطان الايطالي بغرامة لتهريبه علب عصير البندورة .

بمثل هذه الطرق امتلأت بيوت وأماكن تجمع اليهود في فلسطين بالاسلحة التي كانت توزع فور وصولها على كل قادر على حمل السلاح . عند ذلك طلبت

الهاجانا وزعماء الموساد الموجودين في فلسطين من رئيس الموساد في اوربا البدء في شراء الطائرات ، ولا يهم الثمن طالما المال متوفر فاشتريت طائرات مختلفة حالا:

١ ـ طائرات (كونستليشين) مستعملة من مخلفات الجيش الاميركي •

٢ ـ طائرات (كوريتس) مستعملة من مخلفات الجيش الاميركي أيضا •

٣ ـ قلاع طائرة محولة الى طائرات مدنية ـ أعيدت طائرات عسكرية فور وصولها الى فلسطين عبر أميركا الوسطى ـ ايطاليا •

٤ ـ طائرات (مستر شميت) آتية من تشيكوسلوفاكيا •

٥ ـ طائرات (بوفييترز) بريطانية وقد أقلعت من انكلترا الى فلسطين (عبر كورسيكا) • واتخذت تمويها لها (تصوير فيلم تمجيدا لذكرى الطيارين النيوزيلانديين (طبعا كان منتج الفيلم رئيس الموساد في أوربا) •

٦ ـ طائرات (سبتفاير) و (دوغلاس) و (سكايماستر) اشتريت من مزاد علني حقيقي (بيع مخلفات الحرب) •

وهكذا نجد أن الموساد (المخابرات الاسرائيلية) قد ساهمت بقسط كبير في انشاء اسرائيل بعد ١٤ أيار ١٩٤٨ بما قدمت من الاسلحة وخطط في الخارج وفي فلسطين بالذات •

اول رئيس للموساد بعد اغتصاب فلسطين :

(ايسير هاريل) ولد أصلا في روسيا عام ١٩١٢ من أب صناعي (صهيوني متحمس) ، درس ايسيل حتى عام ١٩٣١ حيث هاجر مع عائلته الى فلسطين(كانت عملية الهجرة في حينه تسمى الصعود الى أرض الميعاد) ، وأقاموا في مستوطنة (شفايم) • عمل في الزراعة وتعرف على الفتاة اليهودية (ريفكا) وتزوجها ، بعد مدة تعلم اللغة العربية بحكم تنقله في القرى المجاورة عند ذلك تطوع (سراً) في الهاجانا (مخبراً) • وأخذ ينقل ما يحصل عليه من أسرار عن المفتي ـ المختار ـ الاعيان ـ والخلافات بين العائلات العربية العريقة ـ الابنية التي تقام ـ تنظيم الاراضي ومعرفة من يرغب في بيع أرضه من الفلسطينيين لان كل هذه المعلومات لها قيمتها بهدف شراء الارض بأي ثمن •

في عام ١٩٣٦ تطوع في الشرطة البريطانية (بناء على أوامر الموساد) لسببين:
١ ـ تدريب بعض أعضاء الموساد على حساب سلطة الانتداب ليكون لديهم خبرة (للمستقبل) •
٢ ـ اطلاع الموساد على أوامر التفتيش الـذي كانت تمارسه السلطات البريطانية على المستوطنات اليهودية •
ولكن لم يستمر ايسير في الشرطة كثيراً لانه سجن بعد صفعه لضابط بريطاني تكلم أمامه بألفاظ جارحة عن رجل دين يهودي • ثم طرد فكافأته الهاغانا وعينته رسميا في مخابراتها عام ١٩٣٧ لادارة شبكات مخابرات منطقة (هزليا) ، وبرع في مهنته فسرعان ما عين رئيس قسم مخابرات تل ابيب ، أكثر المناطق ازدحاماً بالسكان وأكثرها أهمية للمخابرات في تلك الاثناء تعرف على دافيد بن غوريون ـ ودامت صداقتهما فترة طويلة •

اهـم خبـر يفخر بـه ايسيرهاريـل :

إن بقاء أيسير في مخابرات الهاغاناه مدة كافية من١٩٣٧ الى١٩٤٧ ـ صقلت مواهبه ، حيث برهن عن جديته في استقصاء الاخبار عن الداخل كما نوهنا ، ومن بعض المخبرين في الخارج • وكانت أهم مآثره في عام ١٩٤٧ هي حصوله على وثيقة عسكرية من مصر (أيام حكم الملك السابق فاروق) ، تؤكد الهجوم على فلسطين من قبل الجيوش العربية في ١٥ أيار ١٩٤٨ • وقد أفادت هـذه الوثيقة التي لم ينشر عنها أي شيء حتى الآن العصابات الصهيونية والمخابرات في تلافي كثير من عنصر المفاجأة التي كانت الجيوش العربية تظن أنها خبأتهـا لليهود • كما استفاد اليهود استراتيجياً وسياسياً ومعنوياً • إذ تغلب رأي بن غوريون بالحرب حالاً والمقاومة وفرض الامر الواقع على رأي (موشي شاريت) الذي كان يدعو الى التفاهم مع العرب وكانت مكافأتـه الثانية ترقيتـه الى رتبة (عقيد) الرتبة الثانية في الجيش الاسرائيلي حينئذ •

تنظيم المخابرات الاسرائيلية :

تتخطى ما جرى في حرب ١٩٤٨ بين الجيوش العربية والمنظمات الاسرائيلية

واعلان الهدنة بعد محادثات (رودوس) • ومن ثم اعلان دولة اسرائيل رسمياً لنتابع رحلة المخابرات مع أيسير :

عقب انشاء اسرائيل جمعت الموساد مع مخابرات الهاغاناه وبقية المنظمات الارهابية ومصالح الامن في هيئة سميت (مصلحة الامن) ، وكان رئيسها بطبيعة الحال (أيسير) ، الذي احتفظ نظراً لخبرته باليد الطولى على مجموع تلك المنظمات خصوصاً عندما كان يتلقى أوامره من صديقه (بن غوريون) • ثم أخضعته لمراقبة لجنة الدفاع والخارجية البرلمانية بعد تأسيس الكنيست (برلمان اسرائيل) •

وجرى تنظيم المخابرات الاسرائيلية وتقسيمها الى فروع مختلفة نظراً لتعدد مهامـا :

١ ــ فرع الاستعلامات (مديره برتبة عقيد) ، ولهذا الفرع تتبع جميع شبكات التجسس والعملاء في جميع أنحاء العالم •

٢ ــ فرع استعلامات وأمن الجيش (مديره برتبة عقيد) ، واختصاصه التجسس على جيوش الدول العربية فقط •

٣ــ فرع الامن الداخلي (مديره برتبة عقيد أو مقدم) واختصاصه مكافحة التجسس (داخل اسرائيل) •

٤ ــ فرع دائرة الابحاث (مديره عقيد أو صاحب رتبة علمية) ويقع الانفي: القدس ، ويتبع وزارة الخارجية ويشغل البناية رقم ٢٤ منها ، واختصاصه جمع الوثائق والصحف والمعلومات الخاصة عن الدول العربية •

كيفية عمل فروع المخابرات في اسرائيل :

في الشرح عن عمل فروع المخابرات في اسرائيل تبين أن أعمال التجسس في البلاد العربية وزرع العملاء مثل كوهين ــ ولوتز ــ وشبكة البصرة ــوجميل القرح هي من اختصاص فرع الاستعلامات رقم (١) • أما فرع مخابرات الجيش رقم (٢) فمن أعماله التجسس على الجيوش العربية ونوعية أسلحتها (الطائرة الميغ ٢١) وغيرها فرع الامن الداخلي رقم (٣) من أعماله اكتشف عميل سوري (زرعته المخابرات السورية) كشاب تركي يحمل جواز سفر تركي تمكن من

العيش في اسرائيل مدة من الزمن • وكانت مهمته اغتيال شخصيات اسرائيلية • ومن أعمال هذا الفرع أيضا سوق عشرات من (الاسرائيلين العرب) الى السجون غداة حرب حزيران ، بعد أن حصل الاسرائيليون على لوائح المتعاونين مع المخابرات السورية والاردنية بعد حرب حزيران ، واعتقال المصور الارمني (كوبول ياكدفيان) الذي زرعته المخابرات المصرية في تل أبيب (الذي دخل اسرائيل باعتباره يهودياً مصرياً فاراً من ملاحقة المخابرات المصرية) •

فرع دائرة الابحاث رقم (٤) ومن اعماله :

حين تعيين وزير أو مدير للامن العام في أي عاصمة عربية فان فرع دائرة الابحاث يحلل شخصيته وآرائه وجميع ما لديه من معلومات عنه منذ نشأته ، وتلخص هذه المعلومات في تقرير مسهب يوضع تحت تصرف من يعنيهم الآمر مدنيون وعسكريون •

ويوجد فروع مخابرات في كل من حيفا ــ يافا ــ عكا ــ الناصرة ــ تتبع رئاسة المخابرات رأساً بمحطات لاسلكية وخطوط هاتفية مباشرة • ولا تبخل رئاسة المخابرات على هذه الفروع بشيء مما تطلبه • كما أن رئيس المخابرات بنفسه ورؤساء فروع المخابرات كل حسب اختصاصه ، يتوجهون فور أي طلب من هذه الفروع (بواسطة طائرة هيلكوبتر) للاضطلاع بمسؤولياتهم عندما لا تكون هذه المسؤولية على (مستوى) الفرع في تلك المدينة •

وبعد احتلال اسرائيل للضفة الغربية والمرتفعات السورية في حزيران ١٩٦٧ قامت المخابرات بانشاء فروع جديدة في كل من القدس ــ ويرأسه المقدم شالومو عميرا ــ يعاونه الملازم أول (داوود حني) يهودي عراقي معروف بتشدده على الفلسطينيين الذين يزورون أهليهم • ويحاول أن يجعل كلا منهم يبوح له بما يعرفه وشاهده من الامور العسكرية في البلد الذي يعيش فيه ، ولا يتوانى عن طلب التعامل مع بعضهم للمستقبل حيث يعدهم بتسهيلات في تمديد الزيارة وبعض المعاملات الادارية (مع أنها بلدهم) •

فروع في نابلس ــ جنين ــ طولكرم ــ الخليل ــ ويرأس هذه الفروع ضابط برتبة ملازم أول أو نقيب وأعطيت هذه الفروع نفس صلاحية فروع

حيفا ويافا ــ من الاتصال المباشر والاهتمام مع فارق بسيط هو اتصالها مع الحاكم العسكري (المحتل) للضفة في مختلف مسائل التجسس وما يتعلق بالفدائيين ..

وهكذا وجدت المخابرات الاسرائيلية وانطلقت للعمل بالتناسق مع المخابرات المركزية الاميركية وصدرت لها ميزانية ضخمة على مبدأ (اطلب تعطَ).

الحقد الاسود

من المنجزات التي تفاخر بها المخابرات الاسرائيلية في عهد (ايسير هاريل) (اختطاف أدولف أيخمن) من الارجنتين ونقله الى اسرائيل ومحاكمته واعدامه . ونحن كخبراء في فن المخابرات إذا نظرنا الى قصة اختطاف ايخمن وجدناها قصة لصوصية وقرصنة واعتداء على سيادة دولة الارجنتين ، وأن ظروف الارجنتين وموضوع السماح للطائرات والاجانب أثناء الاحتفالات في أعياد الاستقلال الوطني الارجنتيني بالدخول والخروج (بدون سمات) هي التي ساعدت المخابرات الاسرائيلية.ولولا هذا العامل لما كان باستطاعة اسرائيل اعادة ايخمان، بل كانت تكتفي بقتله . وبصورة عامة نجد أن قصة اختطاف ايخمن التي أقامت اسرائيل الدنيا وأقعدتها قصة عادية استطاعت مخابرات دولة نامية لها من الامكانيات التجسسية ربع ما لاسرائيل تنفيذ عملية اختطاف أبرع منها . ولكن حقد الصهيونية الاسود على رجال هتلر الذين عملوا على الفتك باليهود هو السبب الرئيسي في متابعة ايخمن هذه السنين ، لان ايخمن كان خلال الحرب العالمية الثانية يعمل في ادارة الامن.وقد عهد اليه الفوهرر (هتلر) برئاسة الادارة التي كلفت بالوصول الى الحل النهائي للمشكلة اليهودية بأي طريقة ، لان شر اليهود في المانيا قد استشرى وعداؤهم للنازية أخذ يظهر في حملاتهم العنيفة ضدها . وعندما استقر الرأي النهائي على تصفية اليهود كان (أدولف ايخمن) رئيس ادارة هذه العملية والمسؤول عن معسكرات الموت وغرف الغاز ــ وأفران حرق الجثث وأوامر النفي والاعدام بالجملة . ونتيجة ادارته لهذه العملية بأوامر صريحة من الرايخ لقي ستة ملايين يهودي حتفهم . وقد تعهد أيخمن لرئيسه

المباشر (هنريخ هملر) عام ١٩٤٢ بأنه سوف لن يبقى أي يهودي في أوربا • وبالفعل لولا انتصار الحلفاء على المانيا لكان باستطاعة أيخمن تنفيذ وعده ولكن احتلال الحلفاء برلين كما نعرف بعد مئات الغازات عليها جعل أيخمن يهرب من قيادته وصادف في طريقه بين قتلى الغارات الجوية رقيباً قتيلا فانتزع رداءه العسكري الملوث بالدماء والقاذورات ولبسه ، وحمل أوراقه بعدما أتلف الوثائق التي يحملها والتي تدل على أنه (أدولف ايخمن) • وأخذ يختفي هنا وهناك في الخرائب حتى ألقت القوات الاميركية القبض عليه وسيق الى معسكرات الاعتقال بين مئات الاسرى ••• ولم يلبث أن فر من الاسر واختفى عن الانظار ••

وبعد الانتصار شكلت محكمة (مجرمي الحرب) وأصبح اسم ايخمن على رأس قائمة المطلوبين • وبدأت أميركا وفرنسا وبريطانيا حملة ضخمة للبحث عنه • وعلى مر الزمن فقدت هذه الدول الأمل في العثور عليه • ومع الوقت ومرور السنين نسي العالم (أدولف ايخمن) ما عدا اليهود الذين ظلوا يذكرونه• خصوصا منهم من ذهب الى فلسطين حيث تألفت لجنة صهيونية في يوليو ١٩٤٥ مهمتها البحث عن ايخمن • وبدأت العمل حيث انتشر عشرات من العملاء السريين الذين كلفوا بالبحث عنه في جميع أقطار العالم • وفي عام ١٩٤٨ وبعد اغتصاب فلسطين وانشاء الكيان الصهيوني فيها ، وتأسيس المخابرات الاسرائيلية(الموساد) كان من أول مهامها (استمرار) البحث عن مجرمي الحرب الالمان ، وأولهم (ايخمن) بسبب ما ألحقوا باليهود من أذى في المانيا وغيرها ••

ولكن هذه المرة عن طريق مكتب مركزي خاص لهذه المهمة مقره تل أبيب. وبدأ المختصون فيه بمراجعة حياة أدولف ايخمن من صغره حيث شب في مدينة (لينز) بالنمسا • وكانت زوجته وأطفاله يعيشون هناك ، وأرسل أحد العملاء الى لينز واشترى حانوتا صغيرا يقع مقابل منزل أسرة ايخمن ليواصل مراقبته ليل نهار • وحتى عندما رحل آخر فرد من عائلة أيخمن عن المنزل بقي العميل في الحانوت على أمل بأن ايخمن قد يعود يوما بدافع الحنين الى مسقط رأسه •

ومن هذه النقطة نرى عظم حقد اليهود على أيخمن • وكان المكتب المركزي في تل أبيب يتلقى مختلف الاخباريات عن ظهور أيخمن حيث ترددت أخبار ظهوره

في سورية ــ ومصر ــ وألمانيا الغربية ــ وتركيا ــ واسبانيا ــ وفي كل مرة يرسل الاسرائيليون الى عملائم باقتفاء الاثر حالا • ولكنهم لا يصلون الى نتيجة • حتى شوهد أيخمن عام ١٩٥٧ في مدينة (بيونس ايرس) • ولكن العميل الذي شاهده لم ينجح بمطاردته • فاتصل بتل أبيب التي بعثت لـه ٣٠ عميلا من المخابرات حالا ، ولكنهم فشلوا جميعا في العثور عليه •

في عام١٩٥٨ أنشأت حكومة ألمانيا الغربية مكتبافي مدينة (لودفيكجسبرج) سمته « المكتب المركزي للادعاء الخاص بجرائم النازي » برئاسة الدكتور (أورين) من كبار رجال القانون ومعه ثمانية من القضاة الالمان •

والغرض من انشاء هذا المكتب هو جمع الادلة واعداد القضايا ضد النازيين السابقين المتهمين بجرائم الحرب ولم تجر محاكمتهم بعد • وأبلغت حكومة بون السلطات الاسرائيلية بأن هذا المكتب سيتبادل معها المعلومات الخاصة عن مجرمي الحرب النازيين • ومن هذه النقطة نرى تحول المانيا الغربية لمساعدة اسرائيل ، هذا التحول الذي جعل حكومة بون تدفع لاسرائيل ملايين الدولارات مقابل ما أسمته (تعويضات لليهود) •

وفي عام ١٩٥٩ أرسلت مفرزة من المخابرات الاسرائيلية الى المانيا الغربية للمساهمة في نشاط المكتب المركزي وجمع الادلة عن مجرمي الحرب النازيين الذين حصلوا على نسخة من أسمائهم وأولهم أيخمن • وكان من بين أعضاء هذه المفرزة يهودي متعصب ينتحل اسم (ساندرزفيكيت) سبق لايخمان أن قتل أبويه واخوته جميعا ، فأقسم أن ينتقم لهم • وهكذا بقي مع المفرزة الخاصة بتعقب المجرمين النازيين لكي ينال من أيخمن • أما بقية أعضاء المفرزة فكانوا من اليهود المجرمين •

توصل رجال هذه المفرزة وهم في المانيا الغربية الى معلومات تفيد أن أيخمن لا يزال في (بيونس ايرس) ، حيث شوهد عام ١٩٥٧ فقرروا معاودة البحث عنه على نطاق واسع ، حيث أرسل (سلندرز) مع يهودي آخر أصله من المجر ينتحل اسم (لاجوس مولنار) الى الارجنتين ، ثم ألحقوا بأربعة رجال آخرين وفتاة ذهبوا جميعا الى الارجنتين كسواح • وقد انتقت المخابرات الاسرائيلية مولنار

لانه قابل أيخمن عدة مرات في بودابست عام ١٩٤٤ ــ وفي الارجنتين لم يظهر على (لاجوس مولنار) ولا (ساندرز فيكيت) الطابع اليهودي وصدرت اليهما أوامر المخابرات بالظهور بمظهر النازيين السابقين الهاربين • وأن يستدلا على المعسكرات الكبيرة التي تضم النازيين الذين فضلوا البقاء فيها ، ومنهم المشرات الذين لجأوا الى الارجنتين في عهد الجنرال (جوان بيرون) ، وأقاموا في هـذه المعسكرات •

ونجح الرجلان في التسلل الى هذه المعسكرات وأصبحا معروفين لـدى النازيين • وكان هؤلاء يتحدثون أمامهم عن مغامراتهم خلال الحرب • ولكن أحداً منهم لم يتكلم عن أيخمن • ومع ذلك لم يقطع الرجال الامل ، وواصلوا الانصات والاستطلاع حتى عام ١٩٦٠ حيث حضر مولنار حفلة شراب مع النازيين وسمع أحد النازيين يقول « مسكين أيخمن بعد أن كان أقوى الرجال في الرايخ أصبح الآن يصنع أجزاء السيارات » • ولم يحاول مولنار سؤال الرجل عن مكان أيخمن حتى لا يفضح نفسه ومهمته • بل أسرع الى الجماعة حيث ضيقوا البحث على معامل السيارات ، وبدأوا في مراقبة العمال أثناء دخولهم وانصرافهم • وفي أحد الايام شاهد الشخص المكلف بمراقبة عمال مصنع تجميع سيارات مرسيدس بنز في بيونس أيرس رجلا طويلا نحيلا ضامر الوجه بارز الاذنين (تطابق أوصافه أوصاف أيخمن) ، فاقتفى أثره حيث ركب سيارة أوتوبيس الى ناحية أخرى من المدينة ، ولم يجرؤ العميل على اقتفاء أثره ، أكثر من ذلك حتى لا يثير شكوكه • ولدى رجوعه للمركز كان الجميع موافقين على أن رجله هو أيخمن بنفسه،فأبلغوا الخبر بالشيفرة الى تل أبيب فأبلغتهم أن امدادات سوف تصلهم حالا ، وطلبت

منهم التأكد من شخصية أيخمن حتى لا يكون هناك أدنى موضع للشك • وفي اليوم التالي اقتفوا أثر الرجل الى منزله • وهناك اتضح أنه يعيش تحت اسم (ريكارد وكليمنت) ، وعرض الاسرائيليو ، صورة زوجة أيخمن على الجيران فقالوا : إننا نعرفها فهي السنيورة ــ كليمنت ــ ولزيادة التأكد دفع الاسرائيليون رشوة كبيرة الى رجل كان من كبار المسؤولين ني البوليس في عهد بيرون ووعده بالمزيد ، فاكد لهم أن كليمنت هو نفسه (أدولف أيخمن) •

أما في اسرائيل فقد بلغت المناقشات ذروتها عندما اجتمع ضباط المخابرات وعلى رأسهم ايسير هاريل رئيس الموساد وبعض قادة الجيش والحكومة لتقرير مصيره • فمنهم من قال بوجوب اغتياله في الارجنتين جزاء ما اقترفه من جرائم بحق اليهود • أما الاغلبية فكان رأيهم وجوب احضاره الى اسرائيل لمحاكمته • ولكن المعارضين بينوا أن أسر ايخمن ونقله الى اسرائيل لا يمكن من جهة قانونية لانه لا يوجد بين اسرائيل والارجنتين معاهدة تبادل مجرمين • ولكن طبيعة القرصنة الصهيونيةتغلبت على الاكثرية الذين قرروا احضارأيخمن لاسرائيل بأية طريقة ومهما كانت النتيجة •

الارجنتين تساعد اسرائيل على نقل ايخمن عن حسن نية :

تعتمد الارجنتين سنويا عادات تجعل السياح يتوافدون اليها خصوصا إبان الاحتفالات بأعياد الاستقلال الوطني • وفي أثناء التحضير لاعتقال أيخمن في الارجنتين من قبل المخابرات الاسرائيلية صادف أن أعلنت الحكومة الارجنتينية عام ١٩٦٠ حسب عاداتها لاجتذاب السياح كل عام (في شهر مايو) عن التغاضي عن الاجراءات الجمركية والادارية بالنسبة للطائرات والاشخاص الذين يصلون للارجنتين خلال مهرجانات الاستقلال • وهكذا استغلت اسرائيل هذه الفترة أحسن استغلال ، حيث تقرر أن يلقى القبض فورا على أيخمن ويوضع في مكان أمين حتى وصول طائرة اسرائيلية خاصة خلال المهرجانات لنقله الى اسرائيل •

أسر ادولف ايخمن :

بعد القرار الذي اتخذ في تل أبيب بنقل أيخمن بعد اختطافه بطائرة خاصة الى اسرائيل ابان احتفالات الاستقلال أرسلت المخابرات الاسرائيلية المقدم (بنيامين) ، ونؤكد للقراء أن هذا الاسم مستعار • أرسلته الى بيونس أيرس مع بعض الضباط ليقود العملية برمتها •

أما أيخمن أو (ريكارد وكليمنت) فكان لا يدري بما يحاك ضده ، وكان مواظبا على العمل في معمل تجميع سيارات مرسيدس بنز • وكانت حياته مرتبة ترتيبا يتكرر كل يوم ؛ ففي الصباح يتوجه الى موقف الاوتوبيس وينزل قرب

المعمل حتى ينتهي من العمل يعود ويستقل الاوتوبيس وينزل في نفس المكن الذي ركب منه صباحا ، ويعود الى منزله . وحين وصول المقدم (بنيامين) الى يونس أيرس واطلاعه على الترتيبات التي اتخذت من قبل الجماعة ومشاهدته أيخمن بالذات تقرر أن تتم العملية حالا . واختار ساندرز وثلاثة من الضباط المرافقين له لتكوين القوة الخاطفة . وقسم بقية الاعضاء لمراقبة الطريق ، وقسم للبقاء في سيارة ثانية تكون جاهزة للعمل فيما لو أصيبت السيارة الاولى بأي خلل ـ أو لتستخدم لسد الطريق على أية سيارة تحاول اللحاق بالسيارة التـي يختطف بها أيخمن . وتولى البعض استئجار مزرعة على بعد ١٠ كيلو مترات من يونس أيرس لاخفاء أيخمن ، حتى وصول الطائرة الاسرائيلية وحدد يوم الاربعاء ١٦ مايو ١٩٦٠ لتنفيذ العملية . وتشاء الصدف أن يكون هذا اليوم ممطرا وموحلا والشوارع خالية من الناس الذين لجأوا الى منازلهم خشية الامطار . حيث توقفت الامطار بعد الظهر . وكان كل شيء معدا من قبل الاسرائيليين للعملية .

انتهت نوبة العمل في المصنع وتدفق العمال من بوابة المصنع وكان بينهم (ريكاردو كليمنت) أو أيخمن . الذي وقف بانتظار الاتوبيس حسب عادته .

ولما وصل الاوتوبيس ركب فيه أيخمن وركب معه هذه المرة مرافق من نوع خاص ؛ (عميل اسرائيلي) ، يرتدي ثياب عامل من عمال المصنع بينمـا توجهت الفتاة الوحيدة المشتركة في العملية الى أقرب هاتف واتصلت مع بنيامين قائلة له : (ان الرجل في الطريق) .

وفي نفس المكان المعتاد نزل أيخمن ونزل ورائه مرافقه .. انطلق يسير في الطريق الموحلة بكل هدوء . وكان مظهره يدل على أنه مجرد عامل منهوك القوى أمضى يوما شاقا في العمل . أما هو شخصيا فكان شديد الحذر كعادته منـذ خمسة عشر عاما . ولما لم يشاهد شيئا يثير انتباهه تابع سيره البطيء . وكان هناك متسولا يجلس القرفصاء يستجدي المارة (عميل اسرائيلي) . بينما كانت هناك سيدتان من ربات البيوت في أحد المنعطفات تتحدثان ، بينما تابع الرجل سيره العادي . فلحقت به سيارة سوداء تحمل لوحة محلية لمدينة يونس أيرس حتى أصبحت ورائه بالضبط ، فانحرف بغريزته الى جهة المباني التي تقع عـلى

يساره فاقتربت منه السيارة بسرعة حتى وقفت بمحاذاته تماما • وفتحت أبوابها حيث قفز منها أربعة رجال أحاطوا بأيخمن الذي حاول العدو ولكنهم منعوه بالقوة وقالوا له : اصعد معنا يا رجل الفوهرر ••• عندئذ أدرك أن نهايته اقتربت فحاول الصراخ، ولكن أحدهم ضربه على رأسه بأداة فهوى على الارض، فحملوه الى السيارة وانطلقوا به بسرعة • ومن ثم لحقت بهم السيارة الثانية التي كانت تراقبهم للتدخل وفيها بنيامين ـ ساروا به باتجاه المزرعة ••• وهكذا انتهت المطاردة الكبرى ، واصبح أدولف أيخمن •• الرجل الذي كان يفاخر أنه « قاتل اليهود الاول في العالم » أسيرا بين يدي أكثر الناس حقدا عليه ، وعلى رأسهم (ساندرز) الذي سبق أن نوهنا أن ايخمن قتل له عائلته بكاملها ••

عندما عاد أيخمن الى وعيه وجد نفسه في غرفة في مزرعة ومحاطا بعشرين عميلا اسرائيليا ، على رأسهم (بنيامين) عند ذلك عرف أن مصيره أصبح بين يديهم فتوجه الى رئيسهم (بنيامين) قائلا : لا تقتلوني •• لا تقتلوني • فطمأنه بنيامين قائلا : إننا لن نقتلك اذا وقعت لنا على تحرير بأنك مسافر معنا بارادتك الى اسرائيل لنحاكمك • وهناك بامكانك أن تدافع عن نفسك كما تشاء • وفعلا كتب أيخمن التحرير وكتب غيره ••• واعترف على بعض زملائه ، وحسب أن ذلك سيساعده ، ولم يدر أن ذلك سجل على شريط أيضا •

بقي أيخمن ضيفا في المزرعة ثمانية أيام ، حتى وصلت بتاريخ ١٩ مايو طائرة اسرائيلية تابعة لشركة (العال) الاسرائيلية الى مطار بيونس ايرس • وقدمت أوراقها على أنها مستأجرة لرحلة سياحية خاصة • وكانت أعياد الاستقلال قد بدأت ، وفي منتصف الليل حلقت الطائرة مرة ثانية في الجو وهي تحمل أيخمن والاسرائيليون الذين اختطفوه • ولم يحاول أحد احصاء من في الطائرة أو تفتيشها نظرا لانشغال الجميع ووجود الاوامر بالغاء كلفة الاجراءات حسبما أسلفنا •

بعد وصول أيخمن الى اسرائيل جرى التحقيق معه لمدة أربعة أيام متواصلة• وفي ٢٣ مايو أعلنت اسرائيل عن بدء محاكمته أمام محكمة خاصة في تل أبيب بمقتضى قانون اسرائيلي بمحاكمة مجرمي الحرب النازيين الذين ارتكبوا جنايات بحق اليهود ، ومن يتعاون معهم ووجهت المحكمة الى أيخمن تهمة ابادة ستة

ملايين يهودي في المانيا ، وبدأ يحضر دفاعه على أساس المبدأ العسكري القائل (الاوامر هي الاوامر) ، وأنه لم يفعل شيئا من عنده بل كان منفذاً للاوامر الصادرة اليه من (هنريخ هملر) ومن (هتلر) شخصيا ، وبذلك لم يكن مسؤولا ولكن اليهود لم يكونوا من رأيه حيث أقاموا الدنيا وأقعدوها وملأوا المعمورة بالدعاية بنجاحهم باختطاف أيخمن ، واحتجت الارجنتين على اسرائيل ، وكادت أن تثير هذه القضية مسألة دولية حادة فجندت اسرائيل كعادتها بعض زعماء العالم الذين يقعون تحت سيطرة الصهيونية للضغط على الحكومة الارجنتينية ، واستمرت محاكمة أيخمن مدة حكم عليه بعدها بالاعدام ، ونفذ فيه الحكم في تل أبيب ، وقد علمنا من مصدر موثوق أن ساندرز وهو الحاقد الاول على أيخمن اقترح على المخابرات الاسرائيلية حرق جثة أيخمن وذر رمادها وذلك للتشفي منه حتى بعد اعدامه ، ولا ندري هل نفذت المخابرات ذلك أم لا لان المصادر التي أخذنا منها هذه القصة الكاملة عن كيفية الاختطاف هذه المصادر ميالة الى الصهاينة ، ومع ذلك فقد سجلنا الحقيقة فقط عن الاختطاف كعملية قرصنة كلفت اسرائيل حوالي مليون دولار ، ولعبت الصدفة في اعفاء الطائرات في الارجنتين من التفتيش دورها في الخطف اذ لولا ذلك لما تمكن الاسرائيليون من العودة بايخمن لاسرائيل ، وكل ما كانوا يستطيعو فعله هو اغتياله في الارجنتين ...

ومع ذلك فقد (قبّل) بن غوريون رئيس الوزراء ايسير هاريل رئيس المخابرات الاسرائيلية (على هذا النجاح) .

ـ استمرت الصداقة بين ـ بن غوريون رئيس الوزراء وايسير هاريل رئيس المخابرات بحيث كان يتغاضى الطرفان عن أخطاء بعضهما الى أن اكتشفت المخابرات أن المستشار العسكري لرئيس الوزراء (ازرائيل بيئر) عميل سوفياتي جند للعمل لصالح المخابرات السوفياتية منذ (صعوده) الى اسرائيل ، وأنه فعلا قد نقل وبلغ موسكو بعض المعلومات والمقررات التي اتخذت على مستوى مجلس الوزراء عندها بدأ الجفاف بين الاثنين ، الا أن اثارة (ايسير) حملة التخويف المعروفة ضد العلماء الالمان في مصر (بعضهم عمل في مصر بموافقة الحكومة الالمانية) ، بينما تقدم المانيا وعلى رأسها أديناور (بالسر والعلانية)

الاسلحة والتعويضات الضخمة الى اسرائيل • فغضب بن غوريون وهو يرى سياسته معرضة للتصدع مع المانيا فأصدر أمره الى (الموساد) بايقاف جميع عمليات مضايقة العلماء الالمان مما اضطر (ايسير) الى تقديم استقالته ، وعين الجنرال (ماير أميت) عوضا عنه بينما انصرف الى عمل مدني (رئيس شركة مالية للتوظيف) حتى ٣ أيلول ١٩٦٣ عرض عليه (ليفي أشكول) الذي خلف بن غوريون في رئاسة الوزراء منصب مستشار (لقضايا الامن) ، فقبل المنصب في الحال ، ولكنه (ندم) فيما بعد لوضع مكتبه في آخر رواق مجلس الوزراء بينما كان مكتبه السابق بجوار رئيس الوزراء • ومع ذلك سكت على مضض وخلال عشرة أشهر كان يعد تقريرا (مفصلا ضافيا عن أوضاع العرب في اسرائيل حسب خبرته الى ليفي أشكول رئيس الوزراء • ثم قدم استقالته من جديد ، وهو ساخط على ليفي أشكول أكثر من سخطه على بن غوريون وتفرغ لتأليف كتاب استقى مادته من خبرته ، وضمنه فضائح عن شخصيات اسرائيلية • مما دعا مرؤوسيه الى منع نشره بحجة دواعي الامن ، فاضطر الى رفع دعوى أمام المحكمة العليا في ٣ أيار ١٩٦٨ ولم يكسبها قط • وفي أيلول ١٩٦٩ رشح نفسه لانتخابات الكنيست ضمن (قائمة الدولة وفاز بالنيابة ، ولكن لم يستطع الفوز في لجنة الدفاع والخارجية ••• وهكذا طويت أسطورة أيسير هاريل أول رئيس لمخابرات اسرائيل بعد أن قدم لها من الخدمات ما لا يحصى •• واحتفظ باسرارها أكثر من خمس عشرة سنة ••

من منجزات ايسير هاريل :

في حزيران ١٩٦٣ وصلت اسرائيل أول دفعة من طائرات (ميراج ٣) الفرنسية • وبنفس الوقت وصلت دفعات من طائرات (ميغ ٢١) الى مصر وسورية والعراق • ونظرا لاهمية الميغ ٢١ وفعاليتها فقد توجه (ايزر وايزمن) قائد سلاح الجو الاسرائيلي الى مكتب بن غوريون رئيس الوزراء وأقنعه أنه بحاجة الى طائرة ميغ ٢١ للاطلاع عليها (ليأمن) قتالها بعد معرفة مزاياها (التي كانت لغزا من الالغاز لهم وللمخابرات الاميركية بالذات) • وبعد خروجه ضغط بن غوريون على زر ، واستدعى سكرتيره آنذاك (تلفون) وقال لـه : أرسل لي رئيس

المخابرات ... وحضر ـ ايسير . وهنا فاجأه بن غوريون ـ نريد طائرة ميغ ٢١ ـ في أسرع وقت ممكن ، ومهما كانت المتطلبات أنت مفوض .

بدأ ايسير بترتيب الخطة أوفد أحسن ضباطه الى أميركا وأوربا لدراسة ، ومعرفة تواجد طياري الميغ ٢١ هناك بدورات تدريبية حتى سنحت الفرصة لهم ، فوضعوا أربعة من ضباط سلاح الجو العراقي تحت المراقبة أثناء وجودهم في أميركا والمانيا لاتباع دورات (قائد تشكيل) هم :

١ ـ الرائد الطيار : محمد رغلوب عمره في حينه ٣٣ سنة من أهالي بغداد، جرت مراقبته والاتصال به في مدينة فرانكفورت ـ المانيا .

٢ ـ النقيب الطيار : منير روفة ـ من عائلة روفا في بغداد .

٣ ـ النقيب الطيار : شاكر يوسف من بغداد ـ مواليد ١٩٣٦ في محلة حسن جديد ـ باشا .

٤ ـ الملازم الطيار : حامد ضاحي من بغداد ـ عائلة ضاحي .

ولما كانت المهمة ضخمة وهامة جدا فقد اتصلت المخابرات الاسرائيلية مع المخابرات الاميركية وبدأ التنسيق بينهما ، وعين لذلك عدة ضباط ارتباط بحيث تولت المخابرات الاسرائيلية مهمة الاتصال والتعامل مع الطيارين ١ ـ ٢ والمخابرات المركزية الاميركية تولت الاتصال مع الطيارين ٣ ـ ٤ ونهايتهما مذكورة في مآثر المخابرات الاميركية .

نهاية الطيار محمد رغلوب

محمد رغلوب رائد طيار في أحد مطارات الجمهورية العراقية .

سبق له أن عمل كطيار مدني تردد على أوربا ، وقضى ليالي ممتعة في فرانكفورت وميونيخ ـ كان يتذكر تلك الليالي أثناء خدمته في مطار انعدمت فيه وسائل الترفيه وحصل في عام ١٩٦٤ على اذن مرضي بفضل مساعدة بعض أصدقائه في (بغداد) ، لقضاء خمسة أسابيع في أوربا . ووصل في شهر شباط ١٩٦٥ الى فرانكفورت تلك المدينة التي تطيب له الاقامة فيها . وخلال أيام نفذ ما معه مما اقتصده من راتبه كطيار على الملاهي والنساء اللعوبات ومنهن احدى

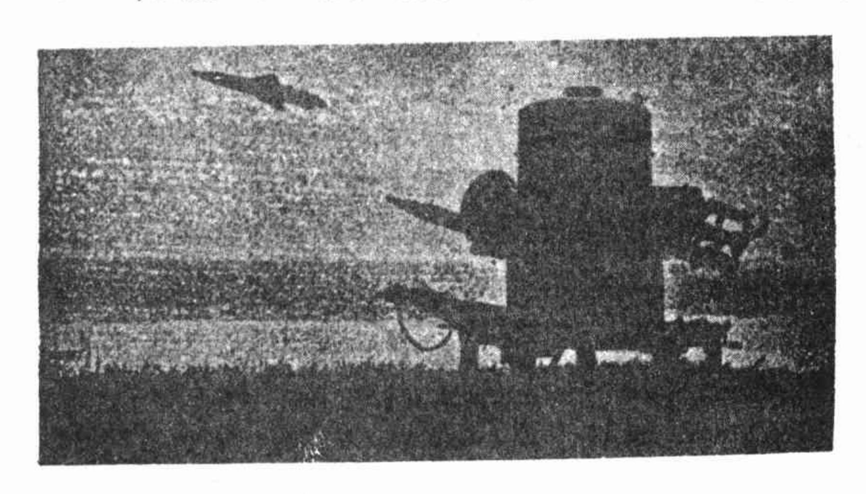
عميلات (الموساد) التي صرح لها عن ضائقته ، فعرفته على شخص يقوم بمضاربات وتعهدات يمكنه أن يساعده . والذي قدم نفسه باسم (هرفراتز) ، وهو من خيرة عملاء (ايسير) ورئيس فرع الموساد في المانيا . سأله هل تكفي (١٠) عشرة آلاف دولار لمصروفك لحين عودتك للعراق ، فوجىء رغلوب بهذا المبلغ الذي قبضه في اليوم التالي من البنك الاتحادي في فرانكفورت وبدأ (هرفراتز) عمله خلال ثلاثة أيام لم يبق ثغرة من حياة (رغلوب) إلا وسأله عنها (شفهيا وتحريراً وتسجيلاً وصوراً) . وفي النهاية صرح له بأنهم اختاروه ليساعدهم على الحصول على طائرة (ميغ ٢١) ان فر بها هو بنفسه قبض /٢٥٠/ ألف دولار وأمنت حياته مع من يحب الى الابد . وان اتفق مع غيره ونفذ العملية يكون نصيبه /١٠٠/ ألف دولار وتأمينه أيضا بالاضافة الى منفذ العملية .

صعق رغلوب للمفاجأة ؟ كان ينتظر منهم أن يسألوه .. كم عدد الطيارين؟ كم طائرة عندكم . أين تقع المطارات السرية ... الخ ومع ذلك لم يوافق ولم يرفض طلب دراسة الامر . طلبوا منه التوجه الى بارس لاتمام المفاوضات سلموه بطاقة طائرة وصل بارس ونزل في منزل مفروش قرب ساحة البراميد ، زاره ضابطين من الموساد لاخذ رأيه النهائي . لقد فكر وهو في الطائرة بكبر العملية وخطرها وافق على الاتصال بزملائه الذين يقودون (ميغ ٢١) ، لكنه طلب باصرار لنفسه سلفا الـ /٢٥٠/ ألف دولار توضع في أحد بنوك سويسرا محتجا أن شعبة الاستخبارات في بغداد هي تدفع أيضا مبلغا محترما لمن يعلمها عما تحيكه لها اسرائيل . أغضب كلامه الاسرائيليين ، فانسحبوا مما اضطره للعودة الى المانيا بالقطار .

وفي أثناء سير القطار بسرعة /١٠٠/ كيلومتر سقط رغلوب بتدبير محكم من باب المقطورة وعثرت عليه الشرطة الالمانية مهشما مقطع الاوصال . وأفادت بتقريرها الى السفارة العراقية أنه خلط بين باب الحمام والباب الخارجي، كلفته خطيئته بتخويف الاسرائيليين باعلام المخابرات العراقية حياته[1] ، وهذه طريقتهم

(١) من المفروض في مثل هذه الحالة التظاهر بالموافقة ، ومن ثم اتخاذ ما يراه مناسبا من اعلام القنصلية العراقية او المخابرات العراقية عند عودته . لاتخويف العدو باعلام المخابرات العراقية . لان العدو دائما عندما يشعر بأن العميل يستهدف لفضحه يتخلص منه .

من مراكز التجسس السابقة للعملاء للمخابرات الاسرائيلية في بيروت باب ادريس رقم ١٦١ و ١٦٣





موشيه دايان ومطلقته روث يحمـــل ابنته يانيل في عام ١٩٣٦ وكان لا يزال في حينه بعينين

صورة طريفة لآلاف الأحذية للشبان الذين سيقوا للخدمة العسكرية في المانيا ومع ذلك ادعت اسرائيل أن هذه الأحذيـة لليهود الذيـن أعدموا في الأفران وقبضت من المانيا ملايين الماركات كتعويض ٠

بالتخلص ممن يرفض التعاون معهم •

بقي في يد المخابرات الاسرائيلية النقيب منير روفة ؟ اتصلوا به بحذر وكتمان ، فوافق شريطة تأمين سحب عائلته من بغداد مسبقا من بين يدي السلطات وجد أحد أطباء المخابرات الاسرائيلية المخرج ـ سلم منير روفة حبة طبية أحضرت من تل أبيب خصيصا وعاد الى بغداد بانتهاء دورته التدريبية •

في منزل روفة في احدى ضواحي بغداد يبتلع ابنه الحبة الطبية فيصاب في اليوم التالي بأعراض اصابة (يوليو ميئليت) بشكل حاد • وحصل أبوه على اذن فوري من المخابرات العراقية والقيادة الجوية لارساله الى لندن للعلاج[١] برفقة والدته ومعها الابن الثاني ، لان الوالد لا يتمكن بطبيعة الحال من العناية بالطفل•

وصلته برقية بوصول زوجته والاولاد الى لندن ، فأخذ يتحين الفرص للتنفيذ • لانه أرسل مع زوجته خطابا الى صديق في لندن ليساعدهم (ضابط الاتصال وهو اسرائيلي) ، أعلمهم بالخطاب أن حضوره سيكون ما بين ١٦ و٢٤ آب حسب جدول الدوريات التي ينطلق بها وكان الاشخاص الذين يعرفون ذلك لا يتعدون أصابع اليد :

١ ـ ليفي أشكول بالذات الذي أصدر أمره من ثلاث سنوات للحصول على هذه الطائرة •

٢ ـ وزير الدفاع الاسرائيلي •

٣ ـ الجنرال (رابين) رئيس الاركان في حينه •

٤ ـ ايسير هاريل رئيس المخابرات ومنفذ العملية •

٥ ـ رئيس الامان ـ مخابرات الجيش •

٦ ـ قائد سلاح الجو ـ موتي هود •

وكان الاخير اتخذ حيطة ومسؤولية حيث أمضى حوالي أسبوع قبل هروب منير روفة بالطائرة اليهم ، وهو يراقب في مكتبه ويتدخل في شبكات الرادار واللاسلكي ليتعرف جميع الطيارين على صوته لانه كان يخشى من أن

---

(١) بعد أن استحصل على تصريح من وزارة الصحة العراقية باستحالة علاج ولده في العراق •؟

يقوم أحد الطيارين الاسرائيليين (المصبين) باطلاق رشة من طائرته على الميغ ٢١ أثناء قدومها فيحطم كل تلك الجهود ..

هروب منير روفة بطائرته الميغ ٢١ الى اسرائيل :

بتاريخ ١٦ آب ١٩٦٦ خرج سرب من طائرات سلاح الجو العراقي (ميغ٢١) للقيام بأعمال الدورية في المجال الجوي العراقي ، ابتدأ من الساعة ٧٫٤٥ وكان من تعداد هذا السرب النقيب الطيار : منير روفة،الذي تأخر بطائرته عن السرب. ولم يلب نداء رئيسه الذي غاب عن نظره مع بقية السرب نظرا لسرعة الميغ . وهنا تحول (منير) الى الحدود الاسرائيلية متخطيا الحدود الاردنية (حاولت طائرتان أردنيتان من نوع (هنتر) اعتراضه فلم تتمكنا بسبب ضعف سرعتهما). وفي الساعة ٧٫٥٢ كان يدخل الاجواء الاسرائيلية .

ثلاث رادارات اكتشفته بوقت واحد ، وتحركت شبكة الانذار أقلع النقيب الاسرائيلي (ران)[1] فورا مع سرب من طائرات الميراج الاسرائيلية ، وبلحظات كان ران أعلى من الطائرة القادمة ، ويحميه سربه عند ذاك تلقى مع سربه أمرا قاطعا باللاسلكي من الجنرال (موتي هود) : لا تطلقوا النار بأي ثمن القضية قضية دولة وبأمر رئيس الوزراء . نفذ ران الامر لان معرفته بصوت موي قائده ساعده على ضبط أعصابه والسيطرة على رد الفعل له (كمطارد) .. تأكد بن (بحة) صوته وهو يقول له : اياك أن تلعب دور البطولة .. هذا الميغ سيتبعك بلطف ، ويرسو عندنا . بعد أن اطمأن (ران) اقترب قليلا من طائرة العدو التي طالما تأمل صورها أو نماذج مصغرة عنها .

انها تحمل على جناحيها (الشارة العراقية) وقائدها لا يبدو عليه أية نية عدائية . وما أن اقترب (ران) بطائرته الميراج منه حتى خفف سرعته بشكل محسوس وترنح على اليمين واليسار ليدلل على نيته بالهبوط ومسالمته ، اقترب ران أكثر حتى شاهد الطيار العراقي (منير) واضحا من خلال القفص البلاستيك،

---

(١) هذا الطيار الاسرائيلي هو بطل الطيران البهلواني في أثناء احتفالات عهد الاستقلال في الكيان الصهيوني .

وهو يرتدي لباس الطيران الازرق وقد أشار له بيده اليمنى وابهامه الى الاسفل معبرا عن عزمه على الهبوط . عند ذلك بادله (ران) الاشارة بأن يتبعه ، ولم يزل (ران) محميا من سربه . اتجه الجميع الى النقب و (موتي هود) بنفسه يضبط عملية الهبوط وما أن خرج منير روفة من طائرته بعد أن استقرت على أرض اسرائيل[1] حتى رحب به الجنرال (موتي هود) قائلا بالانكليزية : (طيران جيد يا سيدي) أجابه الخائن منير روفه : ليس رديئا . بعد أن قدم له نفسه : الرئيس منير روفة ، أدخل الى صالون خاص ليتمكن من تبديل ملابس الطيران، ثم أركب بطائرة هيليوكوبتر باتجاه الشمال . أما الطائرة الحزينة فقد /غطيت/ من أعين الفضوليين ، وأحيطت بشريط من الشرطة العسكرية .

وفي نفس اليوم وجهت الدعوة الى الملحقين العسكريين الاجانب لمشاهدة (الميغ ٢١) ، وهي محاطة بجديلة حمراء غليظة وكأنها تحفة في متحف ، بهرت أنظار الملحقين العسكريين . الكولونيل كاترو الفرنسي لم يستطع وصفها لروعتها ، وراح يردد (... مثير ... مثير) ، الكولونيل فدنه ، قهقه فرحا وهو يلمسها لانه أول أميركي في العالم يلمس ويرى بأم عينه هذه الطائرة السوفييتية التي كانت بالامس القريب لغزا محيرا لهم . الانكليزي الميجر : تومبسون ... حاول الدخول الى قربها ، فمنع بأدب من قبل الشرطة العسكرية.

اذاعة وصول الميغ ٢١ الى اسرائيل :

اتفقت المخابرات الاسرائيلية مع قيادة الجيش على اذاعة قصة وصول الميغ ٢١ بالشكل التالي :

بنفس الوقت الذي كان فيه الملحقون العسكريون يتفحصون الميغ ٢١ كان النقيب منير روفة مستسلما لفضول الصحافيين الاسرائيليين الذين ينطقون العربية والاجانب مراسلي وكالات الانباء العالمية . ثم انسحب الى قاعة خلفية بعد أن

---

(١) لا سلمت يداك ان أميركا ومخابراتها وعظمتها لم تحلم بالحصول على مثل هذه الطائرة مع أنها عرضت /مليون دولار/ لاي طيار يفر بها ، ولم تفلح . جئت يا منير وسلمتها لهم لقمة سائغة لتعيش في اسرائيل مع أولادك الذين تعلموا اللغة العبرية .

توترت أعصابه بعد ذلك خرج اليهم الكولونيل (سهيل بن زفي) الناطق الرسمي بلسان الجيش الاسرائيلي ، وقرأ عليهم رسالة كتبت بالانكليزية وعلى ورق أزرق ادعى أنها وصلته عن طريق صندوق بريد خاص في قبرص وان الطيار القادم أخذ رقم الصندوق من مجلة القوات المسلحة الاسرائيلية ؟• ومحتويات الرسالة تقول :

سيدي أرجو أن تصلك هذه الرسالة شخصيا اذ أن ذلك مهم جدا لسلامتي الشخصية ، وأرجو أن تتفضل بتصديقي في كل ما أكتب رغم القلق الذي أشعر به فاني مصمم على التنفيذ •

أنا طيار ميغ ٢١ في السلاح الجوي العراقي قررت الحضور بطائرتي الى بلدكم • لقد توصلت الى ذلك بعد تفكير طويل ، سأحدثكم عنه شفهيا عند حضوري اني أقدر بلدكم ، وأجزم بأنكم لن تعيدوني الى نقطة انطلاقي • وسيكون حضوري من الآن وخلال ثلاثة أسابيع على ارتفاع عال بين الساعة السابعة والعاشرة صباحا قادما من جهة الشرق مجتازا الاراضي الاردنية عند شمال البحر الميت بمشيئة الله • آمل أن أهبط في احدى قواعدكم أرجو أن تعطي الامر الى طياريكم ألا يفتحوا النار علي اذ أني قادم بنوايا مسالمة •

يا سيدي أريد أن أكرر عليكم مرة أخرى ، ان نواياي صادقة وأرجوكم أن تصدروا ، وبالحاح وتأكيد ، أوامركم الى رجال طيرانكم ليضمنوا سلامتي • يمكنكم التأكد أني لن أخيب ظنكم باخلاص ••

التوقيع : طيار ميغ ٢١

ملاحظة : أرجو قبول اعتذاري لاني لم أوقع باسمي الصريح •

بعد انتهاء الناطق بلسان الجيش الاسرائيلي من قراءة (رسالة طيار الميغ ٢١) الذي نفذ ما كتب برسالته (حسب ادعاء السلطات الاسرائيلية) عاد الرئيس منير روفة من القاعة الخلفية بعد أن استعاد هدوءه وأجاب على أسئلة مندوب الاذاعة الاسرائيلية وباقي الصحفيين بأنه : ترك بلاده (العراق) بسبب التمييز المذهبي الذي يشعر به ومعارضته للقمع الوحشي الذي تتبعه السلطات العراقية ضد الاكراد (في حينه) •

انتهى المؤتمر الصحفي ، وانتهت مهمة (منير روفة) استقبل بعد ذلك في مطار اللد زوجته وولديه القادمين من لندن ، وانتقلوا الى مسكن فخم أعد لهم في احدى ضواحي تل أبيب تحت اسم جديد . وفي اليوم التالي قبض / منير روفة/ ثمن خيانته ووضعه في بنك (هاتسوفيه) وعاد الى منزله ليعيش ذليلا بقية حياته . بينما يخرج أولاده للعب مع أولاد اليهود ، وقد تعلموا اللغة العبرية بطلاقة ..

نتائج وصول الميغ ٢١ الى اسرائيل :

بعد المؤتمر الصحفي عن الميغ ٢١ وضعت تحت تصرف ٥٠ خبيرا أميركيا[1] حضروا على متن طائرة خاصة بالاضافة الى مهندسي وتقنيي سلاح الجو الاسرائيلي . فجرى فحص أجزائها بدقة متناهية ..

ان امتلاكها من قبل اسرائيل سهل عملية التدريب العملي عليها ، اذ سمح للطيارين الاسرائيليين أن يتدربوا طويلا ضد أفضل طائرات (عدوهم) .

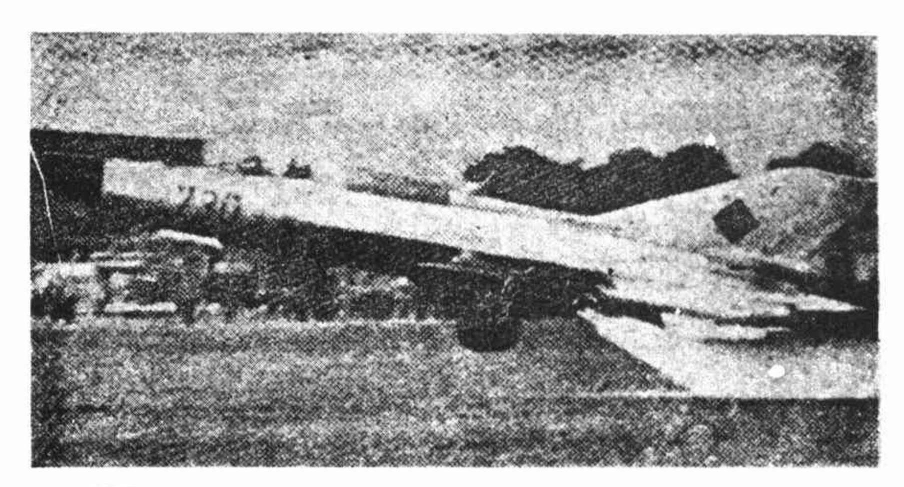
أصبحوا يعرفون أنها أسهل انقيادا على ارتفاع منخفض . عرفوا أنه يجب فرض القتال على الميغ في علو مرتفع علمهم أحد الخبراء الاميركيين أن نظام تشغيل الميغ أساسه (البنزين) ، حيث يزيد هذا النظام من استغلال الطائرة ، ويجعلها قادرة على الاقلاع بدون تدخل مساعدات التشغيل . وغير ذلك من الميزات التي ساعدت الطيارين الاسرائيليين في حزيران ١٩٦٧ (راجع ضحايا المخابرات الاميركية) .

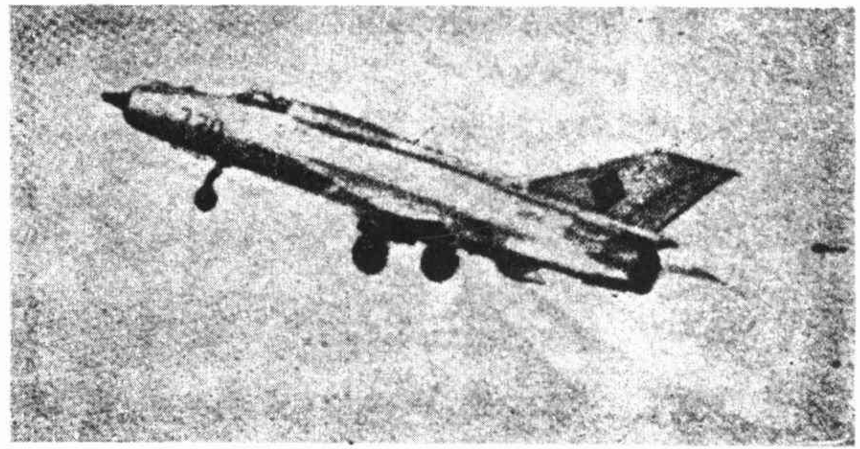
استمرار اسرائيل بتشجيع هروب الطائرات اليها :

منذ مدة غير بعيدة عن وصول الميغ ٢١ الى اسرائيل اتجه طيار مصري برتبة (رئيس) اسمه : عباس حلمي بطائرته ، وكانت من نوع (ياك ١٥) من

---

(١) تكررت هذه الحادثة بفرار الطيار السوفياتي (فيكتور بيلينكو) الى اميركا عن طريق اليابان بطائرة ميغ ٢٥ تعتبر اهم من الطائرة /ميغ ٢١ و ٢٣/ بكثير . وفورا جرى تفكيك هذه الطائرة في قاعدة (هاكوذاني) اليابانية بحضور الخبراء الاميركيين وعددهم (خمسين خبيرا) والخبراء اليابانيين وعددهم (خمسين خبيرا) ثم جرى نقل هيكل الطائرة الى مطار (هيكوري) بواسطة نقل اميركية ضخمة /س ٥ جالاكس/ ارسلت خصيصا من قبل المخابرات المركزية الاميركية التي خططت لهذه العملية المثيرة ومولتها ..؟







ثلاث لقطات معبرة يعرفهـــا خبراء الطيران ولم تبق سرا بعد حصول اسرائيل على طائرة ميغ ٢١ وهـذه للقطات تبين ميزة الطائرة المذكورة

الطائرات القديمة الى قاعدة جوية في النقب وسلم نفسه مع طائرته الى السلطات الاسرائيلية (بدون ترتيب المخابرات هذه المرة) .

ولما كانت طائرته قد مضى عليها الوقت ولا تهم الاسرائيليين بشيء ، ومع ذلك رحبوا بالطيار الهارب وأكرموا وفادته وخيّر بين البقاء في اسرائيل أو السفر لاي بلد أجنبي . فاختار ايطاليا وسافر اليها بجواز سفر أرجنتيني صادر عن السفارة الارجنتينية في تل أبيب تنقل بعد ذلك حتى استقر به الامر في بوينس ايرس ، ونسي ما قدمت يداه وتوجه لزيارة النادي العربي هناك فتعرف عليه بعض المصريين حيث أعيد بمعرفة المخابرات الحربية المصرية الى القاهرة ونال جزاءه العادل ...

ملاحظات على عملية (سرقة الطائرة ميغ ٢١) :

بالرغم من مرور ثلاث سنوات بين تاريخ طلب بن غوريون رئيس الوزراء من ايسير رئيس المخابرات تأمين طائرة ميغ ٢١ هكذا ببساطة (أريد ميغ ٢١) وبين تاريخ وصول هذه الطائرة الى مطار اسرائيلي في النقب وامتلاكها من قبل اسرائيل كان ليفي أشكول قد حل رئيسا للوزراء محل بن غوريون الذي تقاعد في مزرعته وحل الجنرال موتي هود محل الجنرال ايزر وايزمان (أول من فكر بطلب الميغ لدراستها) في سلاح الجو الاسرائيلي وأخيرا حل الجنرال ماير أميت في رئاسة المخابرات الاسرائيلية محل (ايسير هاريل) ومع كل ذلك (استمرت) عملية الميغ في طريقها لآخره ... ولم تلغ لاي سبب من هذه الاسباب .. ؟

رئيس جديد للمخابرات الاسرائيلية :

عين الجنرال (ماير أميت) رئيسا للمخابرات الاسرائيلية فور استقالة سلفه (ايسير هاريل) وهو رجل خفيف الكلام عكس (ايسير) من مواليد طبريا ١٩٢١ تطوع عام ١٩٣٦ في الهاغاناه ، وبقي حتى عام ١٩٤٨ حيث حارب الجيوش العربية وجرح في جنين ، ثم عاد الى الحرب واستولى مع فصيلة من الهاغاناه على (ايلات) . في عام ١٩٥٠ عين قائدا لكتيبة (غولاني) في عام١٩٥٥ ترأس مكتب العمليات وقاد معركة الجنوب في حرب السويس عام ١٩٥٦ جرح جرحا بليغا بقي في المستشفى ستة عشر شهرا (انتهى على أثرها من الحياة

العسكرية) • سافر الى الولايات المتحدة لمدة سنتين حصل على دبلوم في (ادارة الاعمال) عاد الى اسرائيل فعرضت عليه رئاسة (الامان) مخابرات الجيش فقبل حتى عام ١٩٦٣ انتقل الى رئاسة المخابرات بعد استقالة ايسير هاريل •

يقول عن المخابرات انها لاتشكل سوى جزء تحتي من أبناء البلد • وعلينا أن نلتزم بسلوك الجيش والحكومة ، واذا لم يلتزم موظف مهما علت رتبته بهذا السلوك عليه الاستقالة فورا[1] • آلى (ماير) على نفسه عدم التدخل بالسياسة ولقامة أي علاقات مع السياسيين (عكس ايسير) ، ولكن بتاريخ ٢٧ أيار ١٩٦٧ رجع أبا ايبان وزير الخارجية من واشنطون بعد مقابلة الرئيس جونسون وشرح للوزارة الاسرائيلية أن الولايات المتحدة حريصة على تجنب أي صدام مع السوفييت ، ولكن رئيس الوزراء لم يقتنع بما جاءه به وزير خارجيته ، فأرسل الجنرال (ماير) بتاريخ ٣٠ أيار الى واشنطون وذلك لتمحيص معلومات أبا ايبان والتأكد بأن أميركا مستعدة لوقف اطلاق النار عند تعرض اسرائيل للخطر •

في ٣ حزيران ١٩٦٧ أرسل (ماير) البرقية التالية الى ليفي أشكول :

حياد مضمون ــ عملية يجب أن تكون سريعة جدا لكنها لن تثير أي تدخل• ومن بعدها كانت حرب ٥ حزيران ١٩٦٧ الغادرة التي فاجأت اسرائيل فيها الدول العربية ، مستندة على ضمان الولايات المتحدة كما جاء في برقية (رئيس المخابرات الاسرائيلية) التي أرسلها بعد مقابلة المسؤولين الاميركيين في البيت الابيض والبنتغون والمخابرات المركزية والتي اشترطوا فيها (السرعة) أي المباغتة ووضع العالم تحت الامر الواقع •

تقاعد ثاني رئيس للمخابرات الاسرائيلية :

في شهر أيلول ١٩٦٧ (بعد مضي ٣ أشهر على حرب حزيران ١٩٦٧) قدم الجنرال ماير أميت استقالته من رئاسة المخابرات (الموساد) ، وقبلت هذه

---

(١) كانت هذه الجملة غمزة صريحة لسلفه (ايسير هاريل) ••

الاستقالة نظرا لتأكيده والحاحه محتجا بحالته الصحية وطيلة خدماته (منذ١٩٣٦) وقد تحققت في عهده الامور التالية :

أ ـ زرع (وول لنفانغ لوتز) في القاهرة كمرب وصاحب ناد للخيول ثم القاء القبض عليه من قبل المخابرات الحربية بالقاهرة وتبادله مع الاسرى المصريين (من حرب ٥ حزيران ١٩٦٧) .

٢ ـ أوصل عملية (سرقة الطائرة الميغ ٢١) الى نهايتها .

٣ ـ قام بأعباء التحضير لحرب الايام الستة الغادرة مع المسؤولين في المخابرات المركزية الاميركية أثناء سفرته المشهورة الى واشنطون من ٣٠ أيار الى ٣ حزيران ١٩٦٧ .

وبعد تقاعده انتقل الى مزرعته مع زوجته (لـم ينجب أطفالا كما ترفض زوجته اقتناء خادمة في منزلها)، ويستدعى بين حين وآخر لاستشارته بأمور تتعلق بأمن اسرائيل (نظرا لخبرته السابقة) .

حرب الايام الستة في ٥ حزيران ١٩٦٧ :

جملة حرب الايام الستة أطلقتها أبواق الدعاية الاسرائيلية والتقطناها مع الاسف ، وأصبحت رمزا لمعركة مباغتة غادرة خاضتها الدول العربية مرغمة في وقت استغلت فيه اسرائيل كل شيء ضدنا ، استغلت تفرق الكلمة (في حينه) ، استغلت طبيعتها في (الغدر والمباغتة) . فقامت بهجومها على الدول العربية في ساعات الصباح الاولى في الخامس من حزيران ١٩٦٧ حيث لا يتوقع أحد ماحدث حتى أن القادة ورؤساء الدول العربية لم يتوقعوا من اسرائيل هذا الهجوم المطابق لهجوم سلاح الجو الياباني على قاعدة بيرل هاربر الاميركية في ٧/١٢/١٩٤١ حيث اندفعت ١٨٣ طائرة مقاتلة و ٥١ قاذفة منقضة و ٨٩ قاذفة عالية الارتفاع و ٤٠ طائرة طوربيد في ساعات الصباح الاولى حيث المدافع المضادة

غير معبأة والطيارون غير مستعدين مما مكنها من تدمير هذه القاعدة وما فيها من طائرات وبطاريات مضادة وسفن وحاملات طائرات كل ذلك بسبب (عنصر المفاجأة) ، كما حدث لدينا • والفارق عندنا بأن القادة لم يكونوا يتوقعون نشوب الحرب ، بل كانوا يعتقدون بأن الامر لا يتعدى ايهام اسرائيل كما هي العادة في عدة مناسبات سابقة ثم تعود الامور الى طبيعتها ، كما كان يحدث خلال السنين السابقة ، ولكن اسرائيل التي بنيت على المكر والخداع فاجأتنا بما لا يمكن أن تتصوره أو أن يستوعبه العقل البشري حتى كسبت هذه الجولة، واحتلت نتيجة ذلك سيناء والضفة الغربية ومرتفعات الجولان بما فيها مدينة (القنيطرة) معقل الشركس الابطال مع تدمير ٥٠٪ من الطيران المصري والسوري أغلب الطيران الاردني • ومع كل هذا حصلت بطولات عربية فذة (قدر الامكان) • وقام الطيران المصري والسوري ببعض الطلعات الممكنة ، واستشهد منهم بعض الطيارين الابطال •اما الطيران الاردني الفتي ورغم ماأصابه من التدمير فقد قام الطيار الاردني البطل (فراس عجلوني) بعدة طلعات انتحارية، ثم استشهد بعد أن طاردته عدة طائرات اسرائيلية • وكتب بدمه المجد والخلود لامته •• فكيف حدثت حرب ٥ حزيران ــ وبهذه السرعة ، كيف تمكنت اسرائيل من (غدرنا) ؟ أسئلة سمعتها في البلاد العربية ــ في ايطاليا ــ في فرنسا في سويسرا ــ في تركيا كلهم يتساءلون مثل أبناء البلاد العربية لقد اندفع عشرات الصحفيين ومصوروا السينما والتلفزيون الى مناطق القتال من جميع أنحاء العالم ، أغلبهم موالون لاسرائيل وبعضهم يشفق على العرب صوروا وسألوا •••• تجولوا في مناطق القتال ••• بعضهم عظم وفخم في اسرائيل وجيشها ••• بعضهم رثى لما أصاب العرب وكان منصفا ، فبادر الى البحث عن الحقيقة عن السبب ليقدم للمتسائلين جوابا شافيا يبقى عبرة على مر السنين • السبب الذي أدى الى الهزيمة هو الجواب الذي ينتظره القراء :

١ ــ استغلال اسرائيل لاحدى خطب السيد أحمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية (سابقا) ، والتي قال فيها : بأنه حين الانتصار على اسرائيل



فسوف (يلقي باليهود في البحر)[1]فجعلت اسرائيل من هذه الخطبة غير المسؤولة قميص عثمان ، وأخذت تقدمها مترجمة الى مختلف دول العالم قائلة : ان العرب يريدون رمينا في البحر ... مما جعل هذه الدول تقف بجانب اسرائيل ماديا ومعنويا وعسكريا ...

٢ ــ ضمان الولايات المتحدة الاميركية بحماية اسرائيل فيما لو حدثت المضاعفات التي حصلت في حرب تشرين من عام ١٩٧٣ ــ وكان ضمان أميركا لاسرائيل قد أعطي للجنرال (مایر أميت) رئيس مخابرات الاسرائيلية وبموجب برقيته المرسلة الى ليفي اشكول رئيس وزراء اسرائيل بتاريخ ٣ حزيران ١٩٦٧ ــ بأن تكون الحرب خاطفة ...

٣ ــ وجود معلومات موثوقة وخرائط واضحة لدى اسرائيل عن المطارات العربية والاماكن الحساسة حصلت عليها اسرائيل من المخابرات المركزية الاميركية (سلمت الى رئيس المخابرات الاسرائيلية باليد..)وقسم منها من سفينة التجسس الاميركية (ليبرتي) ومن مخابرات حلف شمال الاطلسي الذي يتبادل المعلومات مع اسرائيل وبصورة خاصة عن الاسلحة السوفييتية في البلاد العربية وحصلت اسرائيل على المعلومات أيضا من شبكات التجسس التي كانت منتشرة في الوطن العربي والتي علق أفرادها على المشانق في بغداد وعمان ودمشق والقاهرة ومن اليهود الشرقيين الذين كانوا يعيشون في البلاد العربية ويعرفون الكثير . هؤلاء بمجرد وصولهم الى اسرائيل كانوا يخضعون لاستجواب دقيق من قبل المخابرات الاسرائيلية .

٤ ــ تسليم طائرة ميغ ٢١ الى اسرائيل من قبل الطيار العراقي الخائن ــ منير روفة ــ بعد أن كانت هذه الطائرة هاجس اسرائيل وأميركا بالذات ...

٥ ــ تدريب الطيارين الاسرائيلين والطيارين المرتزقة في اسرائيل على ماقاموا به في ٥ حزيران ١٩٦٧ ــ منذ عام ١٩٥١ حيث كانت جميع الطلعات التدريبية خلال الستة عشر عاما التي سبقت العدوان تتم (بالاغارة على مطارات منشأة في

---

(١) عكس (السيد ياسر عرفات ــ ابو عمار) رئيس منظمة التحرير الفلسطينية حاليا والذي ينادي باقامة دولة فلسطينية علمانية مبنية على العدل والمساواة بين العرب واليهود

اسرائيل تشبه مطارات الدول العربية..) وتكون الاغارة أثناء التدريب على عدة مطارات كما حدث فيما بعد..

٦ ــ تعديل تسليح الطائرات الاسرائيلية الاميركية الصنع ــ فانتوم وسكاي هوك ــ والفرنسية الصنع ميراج وتحميلها قنابل صنعت خصيصا في معامل الاسلحة الافرنسية (مع الاسف) . وميزة هذه القنابل هي اختراق طبقة الاسمنت المسلح أو الاسفلت المضغوط (أرض المطارات) واحداث (فجوة عميقة) في أرضية المطار تعرقل الطيران ، ويصعب اصلاحها في وقت قصير . وهذه القنابل بالذات هي التي دمرت بعض أجزاء المطارات العربية .

٧ ــ اعتماد اسرائيل على (طيارين) أجانب . سبق لهم الخدمة في بلادهم (طياري حرب أو لدى شركات الطيران العالمية) جاؤوا من المانيا الغربية ــ ونيوزيلندا ــ كندا ــ أميركا ــ أوستراليا ــ بعضهم اشترك في حرب كوريا والبعض اشترك في حرب فيتنام .

٨ ــ تواطؤ الدول الغربية بالايحاء الى الاتحاد السوفييتي، ومن ثم الى البلاد العربية مثل مصر وسورية بأن اسرائيل لن تكون البادئة بالحرب . وما على العرب الا أن (يضبطوا) أعصابهم .. مما ساعد اسرائيل على التأكد من أن الدول العربية سوف تؤخذ على حين غرة ، وهذا ما حدث .

٩ ــ اخلاء اسرائيل لمطاراتها العسكرية أثناء وبعد العدوان تحسبا لهجوم الطائرات العربية . واستعملت بدلا عنها الطرق العامة مثل طريق تل أبيب يافا ــ طريق تل أبيب حيفا ــ طريق تل أبيب النقب .. الخ كمدارج للطائرات الحربية.

١٠ ــ استعملت الطائرات الاسرائيلية التي يقود بعضها (مرتزقة) أجانب (خدعة) فنية سبق أن استعملها الحلفاء بنجاح فوق النورماندي أثناء الحرب العالمية الثانية وهي (القاء) رقائق وقطع المنيوم من الطائرات (راجع هذا الفصل في الكتاب) أثناء انطلاقها باتجاه الاجواء الجوية المعادية ، فتظهر هذه القطع على شاشات الرادار مثل ظهور اشارات الطائرات نفسها مما يحدث تشويشا يصعب معه معرفة عدد الطائرات المغيرة، وبالتالي تفسد عمل الرادار من كثر اللغط الذي يظهر به(كانت الطائرة الاسرائيلية تلقي ما بين ٥٠ و ١٠٠ قطعة المنيوم في كل طلعة) فكيف يمكن لموظف الرادار العربي التأكد في هذه الحالة .

١١ ـ قدوم الطيارون الاسرائيليون والمرتزقة لضرب المطارات المصرية على ارتفاع منخفض فوق البحر مارين تحت نطاق التقاط شبكات الرادار المصرية ، وقد كرر الطيارون الاسرائيليون هذه الخدعة في سوريا بعد ذلك عندما أغاروا على قواعد الفدائيين في منطقة الهامة بدمشق ...

كل هذه العوامل ادت الى ما حصل في حزيران ١٩٦٧ ، ولنأخذ مثالا البند رقم /٧/ كيف تحصل اسرائيل على الطيارين الاجانب الذين يتركون العمل في طيران بلادهم ؟.

في واجهة الاعلانات لدى كل سفارة أو قنصليه لاسرائيل في أوربا وأميركا يوجد اعلان عن رغبة سلاح الجو الاسرائيلي في التعاقد مع طيارين قديرين ويحدد الاعلان الراتب المغري الذي يحصل عليه المتعاقد مع حق حصوله على الجنسية الاسرائيلية واحتفاظه بجنسيته الاصلية . ولا يحدد الاعلان أي شروط لقبول الطيار ، فيتدفق الطيارون الراغبون في المغامرة والكسب السريع الى اسرائيل . وأول ما يفكرون به هو حياة الليل والمخدرات . فيجدون كل ذلك في متناول يدهم . وقد علمنا من مصدر موثوق بأن أغلب الطيارين الذين باعوا أنفسهم لاسرائيل من المغضوب عليهم في بلادهم ، وقد فصلوا من وظائفهم بسبب ادمانهم على المشروبات الكحولية والمخدرات مما يؤثر عليهم كطيارين . ومع ذلك تقبلهم اسرائيل وتفتح لهم أبوابها حيث يحصلون وبكثرة على ما حرموا منه أثناء خدمتهم طيران بلادهم . وجميعنا يعرف أن الفتاة الاسرائيلية تؤدي الخدمة الالزامية بجانب الرجل وسلاح الطيران بالذات يضم المئات من المجندات الاسرائيليات اللائي يتم انتقاؤهن خصيصا من مختلف الوحدات العاملة بسبب الحاجة الى خدماتهن المضاعفة في سلاح الطيران ، نظرا لجمالهن حيث يوعز اليهن بالاختلاط بشتى الوسائل بالطيارين الاجانب . وهكذا ينتقي كل طيار مجندة اسرائيلية لمرافقته أولا في الاستدلال على الاماكن العامة في البلدة التي يكون المطار بجانبها أو بالقرب منها . وبعد ذلك تتوطد الصداقة بينهم فتفهم المجندة هذا الطيار أن بامكانه طلبها رسميا لمرافقته حسب هواه فيتقدم الطيار الاجنبي بطلب رسمي ، بعد أن يحصل على اسم ورقم المجندة يطلب فيه فرز هذه المجندة

لمساعدته على حياته الجديدة • وبسرعة تتم الموافقة ، وتعفى المجندة من ارتداء اللباس العسكري لتفريغ نفسها لمساعدة الطيار الذي طلبها • ورؤساؤها بهذه الحالة يسرون كثيرا بها ، ويعتبرونها تؤدى الخدمة الالزامية لاسرائيل ضعفين •

وهكذا يحصل الطيارون المرتزقةعلى مبتغاهم في اسرائيل ، فيكتبون الى زملائهم ليلحقوا بهم • وعلى هذا الاساس ومنذ عام ١٩٥٣ وحتى الان يتواجد في اسرائيل حوالي ١٥٠ طيارا غير اسرائيلي يقودون مختلف أنواع الطائرات • حيث يخضعون للتدريب على القيام بغارات وهمية على مطارات تشبه مطارات البلاد العربية عدا عن خبرتهم الطويلة في الطيران الجوي ، حيث علمنا من أحد المراسلين الاجانب أن الطيار منهم كان يقوم بضرب مطار القاهرة ثم يعود الى اسرائيل فيتزود بالوقود والذخيرة ، ويعود لضرب مطار عمان أو دمشق وكأنه يقوم بقيادة طائرة ركاب في رحلة عادية نظرا لما يتمتع به من المميزات التي ذكرناها والتي تعتمد فيها اسرائيل على الطرق اللاأخلاقية الثابتة حتى ان اسرائيل وبمعاونة من مخابراتها بالذات كانت تقدم مثل هؤلاء الفتيات الى ضباط لجان الهدنة ، وذلك للحصول بواسطتهم على مختلف المعلومات ونحن في هذا الصدد لا نبخس الطيارين العرب حقهم من الخبرة والتدريب الكافي والجرأة والبطولة والاقدام • ولكن ما جرى من غدر ومباغتة اسرائيل لنا كان أقوى مما كان نسورنا الاشاوس يتوقعونه • وكلمة صريحة نقولها في هذا الصدد : (سبق أن كتبنا الى السيد الفريق أول علي علي عامر قائد القوات العربية الموحدة رحمه الله بخطة حربية مطابقة لما قامت به اسرائيل نحونا ، وذلك عام ١٩٦٥ بالرغم من ابتعادنا عن الحياة العسكرية • وحبذا لو كانت الدول العربية البادئة بضرب الاماكن الحساسة والمطارات الاسرائيلية بواسطة أسلحة الطيران المصري والسوري والعراقي والاردني والسعودي والجزائري ، لاعلنت اسرائيل الاستسلام فورا • كما علمنا من مصادر موثوقة داخل اسرائيل أن الاسرائيليين في أول التحشدات

في سيناء وسورية والاردن كانوا قد هيئوا في منازلهم الاعلام البيضاء لرفعها حين دخول الجيوش العربية اسرائيل • ولكن جرى ما جرى وبهذه السرعة المذهلة •

ومع ذلك لم تستطع اسرائيل ان تكسب سوى الارض وبقي الخوف والقلق يسيطران عليها من أدناها الى أقصاها ، حيث صرح وزير الدفاع الاسرائيلي بالذات أن حياة التعبئة والاحتياط في اسرائيل تكلفها في كل ساعة (٥٠ ألف جنيه استرليني) ، عدا عن الخوف الدائم من انطلاقة الفدائيين الرائعة واستبسالهم في الفداء حتى النصر ان شاء الله .



ستقالة الرئيس جمال عبد الناصر من آثار حرب حزيران :

كان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر أول من تأثر وصدم بنتيجة الحرب الغادرة في ٥ حزيران ، فحاول جهده انقاذ ما يمكن انقاذه حتى مساء ٩ حزيران حيث اعلن راديو القاهرة أن السيد الرئيس سوف يوجه رسالة (هامة) الى الشعب في السادسة مساء وجاءت الرسالة مفاجأة للجميع لانها روت الخطوط العريضة لما حدث بكل صراحه كما عودنا رحمه الله ، واننا نقدم هذه الرسالة للقارىء من قبيل الوفاء :

« أيها الاخوة »

لقد تعودنا معا في أوقات النصر وفي أوقات المحنة .. في الساعات الحلوة وفي الساعات المرة ، أن نجلس معا وأن نتحدث بقلوب مفتوحة ، وأن نتصارح بالحقائق مؤمنين أنه عن هذا الطريق وحده نستطيع دائما أن نجد اتجاهنا السليم مهما كانت الظروف عصيبة ومهما كان الضوء خافتا .

ولا نستطيع أن نخفي على أنفسنا أننا واجهنا نكسة خطيرة خلال الايام الاخيرة ... لكنني واثق أننا جميعا نستطيع وفي مدة قصيرة أن نجتاز موقفنا الصعب ، وان كنا نحتاج في ذلك الى كثير من الصبر والحكمة والشجاعة الادبية ومقدرة العمل المتضامنة .

لكننا أيها الاخوة نحتاج قبل ذلك الى نظرة على ماوقع لكي نتتبع التطورات وخط سيرها في وصولها الى ما وصلت اليه ..

اننا نعرف جميعا كيف بدأت الازمة في الشرق الاوسط في النصف الاول من أيار الماضي، كانت هناك خطة من العدو لغزو سوريا وكانت تصريحات ساسته وقادته العسكريين كلهم تقول بذلك صراحة وكانت الادلة متوافرة على وجود الكثير من التحشدات .. كانت مصادر اخواننا السوريين قاطعة في ذلك ، وكانت معلوماتنا الوثيقة تؤكده ، بل وقام أصدقاؤنا في الاتحاد السوفياتي باخطار الوفد البرلماني السوري الذي كان يزور موسكو في مطلع الشهر الماضي بأن هناك قصداً مبيتا ضد سورية . ولقد وجدنا واجبا علينا ألا نقبل ذلك ساكتين .

وفضلا عن ان ذلك واجب الاخوة العربية فهو أيضا واجب الامن الوطني بأن البادىء بسورية سوف يثني بمصر .

ولقد تحركت قواتنا المسلحة الى حدودنا بكفاءة يشهد بها العدو قبل الصديق . وتداعت أثر ذلك خطوات عديدة منها انسحاب قوات الطوارىء الدولية ثم عودة قواتنا الى موقع شرم الشيخ المتحكم في مضايق تيران والتي ــ كان العدو الاسرائيلي يستعملها كأثر من آثار العدوان الثلاثي الذي وقع علينا في ١٩٥٦ .

ولقد كان مرور علم العدو أمام قواتنا في هذا الموقع أمرا لايحتمل فضلا من دواع أخرى تتصل بأعز أماني الامة العربية .

ولقد كانت الحسابات الدقيقة لقوة العدو تظهر أمامنا أن قواتنا المسلحة بما بلغته من مستوى في المعدات وفي التدريب ، قادرة على رده وعلى ردعه . وكنا ندرك أن احتمال الصراع بالقوة المسلحة قائم وقبلنا المخاطرة ... وكانت أمامنا عوامل عديدة وطنية وعربية ودولية منها رسالة من الرئيس الامريكي ليندون جونسون سلمت الى سفيرنا في واشنطن يوم ٢٦ أيار تطلب الينا ضبط النفس والا نكون البادئين باطلاق النار ، والا فاننا نواجه نتائج خطيرة .

وفي نفس الليلة فان السفير السوفياتي طلب مقابلتي بصفة عاجلة في الساعة ٣ر٥ من بعــد منتصف الليل ، وبلغني الحاح الحكومة السوفياتيــة الا نكون البادئين باطلاق النار .

وفي صباح يوم الاثنين الماضي الخامس من حزيران جاءت ضربة العدو ، واذا كنا نقول الان بأنها جاءت بأكثر ما توقعناه فلا بد أن نقول في نفس الوقت وبصفة أكيدة أنها جاءت بأكبر مما يملكه ، مما أوضح منذ اللحظة الاولى أن هناك قوى أخرى وراء العدو جاءت لتصفي حساباتها مع حركة القومية العربية.

ولقد كانت هناك مفاجآت تلفت النظر ..

أولا ــ ان العدو الذي كنا نتوقعه من الشرق ومن الشمال جاء من الغرب الامر الذي يقطع بأن تسهيلات تفوق مقدرته وتتعدى المدى المحسوب لقوته قد أعطيت لــه .

ثانيا ــ بأن العدو غطى في وقت واحد جميع المطارات العسكرية والمدنية في الجمهورية العربية المتحدة • ومعنى ذلك أنه كان يعتمد على قوة أخرى غير قوته العادية لحماية أجوائه من أي ردة فعل من جانبنا ، كما أنه كان يطوق بقية الجبهات العربية بمعونات أخرى استطاع أن يحصل عليها ••

ثالثا ــ فان الدلائل واضحة على وجود تواطؤ استعماري معه يحاول أن يستفيد من عبرة التواطؤ المكشوف السابق سنة ١٩٥٦ ليغطي نفسه هذه المرة بلؤم وخبث• ومع ذلك فالثابت الآن أن حاملات الطائرات الاميريكية والبريطانية كانت بقرب شواطىء العدو تساعد مجهوده الحربي •

كما أن طائرات بريطانية أغارت في وضح النهار على بعض المواقع في الجبهة السورية وفي الجبهة المصرية الى جانب قيام عدد من الطائرات الاميركية بعمليات الاستطلاع فوق بعض مواقعنا • ولقد كانت النتيجة المحققة لذلك أن قواتنا البرية كانت تحارب أكثر المعارك عنفا وبسالة،وفي الصحراء المكشوفة وجدت نفسها في الموقف الصعب • لان الغطاء الجوي فوقها لم يكن كافيا ازاء التفوق الحاسم للقوى الجوية المعادية ، بحيث أنه يمكن القول بغير أن يكون في ذلك اي أثر للانفعال أو المبالغة أن العدو كان يعمل بقوة جوية تزيد ثلاث مرات عن قوته العاديــة •

ولقد كــان هذا هو ما واجهته قوات الجيش العربي الاردني التي خاضت معركة باسلــة بقيادة الملك حسين الذي أقول للحق وللامانة أنــه أتخذ موقفا ممتازا ، وأعترف بأن قلبي كان ينزف دما وأنا أتابع معارك جيشه الباسل في القدس وغيرها من مواقع الضفة الغربية في ليلة حشد فيها العدو المتآمر ما لايقل عن ٤٠٠ طائرة للعمل فوق الجبهة الاردنية •

لقد كانت هناك جهود رائعة شريفة •• لقد أعطى الشعب الجزائري وقائده الكبير هواري بومدين بغير تحفظات وبغير حساب للمعركة • وأعطى شعب العراق وقائده المخلص عبد الرحمن عارف بغير تحفظات وبغير حساب للمعركة ، وقاتل الجيش السوري قتالا بطوليا معززا بقوى الشعب السوري العظيم وبقيادة حكومته الوطنية ••

واتخذت شعوب وحكومات السودان والكويت واليمن ولبنان وتونس والمغرب مواقف مشرفة .

ووقفت شعوب الامة العربية جميعا بغير استثناء على طول امتداد الوطن العربي موقف الرجولة والعزة .. موقف التصميم .. موقف الاحرار .. على أن الحق العربي لن يضيع ولن يهون ، وان الحرب دفاعا عنه ممتدة مهما كانت التضحيات والنكسات على طريق النصر الحتمي الاكيد ..

كانت هناك أمم عظيمة خارج العالم العربي قدمت لنا مالا يمكن تقديره من تأييدها المعنوي ، لكن المؤامرة ولا بد أن نقول ذلك بشجاعة الرجال كانت أكبر وأعتى .. ولقد كان تركيز العدو الاساسي على الجبهة المصرية التي وقع عليها بكل قوته الرئيسية من المدرعات والمشاة معززة بتفوق جوي رسمت لكم من قبل صورة لابعاده . ولم تكن طبيعة الصحراء تسمح بدفاع كامل خصوصا مع التفوق المعادي في الجو .

لقد أدركت أن تطور المعركة المسلحة قد لا يكون مواتيا لنا .. وحاولت مع غيري أن نستخدم كل مصادر القوة العربية ..

ولقد دخل البترول العربي ليؤدي دوره ، ودخلت قناة السويس لتؤدي دورها . وما زال هناك دور كبير مطلوب من العمل العربي العام . وكلي ثقة في أنه سوف يستطيع أداءه . ولقد اضطرت قواتنا المسلحة في سيناء الى اخلاء خط الدفاع الاول ، وحاربت معارك رهيبة بالدبابات والطائرات على خط الدفاع الثاني ، ثم استجبنا لقرار وقف اطلاق النار أمام تأكيدات وردت في مشروع القرار السوفياتي الاخير المقدم الى مجلس الامن ، وأمام تصريحات فرنسية بأن أحدا لا يستطيع تحقيق أي توسع اقليمي على أساس العدوان الاخير ، وأمام رأي عام دولي خصوصا في آسيا وافريقيا يرى موقفنا ويشعر ببشاعة قوى السيطرة العالمية التي انقضت علينا .

وأمامنا الان عدة مهام عاجلة :

المهمة الاولى : أن نزيل آثار هذا العدوان علينا ، وان نقف مع الامـة

العربية موقف الصلابة والصمود • وبرغم النكسة فان الامة العربية بكل طاقاتها وامكانياتها قادرة على أن تصر على ازالة آثار العدوان •

والمهمة الثانية : أن ندرك درس النكسة وهناك في هذا الصدد ثلاث حقائق حيوية •

١ ــ ان القضاء على الاستعمار في العالم العربي يترك اسرائيل بقواها الذاتية ومهما كانت الظروف ومهما طال المدى فان القوى الذاتية العربية أكبر وأقدر على العمل •

٢ ــ ان لعادة توجيه المصالح العربية في خدمة الحق العربي ضمان أولي ، فان الاسطول الاميركي السادس كان يتحرك ببترول عربي ، وهناك قواعد عربية وضعت قسرا وبرغم ارداة الشعوب في خدمة العدوان •

٣ ــ ان الامر الان يقتضي كلمة موحدة تسمع من الامة العربية كلها ، وذلك ضمان لا بديل له في هذه الظروف •

نصل الان الى نقطة هامة في هذه المكاشفة بسؤال أنفسنا : هل معنى ذلك أننا لا نتحمل مسؤولية من تبعات هذه النكسة •

وأقول لكم بصدق وبرغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفي في الازمة فانني على استعداد لتحمل المسؤولية كلها • ولقد اتخذت قرارا أريدكم جميعا أن تساعدوني عليه • لقد قررت أن أتنحى تماما ونهائيا عن أي منصب رسمي وأي دور سياسي ، وأن أعود الى صفوف الجماهير أودي واجبي معها كأى مواطن آخر •

ان قوى الاستعمار تتصور أن جمال عبد الناصر هو عدوها •• وأريد أن يكون واضحا أمامهم أنها الامة العربية كلها وليس جمال عبد الناصر • والقوى المعادية لحركة القومية العربية تصورها دائما بأنها امبراطورية لعبد الناصر • وليس ذلك صحيحا لان أمل الوحدة العربية بدأ قبل جمال عبد الناصر •وسوف يبقى بعد جمال عبد الناصر •

ولقد كنت أقول لكم دائما ان الامة هي الباقية وأن أي فرد مهما كان دوره

ومهما بلغ اسهامه في قضايا وطنه ، هو أداة لارادة شعبية . وليس هوصانع هذه الارادة الشعبية .

وتطبيقا لنص المادة ١١٠من الدستور المؤقت الصادرفي شهر آذار(مارس)سنة ١٩٦٤فلقد كلفت زميلي وصديقي وأخي زكريا محي الدين بأن يتولى منصب رئيس الجمهورية ، وأن يعمل بالنصوص الدستورية المقررة . لذلك وبعد هذا القرار فانني أضع كل ما عندي تحت طلبه وفي خدمة الظروف الخطيرة التي يجتازها شعبنا .

انني لا أصفي الثورة . ولكن الثورة ليست حكرا على جيل واحد من الثوار . وان اسهام هذا الجيل من الثوار حقق جلاء الاستعمار البريطاني . وحقق استقلال مصر ، وحدد شخصيتها العربية وحارب سياسة مناطق النفوذ في العالم العربي . وقادالثورة الاجتماعية وأحدث تحولا عميقا في الواقع المصري . وأكد تحقيق سيطرة الشعب على موارد ثروته وعلى ناتج العمل الوطني . واسترد قناة السويس . ووضع أسس الانطلاق الصناعي وانتصر وبنى السد العالي ليفرس الخضرة الخصبة على الصحراء المجدبة ، ومد شبكات الكهرباء المحركة فوق وادي النيل الشمالي كله . وفجر موارد البترول بعد انتظار طويل . وأهم من ذلك وضع على قيادة العمل السياسي تحالف قوى الشعب العاملة الذي هو المصدر الدائم لقيادات متجددة تحمل أعلام النضال الوطني والقومي مرحلة بعد مرحلة وستبنى الاشتراكية وتنتصر .

ان ثقتي غير محدودة بهذا التحالف القائد للعمل الوطني الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية .

ان وحدته وتماسكه والتفاعل الخلاق داخل اطار هذه الوحدة ، قادرة على أن يصنع بالعمل والعمل الجاد وبالعمل الشاق كما قلت أكثر من مرة معجزات ضخمة في هذا البلد ليكون قوة لنفسه والامة العربية ولحركة الثورة الوطنية وللسلام العالمي القائم على العدل .

ان التضحيات التي بذلها شعبنا وروحه المتوقدة خلال فترة الازمة ،

مشهد من عشرات المشاهد في الوطن العربي للجماهير الصاخبة تطالب بعودة جمال عبد الناصر



والبطولات المجيدة التي كتبها الضباط والجنود من قواتنا المسلحة بدمائهم ، سوف تبقى شعلة ضوء لا تنطفيء في تاريخنا ، والهاما عظيما للمستقبل وآماله الكبار ، لقد كان الشعب واثقا كعادته أصيلا كطبيعته مؤمنا صادقا مخلصا ، وكان أفراد قواتنا المسلحة نموذجا مشرفا للانسان العربي في كل زمان ومكان . لقد دافعوا عن حبات الرمال في الصحراء الى آخر قطرة من دمهم وكانوا في الجو برغم التفوق المعادي أساطير للبذل واللفداء وللاقدام وللاندفاع الشريف الى أداء الواجب أنبل ما يكون عزاؤه . ان هذه ساعة للعمل وليست ساعة للحزن انه موقف للمثل العليا وليس لاية أنانيات أو مشاعر فردية . ان قلبي كله معكم وأريد أن تكون قلوبكم كلها معي .

وليكن الله معنا جميعا أملا في قلوبنا وضياء وهدى والسلام عليكم ورحمة الله . »

مع انتهاء عبد الناصر من كلمته انفجرت المظاهرات في جميع أنحاء الوطن العربي دفعة واحدة رغم الظلام وخطر الغارات ، وفي القاهرة وحدها قدر عدد المتظاهرين بأكثر من مليون شخص .

وانهالت الاف من البرقيات على بيت الرئيس عبد الناصر تطالبه بالعدول عن تنحيه وتطالبه باستمرار قيادته .

ومن بيروت الى الجزائر ، مرورا بكل العواصم العربية ظلت المظاهرات معظم ساعات الليل ، وتجددت في اليوم التالي ــ السبت ــ بصورة لا مثيل لها .

وفي ساعة متأخرة من ليلة الجمعة أذاع الرئيس عبد الناصر بيانا مقتضبا أعلن فيه نزوله عند ارادة الجماهير ، وأعلن أنه سيستمر في تحمل مسؤولياته حتى ازالة آثار العدوان ثم تعرض الامور كلها لاستفتاء شعبي عام .



اسرائيل تمضي في تجسسها وعلينا الحذر :

ان اسرائيل التي عرفناها تخطط لتنفيذ حلم الصهيونية الازلي باحتلال الارض العربية من الفرات للنيل تصر على متابعة عدوانها وتجسسها على البلاد العربية جميعها دون استثناء ، حيث تهتم اسرائيل بجميع ما يجري في الوطن العربي من كل كبيرة وصغيرة للاستفادة في المستقبل.وقد علمتنا الايام واكتشاف العديد من شبكات التجسس الاسرائيلية في مختلف البلاد العربية أن لاسرائيل العديد من شبكات التجسس منتشرة في البلاد العربية تغذي المخابرات الاسرائيلية بما تحصل عليه من الاخبار بمختلف الوسائل ، منها ما كشفت عنه التحقيقات التي جرت مع أعضاء الشبكة المكتشفة في العراق بأن أعضاءها كانوا يرسلون الاخبار والتقارير عن طريق البواخر التي تصل (ميناء) البصرة لتفريغ حمولتها، وعن طريق ارسال العملاء يحملون التقارير لايصالها الى عبادان[1] .

حيث يستلمها منهم هناك عملاء اسرائيل الذين يعيشون في الاراضي الايرانية يسرحون ويمرحون على هواهم ...؟

ومنذ عام ١٩٥٥ وحتى الان وشبكات التجسس الاسرائيلية تتساقط الواحدة تلو الاخرى . ومع هذا فانه من الثابت بأن اسرائيل تريد دائما معرفة مجريات الامور في البلاد العربية . بل في الفترة الاخيرة تعدت رغبتها في التجسس ومعرفة دقائق الاخبار الى التخريب وزرع الهلع في النفوس وتسميم المياه ونسف الجسور والمرافق العامة كما جاء فياعترافات أعضاء شبكة التجسس الذين أعدموا فيما بعد ، بأن ضباط المخابرات الاختصاصيين الموجودين في عبادان قد استأجروا مزرعة خاصة في ضواحي المدينة يتم فيها تدريب الشبان الذين من أصل يهودي ، وكانوا يعيشون في العراق مع بعض أعضاء الشبكة

(١) جعفر صادق الحاوي من أعضاء الشبكة ، اعترف بذهابه الى عبادان عدة مرات يحمل تقارير ليوصلها الى شخص يدعى سيد صلوات في فندق الفردوس هناك ويعود ليقبض ٢٠٠ دينار عن كل تقرير يوصله ، وقد حكم عليه بالسجن المؤبد ...؟

الاخرين الذين ماتت فيهم النخوة العربية . وقد تم بالفعل (نسف) جسر المقام في مدينة البصرة من قبل أعضاء الشبكة . والمخابرات الاسرائيلية لا تكتفي بانشاء شبكة واحدة في البلد العربي . وذلك لمعرفتها التامة بيقظة المخابرات العربية لذلك تعمد الى وضع عدة شبكات في كل بلد ، وكل شبكة تعمل منفصلة عن الاخرى حتى اذاقبض على شبكة لا تعرف الشبكة الثانية ذلك الا في الصحف والمحاكمات .وهكذا نجد استمرار تجسس اسرائيل علينا .وقد شرحنا في مطلع الكتاب بأسهاب عن الاسباب الداعية الى وجود مثل هذه الشبكات التي تضم مع الاسف بعض أبناء البلاد العربية[1] بقي أن نتوجه في كتابنا هذا الى الشعوب العربية بأن من واجب كل مواطن شريف تعرض أو يتعرض الى أي اغراء مهما كان نوعه للانخراط في هذه الشبكات التي يكون ظاهريا تجاريا أو اداريا ما عليه الا أن يتوجه الى مخابرات بلده رأسا وبالاعلان عما طلب منه ، وان المخابرات العربية والمسؤولين قد وعدوا ولا يزالون عند وعدهم بحماية وانقاذ من تورط في العمل مع هذه الشبكات مهما كان نوع تورطه ، وسيلقى من المسؤولين كل عناية واهتمام . ويعوض عما عرض عليه من مال بالضعف عدا عن خدمته لوطنه وللامة العربية جمعاء ، لان المخابرات الاسرائيلية لا تكتفي عند وصولها على سر أو خبرعن البلاد العربية بالاطلاع عليه فقط بل تبعث بصورة عنه رأسا الى المخابرات المركزية الاميركية (الام) الروحية للمخابرات الاسرائيلية وليس أسهل من اكتشاف العملاء بعد ما شرحنا في هذا الكتاب عن مختلف الطرق التي يتبعها العملاء في الحصول على الاسرار والاخبار وتجنيد عملاء جدد . وما على المواطن العربي الا أن يكون حذرا ويقظا لكل سؤال يوجه له من قبل أشخاص معروفين منهم السياح ــ والوافدون من بلاد أجنبية أو من كانوا في الخارج لسنين عديدة ، وعادوا الى البلاد ــ أو من قبل أشخاص مضى على وجودهم سنين في البلد ، وهم من أصل أجنبي .

---

(١) غالبا ما يكون الشخص المنتمي الى أي شبكة تجسس معادية لا قيمة اجتماعية له أو منحرفا أخلاقيا فيتم اغراؤه بمختلف الاساليب . أما الاشخاص الشرفاء فيخبرون سلطات بلادهم عما يعرض عليهم وبذلك يستحقون شرف المواطنية ويصبحون من الابطال الحقيقيين ..

فاذا وجد أن السؤال يمس أمن وسلامة بلده فيخبر المسؤولين حالا . وهذه نماذج من الاسئلة :

١ ـ ما رأيك في معنويات الجيش ..؟ وهذا السؤال يدس عند الحديث عن الجيش ..

٢ ـ ما رأيك في الحكم (اذا كان حزبي) ـ أو جمهوري ـ أو ملكي الخ).

٣ ـ ما رأيك في الشخصيات السياسية ...؟ يعين السائل شخصا مهما..؟

٤ ـ عرض للعمل في معرفة شؤون عادية عن البلد ـ مقابل مبلغ محترم ثم يتطور هذا العرض الى التجسس في النهاية عندما يتورط المقصود بالتعامل مع السائل الذي غالبا لا يكون وحده بل هناك من يصورهما معا ، ويسجل حديثهما ، حتى اذا حاول الشخص المعين رفض التعامل ـ جرى تهديده بالصور والتسجيلات[1] . وعندما يشعر المواطن العربي بمثل هذه الاسئلة توجه اليه أو غيرها من الاسئلة التي يكون الزمان مجالا لها، فما عليه الا أن يجيب اجابة خاطئة ويعد السائل بالمزيد من المعلومات ويطمنه ويشعره من حيث لا يدري بأنه عثر على الشخص الذي يريده ...؟ وما عليه بعد ذلك سوى الاتصال بالمخابرات التي تتولى توجيهه بعد ذلك..وحمايته وانقاذ البلد من شبكة جديدة للتجسس.

واذا كنا في صدد لفت نظر المواطن العربي الى خطر مخابرات اسرائيل وأعداء الامة العربية وذلك لعلمنا أن هذه المخابرات كانت ولا تزال تعتمد على اليهود الذين سبق أن عاشوا في البلاد العربية ويتقنون اللغة العربية بطلاقـة ، وهؤلاء يسمون في اسرائيل (السفرديم) وهؤلاء تساعدهم المخابرات الاميركية بالذات في الحصول على جنسيات وجوازات [2] مختلفة يتجولون بموجبها في

---

(١) هذا الشخص وعدت المخابرات العربية والمسؤولين على أعلى المستويات بحمايته حالا وانقاذه مما تورط به مهما كان تورطه شريطة التقدم حالا للاعلام عن ملابسات تورطه هذا ...

(٢) في فندق كوزا ـ في اسطنبول ـ شاهد ح ـ ب ـ عميلين للمخابرات الاسرائيلية من هذا الصنف بتاريخ ١٩٧٥/١/٢ يحمل أحدهم جواز سفر لبناني ، والاخر جواز سفر أردني .وقد اتصلوا من نفس الفندق بتل أبيب هاتفيا . وقد تمكن هذا المواطن من تصوير جوازات السفر ثم تقديمها للمسؤولين في المخابرات العربية لدى عودته من تركيا . وهذا العمل يعتبر بطولة لانه لا يتمكن من عمل غير ذلك في بلد كتركيا له علاقات طيبة مع اسرائيل .

البلاد العربية ضمن خطة مدروسة حيث يرسل اليهودي الذي عاش في سورية الى مصر ، الى العراق ، وهكذا ...

ولكي نعلم مدى راحة الضمير والوفاء الكامل بالنسبة للعديد من الذين تقدموا الى المخابرات والمسؤولين في البلاد العربية بالاخبار عن اتصال جواسيس الاعداء بهم حيث تخلصت الامة العربية من هؤلاء الجواسيس وخطرهم بينما بقي مواطنونا الشرفاء يعيشون براحة ضمير ونشوة وطنية لا تقدر بالملايين عدا عن وضعهم في أحسن المراكز والوظائف في بلادهم والتعويض عليهم بكل ما ينقصهم ، وما كان سبب اختيارهم من قبل العملاء ...

الغاية تبرر الوسيلة من شعارات المخابرات الاسرائيلية :

من تعاليم المؤتمرات اليهودية ، ومن الازل بأن يضحي اليهود بنسائهم لاجل غاياتهم . كما أن الكتب اليهودية نفسها تعترف ببعض حالات الزنا وهتك الاعراض ومنها :

١ ـ ان (ثامار) ابنة داوود قالت لاخيها عندما أخذ يراودها عن نفسها : قل للملك (تعني والدها) فانه لا يمنعني منك .

٢ ـ ارتكب (داوود) نفسه الزنا مع المرأة (بتشبع) بعد أن أرسل زوجها الضابط (أوريا الحثي) الى مهمة ميتة .

٣ ـ قال (يهوذا) لثامار بعد أن أصبحت كنته ومن ثم توفي زوجها (ابنه) اقعدي (أرملة) حتى يكبر (شيله) شقيق زوجها . وطال الزمان وماتت ابنة (شوع) زوجة (يهوذا)،فحزن عليها ثم صعد مع صاحبه (الهدلامي) ليجز الغنم فعلمت ثامار وخلعت عنها (ثياب الحزن) . وتغطت ببرقع وتلففت وجلست في طريق يهوذا لتذكره أن ابنه (شيله) قد كبر ولم تعط زوجة لـه ولكن يهوذا نظرها ولم يعرفها لانها غطت وجها حياء فحسبها (زانية) فقال لها : هاتي أدخل عليك . فقالت له : وما تعطيني لتدخل علي . قال أرسل لك جديا من الماعز . فقالت : تعطيني الان رهنا حتى ترسل الجدي قال : ما الرهن الذي

تطلبين . قالت خاتمك وعصاك وعصابتك (غطاء رأسك) . فأعطاها ودخل عليها، فحملت منه (حراما) وهو عمها[1].

٤ ــ عندما دخل ايشا لوم (أورشليم) (القدس) وهو منتصر على أبيه الذي قتل في المعركة فوجيء بكثرة حريم والده (نسائه) فاستشار (اخيطوفال) بما يفعله بهن فأفتى له بالدخول عليهن ؛ ففعل وأفسد فيهن كلهن جهارا[2] .

ويوجد في الملفات الصهيونية قرارا صادر عن المؤتمر اليهودي العاشر الذي عقد سنة ١٩١٢ في مدينة (بال) فيسويسرا والذي حضره /٧٠٠ عضو يمثلون ٩٠ جمعية صهيونية وينص هذا القرار على ما يلي :

١ ــ العمل بكافة الوسائل واستغلال جميع الدول والشخصيات لتكون (فلسطين) هي مكان التجمع اليهودي لاقامة دولة (صهيون) .

٢ ــ ربط الجمعيات والجماعات اليهودية مع كافة المنظمات الدولية والسياسية لاستغلالها في سبيل اقامة دولة (صهيون) .

٣ ــ الظهور في المجتمعات التي تحتقر اليهود بالشخصية المسيحية مع الايمان السري بأن (المسيحية) هي عدوة (اليهودية) .

٤ ــ تدعيم التنظيم السري اليهودي في كل بلد من العالم حتى يأتي يوم تسيطر فيه الدولة اليهودية على الدول الاخرى .

٥ ــ السعي الحثيث لاضعاف الدول السياسية القائمة بنقل أسرارها الى أعدائها وبذر بذور التفريق والشقاق بين حكامها بواسطة الجمعيات السرية ونقل أنظمتها الى الاباحية والفوضى .

٦ ــ ان على اليهود اعتبار الجماعات الاخرى قطعانا حقيرة من الماشية ويجب أن يكونوا (لعبا) في أيدي حكام (صهيون) .

٧ ــ اللجوء الى التملق والتهديد والمال في سبيل افساد الحكام والسيطرة عليهم .

---

(١) سفر التكوين .
(٢) سفر الملوك .

٨ ـ يجب أن يكون ذهب الارض في أيدي اليهود حتى يسكن السيطرة على الصحافة والمسرح والمضاربة والعلم والتشريع لاثارة الرأي العام وافساد الاخلاق والتهيج للرذيلة وللاشاة كل ميل الى التهذيب المسيحي ولتشييد عبادة المال والشهوة .

٩ ـ ليس من بأس بأن نضحي بالفتيات في سبيل الوطن القومي . وأن تكون هذه التضحية قاسية ومستنكرة لانها في الوقت نفسه كفيلة بأن توصل لاحسن النتائج . وماذا عسى أن نفعل مع شعب يؤثر البنات ويتهافت عليهن وينقاد لهن ...

وبعد عشر سنوات من صدور هذا القرار طرد معظم الاعضاء الذين وافقوا عليه (كانوا من أنصار هرتزل رائد الصهيونية الاول) .

المؤتمرون ـ تواقيع ٧٠٠ عضو

وفي عام ١٧٨٩ - ألقى الرئيس الاميركي بنجامين فرنكلين خطابا يعتبر وثيقة تاريخية عند وضع دستور الولايات المتحدة جاء فيه ما يلي :

« هناك خطر عظيم يتهدد الولايات المتحدة الاميركية ، وذلك الخطر العظيم هو خطر اليهود .

أيها السادة : في كل أرض حل بها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقي وأفسدوا الذمة التجارية فيها . ولم يزالوا منعزلين لا يندمجون بغيرهم ، وقد أدى بهم الاضطهاد الى العمل على خنق الشعوب ماليا ، كما هو الحال في البرتغال واسبانيا .

منذ أكثر من ١٧٠٠ عام وهم يندبون حظهم الاسيف ، ويعنون بذلك أنهم قد طردوا ، من ديار آبائهم ولكنهم أيها السادة . لن يلبثوا اذا ردت اليهم الدول اليوم فلسطين ، أن يجدوا أسبابا تحملهم على ألا يعودوا اليها ، لماذا ؟ لانهم طفيليات لا يعيش بعضهم على بعض . ولا بد لهم من العيش بين المسيحيين وغيرهم ممن لا ينتمون الى عرقهم .

اذا لم يبعد هؤلاء عن الولايات المتحدة (بنص دستورها) فان سيلهم سيتدفق الى الولايات المتحدة في غضون مائة سنة الى حد يقدرون معه على أن

يحكموا شعبنا ويدمروه ويغيروا شكل الحكم الذي بذلنـا في سبيله دماءنا وضحينا له بأرواحنا وممتلكاتنا وحرياتنا الفردية .

ولن تمضي مئتا سنة حتى يكون مصير احفادنا أن يعملوا في الحقول لاطعام اليهود على حين يظل اليهود في البيوتات المالية يفركون أيديهم مغتبطين .

واني أحذركم أيها السادة ، انكم الا تبعدوا اليهود نهائيا ، فسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم في قبوركم . ان اليهود لن يتخذوا مثلنا العليا ولو عاشوا بين ظهرانينا عشرة أجيال . فان الفهد لا يستطيع ابدال جلده الارقط .

ان اليهود خطر على هذه البلاد اذا ما سمح لهم بحرية الدخول ، انهم سيقضون على مؤسساتنا وعلى ذلك لا بد من أن يستبعدوا بنص الدستور »

(نص الوثيقة الاصلية باللغة الانكليزية) :

PROPHECY OF BENJAMIN FRANKLIN
IN REGARD OF THE JEWISH RACE

(Excerpt from the Journal of Charles Pirckney of South Calorina of the proceedings of the Constitutional Convention of 1789 regarding the statement of Benjamin Franklin at the Convention concerning JEWISH IMMIGRATION) .

(There is a great danger for the United States of America. This great danger is the JEW , Gentlemen, in which every land the Jews have settled they depressed the moral level and lowered the degree of commercial honesty. They have remained apart and unassimilated, oppressed, they attempt to strangle the nations financialy, as in the case of Portugal and Spain .

(For more than 1700 years thve lamented their sorrowful fate, namely, that they have been driven out of their mother land; but, Gentlemen, if the world should give them back today palestine and their property, they would immediately find pressing reasons for not returning there. Why ? Because they are Vampires — they cannot live among themselves. They must live among Christians and others, who do not belong to their race.

If they are not excluded from the United States by the Constituion, within at least 100 years they will stream into thes Country in such numbers that they will rule and destroy us and chauge our form of Government for which we American shed our blood and sacrificed our lives, property and personal. If the jews are not excluded, within 200 years out children will be working in the fields to feed the jews while they remain in the counting house, gleefully rubbing their hands.

warn you, Gemtlemen, if you do not exclude the jews forever, your children and children's children will curse you in your graves. Their ideals are not those of Americans, even when then have lived among us for ten generations. The leopard cannot change his spots. The jews are a danger to this land if they are allowed to entre. They will imperil our institutions. They should be excluded by the Constitutioh.)

(١) (Original of thes copy is in the FranKlin Institute, philadelphia, pa.)

اعرف عدوك

وفي اسرائيل تابعت الصهيونية السير بنفس الطريق من استغلال الفتيات فنجد أن وزارة السياحة الاسرائيلية استضافت الغانية البريطانية (ماندي) شريكة (كريستين كيلر) صاحبة الفضيحة المشهورة في بريطانيا مع وزير الحربية وامست ماندي (ناديا) ليليا في تل أبيب بعد حصولها على الجنسية الاسرائيلية

---

(١) ان الفضل في نشر هذه الوثيقة الخطيرة يعود الى الشاب السعودي الفاضل الاستاذ حسين أبو بكر القاضي المتخصص في الدراسات الاسلامية والحائز الماجستير في العلوم السياسية والقانون الدولي ، فعندما كان هذا الرجل الفاضل طالبا في جامعة الباسفيك بالولايات المتحدة كتب اليه العلامة الشيخ مصطفى الزرقاء بجامعة دمشق سابقا — بعد أن اطلع على هذه الوثيقة باللغة العربية — كتب اليه ليوافيه بالنص الانجليزي من مصدره ، وقد حدثني الاستاذ حسين القاضي فقال : قصدت الى معهد بنيامين فرنكلين في فيلادلفيا (بولاية بنسلفانيا) لنقل النص حرفيا من مصدره ، وكم كانت دهشتي حين راجعت خطبة الرئيس الاميركي (بنيامين فرنكلين) اذ وجدت أن القسم الذي يتضمن هذه الوثيقة قد انتزع كاملا من خطبة الرئيس الاميركي فراجعت المسؤولين من المعهد فهالهم الامر اذا اكتشفوا أن في الامر جريمة خطيرة ارتكبها أحد المجرمين اليهود ، ثم يقول الا أنه لحسن الحظ تبين — بعد البحث — أن في المتحف نسخة أخرى من تلك الخطبة كاملة لم يتطرق اليها عبث المفسدين ، فنسخت منها باللغة الانكليزية هذا القسم المتعلق بالخطر اليهودي •• ولقد عمد الاستاذ القاضي في حينه فطبع عدة آلاف من هذه الوثيقة باللغة الانكليزية فقام (وهو لا يزال طالبا) فوزعها على الهيئات الدولية والسياسية والعلمية في الولايات المتحدة وغيرها خدمة لامته الاسلامية • وقد نشرت هذه الوثيقة (بسعي الاستاذ القاضي) مجلة (المسلمون) في أحد أعدادها كما نشرتها مجلة التمدن الاسلامي في الجزئين ٢٥ ، و ٢٦ ، وجريدة الندوة بمكة في عددها ٥١١ تاريخ ربيع الاول ١٣٨٠ هـ — فشكرا للاستاذ حسين القاضي واكثر الله في شبابنا من أمثاله ليكونوا سفراء خير أينما حلوا •

كما لا يفوتنا ان نذكر الاخ السعودي محمد أحمد باشميل من جدة الذي كان له الفضل في ايصال هذه الوثيقة الى الاخ صالح الظفري الذي اوصلها بدوره للمؤلف من قناعة تامة بفائدة نشرها كما نشكر الاستاذ محمد أمين دوغان صاحب ورئيس تحرير جريدة الشعب في بيروت والاستاذ مزيد ماكوم مدير التحرير لاهتمامهما بنشر هذه الوثيقة اعلاميا •

(نظرا لزواجها من اسرائيلي) ، كان يصرف عليها بسخاء في (اسطنبول) ، وان زواجه منها هو نهاية (مهمته) التي كلف بها من قبل المخابرات الاسرائيلية .

تحول هذا النادي الى (مركز تدريب الغانيات والارتيستات) لصالح المخابرات الاسرائيلية للتجسس بواسطة الجنس . وبعد تخرجهن يتم توزيعهن على علب الليل في باريس ولندن وفيينا وجنيف واسطنبول حيث ينفذن ما يطلب منهن من الاستماع أو السؤال وجمع المعلومات ممن يقع تحت أيديهن من الشخصيات السياسية عرب وغيرهم ، واستخلاص الحقائق منهم أثناء ساعات اللهو والنشوة .

واننا لا نتجنى على السلطات الاسرائيلية بشرح حقيقتها . لان هذه الحقيقة تأخذ طريقها الى النشر تباعا من نفس المصادر التي استقينا منها . وقد صدر أخيرا كتاب بعنوان (الغانية السعيدة) لمؤلفته : كسافيرا هولندر ـ صاحبة أكبر دار للبغاء في أميركا تقول مؤلفته : ان مضيفات شركة الطيران الاسرائيلية (العال) هن أوقح العاهرات حيث يهرعن الى منزلها بمجرد هبوط طائراتهن في نيويورك لكي (ينمن) مع اكبر عدد من الرجال . ويحصلن على أكبر مبلغ مستطاع قبل عودتهن الى اسرائيل .

ومن المعلوم أن هذا الكتاب الجريء بيعت منه ملايين النسخ . ولم تستطع الجمعيات اليهودية في أميركا جمعه من السوق واتلافه كما تفعل عند صدور أي كتب أو نشرات معادية للصهيونية وذلك لمنع وصولها الى الرأي العام .

وأخيرا وزير دفاعهم (موشى ديان) بالذات . بالرغم من أنه متزوج من يهودية محافظة هي السيدة (روث بايلس) منذ ٣٦ سنة كان يخونها باستمرار ويصادق اليهوديات من وراء ظهرها . حتى ان أحدا من ضباطه لا يجرؤ على دعوته الى منزله خشية أن تقع عينه على زوجته .

بتاريخ ١٥/١٢/١٩٧١ علمت زوجته (روث) أنه يقيم علاقات غرامية مع اليهودية (اليشيفاتشاسيس) : وراقبته حتى شاهدته بنفسها . فطلبت الطلاق منه وأصرت على ذلك . ونظرا لمكانته واحترامها وافق فورا على الطلاق الذي



ايضا موشي دايان وهذه صورته بين
يدي عشيقته التي سببت طلاقه من
زوجته بعد زواج استمر حوالي ٣٠ سنة

وقعه في ٢٨/١٢/١٩٧١ الطرفان بحضور الحاخام الاكبر بعد أن تأكد أن ادايان كان يقضي الليالي مع عشيقته وبعيدا عن منزله العائلي وواجباته الزوجيه ..

المخابرات الاسرائيلية تطلب من الاسرائيليين تعلم اللغة العربية :

ان الجيش الاسرائيلي قلق لاسباب عسكرية من ضآلة عدد الذين يجيدون اللغة العربية . وقد صدرت جريدة عال همشمار بتاريخ ١٤/٣/١٩٧٥ بعنوان باللغة الاسرائيلية (أيها اليهودي تعلم اللغة العربية) ، وأعقب ذلك تصريحا للواء شلوموغازيت رئيس المخابرات العسكرية الاسرائيلية جاء فيه :

هناك حاجة ملحة الى مئات الذين يعرفون اللغه العربية ، إن الجيش الاسرائيلي يفتش عن هؤلاء في كل مكان . اننا نعيش في الشرق الأوسط ، ويجب أن نندمج فيه لا سيما ، وتعيش بين ظهرانينا (أقلية)[1] تشكل ١٥٪ من السكان . ولا نسمح لانفسنا بأن لا نعرف لغتها . ان تعلم هذه اللغة هو احدى الوسائل اللازمة لسد الهوة القائمة بيننا وبين العرب . وكرئيس لشعبة المخابرات في الجيش الاسرائيلي أوصي بتعليم اللغة العربية كلغة الزامية ، وأوصي بانشاء فصول اسلامية في المدارس الثانوية .

عند ذلك بدأ (٣٥) ضابطا من ضباط المخابرات الاسرائيلية من ٢٠/٣/١٩٧٥ الى ٣٠-٣-١٩٧٥ نشاطا واسعا في المدارس لتشجيع تعلم اللغة العربية وتحسين سمعة المخابرات الاسرائيلية لانه لم يعد سرا أن سمعة المخابرات الاسرائيلية بعد حرب تشرين التي يسمونها (حرب يوم الغفران) قد أصيبت بنكسة لدى الاسرائيليين ، وأخذت المخابرات الاسرائيلية تعدد دورات خاصة

---

(١) انكلمة اقلية التي جاءت ضمن تصريح رئيس المخابرات العسكرية الاسرائيلية المقصود منها اظهار الفلسطينيين الباقين في الارض المحتلة بانهم اقلية ثم ان نسبة الـ ١٥٪ التي ذكرها ايضا هي افتراء . والجميع يعرف النسبة الحقيقية لوجود الفلسطينيين داخل الارض المحتلة رغم جميع عمليات الطرد الجماعي والتهجير والسجن والتعذيب ..

لتعليم اللغة العربية ، تستمر عدة شهور على حساب الخدمة العسكرية . وسوف يستفاد من الناجحين بالدرجة الاولى في المخابرات ، وفي الدرجة الثانية في الارض المحتلة بعد ١٩٦٧ . وستصدر تباعا عن المخابرات الاسرائيلية كتيبات خاصة تشتمل على معلومات عن الشرق العربي ومختلف المواضيع المتعلقة به .

رئيس ثالث للمخابرات الاسرائيلية :

بعد هذه الجولة مع المخابرات الاسرائيلية وحرب الايام الستة وبعض صفات الصهيونية والمخابرات . نعود الى متابعة أعمال هذه المخابرات .

اثر تقاعد رئيسها السابق (ماير أميت) كان الملحق العسكري الاسرائيلي في لندن يقيم حفلة وداعية بمناسبة عودته لاسرائيل، وحسب الاعراف الدبلوماسية حضر الدوق (دوكنت) هذه الحفلة ، ممثلا عن الملكة اليزابيت واتحى بالجنرال المحتفى بوداعه (زفي زامير) ، وسأله عما سيفعله في اسرائيل ، أجابه : سأدخل في صناعة النسيج . كان يعرف نفسه منذ ثلاثة أسابيع أنه سيصبح الرئيس الثالث للمخابرات الاسرائيلية .

لديه خبرة سياسية ومحنك ، صديق لدايان ولد في بولونيا عام ١٩٢٥ ، ثم حضر مع أبويه الى فلسطين ١٩٢٦ . أنهى دراسته الثانوية وانتسب الى (البالماخ) وعمره سبعة عشر عاما سجن عام ١٩٤٦ من قبل البريطانيين لاشتراكه في تهريب يهود . في عام ١٩٤٨ قاد كتيبة لشق طريق القدس اتبع دورة أركان في لندن ١٩٥٤ . أصبح قائد كتيبة عام ١٩٥٦ وبعدها ترك الجيش وحصل على شهادة جامعية في تاريخ الشرق الاوسط . تعامل ووسع شبكة المخابرات في غزة للقيام بنشاط مضاد للفدائيين ، حتى شغل منصب الملحق العسكري في لندن ،بالاضافة الى كونه ممثلا وزارة الدفاع من أجل شراء الاسلحة البريطانية ، ومنها معمل لتركيب دبابات (تشيفتن) ، ولكن هذه الصفقة ألغيت مع اسرائيل بسبب انذار بعض الدول العربية بمقاطعة بريطانيا اقتصاديا . وأول هذه الدول (ليبيا) شاهد زفي أثناء دراسته الاركان في لندن الفريق سعد الدين الشاذلي الذي أصبح فيما بعد رئيسا للاركان المصرية ، ومن ثم قاد وحدات العبور لخط بارليف

بشجاعة فائقة ، وبعدها ترك الجيش ليلتحق بالعمل السياسي كسفير لجمهورية مصر العربية في لندن .

ويعود السبب في تعيينه رئيسا للمخابرات الاسرائيلية الى صداقته مع ليفي أشكول بالذات ، ولان ليفي أشكول معجب بسجله النظيف وماضيه في خدمة الصهيونية وكتمانه الاسرار ...

بدأ زفي تنظيم المخابرات الاسرائيلية على طريقة المخابرات البريطانية في وضع الجميع تحت المراقبة وضمن امكانية المخابرات تم توسيع ارشيف المخابرات الاسرائيلية وجعله يضاهي أرشيف المخابرات البريطانية أيضا بحيث يجاب طلب أي فرع مخابرات الاستعلام عن أي شخص هاتفيا من الارشيف خلال دقائق فقط .

وسيبقى زفي رئيسا للمخابرات الاسرائيلية مدة من الزمن ثم يستبدل بغيره ، وتسير المخابرات الاسرائيلية في خططها ، وتسير المخابرات العربية في خططها المعاكسة وليس على القارىء سوى اليقظة التامة والاحتفاظ بذاكرته عن طريقة عمل المخابرات العدوة ليتجنبها ويخبر حالا عما يطلب منه ، ليكون بذلك قد أدى واجبا قوميا يعادل واجب الجندي الذي يقف بسلاحه في وجه اسرائيل .

انسانية المخابرات الاسرائيلية :

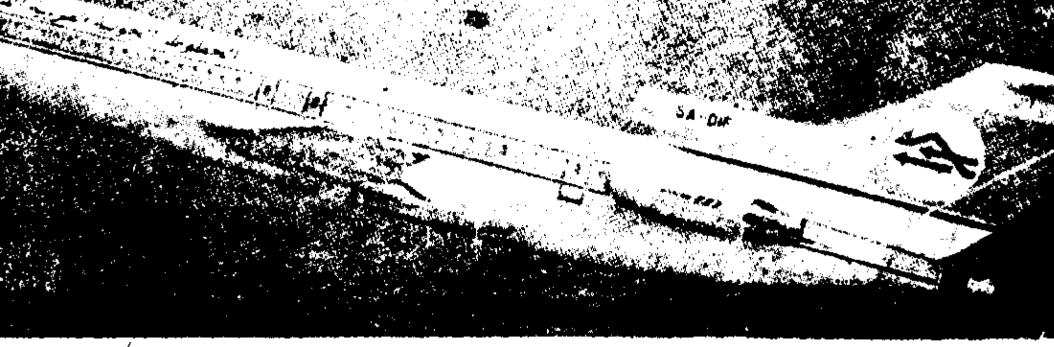
اعتمدت المخابرات الاسرائيلية أحدث طرق التعذيب مع المواطنين العرب أصحاب الارض ، وذلك لاستخلاص المعلومات منهم عن (الفدائيين) ، وقصة الطالب الفلسطيني (مؤيد عثمان الجش) خير دليل على ذلك حيث اعتقلته المخابرات الاسرائيلية في بلدته نابلس ، بعد أن علمت بذكائه ووطنيته . وطلب الرائد (باروخ) رئيس فرع المخابرات الاسرائيلية في نابلس منه شخصيا التعاون معه لمعرفة خلايا الفدائيين وتحركاتهم في الارض المحتلة ، ووعده بأن يضع تحت تصرفه ما يرغب من المال شهريا حتى تخرجه كما وعده باعطائه كافة التسهيلات له ولعائلته . ولكن (مؤيد) رفض كل هذه المغريات . عند ذلك ظهر (باروخ) على حقيقته وهدده بنسف منزله وتشريد أهله ، وحتى الاعتداء على شقيقاته ، ومع ذلك لم يرضخ (مؤيد) . فنقل الى السجن وبدأ تعذيبه لمعرفة أية معلومات منه وكان التعذيب يجري بحضور (باروخ) ومشاركته . فكان (مؤيد) يضرب

بعصى لفتّت بالاسلاك الشائكة ، ثم يضرب بعصى بلاستيكية على مختلف أنحاء جسمه (بعد نزع ملابسه) ثم ركزوا الضرب على (رأسه) لكي يتألم ويبوح بما يعرف . وأخيرا بدأت الكهرباء فأخذوا يرسلون صدمات كهرباء في آذانه أولا ثم الاماكن الحساسة منه وهو يصيح صياحا يفتت الاكباد من ألمه ، وكان يغمى عليه فيترك لليوم التالي حيث يستعيد وعيه ، فتعود (حفلة التعذيب) من أولها . ولما لم تستنفد المخابرات من كل ذلك أحضرت أسرته وعذبوها على مرأى منه ، حتى لفظ والده (عثمان الجش) أنفاسه بين يدي جلادي المخابرات الاسرائيلية ، فسلموا جثته الى من بقي من العائلة . ونقل (مؤيد) الى سجن الانفراد ويحمل الرقم (٣٢٠) . وأقيمت له (حفلة تعذيب وداعية) باطلاق الكلاب البوليسية المتوحشة عليه ، وهو مقيد اليدين والقدمين التي نهشت أجزاء من جسمه ، ثم ألقي في زنزانة طولها متر وعرضها ٧٠ سم ولها سقف متحرك وفيه مسامير (كالتي نشاهدها في الافلام) فغاب عن الدنيا ، ولم يشعر بنفسه بعد ذلك الا وهو في مستوصف أردني بعد أن ألقت بـه المخابـرات الاسرائيلية في الاراضي الاردنية (حطام انسان) .

وهذه قصة من عشرات القصص التي تتـم يوميا في سجون المخابرات الاسرائيلية .. ولذلك ترفض اسرائيل دخول أي لجنة تحقيق الى السجون والمعتقلات العرب ..

المخابرات الاسرائيلية وسبب اسقاط طائرة الركاب الليبية في ١٩٧٣/٢/٢١ :

تقدمت المخابرات الاسرائيلية في مطلع عام ١٩٧٣ الى الحكومة الاسرائيلية بتقارير تفيد أنها حصلت على معلومات وثيقة بأن احدى المنظمات الفدائية تنوي القيام بعملية انتحارية فوق اسرائيل ، وذلك باختطاف طائرة ركاب والتوجه بها نحو أحد مراكز تجمع السكان في اسرائيل والتهديد بالسقوط انتحاريا اذا لم تستجب الحكومة الاسرائيلية للانذار الذي سيوجه اليها باطلاق سراح جميع السجناء الفلسطينيين المعتقلين في السجون الاسرائيلية ، وحولت هذه التقارير الى وزير الدفاع لاتخاذ ما يلزم وبدوره حولها الى دافيد اليعازر رئيس أركان جيش الدفاع الاسرائيلي .



رغم وضوح العلامة المميزة لطائرة الخطوط الجوية الليبية للعيان فقد أطلقت الطائرة الاسرائيلية المطاردة النار عليها وأسقطتها بمن فيها من الابرياء متخطيـــة ومتحدية جميع الاعراف الدولية •

اسقاط الطائرة الليبية :

بتاريخ ٢١/٢/١٩٧٣ ظهرت على شاشات الرادار الاسرائيلية في سيناء المحتلة طائرة اجتازت الحدود من مصر الىالاراضي المحتلة(جنوبي قناة السويس) ثم غيرت خط سيرها الى الشمال في اتجاه وسط سيناء،ومن ثم (وسط اسرائيل)، وعلى الفور انطلقت نحوها طائرتانمقاتلتان من سلاح الجو الاسرائيلي ، وعندما لحقتا بالطائرة (الهدف) ذهل الطيارون عندما شاهدوا طائرة بوينغ ٧٠٧ مدنية وعليها اشارات الخطوط الجوية العربية الليبية ، وهي تطير باطمئنان فوق سيناء، فسبقها أحد الطيارين وطلب من قائدها بواسطة الشارات المتعارفعليها وبواسطة حركات بالايدي الهبوط في مطار ريفيديم العسكري (في بئر جفجافة) • فاعتقد طياروا البوينغ (واحد فرنسي والاخر ليبي) أن هذه الطائرات المقاتلة هي طائرات عربية مصرية فاستعد للهبوط حسب الاشارة (وهما بالاصل ضلاّ خط سير الطائرة لهبوب عواصف رملية شديدة فوق سيناء) • وهبطا قليلا باتجاه مطار رفيديم وما أن شاهدا العلم الاسرائيلي يرفرف على المطار ، حتى ارتفعا فورا بالطائرة ، وغيرا خط سيرها جنوبا عائدين الى مصر • وقد لحقت بها مجددا الطائرتان الاسرائيليتان ، وعاد الطياران الاسرائيليان لاعطاء اشارات بالهبوط (كانا بنفس الوقت وخلال هذه الدقائق على اتصال بقيادة سلاح الجو ثم برئيس الاركان دافيد اليعازر الذي كان في هذه الدقائق في حمام منزله يحاول الاتصال بموشي دايان وزير الدفاع الذي كان في منزله في ضاحية (تسهالا) مع عشيقته (اليشيفا) ، ومع أن لدى دايان أحد أحدث أجهزة الاتصال المتطورة في العالم

فلم يفلح اليعازر بالاتصال به ، وأعطى أمرا منه وعلى مسؤوليته وهو في الحمام . باسقاط الطائرة الليبية اذا لم تستجيب لطلبات الهبوط) •

عندما استلم الطياران الاسرائيليان الامر لاسلكيا باسقاط الطائرة اذا لم تستجب لطلب الهبوط كانا قد شكلا قناعة بأن الطائرة قد ضلت طريقها وهي الان عائدة الى خط سيرها الاصلي ، فيجب منحها فرصة الافادة من الشك للانصراف من المجال الجوي الاسرائيلي بسلام • ولكن الامر الصادر اليهما كان واضحا ومكررا : اسقاط الطائرة اذا لم تستجب لطلب الهبوط • وهما يظنان أن دافيد اليعازر عندما أصدر هذا الامر منذ ثوان نهما كان يجلس في غرفة العمليات يراقب هذا الوضع الخطير (بينما كان في الحمام يغتسل من غبار اعتداء قواته على مخيمات اللاجئين شمال بيروت) •

اتخذ الطياران الاسرائيليان وضع الهجوم وأطلقا بعض الطلقات التحذيرية نحو مقدمة الطائرة • وعندما لم يساعد هذا الامر أطلقا نحو مفصل أجنحة الطائرة بهدف اجبارها على الهبوط اضطراريا قبل أن تتمكن من عبور قناة السويس عائدة الى مصر وبالفعل بدا لهما وكأن الطائرة على وشك الهبوط في سهل رملي في سيناء ، وعندها حدث انفجار هائل واشتعلت الطائرة بأكملها ، وهوت الى محاذاة الارض ثم انفجرت وتناثرت الى قطع وشظايا تلفها النيران مع جثث الركاب البالغ عددهم مائة وستة • وغالبيتهم من المصريين والليبيين ، وبينهم نساء وأطفال • ونجا بعض المسافرين بأعجوبة ، ومنهم الطيار المساعد الليبي الذي عولج في أحد مستشفيات اسرائيل فيما بعد •

وعاد الطياران الى قاعدتهما ، بعد أن نفذا جريمة جماعية جديدة من جرائم اسرائيل • بينما عرف العالم بما أقدما عليه بايعاز من دافيد اليعازر الذي ادعى فيما بعد بأنه بعد اعلامه مسبقا من قبل المخابرات الاسرائيلية عن امكانية قيام احدى المنظمات الفدائية بعملية انتحارية • اعتقد عندما أعلمته قيادة القوى الجوية بأن طائرة مدنية تحمل شارات ليبية قد اخترقت المجال الجوي الاسرائيلي آتية من (مصر) ، بأن هذه هي طائرة (الانتحار) التي أعلمته المخابرات عنها لذلك كانت هناك أهمية كبرى للحيلولة دون استمرار توجه الطائرة نحو مراكز

تجمع السكان في اسرائيل • لهذا السبب أصدر رئيس الاركان الاسرائيلي الامر باعتراض الطائرة واسقاطها اذا لم تستجب لاوامر الهبوط في رفيديم • ومع ذلك فقد أسقطت الطائرة وهي في طريقها للخروج من المجال الجوي الاسرائيلي (هاربة) ، بعد أن شاهد طياراها العلم الاسرائيلي على مطار رفيديم وعرفا أنهما ضلا الطريق •

بعد أن سقطت الطائرة واستشهد أكثر من مائة من الركاب المدنيين الابرياء اتضح للمسؤولين الاسرائيليين أنه حدث خطأ مأساوي مروع نتيجة تقويمات خاطئة وحكم غير صحيح وأمر من رئيس الاركان (متهور) وتنفيذ من الطيارين في غير محله • ولم يكن هناك شيء تستطيع اسرائيل عمله أكثر من التعبير عن الندم والاعتراف بالخطأ والاعتذار علنا وعلى مسمع من العالم والتعهد بالتعويض على عائلات الشهداء • أما في داخل اسرائيل حيث الشعب الاسرائيلي مغلوب على أمره ، فقد جندت القيادة العسكرية والسياسية كل قوتها لتبرير العمل • والتغطية على المسؤولين عن الخطأ ابتداء من موشى دايان الذي كان مع عشيقته الى دافيد اليعازر الذي كان يأخذ دوشا الى الطيارين اللذين استخفا بأرواح الناس وكان بامكانهما تلافي الكارثة •••

فقد قيل للرأي العام الاسرائيلي بأن الطائرة لم تستجب لطلب الهبوط لمعرفة سبب وجودها في المجال الجوي الاسرائيلي ، ثم قيل للرأي العام أيضا بأن رئيس الاركان وحده يملك صلاحية اصدار هذا الامر باسقاط الطائرة لانه من المحتمل واستنادا لتقارير المخابرات أن تكون طائرة انتحارية • وهذا يعني أن رئيس الاركان يملك صلاحيات جبارة في تقرير مصير البشر ، فقد اتضح بأن من صلاحية رئيس الاركان أن يصدر أمرا باسقاط طائرة مدنية (مشتبه بها) دون حاجة الى موافقة الحكومة أو حتى (وزير الدفاع) وها هو قد ارتكب خطأ ذهب ضحيته أكثر من مائة نفس بريئة وهذا ليس أمرا بسيطا فاذا كان رئيس الاركان مهيأ لارتكاب خطأ بهذا الحجم فليس هناك أي ضمانة تحول دون ارتكابه أخطاء مماثلة في المستقبل ولو حدث ذلك في دولة ديمقراطية أخرى لاجبر المسؤولون عن الفاجعة الى الاستقالة من مناصبهم بل ومحاكمتهم • لكن

(اسرائيل) ليست (دولة) كسائر الدول وليست المرة الاولى التي يضيع الحق فيها ؛ فمنذ انشائها في فلسطين المحتلة وحتى الان وهي تنتقل من خطأ الى خطأ وكل أخطائها مذابح واعتداءات وتعذيب معتقلين حتى اسقاط الطائرة وليس من رادع لهـــا •••

كذبت اسرائيل ولو صدقت :

كشفت القيادة الاسرائيلية القناع البشع عن وجهها عندما اشترك كل من موشي دايان وغولدا مائير بتغطية مرتكبي الفاجعة الاثمين ، وكان هذا المظهر وقحا لقيادة دولة تدعي أنها اعتمدت تقريرا خاطئا لمخابراتها أدى الى مقتل أناس أبرياء وكانت هذه التغطية عرضا بارزا لبلادة الحس والضمير والتفكير لدى الحكومة (ككل) ورئيس الاركان ومن ورائهم (الكنيست) كل منهم كان مستعدا للتغطية على الاخر لكي يطمسوا خطورة هذا العمل حتى ان كل من انتقد هذا العمل في داخل اسرائيل وطالب بمحاكمة الطيارين أو استقالة موشى دايان ورئيس أركانه وصف (بالخائن) • ولم تمض عدة شهور على الكارثة حتى اختطف شخص (ليبي) يدعى محمد التومي مختل القوى العقلية طائرة ركاب لبنانية من طراز بوينغ ٧٠٧ أيضا كانت في طريقها من بنغازي الى بيروت ، وأجبر قائدها على التوجه الى اسرائيل والهبوط في مطار اللد ، فكيف تم ذلك ولم تعترضه طائرات سلاح الجو الاسرائيلي ، ولم يصدر دافيد اليعازر الامــر باسقاطها (من الحمام) • عندما أسقطت الطائرة الليبية تذرع اليعازر بالتخوف من كونها خاضعة للفدائيين وينوون التوجه بها الى احدى المدن الاسرائيليــة وتفجيرها اذا لم يستجب لمطالبهم وانه أصدر الامر (للحؤول) دون تنفيذ العملية الفدائيــة •

وعندما اختطف (التومي) الطائرة اللبنانية من فوق قبرص وأمر قائدها بالتوجه الى مطار (اللد) مارا بتل أبيب • نجح في تنفيذ ما وصف بأنه غير قابل للتنفيذ فقد حلق بالطائرة ومن فيها فوق عدة مدن اسرائيلية ومنها تل أبيب بدون أن يعلم أحد أن الخاطف شخصية غريبة (محب لاسرائيل) كما ادعى حين

هبوط لطائرة في اللد وصعود أفراد الجيش الاسرائيلي اليها فكيف يكون الامر لو أن هذا المحب لاسرائيل ـ المجنون كـان فدائيا عربيا أو كاميكازاً يابانيا انتحاريا ينوي تفجير الطائرة فوق تل أبيب بالذات . من هنا يتضح لنا كيفية سير الامور في اسرائيل حيث كان يعمل كل على هواه ومسؤوليته وأخيرا يتعاون الجميع لطمس الفضائح والظهور أمام الرأي العام بمظهر الحمل الوديع الذي تحيط به الذئاب .. ويعتبر وزير الشرطة في اسرائيل شلومو هيل ، والقائد العام للشرطة الاسرائيلية شاؤول روزوليو ، ونائبه ايلي ديكل الرجل الثاني في الشرطة الاسرائيلية ، والعميد يعقوب فيدمي المشرف على الامن الجنائي الاسرائيلي، والمقدم يحزقال كدني من قيادة الشرطة، والمقدم رؤوبين فيكوفسكي رئيس التحقيقات ، والمقوم شموئيل تسمي الناطق الرسمي بلسان الشرطـة الاسرائيلية . ورئيس ما يشبه التوجيه المعنوي كل هؤلاء يضعون أنفسهم تلقائيا تحت تصرف المخابرات الاسرائيلية لدى حدوث أي طارىء مفاجىء مثل هجوم الفدائيين اليابانيين على مطار اللد أو اختطاف الطائرة الفرنسية الى أوغندة وغيره وذلك تنفيذا لاوامر (دائمة) وصادرة من أعلى المستويات في اسرائيل .



الجنس والمال احتلو [illegible]

البحث القانوني لارتكاب أعمال التجسس

بعد سبر غورأعمال التجسس ومراجعة بعض الاعمال التجسسيةومنجزات مشاهير الجواسيس وغير ذلك من مكتشفات المخابرات ، نرى أن نقدم الى القارىء الكريم البحث القانوني فيما يتعلق بارتكاب أعمال التجسس،ومايرافقها، وما ينتج عنها من الحاق الاذى العميق في الدول في زمن الحرب والسلم معا ، واختلاف القوانين في مختلف الدول العربية ونصوصها التي وضعها المشرعون في معاقبة الذين يرتكبون أعمال التجسس وان من المعروف والسائد بأن أغلب الجواسيس ما أن تسمع بنبأ اعتقالهم من السلطات المختصة الا ونصبح ننتظر اعدامهم في الساحات العامة ، لان عشرات الجواسيس أعدموا فعلا في البلاد العربية لاداتهم بالتجسس بعد عام ١٩٤٨ وحتى يومنا هذا . غير أن بعض الجواسيس لا يعدمون ولا تجرى لهم أية محاكمة لان في ذلك مصلحة عليا للدولة التي يعتقل فيها هؤلاء الجواسيس (مثل التبادل) ، واذا حوكموا تكون محاكمتهم صورية بالاتفاق مع المخابرات التي يؤول اليها أمر التصرف بهم بعد انتهاء المحاكمة ، وذلك لمساومة دولتهم لتبادلهم مع جواسيس معتقلين في الطرف الاخر ، كقضية تبادل الكابتن (بورز) قائد طائرة التجسس الاميركية يو ٢ مع الكابتن رودلف ايفانوفيتش المعتقل من قبل المخابرات المركزية الاميركية . ونظرا لان القوانين متشابهة في البلاد العربية بالنسبة لارتكاب أعمال التجسس رأينا أن نقدم في هذا الكتاب بحثا قانونيا عن عقوبات التجسس في جمهورية مصر العربية باعتبارها رائدة القوانين ومنها تخرج معظم الحقوقيين في البلاد العربية . كما يضم هذا البحث بعضا من مواد العقوبات في بعض القوانين الدوليةوالعربية مما يجعل القارىء في نهاية المطاف يعيش لحظات ممتعة مع القانون وعقوبات التجسس بطريقة شيقة مقبولة ومتممة لفصول هذا الكتاب .

أساس البحوث في جرائم التجسس التي وضعها كبار القانونيين لمحاكمة الجواسيس:

ان أساس هذه البحوث المتممة لكتاب المخابرات تحرك العالم ٠ يرجع الى ما كتبه شراح القانون مثل (جارسون) و (جارو) و (دونديه دي فابر) بالاضافة الى مختصر (داللوز) وبحث المستشار محمود اسماعيل والدكتور القللي وما استقرت عليه أحكام النقض في فرنسا وما ذهب اليه شراح القانون الجنائي ومنهم (بيير كازابيانكا) في تعليقاته على قانون العقوبات الايطالي ٠

وقد نقلت أصلا جرائم أمن الدولة من جهة الخارج أي الجرائم التي تمس سلامة الدولة في كيانها كوحدة دولية عند وضع قانون العقوبات الفرنسي المواد من ٧٥ والى ٨٥ ٠ وأصبح هذا القانون الذي أخذت بعض الدول العربية قوانينها عنه بحاجة الى تعديل لانه وضع في فرنسا من أجل حماية الجمهورية الفرنسية من أعدائها المهاجرين ، والى تأمينها ضد مؤامراتهم ومكائدهم ، ومناصرة الدول الاخرى لهم ٠ فكانت النصوص منسقة مع هذا الغرض فقط ٠ على أن تطور الظروف الاجتماعية ، وتطور أساليب الصراع بين الدول ، ونشاط الجاسوسية في كل منها ، وبث عيون الدول بعضها على البعض في كل مكان ، والاغداق عليهم بغير حساب للوقوف على الاسرار الحربية والسياسية ، وبذر بذور الهدم في مختلف الميادين ، كل ذلك قد دعا المشرع الفرنسي الى العمل على معالجة هذه الاخطار الجديدة في قانون الجاسوسية الذي صدر في عام ١٨٨٦ ٠ ولما أظهرت الحرب العظمى خطر الجاسوسية أثناء السلم أيضا ، ضيق المشرع من شباك العقاب حتى لا تفلت الافعال الاجرامية الكثيرة ٠ كما أنه لما امتد شرالجاسوسية في أيام السلم الى الميادين الاقتصادية والصناعية والدبلوماسية والميادين المعنوية، وأصبحت الدعايات الخبيثة والاشاعات من أمضى الاسلحة التي تعمل على تفكيك وحدة الامة بشتى الوسائل،واضعاف الروح المعنوية بالوعود والاكاذيب والاختلاق ، وبدأت الدول المعادية تتخذ أعوانا لها من ضمن مئات المتزمتين أو الحاقدين أو المرتزقين أو الخونة أو ذو الغفلة الذين يغرر بهم ٠ بدأ المشرع

الفرنسي يفكر جديا في تعديل نصوص قانون العقوبات فأصدر عام ١٩٣٩ قانونا جديدا معدلا ومن ثم عنيت بهذا التعديل جميع الدول الاجنبية التي تأخذ قوانينها عن القانون الفرنسي ومنها ج٠م٠ع ٠

المشرع العربي :

لم يتأخر المشرع العربي في أن يجاري روح العصر ولم يقصر في حماية البلاد العربية من هذه الافكار والاعمال التخريبية ، فأصدر في مصر عام ١٩٤٠ القانون رقم ٤٠ الذي عدل بموجبه أحكام الجرائم المختلفة الخاصة بأمن الدولة مستمدا مواده من القانون الايطالي والتركي والروماني ، ووضعت مذكـرة ايضاحية وافية عند فحص واقرار كل مادة من مواد القانون المراد تطبيقها في قضية الاخلال بأمن الدولة والقضايا المماثلة ٠ وتبعته بقية الدول العربية في التعديل بما يتلاءم مع الوقت الذي أصبح فيه التجسس عملا اداريا متمما لباقي أعمال مختلف ادارات كل دولة ٠٠٠ ولذا جاء في المذكرة الايضاحية لهـذا القانون ما يلي :

ان الباب الاول من الكتاب الثاني من قانون العقوبات الخاص بالجنايات المضرة بأمن الدولة من جهة الخارج المعمول به اذا قورن بمثله من القوانين الاخرى يجب أن يعتبر نظاما تشريعيا ناقصا لا يتفق مع مقتضيات الاصول الحاضرة في البلاد ٠ اذ أن الباب نفسه لا يتضمن غير تسع مواد تنص الاربعة الاولى منها على الافعال التي ترتكب في سبيل اثارة حرب ضد (مصر) (المادة ٧٨) أو مساعدة العدو أثناء الحرب بالاندماج في صفوفه (المادة ٧٧) أو تسهيل دخوله للبلاد أو تسهيل تقدمه أو العمل على انتصاره بأية طريقة كانت (مادة ٧٩ والمادة ٨٥) أو افشاء الموظف الحكومي (سرا خاصا) يعرفه بحكم وظيفته مثل : مخابرة أو نقل معلومات عسكرية أو رسومات الاستحكامات والملاجىء والترسانات المسلحة والموانىء ٠ وعلى تجريم من (يخفي الجواسيس) بنفس عقوبة الجاسوس ٠

ومفهوم هذه الاحكام كلها من الاول في اشارتها للعدو لان الجرائم ترتكب

في زمن الحرب الا أنه اذا كانت جرائم أمن الدولة يجوز أن ترتكب وقت السلم أو عند التهيؤ واتخاذ العدة للحرب ، فينبغي للحكومة ألا تقف مكتوفة اليدين ازاء (أفعال) من شأنها اضعاف الدفاع عن أراضيها أو الحاق الضرر بها أو أعمال قد يترتب عليها فيما بعد آثار بالغة الخطورة عن سير الأعمال الحربية أو الاعمال الدفاعية فضلا عن أن كثيرا من الجرائم لم ينص عليها أو أن النص عليها (غير كاف) لانها نقلت أصلا عن القانون الفرنسي الصادر عام ١٩١٠ يوم كان لا يتناول الا الجرائم التي كانت معروفة أيام (نابليون) .

ولما كانت الحروب تتخذ صورا وأساليب حديثة لم تكن معروفة في الماضي حين كان القتال قاصرا على قوات تلاقي بعضها البعض . أما اليوم وقد اتخذت الحروب صورا أعقد وأشكل كثيرا من ذوي قبل حتى في ساحات القتال ، لذلك فمن الواجب أن يكون الاستعداد لهذه الحروب شاملا وتعبأ لها كلّ طاقات الامة ، لانها أصبحت تقع كذلك في الميادين السياسية والاقتصادية والدبلوماسية ولذا فقد استحدثت أنواع من الافعال الجنائية لم تكن تعرف في الماضي وأصبح من المفروض على الدولة أن تتقنها وتدفعها عن نفسها ...

ولهذا فقد عدلت الحكومات أغلب قوانينها ومنها تركيا (تعديل ١٩٢٦) ايطاليا (تعديل ١٩٣١) ورومانيا (تعديل ١٩٣٧) أما البلاد الاخرى ومنها (فرنسا ـ بريطانيا ـ بلجيكا) فقد عدلت قوانينها لهذه الغاية مرارا من قبل . ولذا رأت مصر أن من الاوفق فيما يتعلق بهذا الباب أن تصوغه من جديد بتعديل أشمل وأوفر ، وأن لا تفرق بين الوطني ـ والاجنبي في العقاب أو التسمية لان في السابق كانت هذه الجرائم اذا ارتكبها الوطني (تعتبر خيانة عظمى) واذا ارتكبها الاجنبي (تعتبر تجسسا) وعلى هذا الاساس عدل (المشرع) صياغة المواد القانونية فعبارة (رفع السلاح على مصر) التي هي عبارة صيغة المدلول ولا تتفق كثيرا مع أحوال الحروب الحديثة ، وكذلك عبارة (الاتصال بصفة غير مشروعة بدولة أجنبية أو أحد مأموريها) رؤى أن يضاف اليها : أو أي شخص يعمل لمصلحتها ، لتكون أوفى وأشمل لانه أصلا كان يجب أن تقع الجريمة لاثبات أن الشخص الذي اتصل به الجاني هو أحد مأموري الدولة الاجنبية .

وكان هذا الاثبات متعذرا في الكثير من الاحوال لان هذه الصفة تترتب على وجود وثائق أو وقائع لا يمكن معرفتها الا بتحقيق في الخارج وكان من الممكن مع وجود هذه القيود أن تفلت من العقاب أعمال اجرامية لا شك في أنها ترقى قيمة الى إستبداد دولة على دولة ، أو تمكينها من العدوان بسبب عدم اقامة الدليل على ركن من الاركان المكونة للجريمة . كما رؤى أن تحذف عبارة ــ الحرب أو المحاربة نظرا لما دلت عليه الحوادث من جواز وقوع قتال بدون اعلان حرب ما (المادتين ٧٧ و ٧٨ ــ القديمة والمعدلة) .

كما أنه بالنسبة للمادة (٧٩) قديمة وهي الخاصة (بالقاء الدسائس لتسهيل دخول العدو أو تقدم سيره) ، فقد رأى المشرع التوسع فيهـا لان التخابر مع دولة أجنبية قد يكون له أغراض لا تخلو من المساس بأمن الدولة غير دخول العدو وهذه توجب أن لا تفلت من العقاب فجعل لذلك مادة خاصة أيضا وحدد لها قصد خاص هو الاضرار بالبلاد كما اعتبر التخابر مع دولة معادية دليلا على سوء القصد ، وشدد العقاب بالنسبة للموظف أو الشخص ذي الصفة النيابية العامة ــ أما بالنسبة لاسرار الدولة وافشائها ومنها الدعاية المثيرة (الاشاعات) ، فنظرا لان القانون القديم لم يكن ينص على « افشاء سر مخابرة أو ارسالية عسكرية أو رسومات الاستحكامات أو الموانىء أو الترسانات » ونظرا لقصور هذا النص وعدم كفايته حتى فيما يتعلق بالاسرار الحربية(الصرفة) فقد رؤي تعديله لانه كان من أثر تعقيد الحروب الحديثة أن زاد عدد ونوع الاشياء التي يجب أن تظل مجهولة من الدولة الاجنبية والتي اذا (علمت) أضرت بالاستعدادات الخاصة بالدفاع عن البلاد في زمن السلم وبالدفاع ذاته في زمن الحرب .

كما أن هناك معلومات كثيرة في النواحي السياسية والاقتصادية والعلمية والصناعية يجب أن تظل مكتومة كذلك ، لما قد يترتب على معرفة الدول الاجنبية لها من اضعاف لقوة البلاد ، فمثلا البيانات الخاصة (بحالة التموين) في البلاد فيما يتعلق ببعض الحاصلات أو المحصول الرئيسي ، أو بمقدرة انتاج المصانع الحربية أو بطرق الصناعة أو بالاختراعات العلمية التي ترمي الى تغذية التسليح

هي من الاسرار الهامة التي يجب اخفاؤها عن الدول الاجنبية ، وليست هذه الناحية بأقل من رسومات الاستحكامات أو الخطط التي تقرر (هيئة أركان الحرب لاتخاذها في الاعمال الحربية) ولذا عدلت المواد أخذا بالقوانين الاجنبية الاخرى لتشمل كل ما يعد سرا ، وجعل الحق للحكومات في تقرير أهمية هـذه المعلومات وضرورة حمايتها ولذا سميت (الاسرار الحكومية) . وقد صيغت المادة (٨٠) عقوبات على هذا النحو : وترك أيضا للمحكمة أن تأخذ رأي السلطات ذات الشأن اذ هي أقدر من غيرها على الحكم على أهمية الوثائق أو المعلومات المفشاة التي تجري بشأنها المحاكمة وتقدير مدى سريتها ــ وقد قالت المذكرة الايضاحية في هذا الشأن بما نصه :

«ان المهم في الامر هو الغرض الذي يرمي اليه الجاني فغير ذي بال الصورة التي يجري فيها تحقيق هذا الغرض أو الوسائل التي تستعمل في ذلك بل انه ليس من المحتم أن يكون السر قد عرف بأكمله فان عبارة بأي وجه الواردة في المادة (٨٠) يراد بها أن تطبق العقوبة ولو لم يفش من السر الا (بَعضهُ) وكذلك لو كان السر أفشي على وجه خاطىء أو ناقص » ...

وتوجد الجريمة كذلك ولو لم يتحقق الغرض المقصود منها بل انه ليكفي أن يحصل شخص على سر من هذا القبيل وأن يثبت أنه كان ينوي تسليمه لدولة أجنبية ولم يحصل التسليم فعلا ...

ونظرا لما أظهرته الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ ــ١٩١٨ من أهمية وسائل المخابرات السرية التي تستعمل لجمع المعلومات الحربية أو ارسالها ، ولانه لولا هذه الوسائل لتعذرفيالكثير من الاحوال تسليم هذه الاسرارالى الدولالاجنبية. فرؤى أنه يجب أن يتناول العقاب تنظيم واستعمال هذه الوسائل أيا كانت المخابرات الاجنبية حتى تثبت أن الغرض منها تسليم أسرار النفاع .

وهكذا كان الحال طبقا للقانون ٤٠ لسنة ١٩٤٠ المذكورة آنفا بعد حرب ١٩٥٦ لانه ظهر أن هذا القانون لايفي بالغرض المطلوب ولم يستوعب التعديل

كل الجرائم المضرة والتي تحدث فعلا في البلاد الاخرى • ولاجل أن تكون الصورة تامة ومحافظة على أمن الدولة رؤي مرة أخرى تعديل هذه المواد تعديلا شاملا فصدر القانون رقم /١١٢/ لسنة ١٩٥٧ في ١٩ مايو ١٩٥٧ (بعد قضية الجاسوسية الكبرى في مصر ١٩٥٦والتي جرى الحكم فيها • ولم يحفل القانون الجديد بمتابعة المذاهب المتفرقة بين التجسس والخيانة أو القصد الجنائي فيها ، بل جعل همه بيان الجرائم التي يراها ماسة بأمن الدولة وسلامتها في الخارج وما يجب لقيامها من الناحية المادية والمعنوية ودون أن يفرق بينها اذا ارتكبها أجنبي أو وطني وجعل العقاب لكليهما (سواء) لان النتيجة المترتبة على فعل أي منهما هي واحدة على كل حال •

تفسير القانون ١١٢ لسنة ١٩٥٧ :

استهلت المذكرة الايضاحية بيانها عن الجرائم التي تقع على أمن الدولة من جهة الخارج بأن هذه الجرائم بطبيعتها لا تقع على فرد أو أفراد ، وانما تصيب كل من يقيم على أرض الوطن • ولذا فرضت لها عقوبات خاصة لتكفل كيان الدولة وسلامتها ولتحفظ الامن في ربوعها ، وتحمي أنظمتها وسلطانها • وأنه مع تعديل هذه المواد خصوصا التعديل الشامل بالقانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٤٠ الذي صدر بعد الحرب العالمية الاخيرة فقد ظل الشعور قويا بأن أحكام قانون العقوبات في هذا الشأن خصوصا بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ يشوبها التخلف عن مسايرة أحوال البلاد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وأنه لما كانت البلاد قد حققت كامل استقلالها وسيادتها كدولة وجمهورية لذلك يتطلب المحافظة على هذه الاوضاع التي بلغتها ضد أي خطر يأتيها من الخارج أو يتألب عليها من الداخل وعلى هذا الاساس وضعت المواد الجديدة ونشرت بالمذكرة الايضاحية •

اهم المواد :

المادة ٧٧ ب عقوبات تنص على ما يلي

« يعاقب بالاعدام كل من سعى لدى دولة أجنبية أو تخابر معها أو مع أحد ممن يعملون لمصلحتها للقيام بأعمال عدائية ضد مصر •• » •

تفسير السعي :

السعي أصلا هو التصرف في كل عمل : فنقول سعى الرجل الى الصدقة أي عمل على جمعها من أربابها (والسعي) لغة ــ سعى ــ يسعى ــ سعيا ــ أي عمل ومشى وعدا الى آخره•••فالسعي يكون للدولة أو للشخص الذي يعمل لمصلحتها والمقصود بالسعي هنا هو كل عمل أو نشاط يصدر من الجاني ويقصد منه أي توجيه أو خدمة دولة أجنبية للقيام بعمل عدائي سواء تحقق أو لم يتحقق وقوع العمل العدائي نفسه وقد يكون ذلك عن طريق النميمة أو الوشاية كيفما وقعتا •

وكانت المادة (٨٧) القديمة تنص على أن يكون القاء الدسائس قد حصل للدولة أو المأمور دولة أجنبية مما كان يتعذر اثباته لان صفة (المأمور) هذه هي أمر متعذر الاثبات اذ هي تترتب على وثائق أو وقائع من الصعب عادة معرفتها الا بتحقيق من الخارج فيفلت نتيجة لذلك بعض الجناة من تطبيق النصوص عليهم ولذلك عدلت المادة الجديدة وحذف منها :

« أحد مأموريها » واكتفى بوضع نص شامل لها وهو « أحد ممن يعملون لمصلحتها فقط » فلا حاجة بعدها لاثبات الصفة •

والتعبير بالقاء الدسائس تعبير غير واضح وقد أوجد كثيرا من اللبس عند التطبيق اذ قد تكون الدسائس ألقيت وتم التخابر لغرض آخر • أو ليس لها أية أهمية بالنسبة للحرب وانما في الوقت نفسه لا تخلو من المساس بأمن الدولة أو يقصد بها فقط الاضرار بمركز الدولة الحربي أو السياسي أو الاقتصادي أو الدبلوماسي فحذفت جملة (القاء الدسائس) ووضع بديلها السعي والتخابر ومعناها واضح ومتسع المدلول كما أنه في نفس الوقت حذف من النص السابق جملة (بعد استعدائها أو تمكينها من العدوان عليها ••• الخ) أي التحريض على محاربتها ووضع بدل ذلك كله « القيام بأعمال عدائية » أي أيا كانت الاعمال العدائية لانه من الممكن كما تقدم أن يقوم قتال ومناوشات على الحدود كما

يقع عادة بين الحين والحين في هذه الايام بين البلاد العربية واسرائيل دون اعلان الحرب وأصبح لفظ « القيام بأعمال عدائية » يتسع لكافة صور العمل العدائي ولو لم يبلغ في الوصف العام أعمال الحرب أو حتى الاعمال التي لا يسبقها(اعلان حرب) وهذا مستفاد من نص المادة /٢٤٣/ من القانون الايطالي التي أخذت عنها مصر والتي تنص على وجوب العقاب سواء تحقيق الغرض من التخابر أو لم يتحقق من حيث قيام الدولة •

التخابر معها بأعمال عدائية والمادة ٢٤٣ تقرر :

L'auteut du dejit prevu est punissable, meme s'il est etranger, et quelle que soit sa residence. Si l'evenenement prejudiciable se produisait, c'etait une circonstance aggracante, le texte est analogue si la guerre survient, si les hostilite se realisent .

وعلى هذا الاساس أصبح قصد المشرع واضحا في المادة (٧٧) ب من حيث ضرورة العقاب على التخابر سواء تحقق غرض الجاني أو لم يتحقق ، فالنتيجة ووقوعها لا أثر لها على العقاب • كما وأن النص واضح من حيث انطباق المادة سواء في حالتي السلم والحرب ولو أن الغالب دائما أن يكون القيام بالاعمال العدائية هو تمهيد لحالة الحرب الا أنه ليس ما يمنع من تطبيق النص في حالة قيام الحرب بين دولتين حتى ولو كانت احدى الدولتين هي الدولة المتخابر معها ولان سعي الجاني مع أية دولة أجنبية مستهدفا القيام بأعمال عدائية ولو كانت هذه الدولة (محايدة) هو أمر معاقب عليه لان عبارة النص وردت مطلقة ولان القيام العدائي أيا كان هو أمر متروك للدولة المتخابر معها نفسها وسواء أكان التخابر مباشرة أو أحد ممن يعملون لمصلحتها والمهم فقط أن يكون الباعث لدى الجاني وقصده متجها لهذه الاعمال بمعنى أن يدخل في نشاطه الذهني عند التخابر امكان قيام الدولة الاجنبية بالاعمال العدائية •

التجسس خارج البلاد :

من الواضح أن هذه النصوص جميعها تنطبق على الاجانب أو الوطنيين وسواء وقعت هذه الاعمال في البلاد أو في الخارج طبقا للمادة الثانية من قانون

العقوبات اذ ليس من شك في وجوب محاسبة الاجنبي المقيم في البلاد عما يرتكبه من هذه الجرائم سواء أكان تابعا للدولة الاجنبية التي يتخابر معها أو تابعا لدولة أخرى لان نص المادة الثانية واضح اذ أنها تقرر العقاب على :

« كل من ارتكب خارج البلاد جريمة مخلة بأمن الدولة مما نص عليه في البابين الاول والثاني من الكتاب الثاني أي المواد (من : ٧٧ الى ٨٥ عقوبات) ولا يهم أن يبدأ الجاني التخابر من الدولة الاجنبية من جهته أي أن يكون هو

الاصل ، أو تكون الجهة الاخرى هي التي تخابرت معه ، لان الامر في معناه كما تقدم هو تفاهم بين الجانبين على أية كيفية يتم . ولذلك تقع الجريمة حتى اذا كانت الدولة الاجنبية هي التي بدأت أو من يعمل لمصلحتها هو الذي قام من أول الامر بفتح باب التخابر وبذلك أصبح لا ضرورة لاثبات الصفة الرسمية لهذا الشخص الذي يعمل لمصلحة دولة أجنبية في علاقته بتلك الدولة . أما التخابر مع الدولة الاجنبية نفسها فيعتبر أنه تم معها مباشرة اذا حدث بطريق (التفاهم) أو (الاتصال) مع أحد القائمين على الامور فيها من حكومتها المدنية أو من رجالها العسكريين (المخابرات) والتخابر مع الشخص الذي يعمل لمصلحة الدولة الاجنبية فهو الشخص الذي ندبته حكومته رسميا ليمثلها أو الذي يعمل بصفة رسمية أو متطوعا أو يعمل بايعاز خفي من نفس الدولة الاجنبية لتدبير مصلحة لها على حساب البلاد أو اضرارا بالمصلحة القومية أو الوطنية ...

وهذه الجريمة كما يصفها (جايون) بانها جريمة شكلية أراد بها المشرع العقاب على القصد القائم وقت التخابر في حد ذاته معاقب عليه كجريمة قائمة بذاتها والنتيجة التي يسفر عنها التخابر من تقديم المعلومات تكون جريمة أخرى كجريمة تسليم الاسرار أو تقديم معونة للعدو حسب الاحوال وهكذا ولا شك أن للقاضي السلطة المطلقة في تقدير الافعال المرتكبة التي ينطبق عليها وصف السعي أو التخابر وله أن يهتدي في ذلك بطبيعتها أو بالكيفية التي تمت بها والظروف التي لابستها أما القصد الجنائي الخاص أي توافر الباعث لدى الجاني على امكان قيام الدولة الاجنبية باعمال عدائية ضد البلاد فيكفي في توافره أن يقوم في ذهن الجاني أن ما فعله قد يمكن أو يساعد الدولة الاجنبية على القيام

بأعمالها العدائية مهما كانت صور هذا العمل العدائي ، وهو الذي يؤثر على المصالح الوطنية أو القومية ولا يشترط تحقيق الغرض من القيام بالاعمال العدائية كما وأن التخابر مع دولة معادية كاسرائيل مثلا أو مندوبيها يدل بذاته على قصد الجاني الاجرامي .

وعلى هذا الاساس سبق أن قضت محكمة النقض الفرنسية في يوليو ١٩٤٨ بأن قبول الشخص للعمل في خدمة الجستابو الالماني ، وتقديم معلومات الى هذه الهيئة من قبيل التخابر . وأن المتهم في هذه القضية قد قام فعلا بأداء بعض الخدمات ومنها الاخبار بالمقالات المناهضة النازية والمنشورة في الصحف الفرنسية والبحث عن الصحف والمطبوعات التي تصدر في فرنسا بصفة سرية « مستترة » وقد أخطر السلطات الالمانية بذلك .

وقضت محكمة النقض الفرنسية أيضا في ١٩٤٩/١٢/٣٠ « بأن المتهم الطاعن (المستأنف) يعد مرتكبا لجريمة تامة لمجرد اتيانه لاعمال تحضيرية اذا كان ثبت في حقه أنه كان أسيرا لدى السلطات الالمانية ، ورضي أن يضع نفسه في خدمة الجاسوسية الالمانية (الجستابو) وقبل الذهاب الى فرنسا لهذا الغرض كما أنه دخل معسكر باريس للقوات الفرنسية لكي يحصل لصالح (الجستابو) على معلومات حربية مثل أمكنة الوحدات الحربية وأسماء القواد الكبار ونقط القاء القنابل على باريس ، وأن مجرد قبول الطاعن (المستأنف) التجسس ومجرد دخوله المعسكر الحربي يكون جريمة تامة في التخابر ولا يعد من قبيل الاعمال التحضيرية لهذه الجريمة كما ادعى في استئنافه . (وقضت محكمة النقض بعدها برفض الطعن في الحكم الصادر باعدامه (يراجع في هذا الشأن مجموعة أحكام النقض الفرنسية سنة ١٩٤٩ رقم ٢٨٦ صفحة ٤٦٩) .

على أنه يلاحظ من جهة أخرى أن الجاني اذا كان قد قصد من التخابر مع الدولة الاجنبية التحريض على الغاء معاهدة أو اتفاق سياسي أو جر منفعة مثلا لرعاياها دون أن يكون لديه احتمال قيام الدولة الاجنبية بأعمال عدائية أو الاستفادة من تخابره للقيام بها فلا ينطبق نص المادة ٧٧ ب وانما يمكن في هذه الحالة تطبيق المادة /٧٧ د/ التي تنص على عقاب التخابر أو السعي اذا كان

من شأن أيهما الاضرار بمركزالبلاد الحربيوالسياسي والدبلوماسي والاقتصادي أو امكان تطبيق المادة /٧٧ ج/ ، اذا كان الجاني طرأ في ذهنه أو هدف من وراء عمله سعيا أو تخابرا الى معاونة الدولة في عملياتها الحربية أو الاضرار بالعمليات الحربية للبلاد نفسها .

واذا تحقق الامرأن تنطبق المادتان٧٧ب و٧٧ج علىحسب الظروف والاحوال، وكذلك من المقرر في فقه القضاء الفرنسي أنه لا يشترط لقيام الجريمة أن تكون الدولة الاجنبية أو المعادية التي تم معها التخابر قد قامت فعلا بأعمال عدائيـــة ضد البلاد ، أو ان يكون تخابر الجاني مع الدولة المعادية أدى الى تقديم معونة فعلية لها . وقصارى القول أن المشرع يعاقب على أفعال التخابر ولو لم تؤد الى النتيجة ما دامت هذه النتيجة أصلا داخلة في قصد الجاني وتحضيره .

Le fait qu'un inilitaire etant prisonaier de guerre en A'llemagne a entretenu Des intelligences avec cette puissanee ennemie Daus Le but de Favoriser ses entreprises, notamment en se mettant a la Disposition des agents du service d'espionnage allemand et en acceptant d'eux. d,s,y livrer a l'espionnage en faveur de L'Allemagne et le fait de s'etre ulterieurement introduit dans le camp de Paris place de guerre pour se trouver dans L'interet de l'qllemagne, puissance ennemie, des rensignements d'ordre 8 militaires tels que points de chute de gros - abus dans Paris, emplacement des unites militaires, noms des chefs militaires, constitue don des actes prepararotoires des crimes d'intelligence avec l'ennemie et d'espionnage mais des actes d'execution des dits crimes et reforme tous ies elements constitufes des infractions qu'ont ete consommees .

(Le cityon charge d'un ministere de service public)

(Les renseignements) e0t

(Fquipment)

(Secrets professionelles)

(Sous quelque forme, de queaque maniere " ete .)

نص المادة ٧٧ ج :

يعاقب بالاعدام كل من سعى لدى دولة أجنبية معادية ، أو تخابر معها أو مع

أحد ممن يعملون لمصلحتها لمعاونتها في عملياتها الحربية أو للاضرار بالعمليات الحربية [1] .

وهي جريمة أخرى من جرائم الخيانة العظمى وغرض الجاني في هذه الجريمة خلافا للجريمة السابقة بالمادة (٧٧ ب) أن يهدف من وراء سعيه وتخابره الى معاونة الدولة المعادية في عملياتها الحربية او للاضرار بالعمليات الحربية للبلاد ، وهذه المادة تقابل المادة ٧٥/٢ معدلة بالقانون الفرنسي الصادر سنة ١٩٣٩ والمادة / ٢٤٧ / بالقانون الايطالي وهي صريحة في أنها خاصة بالعمليات الحربية القائمة بين البلاد وبين دولة أجنبية ، وأن يكون التخابر والسعي مع الدولة المعادية أو أحد ممن يعملون لمصلحتها لمعاونتها في أعمالها الحربية او للاضرار بالعمليات الحربية للدولة أي الحاق الضرر بالقوات المسلحة ، فهي جريمة من جرائم الحرب أو التي تقع في زمن الحرب أو بين البلاد وبين الدولة المعادية وهي في حالة حرب .

فسعي الجاني من أهل البلاد كان أم أجنبيا لدى العدو أو رجال الدولة المعادية الذين يعملون لمصلحتها وتزويدهم ببعض البيانات عن السلاح والذخيرة ، أو تزيدوهم بالاشارات من أجل احتلال حصن أو موقع أو تمكينهم بأية وسيلة أو أكثر لاستخدام طرق المواصلات أو بيانها أو كشف المواقع الحربية كمواقع المطارات وموانىء الغواصات ليمكن العدو من استخدامها أثناء الحرب أو ليتمكن العدو (أي الدولة الاجنبية المعادية) من معرفة مواقع القوات الحربية أو مواقع واقامة (الجنود) وقادتهم للاستفادة منها عندما تستدعي الظروف ذلك ، كل هذا مما يتوفر فيه القصد الجنائي (لدى الجاني) وهو الجاسوس لانه ليس بلازم أن يتحقق القيام بالعدوان من الدولة الاجنبية نتيجة حصولها على هذه المعلومات من الجاني .

---

(١) حكمت المحكمة العسكرية العليا بالقاهرة برئاسة العقيد عز الدين رياض في اول شهر كانون الثاني ١٩٧٥ على الجاسوس المصري سمير وليم باسيلي بالاعدام شنقا استنادا لهذه المادة .

وهذا أمر يستفاد منه نص المادة المقابلة في القانون القديم لسنة ١٩٤٠ المادة ٧٨ التي تقول :

« كل من دس الدسائس الى دولة أجنبية أو الى أي شخص آخر يعمل لمصلحتها أو تخابر معها أو معه بقصد استعدائها على البلاد أوتمكينها من العدوان عليها يعاقب ... الخ سواء تحقق الغرض من التخابر أو لم يتحقق ...

فاذا كان الغرض الذي قصده الجاني (الجاسوس) بما فعل أو الذي دخل في ظنه وضمن نشاطه الذهني هو معاونة العدو ومده بما يمكنه من المضي في عملياته الحربية ، أو أن يكون غرضه أيضا الاضرار بالعمليات الحربية للدولة نفسها فان فعله يقع تحت حكم المادة /٧٧ د/ اذ أن المشرع قد سوى بين الحالتين سواء تحقق الغرض المطلوب (نتيجة التجسس) أو لم يتحقق وذلك خلافا لنص المادة ٢٤٧ من قانون العقوبات الايطالي الذي جعل من تحقيق الغرض ظرفا مشددا (عقوبته الاعدام) . فاذا لم يتحقق الغرض (نتيجة ذلك التجسس) تكون عقوبته السجن حسب تقدير المحكمة .

الوسيط وقيمته بالنسبة للتجسس :

الوسيط في لغة المخابرات هو (العميل) ، وأول من أطلق اسم (الوسيط) على عميل المخابرات هو (جارسون) . ومع جواز كون الوسيط تابعا لدولة محايدة ولكنه في الواقع ليس الا وسيطا بين الجاني والدولة المعادية .

والقصد الجنائي في هذه المادة يتوافر متى ثبت أن الجاني بما فعل انما قصد معاونة العدو وحده بما يمكنه من المضي في عملياته الحربية أو معاونته فيها أو الاضرار بالعمليات الحربية للدولة . وهذا الامر يعرف من وقائع جرم التجسس .

أما المادة /٧٧/ فتنص على أنه « يعاقب بالسجن اذا ارتكبت الجريمة في زمن السلم وبالاشغال الشاقة المؤقتة اذا ارتكبت الجريمة في زمن الحرب » .

١ ــ كل من سعى لدى دولة أجنبية أو أحد ممن يعملون لمصلحتها أو

تخابر معها أو معه ، وكان من شأن ذلك الاضرار بمركز البــلاد الحربي أو السياسي أو الدبلوماسي أو الاقتصادي •

٢ ــ كل من أتلف عمدا أو أخفى أو اختلس أو زور أوراقا أو وثائق وهو يعلم أنها تتعلق بأمن الدولة أو بأية مصلحة قومية خرى •

فاذا وقعت الجريمة بقصد الاضرار بمركز البلاد الحربي أو السياسي أو الدبلوماسي أو الاقتصادي أو بقصد الاضرار بمصلحة قومية لها كانت العقوبة (الاشغال الشاقة المؤقتة في زمن (السلم) والاشغال الشاقة المؤبدة في زمن الحرب) •

وهذه المادة تماثل المادة /٧٧/ من قانون العقوبات القديم سنة ١٩٠٤ والمادة /٨٠/ من قانون عقوبات سنة ١٩٣٧ والمادة (٣٥٥) من قانون العقوبات الايطالي •

وقد أضاف المشرع على هذه المادة مسألة جديدة هي (الاضرار بمركز البلاد الاقتصادي لما رآه من أنه يجب على الدولة أن تتقي هذه الافعال التي لم تكن معروفة من قبل في الماضي ، وأن تدفع عن نفسها غوائلها وذلك على غرار ما يتناوله النص من الاضرار بمركز البلاد الحربي أو السياسي أو الدبلوماسي ، لانه غير خاف أثر الاحوال الاقتصادية على كيان الدولة وأمنها سواء في الحرب أو السلم على السواء •••

أما الجريمة الاولى وهي السعي والتخابر اذا كان من شأنه الاضرار بمركز البلاد ••• الخ فهي تتضمن تأثيم كل فعل يقوم به الجاني لتحقيق النتيجة التي حرمها المشرع وترك للقاضي حرية التقدير للافعال وما يحكمه النص منها ويكفي في اثبات أن السعي كان مع دولة أجنبية أو مع أحد الذين يعملون لمصلحتها •

وهذه الجريمة أصلا من جرائم (السلم) ، فاذا وقعت أثناء الحرب فيشدد العقاب •••

وجريمة السعي والتخابر هي جريمة مستمرة ، ويبدأ سقوط الدعوى فيها من وقت وقوف السعي أو التخابر نهائيا وفعلا •

أما ركن الجريمة الهام فهو : أن يكون من شأن السعي أو التخابر الاضرار بمركز البلاد الحربي والسياسي والدبلوماسي والاقتصادي فلم يستلزم الشارع وقوع الضرر فعلا فنص على أن يكون السعي والتخابر من شأنه فقط (الاضرار بمصلحة البلاد ومركزها) • فهو انما قصد من تحريم هذه الافعال حماية شخصية الدولة من كل خطر أو ضرر ولو كان محتملا •

وهو يعاقب على الفعل المادي بغض النظر عن النتيجة (من التجسس) ، وعلى ذلك سواء تحقق الضرر أم لم يتحقق ، وكان محتملا فقط (فالعقاب واجب) وانما يجب أن يكون هناك احتمال الضرر وحصوله يكون رافعا لكل شك في طبيعة فعل السعي أو التخابر •

ومن الاضرار بمركز البلاد (الحربي) يكون كالعمل على الغاء تحالف أو الغاء نظام التجنيد أو مهاجمته أو عرقلةسيره أو اضطراب توزيع القوات المسلحة، أو عرقلة استيراد الاسلحة أو الذخيرة أو مهمات الحرب المختلفة •

أما الاضرار بمركز البلاد السياسي فهو كل ما من شأنه أن يسيء اليها ويمس استقلالها في الخارج أو سيادتها آخذا بحقها المطلق في تصريف شؤونها الخارجية فالسعي أو التخابر الذي يفضي الى اساءة علاقة الحكومة بحكومة دولة أجنبية أو يقصد خذلانها في هيئة رسمية دولية يعد مما يضر بمركزها السياسي وسياسة البلاد في زمن السلم ظاهرة سيما في البلاد الدستورية من حرية المناقشات البرلمانية ــ وحرية الصحافة ••• الخ •

والاضرار بمركز البلاد (الدبلوماسي) هو الذي يتصل بالتمثيل الدبلوماسي للدولة ونظامها وأعمال القائمين على العمل الدبلوماسي في الخارج لان الممثل الدبلوماسي هو الذي يعبر عن رغبات دولته ، ويتفاهم باسمها مع غيرها • فكل ما يضر بواجباته من سعي أو تخابر أو دس يعتبر مضرا بمركز البلادالدبلوماسي•

أما الاضرار (بالمصالح الاقتصادية) فان لكل دولة نظامها الاقتصادي الخاص بها ، والذي ترسي هي قواعده ويدخل فيه نظام نقدها وأرصدتها وأموالها التي لها في الخارج وما يتصل باتتاجها الصناعي والزراعي والاعمال التجارية في الاسواق الخارجية • فكل من سعى أو تخابر للاعلام عن ذلك ،

يضر بمصالح البلاد ويدخل في النص • وهذا كله خاضع لتقدير القاضي •

ومما هو جدير بالملاحظة أن موظفي الدول الاجنبية أيضا أنفسهم مقيدون عند مخابرة دولهم بأنهم عندما يطلعونها على ما يدور في الدولة التي هم فيها فذلك التخابر منهم (مشروط باستعمال الوسائل المعروفة)، وعن طريق الوزارات المختصة (وزارات الاعلام والتجارة •• الخ) • والقانون الدولي لا يبيح لهؤلاء الموظفين استعمال الوسائل الاجرامية (غير المشروعة) • ولذا تعاقب القوانين في كافة الدول على ما يلحق من تتيجة ذلك اضرارا بالدولة (كالتجسس) أو استخدام العملاء لكشف الاسرار وهذا مما يحرمه العرف الدولي •

أما القصد الجنائي في هذه الجريمة فهو (القصد الجنائي العام) الذي يستفاد من اتيان المتهم للفعل المكون للجريمة عن علم واختيار • ولا يشترط فيه أن يكون قصد المتهم الاضرار بالمركز الدبلوماسي أو الاقتصادي ••• الخ أو أن يكون مدفوعا بباعث معين (شرح أصل الجواسيس في أول هذا الكتاب)، بل يكفي أن يباشر الجاني السعي أو التخابر الذي من شأنه نتيجة الاضرار بهذه المراكز ، وهو عالم بتجريمه مريدا لما فعل • وذلك يطابق النص الفرنسي للمادة (٨٥/٢ ـ Ayant pour EFF. et)

أما الفقرة الاخيرة من المادة وهي :

اذا وقعت الجريمة بقصد الاضرار بمركز البلاد الحربي أو السياسي أو الدبلوماسي أو الاقتصادي أو بقصد الاضرار بمصلحة قومية بصورة عامة ، فهذه الفقرة تضمنت غير القصد العام قصدا خاصا هو الاضرار بمركز أوبمصلحة من المصالح القومية وقد جعل المشرع منه (ظرفا مشددا) بني عليه فيما بعد تغليظ العقوبة •

ويستدل على هذه النية أو سوء القصد بنوع العمل الذي يقوم به الجاني ومدى استمراره فيه مثلا وبالظروف والملابسات التي تحيط بالسعي والتخابر فيكون القصد واضحا اذا تم السعي والتخابر مع دولة تضمر العداء للبلاد أو بها فطنة الاعتداء عليها أو مع أحد ممن يعملون لمصلحتها أو أن تكون هـذه

الدولة الاجنبية (معادية) للبلاذ ، أو في حرب معها . لان كل هذه الامور شواهد وقرائن تدل (على توافر هذه النية) .

والقصد الجنائي كما هو معروف وتقدير أمره متروك للمحكمة وهو مسألة موضوعية يستقل القاضي الملكف بالدعوى (تقديرها) من الوقائع المعروضة عليه ، ومتى استخلصها استخلاصا سليما فلا رقابة بعدها على حكمه من محكمة النقض أو غيرها (سوى حق الرؤساء والملوك في منح العفو أو تبديل أو تخفيف العقوبة حسبما تقضي دساتير أغلب الدول وعند وجود مصلحة عليا للبلاد في ذلك ...) .

امن الدولة وتفسير معناه :

أما ما هو المقصود (بأمن الدولة) أي **La surete de L'Etat** فهو تعبير واسع ، ويراد به كل ما يمس أمن الدولة ومركز البلاد وأنظمتها الاساسية باعتبار كل دولة مستقلة (شخصية دولية) في كيان قائم ووحدة دولية متماسكة ويميزها عنصر السيادة في الداخل والخارج ...

المصلحة القومية وتفسير معناها :

وتعبير المصلحة القومية هو (تعبير عام) واسع المدلول ، وقصد المشرع به كل مصلحة تهم البلاد من الناحية السياسية أو تمس سيادتها في الخارج أو الداخل وعناصر الحكم فيها .. كالاتفاقات على الحدود أو الانتفاع بالمياه أو خطوط ووسائل المواصلات وحقوقها في استخدامها أو الانتفاع بها . وهذه العبارة شاملة تتضمن أي عمل يمس مصلحة سياسية أو اقتصادية من مصالح الدولة . فاذا كان الجاني قد تلقى الرشوة أو الوعد بامتيازات لاحقة لقاء تبليغه (تخابره) عن أمور تمس سيادة الدولة الداخلية أو الخارجية أو أحوال سياستها مما يصح أن يكون موضوعا يستخدمه الجاني لصالح الجهة أو الدولة التي يعمل لحسابها .



عدم جواز التخفيف طبقا للمادة ٧٧ من قانون العقوبات :

لم يُجز المشرع تخفيف العقوبة في أي جريمة من جرائم المادة ٧٧ : اذا كان الجاني موظفا أو شخصا ذا صفة نيابية عامة ، أو مكلفا بخدمة عامــة • والسبب في اعتبار صفة الجاني مانعا من استعمال الرأفة هو أن الموظف العام ، ومن في حكمه الذي يرتكب جريمة مما نصت عليه المادة المذكورة انما يخل بالثقة الممنوحة له بحكم الوظيفة • كما أن تلك الصفة قد تكون من الاسباب التي تسهل للجاني (الموظف) ارتكاب الجريمة بما يمتنع عنه موجبات الرأفة •

أما الشخص المكلف بالخدمة :

(Le cityon charge d'un minstere de service public)

فتضم هذه العبارة كل شخص ليس من طائفة المستخدمين ، ولكنه يقوم بنصيب من الاعمال العامة على أنه لا يكفي كذلك لتحقيق المعنى المقصود هنا أن يكون الشخص قد ندب نفسه لعمل من الاعمال العامة • بل يجب أن يكون قد كلف بالعمل ممن يملك التكليف (مثل شخص مكلف طبقا لامر عسكري للقيام بعمل ما) •

والمذكرة الايضاحية للقانون رقم ١١٢ لسنة ١٩٥٧ ـ صريحة فيأنه لاأهمية لان يحصل الموظف ومن في حكمه على المستندات أو الاسرار أثناء قيام الصفة أو بسببها ، بل يعاقب الموظف حتى ولو زالت عنه الصفة قبل ارتكاب الجريمة• وسواء حصل على الاشياء المذكورة أثناء قيام الصفة أو بعد انتهائها • وقد رؤي في هذا الحكم أن بين هذه الفئة أي فئة الموظفين وبين الدولة التي اختارتهم للخدمة العامة ، توجد علاقة أدبية لا تنفصم عُراها بانتهاء العمل أو الخدمة • وهذه العلاقة تستوجب الاخلاص والامانة والكتمان ولو بعد انتهائها[1] •

والمادتان (٨٠ و ٨٥) عقوبات تنص على ما يلي :

---

(١) المادة ١١٢ ـ قانون العقوبات في مصر ١٩٥٧ تشمل ملاحقة جميع موظفي الامن العام والمخابرات والبوليس ، ومن في حكمهم كان مطلعا على أسرار الدولة وسرح لاي سبب ، فيتوجب عليه الكتمان أدبيا وقانونيا ••

« يعاقب بالاعدام كل من سلم لدولة أجنبية أو لاحد ممن يعملون لمصلحتها أو أفشى اليها أو اليه بأية صورة من الصور وعلى أي وجه وبأية وسيلة سرا من أسرار الدفاع عن البلاد أو توصل بأي طريقة الى الحصول على سر من هذه الاسرار ، بقصد تسليمه أو افشائه لدولة أجنبية أو لاحد ممن يعملون لمصلحتها. وكذلك من أتلف لمصلحة دولة أجنبية شيئا يعتبر سرا من أسرار الدفاع أو جعله غير صالح لان ينتفع به (خربه) » . وهي تطابق ما ورد في نصوص القانون الفرنسي في المواد (٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ عقوبات) وكذلك في القانون الايطالي المادة (٢٥٦) عقوبات ...

وقد أوردت المادة ٨٥ على سبيل المثال أسرار الدفاع وذكرت غالب مايقصد به ازالة اللبس الذي كان قائما ، وللاحكام المختلفة التي صدرت قبل تعديل هذه المادة .

وقد قررت المادة (٨٥) أنه يعتبر سرا من أسرار الدفاع :

١ ـ المعلومات الحربية والسياسية والدبلوماسية والاقتصادية والصناعية التي بحكم طبيعتها لا يعلمها سوى الاشخاص الذين لهم صفة في ذلك . ويبقى مراعاة مصلحة الدفاع عن البلاد أن تبقى سرا ما عدا هؤلاء الاشخاص ..

٢ ـ الاشياء والمكاتبات والمحررات والوثائق والرسوم والخرائط والتصميمات والصور وغيرها من الاشياء التي يجب لمصلحة الدفاع عن البلاد أن لا يعلم بها الا من يناط بهم حفظها أو استعمالها ، والتي يجب أن تبقى سرا على من عداهم خشية أن تؤدي الى افشاء معلومات مما أشير اليه في الفقرة السابقة.

٣ ـ الاخبار والمعلومات المتعلقة بالقوات المسلحة وتكتلاتها وتحركاتها وعتادها وتموينها وأفرادها ، وبصفة عامة كل ماله مساس بالشؤون العسكرية والاستراتيجية ولم يكن قد صدر اذن كتابي من القيادة العامة للقوات المسلحة بنشره أو اذاعته ...

٤ ـ الاخبار والمعلومات المتعلقة بالتدابير والاجراءات التي تتخذ لكشف الجرائم المنصوص عنها في هذا الباب أو تحقيقها أو محاكمة مرتكبها . ومع ذلك يجوز للمحكمة التي تتولى المحاكمة أن تأذن باذاعة (ما تراه مناسبا) من مجرياتها(ومثل

ذلك ما سمحت بنشره واذاعته المحكمة العسكرية

وقد سبق أن أوردت المذكرة الايضاحية للقانون رقم (٤٠) لسنة ١٩٤٠ أمثلة من أسرار الدفاع وهي الخاصة مثلا بالتموين في البلاد وبعض المحصولات الرئيسية أو كمية انتاج المصانع الحربية أو بطرق الصناعة أو بالاختراعات التي ترمي الى تقوية تسليح البلاد . وبالجملة كل ما يترتب على معرفته من الدول الاجنبية اضعاف القوة للدولة نفسها ...

كما سبق أن قررت محكمة النقض عن الطعن في قضية حدثت وقائعها قبل صدور القانون الجديد ، بأنه يشترط لتطبيق المادة (٨٠) القديمة توافر شرطين :

١ ــ أن يكون الشيء ذا طبيعة سرية .

٢ ــ أن يكون متعلقا بالدفاع عن البلد .

وتقدير ذلك متروك للمحكمة التي تنظر بالموضوع ولها أن تستعين بمن ترى الاستعانة به ، كما أن لها أن تأخذ برأيه دون معقب على حكمها ، كما أن مجرد الحصول على السر أمر معاقب عليه وافشاؤه كله أو بعضه كذلك ما ينطبق عليه النص . مع العلم أن ترامي أسرار الدفاع الى طائفة من الناس لا يرفع عنها صفة السرية ، ولا يهدر ما يجب لها من الحفظ والكتمان والسرية ...

وأسرار الدفاع على كل حال متنوعة ، فمنها ما هو بطبيعته (سر) لايجوز أن يعلم به الا من أؤتمن عليه ، ومنها ما هو بظروفه وملابساته بما ينبغي أن تسبغ عليه القيادة العامة للقوات المسلحة (السرية التامة) .

والسر هو أمر يتعلق بشيء أو بشخص وخاصيته أن يظل محجوبا أو مخفيا عن كل أحد غير من هو مكلف قانونا بحفظه . أما استخدامه بحيث يكون العلم به غير متجاوز عددا محدودا من الافراد الذين رخص لهم دون سواهم أن يعلموه أو يتناقلوه فيما بينهم فلا يؤثر على كونه سرا ...

كما وأن هناك معلومات كثيرة في النواحي الاقتصادية والعلمية والزراعية والصناعية يجب أن تظل مطوية خصوصا في زمن الحرب لما يترتب عن اذاعتها

أو تسليمها للدول الاجنبية من أضرار أو أخطار تلحق بالبلاد وبعرقلة استعدادها العسكري ومجهودها الحربي كالتموين لبعض الحاصلات أو قدرة الانتاج الحربي أو الاهلي أو بالاجتماعات والمقررات العلمية التي تهدف الى تقوية التسليح .

فالمعلومات Les renseigenements عن سلاح سري أو طريقة الوقاية من هذا السلاح أو عجز الذخيرة أو المؤونة أو وقوع فريق من القوات المحاربة في الاسر أو الاوامر الصادرة الى الضابط أو عن الالات والاسلحة والذخيرة والعدد الميكانيكية والادوات وقطعها المنفصلة والمفرقعات والمواد الكيماوية أو عناصرها والوثائق والصوروأعمال الطبوغرافيا ووسائل النقل والتسليحوالبرامج الاقتصادية والصناعية والمواد الخام والانتاج والاستهلاك الخاص بالمصانع الحربية كلها ، مما يعتبر أسرارا ...

ومما يتبع الاسرار أيضا المعلومات الصناعية التي ترتبط بوحدة النشاط في مؤسسة صناعية أهلية غير تابعة للحكومة متى كانت هذه المؤسسة تقوم ببعض المهمات المخصصة للدفاع عن البلاد،لان عادة الدول قد جرت على الانتفاع بمثل هذه المؤسسات في زمن الحرب ، ولان الحرب الحديثة كما تقدم تستدعي تكريس كل القوى لمواجهة العدو والاستمرار في قتاله والمهم في السر أن يكون من أسرار الدفاع مسألة موضوعية للقاضي تقديرها من حيث علاقة السر بالدفاع وتقدير طبيعته .

كما لا يمنع أن يكون الشيء سرا ويحتفظ له بسريته حتي ولو كان ظاهرا للناس ، كالمنشآت العسكرية (الثكنات) والمطارات والمصانع التي تقع عليها أعين كثيرين من الضباط والجنود والعمال ، ولا يمنع ذلك من احتفاظها بأصل سريتها لان عدد هؤلاء الذين يعرفونها وما زال محددا بطائفة من رجال الجيش أو العمال المدنيين الملحقين بهم[1] ولان أولئك هم حفظة هذه الاسرار ، ولهم حق الاطلاع عليها واستعمالها .

---

(١) العمال المدنيون مثل عمال القاعدة البحرية عندنا في الجزائر وعمال المصانع الحربية في EPG وعمال مؤسسة معامل الدفاع في القطر العربي السوري وجميع هؤلاء يجري التاكد من وطنيتهم قبل والثناء استخدامهم في المصالح العسكرية نظرا لما يطلعون عليه من الاسرار موضوع البحث .

وان المشرع ألقى بالتشريع الجديد التفرقة بين الاسرار الحقيقية والاسرار الحكيمة ، كما كان عليها الخلاف قائما من قبل • ولم تستلزم صدور أي قرار من الحكومة يسبغ على أمر أو شيء صفة السرية كما هو الحال في بعض القوانين الاجنبية ، بل جعل (التحريم) هو الاصل في باب أسرار الدفاع ، والاستثناء هو أن يباح النشر فقط باذن كتابي من القيادة العامة كما هو صريح النص وعلى من يتمسك بمثل هذا الاذن أن يثبت صدوره فعبء الاثبات في وجود الاذن يقع على الجاني نفسه ، لان المفروض أنه لم ينشر أو يفش الا بعد الاطلاع على الاذن• أما في وقت الحرب فان العادة جرت أن تنشر القيادة العامة بلاغات على الشعب ومثلما يرد في هذه البلاغات لا يعد من أسرار الدفاع أما ما عداها فلا بد فيه من اذن رسمي •

أما في وقت السلم فكل الاخبار والمعلومات العسكرية لا يجوز نشرها الا بعد أخذ رأي القيادة وصدور الاذن الكتابي منها والا حافظت هذه الاخبار على سريتها محصنة من الافشاء ، وكل ما هو خاص بعبارة الجيش وتشكيلاته وشؤونه العسكرية وعتاده (**Equipment**) •

وهو كل ما يجهز به الجيش ليقوم بواجبه في وقت السلم والحرب كالسلاح والذخيرة والمهمات والعربات والملبوسات والادوية والاجهزة اللاسلكية وغيرها•

وصلاحيتهاوكفاية القائمين عليها وامكانيات الدفاع وتشكيل الفرق وتوزيعها والخبراء الاجانب في القوات المسلحة وندب أفراد هذه القوات لاي مهمة خارجية أو داخلية ، وتحركات القوات وعتاد ومهمات القوات والمعلومات الخاصة بالمصانع الحربية ومواقعها ومواقع المطارات السرية[1] والعلنية ، وما ينشأ عنها والمنشآت

---

(١) انشىء مطار سري في مكان ما في جمهورية مصر العربية يمر بالقرب منه طريق ، وبالطبع كان بعض العسكريين التابعين لهذا المطار يلتحقون به بواسطة الأوتوبيسات التي تمر من هذا الطريق • ونتيجة لعدم الحرص في جهله على الهام هؤلاء العسكريين أن يبقوا اسم المطار طي الكتمان ، فأخذوا حين يصلون الى المكان القريب من المطار يصرخون في الكمساري ليوقف لهم الأوتوبيس (عند المطار السري)• وما هو الا اسبوع حتى أصبح اسم هذا الموقف (المطار السري) ، وأخذ الكمسارية يصيحون عند وصولهم لهذه النقطة : فيه حد نازل بالمطار السري •••) •

العسكرية وكيفية اعداد الطائرات الحربية والمطارات وتزويدها بالالات المختلفة (كالرادار) والمدافع المضادة للطائرات ونوعها وتجهيزاتها وأماكن حفظ الوقود فيها وأخبار المناورات البحرية والجوية والرسوم والخرائط وغيرها كل هــذا سا يعتبر من الاسرار .

اخذ راي المخابرات :

كما يجوز للمحكمة في سبيل تحقيق طبيعة السر وعلاقته بشؤون الدفاع وأهمية الالتجاء الى السلطات ذات الشأن (المخابرات) ، لان الامر قد يكون متعلقا بمسألة فنية لا تستطيع المحكمة أن تصل بنفسها الى كشفها . وقد اتبع ذلك القضاء الفرنسي لان الجهات الحكومية المختصة (المخابرات) هي أعرف بمحتويات السر وحقيقته ودرجة خطره والنتيجة المترتبة عن افشائه والاضرار الناتجة عن ذلك (مع خضوع كل ذلك لتقدير القاضي في النهاية) . وسبب استشارة (المخابرات) في شأن الاسرار العسكرية لانها أقدر من غيرها على الحكم على أهمية الوثيقة أو المعلومات التي تجري المحاكمة بشأنها .

سر المهنة وعدم تقديم رجال المخابرات للمحكمة :

كما لا يجوز تقديم رجل المخابرات للشهادة علنا في المحكمة ، ولا يجوز أن تؤدى شهادة أمام المحكمة بسر من أسرار الدفاع وهذا الرأي يتفق عليه عند الكثير من الشراع غير أنه اذا أذنت (قيادة المخابرات) لاحد موظفيها بأن يؤدي الشهادة أمام المحكمة لضرورة ذلك يجب أن يكون هذا الاذن مشروطا بأداء الشهادة في جلسة سرية حتى لا يعلم الجمهوريه ، وكل ذلك يترك لتقدير القاضي .

(راجع جارسون بند ٨٦ م ٣/٨٧ (٤٠) باب افشاء الاسرار) .

على أنه اذا تمسك صاحب السر بأنه لا يريد الافضاء به للمحكمة ، فهذا حقه لان الخطر الخاص بالسر هو خطر مطلق للمبدأ المعمول به عن أسرار المهنة . (Secrets professionsbles) وغني عن البيان أنه لا ينزع عن السر صفته كسر أن يعلم به عدد كبير ممن لهم شأن في حفظه واستخدامه ويظل الامر

مع هذا لا يجوز افشاؤه أو تسليمه . وعلى ذلك فليس بمانع من العقاب على الجريمة كون السر أبلغ الى عدد كبير من ضباط الجيش وجنوده فهذا الابلاغ لا يغير من طبيعته وقيمته .

ونص المادة ٨٠ الجديدة أدل وأقطع في ذلك ، اذ أنها تعاقب على مجرد تسليم السر أو الحصول عليه بقصد تسليمه . ولو لم يصاحب التسليم أو الحصول عليه الافضاء بمكنونه .

كما أنها تعاقب أيضا على مجرد افشاء السر بغير حصول تسليم مادي لمكنونه والافعال التي تضمنتها هذه المادة هي : التسليم والحصول والافشاء والاتلاف ولا بد أن تقع هذه الافعال على سر من أسرار الدفاع عن البلاد ، وأن يحصل التسليم الى دولة أجنبية أو أحد ممن يعملون لمصلحتها .

والتسليم هو (الاعطاء) أو تمكين الغير من الحيازة على أي وجه وبأية وسيلة وعلى أية صورة وبأي شكل .

(Sous quelque forme, de quelque maniere " etc.)

وقد يقع ذلك بطريقة تمكين الدولة الاجنبية على أخذ صوره أو نقلها أو أخذ مستند أو باملاء محتويات السر أو مضمونه أو كتابته برموز خاصة متفق عليها . وكل ذلك سواء تم بطريق مشروع أو غير مشروع . وتسليم السر مرة لا يمنع من العقاب على تسليمه مرة ثانية ، لان تكرار التسليم يزيد الالمام به ، وانتقال الجاني من بلد الى بلد وهو يرمي الى الحصول على سر من أسرار الدفاع وقيامه باستقصاء مواقع السر والتحري من الاشخاص الذين لابد أنهم على اتصال به أو بغيره فان ذلك يعتبر بدأ في التنفيذ ونية الجاني هي التي تحدد اعتبار فعله مما يدخل في نطاق الشروع في الجريمة والحصول على السر فعل مستقل عن التسليم . فيكفي لقيام الجريمة حصول الجاني على السر ثم تسليمه بعد ذلك ..

كما أنه يجوز للمحكمة أن تستعين في تقدير طبيعة السر بظروف خارجية عن فحوى السر ذاته مثل ضخامة المبلغ الذي يتقاضاه الجاني ثمنا لتسليم السر والحصول عليه ، ومن الاحتياطات التي بدت منه ومن أن التسليم وقع لدولة أجنبية معادية بصفة مندوبيها مثلا .

كما أن سبق افشاء السر لا يرفع عنه صفته ذلك أن افشاء السر مرة لا يحول دون تبليغه مرة ثانية لغير من أفشى اليهم في المرة الاولى ، ولانه حتى لو فقد السر أهميته أو فائدته بعضها أو كلها فلا يؤثر ذلك في مسؤولية من يفشيه ما دام هو من أسرار الدفاع وأيضا لا يهم أن يكون الجاني مواطنا أو من أتباع دولة أجنبية أو حتى لو كان من رعايا دولة محايدة . ولا يهم أن تكون الدولة المعادية في حالة حرب مع البلاد أو مع دولة حليفة لها لان السر يجب أن يصان عن الجميع حتى عن المواطنين الذين لا شأن لهم بحفظه أو استخدامه .

واذا حصل تسليم السر الى مؤسسة أو جماعة أو منظمة تعمل لحساب دولة معادية فالامر سواء ، لان هذا الامر يحدث عادة في حالة قطع العلاقات السياسية أو على الاخص في وقت الحرب حتى لا تقوم بعض المؤسسات للدولة التي تتبعها بخدمات هي في الواقع صورة من صور التجسس أو التخابر لمصلحتها ضد عدوهـا .

ولكن المهم أن يكون الجاني على علم بأن الشخص الذي سلم اليه السر هو ممن يعملون لمصلحة دولة أجنبية ، لان العقاب مفروض على تسليم السر الى الدولة الاجنبية . فاذا لم يتوافر لدى الجاني هذا العلم فلا يحق عقابه ...

القصد الجنائي :

القصد الجنائي في جريمة تسليم السر هو قصد عام بأن يتعمد الجاني تسليمه ، وأن يعلم أنه سر وأن يعلم بصفة من يتلقى السر منه « أحكام نقض فرنسا ١١/٧/٣٥ رقم ٩١ ويراجع جارسون بند (٥) مادة (٨٠) ، (٨١) ، (٨٢) ، تعليمات » .

L'intention consiste Donc ici Dans La volonte de communiquer a une puissance Etnangére un renseignement. sachant il est secret.

ولنعرض على سبيل المثال حكما آخر من أحكام النقض في فرنسا مضمونه « شخص سلم دولة أجنبية وثائق سرية ودافع بأنه لم يقصد المساس بأمن فرنسا

ولا خيانتها ، بل أراد أن يستبدل بها وثائق (١) أكثر أهمية لشؤون الدفاع وقدم هذه الوثائق البديلة لدى حصوله عليها الى (المخابرات) فعلا . ولكن محكمة النقض الفرنسية حكمت بأن هذا الدفاع لا يجدي الطاعن ، ولا يمحو مسؤوليته متى كان الثابت أنه سلم السر فعلا الى الدولة الاجنبية متعمدا ذلك وعالما به ..

على أنه يكتفي في تسليم سر من أسرار الدفاع عن البلاد لدولة أجنبية مجرد العلم « وهو علم الجاني بأن ما يذيعه سرا ، وأنه خاص بالدفاع عن البلاد ولا ضرورة لان يكون للجاني باعث مخصوص كما أنه لا ضرورة لان يصل السر الى الدولة الاجنبية أو أن يعلم هو أنه وصل اليها أو لم يصل » .

وقد حكمت محكمة النقض في فرنسا أيضا بتاريخ ٧ — ٤ — ١٩٣٥ « بأنه من الجائز أن تستنتج سرية الوثيقة وأهميتها ومدى علم الجاني وقصده من ظروف خارجة على مدلول السر نفسه كالاهمية التي تعلقها الجاسوسية على الوثائق التي يسلمها الجاني اليها وقيمة المكافأة التي يتلقاها الجاني ، وعليه فان المكافأة التي يتقاضاها الجاني والاحتياطات التي يتخذها عملاء الدولة الاجنبية الذين كانوا على اتصال به واستمرار دفع المرتبات له كل هذا يدل دلالة كافية على أن الاوراق التي سلمها انما كانت تتعلق الى اقصى حد بالدفاع عن البلاد واسرارها ، وبأن فيها ما يمس أمن الدولة الخارجي » .

ويستفاد من ذلك صراحة انه ليس هناك من حاجة الى الاعتماد على طبيعة المعلومات وحدها للاستدلال على سريتها ، بل انه يمكن استنتاج هذه السرية من الظروف الخارجية المتصلة بالقضية نفسها وكذلك تحديد قصد الجاني الخاص منها .

والمهم في جريمة افشاء الأسرار هو الغرض الذي يرمي اليه الجاني فغير ذي بال الصورة التي يجري تحقيق هذا الغرض بها أو الوسائل التي تستعمل لذلك كما أنه ليس من المحتم أن يكون السر قد علم بأكمله ، فان عبارة بأي وجه من الوجوه يراد بها أن تطبق العقوبة ولو لم يفشَ من السر الا بعضه ، وكذلك لو كان السر قد أفشي على وجه خاطيء أو ناقص كما تقدم ...

---

(١) في مثل هذه الحالات تعلم المخابرات مقدما لتتمكن من تحضير وثائق (غير ضارة) ليجري تبادلها وإذا كان التبادل لوثائق (معروفة) أيضا يجب اعلام المخابرات ليكون التبادل باشرافها وليعفى مقدم الوثائق من العقاب .

عقوبة الموظف العام والظروف المشدد له :

المادة ٨٠ ب :

تنص على ما يلي : « يعاقب بالسجن كل موظف عام أو شخص ذي صفة عامة مكلف بخدمة عامة أفشى سرا من أسرار الدفاع عن البلاد. وتكون العقوبة بالاشغال الشاقة المؤقتة اذا وقعت الجريمة في زمن الحرب » .

كان هذا النص واردا في المادة ٣/٨٠ من قانون ٤٠ لسنة ١٩٤٠ باعتباره ظرفا مشددا اذا ألحقت اذاعة السر أذى بالاستعدادات الحربية للدفاع وكان النص القديم يعتبر ظرفا مشددا للموظف وغير الموظف متى كانت اذاعة السر تلحق أذى بالاستعدادات الحربية للدفاع عن البلاد الا في سنة ١٩٥٧ ، وعند تعديل القانون أفرد الشارع للموظف مادة مستقلة وجعل صفة الشخص (كموظف) ظرفا مشددا ، ثم شدد العقوبة لظرف آخر أيضا . وهو اذا كانت الجريمة قد وقعت زمن الحرب ولم يشر الى الحاق الضرر بالاستعدادات الحربية على أساس أن اذاعة السر نفسه هي قوام الجريمة ومناط العقاب بغض النظر عن الضرر الذي يلحق بالاستعدادات الحربية اعتبر أن الضرر يلازم الافشاء للسر واحتمال الضرر أمر مفترض أصلا . وهذه الجريمة من حيث أركانها هي نفس الجريمة الخاصة باذاعة الاسرار التي سبق وصفها لانه لا فرق بين الاذاعة والافشاء (لانهما مترادفان) . ولا يشترط القانون أن يكون علم الموظف العام بالسر قد حصل بسبب الوظيفة . فاذا كان قد علم به لسبب آخر فانه يكون مسؤولا متى أفشاه كذلك . وكل جريمة مثل هذه الجريمة قد تقع في زمن السلم ، ولكنها اذا وقعت في زمن الحرب غلظ العقاب وجعل السجن .

كما أنه لا يهم كما هو الحال في فرنسا أن يكون الحصول على السر بطريقة التحايل أو الغش بل جعل التعبير مطلقا ليشمل أية وسيلة . وانما يجب أن يكون الحصول على السر بعمل الجاني نفسه وسعيه فاذا وصل اليه مصادفة فلا عقاب

وهذه الجرائم هي جرائم عمدية تقوم فقط على أساس أن علم الجاني بأن ما يحصل عليه من المعلومات هو (سر) ، وبأن من يتراسل معه أو يفشي اليه أو يذيع له أو يعامله ليس له صفة (حق) في حيازة السر أو العلم به . وتتم جريمة التراسل حتى ولو كان بخطابات عادية ولا تستلزم قصد الخيانة أي أنها لا تتطلب سوى مجرد العلم أي (القصد العام) في الجرائم .

المادة ٨٠ ـ ١/٢ :
تنص على ما يلي :

« كل من أذاع بأية طريقة سرا من أسرار الدفاع عن البلاد »

ومضمون ذلك أنها جريمة اذاعة أسرار الدفاع عن البلاد بأي صورة أو بأي وسيلة أو افشاؤها لشخص لا صفة له .

ويقابلها في قانون العقوبات الفرنسي :

on le portera sous
quelque forme et par quelque Moyen que ce soit, a le connaissance
du public ou d'une personne non qualities

الاذاعـــــة :
(Le divulgation) :

وكلمة الاذاعة وكلمة الافشاء هما كلمتان مترادفتان في اللغة العربية طبقا لما ورد في (ابن الاثير والمنجد) قول : أفشى فلان السر أي أذاعه .

واذاعة السر هي كشفه ولو كان ذلك لشخص واحد فقط ما دام النقل قد تم لشخص ليس له صفة في حيازة السر أو العلم به وذلك لأن الاسرار موضوع الاذاعة هي من أسرار الدولة التي تتعلق بمصلحتها العليا فيجب الحرص على كتمانها وعدم التسامح في افشائها ولأن الاذاعة على أي صورة لا تقل ضررها عن الأذاعة بطريق النشر ولم يستلزم المشرع حصول نتيجة ضارة بل هو يعاقب على مجرد (الاذاعة) فضلا على أن المشرع في مصر حذف مسألة العلانية من النصوص السابقة المعدلة .

كما يجب أن يلاحظ أيضا أن اذاعة بعض السر معاقب عليه وكذلك اذاعته بصورة خاطئة وخطر اذاعة السر الذي هو من أسرار الدفاع أمر معاقب عليه لأنه خطر مطلق وليس من مقومات الجريمة أن يحصل افشاء السر الى شخص لا تربطه بالجاني صلة ما بل القانون يحتم أن يصان السر عن الغير بلا تمييز فليس لمن له صفة في الاحتفاظ بالسر أن يلقي به لاحد من خاصته ـ كزوجته أو ولده أو صديقه[١] بل يمتنع عن افشائه بالنسبة للجميع وبصورة مطلقة .

---

(١) ننصح رؤساء المخابرات والمباحث الجنائية بعقد ندوات اسبوعية مع موظفيهم وذلك لالقاء محاضرات مكثفة عليهم بضرورة عدم التحدث بنشاطهم وأعمالهم التي يمارسوها حتى لأقرب الناس لهم .

والاذاعة تحصل بأي طريقة كانت كتابية أو شفهية أو بالتلفون أو بالشيفره أو غيرها لاشخاص أو لشخص واحد في مجلس عام أو خاص أو محل عام أو خاص لان النقص قد ورد مطلقا لا تخصيص فيه .

(التراسل) : (Correspondence) ومعناه القانوني هو كل اتصال بين شخصين أو أكثر بأية وسيلة كالبريد أو غيره أو بالوسائل العلمية الاخرى كالاجهزة اللاسلكية والشيفرة والارسال (ارسال المعلومات لاسلكيا بقصد تبليغها) والاستقبال (تلقي الرسائل والتعليمات) .

وتنظيم التراسل أي (Organisation) هو اعداد الوسيلة لتكون صالحة للاستخدام سواء في الاتصالات المتبادلة من جانب واحد أو من جانبين وان اخفاء التراسل سواء بالاخفاء المادي كالكتابة بالحبر السرى أو غيره فهو دليل على سوء القصد . وكذلك انشاء محطة لاسلكية أو أي وسائل تراسل كالارسال والاستقبال أو انشاء مقر للحمام الزاجل المدرب كل ذلك مما تتوافر به تنظيم التراسل .

القصد الجنائي في جرائم امن الدولة :

وبعد معرفة ما تقدم يتضح أن جرائم أمن الدولة السابق شرحها هي جرائم أصلا عمدية وتحديد القصد منها يتوقف على خطورة الجريمة الا أن المشرع كما سبق قد اكتفى في بعض الجرائم بالقصد العام أي بارادة الجاني ارتكاب الفعل المكون للجريمة مع علمه بالظروف ونص في بعضها على قصد خاص بعبارة (لا لبس فيه) .

فرفع السلاح على البلاد والعمل مع القوات المعادية أو اذاعة أسرار الدفاع وما في حكمها أو نقل أو رسم أو تصوير أو شرح أو وصف المنشآت او ما يماثلها كل هذا لا يتطلب سوى (القصد العام) وهو العلم أما ما مضى عليه صراحة من الاتصال بدولة معادية للقيام بأعمال عدائية فهو يتطلب قصدا خاصا فوق العلم وهو أن يقوم في ذهن الجاني أنه يقدم مساعدة للعدو او لجهوده ضد البلاد او لتعينه هذه الجهود التي يحتفظ بها للاستفادة منها في الوقت المناسب فيما يضر بمركز البلاد وقد يتجه أيضا قصد الجاني وذهنه الى الاضرار

بمركز البلاد الاقتصادي والسياسي أو الحربي أو الدبلوماسي فاذا وقعت الجريمة وقت السلم فان ظروف الحال بملابساتها مما يعين على فهم حقيقة ما يرمي اليه الجاني وسوء القصد يكون واضحا لا شك فيه اذا قامت الاتصالات أو تم التخابر مع دولة تضمر العداء للبلاد ـ كاسرائيل ـ أو بها مظنة الاعتداء عليها أو هي في حالة حرب معها وهناك مسألة أخرى لا يتجه قصد الجاني فيها الى الاضرار وانما يكون من شأنها الاضرار (وتقدير ذلك متروك للقاضي) لأن المشرع كما تقدم القول انما قصد حماية شخصية الدولة بغض النظر عن النتيجة التي ينتجها الفعل أي يكفي احتمال وقوع الضرر .

أما في جريمة انتهاك أسرار الدفاع فهي لا تتطلب سوى مجرد العلم أي القصد العام وتسليم مثل هذه الاسرار أو توصيلها أو الاخبار عنها فيكفي فيه مجرد العلم بأن ما يفعله الجاني انما هو فعلا سر من أسرار الدفاع وقد فصل القانون في مواده مثل هذه الاسرار صراحة فلا يصح بعدها الادعاء بالجهل بها أو الادعاء بأنها ليست من أسرار الدفاع أو انها مما ينشر في الصحف أو يرد في المقالات أو غيرها أما جريمة الحصول على السر فهو أمر معاقب عليه حتى ولو لم يكن الجاني ينوي ابلاغه الى دولة أجنبية أو دولة معادية أو لمن يعملون لمصلحتها .

الاتفاق الجنائي (المادة ٨٢ ب) :

نصت المادة ٨٢ ب على ما يلي : يعاقب بالاشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة كل من اشترك في اتفاق جنائي سواء أكان الغرض منه ارتكاب الجرائم المنصوص عليها في المواد ٧٧ ، ٧٧ أ ، ٧٧ ب ، ٧٧ج ، ٧٧ هـ ، ٧٨ ـ ٧٨ أ ، ٧٨ب ،

٧٨ د ، ٧٨ هـ ٨٠ أو اتخاذها وسيلة للوصول الى الغرض المقصود منه ويعاقب بالاعدام أو الاشغال الشاقة المؤبدة كل من حرض على الاتفاق أو كان له شأن في ادارة حركته ومع ذلك اذا كان الغرض من الاتفاق ارتكاب جريمة واحدة معنية او اتخاذهـا وسيلة الى الغرض المقصود يحكم عليه بالعقوبة المقررة لهذه الجريمة .

وقد ورد بالمذكرة الايضاحية أن هذه المادة هي مادة جديدة روعي

اضافتها لوضع عقوبة على الاتفاق الجنائي على ارتكاب الجنايات المنصوص عليها في هذه المادة أغلظ من العقوبات المقررة للاحكام العامة للاتفاق الجنائي في المادة (٨٤) عقوبات وفقراتها . ومع استحداث جريمة جديدة خاصة لمن دعا آخر اتفاق جنائي ولم تقبل دعوته كانت أصلا غير معاقب عليها . أما جريمة الاتفاق الجنائي المنصوص عليها في هذه المادة فهي من نوع خاص انما هي ككل جرائم الاتفاق الجنائي يجب أن يثبت فيها أولا حصول الاتفاق وغرضه وقصد الجاني منه ....؟

أما حصول الاتفاق فهو يتم كما هو معروف بتقابل ارادة المتفقين واتحادها على ارتكاب جريمة من الجرائم المذكورة آنفا في المـادة السابق شرحها فيما تقدم أو اتخاذها وسيلة للوصول الى الغرض المقصود من الاتفاق .

والاتفاق هنا مقيد بارتكاب جريمة من جرائم (أمن الدولة) والتي اذا وقعت تجعل سلامة الدولة في خطر وتنم عن الخيانة وتخطي الولاء الواجب للدولة . فهذا هو الغرض المقصود منه .

ولا يشترط في هذا الاتفاق جميه (Association)

ولا يشترط استمراره ولا تنظيمه ولذا يعاقب عليه لو كان منه أطراف ولها رآسة وعلاقات تبعية وتعدد أشخاص واذا كان خاليا من هذا كله حتى عند اقتصار العدد الى اثنين أو ما يقرب منهما . وانما يشترط أن يكون جديا دون حاجة الى تنظيم أو استمرار أو مضي فترة زمنية وذلك خلافا لقانون العقوبات الايطالي الذي اشترط أن تكون مدة الاتفاق على الاقل ثلاثة شهور وتشدد العقوبة اذا كان هناك عشرة على الاقل أو أكثر داخلين فيه .

ولا شك أن تبادل الرضا لازم لقيام الاتفاق وهو جريمة مستمرة على كل حال وقد نص فيه خلافا للقانون العام على عقاب الشروع أيضا وذلك في الفقرة الاخيرة وهو الاتفاقالذي لم تقبل الدعوة اليه . والاتفاق على جريمة من الجرائم الواقعة على أمن الدولة يوجب مسؤولية جميع المتفقين بغض النظر عن الغاية البعيدة منه وذلك لأن الباعث لا اعتبار له في قيام المسؤولية الجنائية ولأن الغاية مهما تكن لا تبرر الوسيلة غير المشروعة اذ أن نشر المبادىء أو تجسيدها لا يكون بطريق العنف أو الجريمة .

القصد الجنائي والتحريض :

أما القصد الجنائي في جرائم الاتفاق الجنائي فهو مقصد عام يجب لتوافره أن يكون الجاني على علم بأن القانون يحرم مثل هذا الاتفاق على ارتكاب الجريمة أو الجرائم الخاصة بأمن الدولة وهو علم مفترض وأن تتحد ارادة الجاني الى الدخول في الاتفاق مع غيره فاذا كان أحدهما جادا والآخر يعلم الغرض والآخر لا يعلم فلا عقاب لأن الرضا يجب أن لا يكون معيبا بينهما • والتحريض هنا هو أحد الداخلين في الاتفاق على تحقيقه أو بث روح الاتحاد بينهم أما التدخل في حركة الاتفاق فهو التعهد بتنظيمه أو موالاته ـ أدبيا ـ وماديا ـ وللقاضي أن يستخلص التدخل من الوقائع المعروضة أمامه • وتشديد العقوبة يرجع الى نشاط المحرض واستخفافه بالسلطات وقد ينجح مثله في الهرب من المسؤولية لتخفيه وعدم ظهوره مع أن دوره يكون أخطر من غيره •

ويوجد شبه بين هذا الاتفاق وبين الاشتراك بالاتفاق في المادة ٤٠ عقوبات من حيث امكان وقوعه على جريمة معينة ويختلفان في أن المشرع لا يشترط الجريمة في الاتفاق الجنائي بالمادة ٨٢ ب بينما يشترط وقوعها في المادة ٤٠ عقوبات واذا كان الغرض من الاتفاق ارتكاب جريمة أو أكثر مما نص عليه في المادة ٨٢ ب أو اتخاذها وسيلة للغرض المقصود من الاتفاق فقد نص على عقاب المتفقين بعقوبة الجريمة الاصلية لانه من غير المقبول أن يعاقبوا بعقوبة أشد طالما أن الجريمة نفسها لم ترتكب ولو كانت ارتكبت لعوقب الجاني بعقوبتها •

وعلى هذا الاساس ينبغي على القاضي في الاتفاق الجنائي على جريمة واحدة أن يقارن بين عقوبة الاتفاق المقررة في المادة ٨٢ ب وبين عقوبة الجريمة الاصلية وتوقيع أيهما أخف •

أما اذا كان الغرض من الاتفاق ارتكاب عدة جرائم ثم وقعت جريمة أو أكثر منها فتطبق المادة ٣٢/٢ من قانون العقوبات وتوقع عقوبة واحدة وهي المقررة للجريمة الاشد سواء كانت هي المقررة للاتفاق الجنائي أو للجريمة التي دفعت بالفعل ••

المادة ٨٣ الخاصة بالغرامة واسبابها :

تنص المادة ٨٣ على ما يلي : « في الجنايات المنصوص عنها في هذا الباب

يجوز للمحكمة في غير الاحوال المنصوص عليها في المواد ٧٨ ، ٧٩ ، أن تحكم فضلا عن العقوبات المقررة لها بغرامة لا تتجاوز العشرة آلاف جنيه ».

وقد أراد المشرع بهذه المادة أن يزيد على العقوبات المفروضة في النصوص التي اشتمل عليها باب الجرائم المضرة بأمن الدولة عقوبة تكميلية جوازية وهي الحكم بالغرامة التي لا حد أدنى لها واستثنت المادة جرائم الاتجار مع الاعداء لأن الغرامة منها وجوبية وقد أراد المشرع أن يشدد أيضا في الجزء الذي يوقع عن هذه الجريمة من جهة لأن المتهمين (العملاء) يكونوا قد استفدوا ماديا من نشاطهم المحرم ولأن الدولة تبذل المال الوفير في سبيل الوصول الى معرفة وكشف هذا النشاط سعيا الى قهر عدوها وكشف أسرار الدفاع فهذا الجزاء الاضافي انما هو وسيلة لحرمان المتهم (العميل) مما عسى أن يكون قد حصل عليه من ثمن الجريمة ولم يكشف أمره ..

والغرامة هنا عقوبة فردية وليست نسبية فتوقع على كل متهم على حدة ولو تعدد المتهمون .

حالة الحرب ومعناها :

لما كان التفريق بين زمن الحرب وزمن السلم أمر له خطورته في حكم مواد القانون وللخلاف الذي كان يقوم دائما في مثل هذه القضايا بين الدفاع والاتهام خصوصا ما سبق أن تردد عن العلاقات بين مصر واسرائيل قبل سنة ١٩٥٧ وعن ان حالة الحرب تبدأ كذلك مع زمن الحرب فان المشرع عند تعديل قانون العقوبات عام ١٩٥٧ رؤي أن ينص على هذا الامر صراحة وأن يفسره فأورد في المذكرة الايضاحية حكما جديدا يلحق بحالة الحرب الفترة التي يحدق بها خطر الحرب متى انتهت بوقوعها فعلا باعتبار أن تلك الفترة وان كانت في الواقع ليست من زمن الحرب الا أنها تبلغ بحكم الظروف مبلغ (حالة الحرب) مما يقتضي تسويتها بتلك الحالة وبناء أحكامه عليها فنص في الفقرة جـ من المادة (٨٥ ـ آ) على أنه :

« تعتبر حالة قطع العلاقات السياسية في حكم حالة الحرب وتعتبر من زمن الحرب الفترة التي يحدق فيها خطر الحرب متى انتهت بوقوعها فعلا » .

ونظرا للخلاف الذي كان قائما أصلا بين الشراح في أن الحرب لا تقع من

وجهة نظر القانون الدولي الا بين الدول وأنها تبدأ من وقت اعلانها فقد ضمنت الفقرة (د) من المادة (٨٥ ـ أ) النص أيضا على أنه يعتبر في حكم الدول الجماعات السياسية التي لم تعترف لها البلاد بصفة الدولة متى كانت تعامل معاملة المحاربين ولم يقصد المشرع بذلك الى خلق حكم جديد وانما رؤي التصريح به باعتباره من المبادىء التي استقرت عليها آراء الفقه والقضاء في القانون ويقصد بذلك (اسرائيل) بالنسبة للبلاد العربية التي لا يمكن أن تعترف بها كدولة فأورد في الفقرة (د) ما يلي :

« تعتبر في حكم الدول الجماعات السياسية التي لم تعترف لها البلاد بصفة الدولة وكانت تعامل معاملة المحاربين » .

وعلى هذا الاساس وان كان الاصل في فقه القانون الدولي ان الحرب بمعناها (الحرب) انما هي الصراع المسلح بين دولتين الا أن للامر الواقع أثره في تحديد هذا المعنى في الحالة القائمة بين البلاد العربية واسرائيل مثلا وهي حالة لها كل مظاهر الحرب ومقوماتها وفضلا عن أن المذكرة الايجابية الاخيرة أوضحت كما أوضحت من قبل المذكرة الايضاحية للقانون رقم (٤٠) لسنة ١٩٤٠ أنه في حالة الحرب تطبق العقوبة المغلظة أما العقوبة العادية فلا تطبق الا اذا كانت الدولة في حالة سلام مع سائر الدول أي أن العبرة بالحالة التي عليها البلاد العربية مع اسرائيل لأن واقع الحال يدل عليه منذ أن قامت الحرب بين الدول العربية واسرائيل في مايو ١٩٤٨ فقد سبق اعلان الاحكام العرفية في ١٤ مايو ١٩٤٨ وظلت الاحكام العرفية معلقة بالرغم من عقد الهدنة ولما رفعت في بعض البلاد استبقى العمل في بعض المناطق بالاحكام العرفية وحتى الذي حدث من أمر الهدنة وهي خاصة بوقف القتال فقط فلم يمنع اسرائيل من أن تهاجم (مصر) في ١٩٥٦/١٠/٢٩ مع انكلترا وفرنسا بالرغم من هذه الهدنة وبالرغم من أن مصر لم تقم بأي اعتداء قبل ذلك بل أن اسرائيل عبثت بالقواعد الدولية ولا تزال .

الاذاعات والدعايات الكاذبة :

المادة ٨٠ ج :

تنص المادة (٨٠ ج) على ما يلي « يعاقب بالسجن كل من أذاع عمدا في

زمن الحرب أخبارا أو بيانات أو اشاعات كاذبة أو مغرضة أو عمد الى دعاية مثيرة وكان من شأن ذلك كله الحاق الضرر بالاستعدادات الحربية للدفاع عن البلاد أو بالعمليات الحربية للقوات المسلحة أو اثارة الفزع بين الناس أو اضعاف الجلد في الامة . وتكون العقوبة الأشغال الشاقة المؤقته اذا ارتكبت الجريمة نتيجة تخابر مع دولة أجنبية وتكون العقوبة الاشغال الشاقة المؤبدة اذا ارتكبت نتيجة التخابر مع دولة معادية » .

ولقد سبق أن ذكر في البحوث السابقة بأن أفق الحرب الحديثة قد أصبح لا يقتصر بسلاح جديد ولا يزهق النفس وانما يميت القلوب الحائرة ويحطم الاعصاب حتى يضيق أهل البلاد بالحرب فيكرهون المضي فيها (تثبيط الشعور القومي ...) .

وقد لجأت الدول ومنها (المانيا) في الحرب العالمية الثانية الى هز مشاعر الناس باشاعة الاخبار الكاذبة اضعافا لروحهم المعنوية حتى ينحل اتحاد الامة ولا تستطيع التماسك أمام عدوها ولذلك رأى المشرع العربي أسوة بالبلاد الاخرى أن يكافح مثل هذه الدعاية الخطرة التي انما هي دعوة سياسية للهزيمة

أو هي في حقيقتها (حرب الاعصاب) فأنشأت وزارات الاعلام والثقافة في جميع الدول العربية للعمل على تبصير الجماهير بالحقيقة وزيادة الوعي القومي .

وفي فرنسا صدر قانون باعتقال الافراد الذين يسيئون للبلاد والخطرين على الدفاع أو على الامن العام وصدر كذلك بالدول العربية مثل هذه القوانين حتى لا يتمكن مثلهم من اضعاف الروح المعنوية للامة وأركان هذه المادة في مصر ما يلي : اذاعة الاخبار أو البيانات أو اثارة الاشاعات أو نقلها وتداولها وبثها بين الناس بما يفيد مضي التواتر والانتشار وهي تتم بأية كيفية وعلى أية صورة ولم يشترط المشرع لها العلانية أو الطرق المنصوص عليها في المادة(١٧١) عقوبات فالجاني الذي يقوم بنقل الخبر الكاذب الى كل من وجده أو صادفه حتى يشيع ويعرفه عدد ملحوظ من الناس ولو كانوا في بلد واحد أو مكان واحد يعتبر مرتكباً للجريمة ويستوي في ذلك أن تكون الاذاعة بالخطب أو المقالات أو في صورة نقد أو تهديد أو بالكتابة او استخدام محطة سرية لاسلكية أو بالسينما أو بالاشرطة الصوتية أو بالرسم او بالتصوير التي تنبيء كلها عن

فكرة اثارة من يطلع عليها ولذا عمدت الحكومات الى وضع رقابة على الانباء خصوصا الخارجية منها الامر الذي أصبح متعارفا عليه في فقه القانون وهو حق الدولة في نطاق سيادتها بأن تراقب الاخبار الداخلية والخارجية قبل اذاعتها على الناس وخاصة وقت الحرب •

والاخبار الكاذبة : (Les nouvelles fausses) : هي الاخبار التي لا أصل لها أو التي طرأ عليها تحريف أو تشويه أو اسناد واقعة غير صحيحة تشوه الحقيقة •

والبيانات (informations) فهي المعلومات التي تروى عن أمر عرف الناس وقوعه اجمالا فيتناول البيان تفصيلات لا أساس لها عن سيرة الحرب مثلا أو عجز محصول رئيسي للبلاد •••

والاشاعات الكاذبة : (les rumeurs fausses) فهي رواية الوقائع وترديدها بحيث يظن الناس أنها حقيقة ومنها (النكات الهدامة[1]) التي تطلق من قبل مروجي الاشاعات الكاذبة مما يكون له زعزعة الثقة والاستخفاف بالسلطة•

والتمييز بين الخبر الكاذب والصحيح أمر يتصل بالملابسات التي تحيط بالواقع وهو مسألة موضوعية يختص بها القاضي • أما الدعاية المثيرة فهي الحملة المنظمة لاثارة النفوس (propagande) والتي تهيج الجمهور حتى يتبدل رضائه عن حكومته الى سخط كما كان يحدث في المانيا النازية (حرب الاعصاب) •

ومن المعلوم أن المادة (٨٠) وضعت لما يسمى (حرب الاعصاب) والغرض منها الفت في عضد وثبات الامة واضعاف الروح المعنوية في البلاد وهي في عرف علماء النفس (أقوى من أى سلاح) فلو قال شخص للناس مثلا (كيف ترضون أن تعيشوا عدة سنوات بنظام البطاقات التي يصرف لكم بها كل شيء بحساب) وظل يسعى بهذه الدعاية الخبيثة في كل مكان فان ذلك يضر بالحالة النفسية للشعب • بينما يكون نظام البطاقات لمصلحة الشعب وهو راضي قبلا عنه • وهذا قد يحصل من أجنبي خارج البلاد كما يحصل أيضا من وطني

---

(١) اعترف الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في احدى خطبه السياسية بعد نكسة حزيران ١٩٦٧ بوجود مثل هذه النكات بقوله رحمه الله : ان الشعب المصري شعب بينكت (بيحب النكتة) •

داخلها وكذلك يكون الحال بنشر آخبار كاذبة عن طريق الاذاعة من محطا خفية أو من أفراد يتنقلون بين الشعب ويسممون أفكاره ولنا في هذا المجال وقفة بسيطة بالنسبة للدعاية الاسرائيلية المضادة لنا فاسرائيل دأبت على اشاعة الاقاويل والدسائس ضدنا بمختلف وسائل الاذاعة التي تملكها وان كل وطني يعرف ويميز ما تقوله الدعاية الاسرائيلية وما تقصد منه وهي بأي حال من الاحوال لا يمكن أن تذيع لنا خبرا الا فيه السم الزعاف لانه لا يصل الى اذن أو نظر السامع أو المشاهد الا ويكون قد رتب في دوائر الاعلام الاسرائيلية التي تمتد الى ما وراء حدودها ومن قائل بوجوب الاستماع الى ما تذيعه اذاعة العدو ومشاهد برامجه التلفزيونية التي أصبحت تغطي مع الاسف مساحة شاسعة من سوريا ولبنان وذلك للاطلاع والمعرفة (اعرف عدوك) ونحن نقول ان هذا خطأ لأن قناعة المواطن العربي وضميره يدلانه على أن كل ما يذاع هو مهيء ومدروس لكي يكون أداة تفرقة بين الشعوب العربية وللتشكيك في الزعماء السياسيين وجعل الجماهير العربية تستخف بهم وهذا قصد الدعاية الاسرائيلية لذلك نرى أن يمتنع الجميع عن ذلك من ضميرهم وقناعتهم دون الطلب اليهم ذلك .

أما الركن الثاني من الجريمة : فهو أن يكون من شأن هذه الدعاية المثيرة الحاق الضرر بالاستعدادات الحربية للدفاع عن البلاد أو بالعمليات الحربية للقوات المسلحة أو اثارة الفزع بين الناس وانما أراد الشارع بذلك حماية الرأي العام من خطر الاخبار الكاذبة أو المغرضة ولم يشترط القانون وقوع الضرر فعلا بل احتمال ذلك وللقاضي السلطة المطلقة في تقدير كل هذا لدى العرض عليه .

ويتوافر القصد الجنائي بعلم الجاني بكذب الخبر أو الاشاعة أو علمه بأنها مغرضة ومثيرة وليس في هذه النصوص كلها من تأثير على حرية الرأي التي هي أولى الفضائل والتي أصبحت مبدأ أساسي مقدس من مبادىء الديمقراطية والتي انما ترمي الى الخير وتهيء الاستقرار للمصالح العامه لان الرأي اذا تجاوز الغرض الاسمي من ابدائه وأصبح دعوة الى الفوضى والاستهتار والرذيلة فانه لا يكون عندئذ فضيلة ولا يعد من قبيل الرأي الحر ولا يستحق حماية القانون. فمثلا هناك أناس لا هم لهم سوى الجلوس في المقاهي في الوطن العربي واطلاق

الشائعات (يومياً) حسب مزاجيتهم أو تبديل الحكومات حسبما يتراءى لهم لدرجة اظهار اشاعاتهم أمام الغير مظهر الجد بالاضافة الى انتقادهم الاوضاع مهما تحسنت ويؤكدون أن انتقادهم انما يكون للمصلحة العامة التي هي من وجهة نظرهم الضيقة بينما هم ينفثون ما في صدورهم وغالبا ما يكون لاشاعاتهم صدى مضر في الاوساط الشعبية التي تلتقطها منهم وتضيف اليها (البهارات اللفظية ..) هؤلاء وهم يعرفون أنفسهم من القاهرة الى دمشق الى بيروت الى عمان الى الجزائر .. الخ يجب عليهم بالذات العودة الى الضمير والعقل والمناقشة المجدية في أمور الساعة عوضا عما يطلقونه من اشاعات ونحن نعلم علم اليقين بأن المخابرات العربية ترصد حركاتهم وتعرف أحاديثهم يوميا[1] وقد أسقطتهم من حسابها لان أي منهم يتمنى بحكم بطالته وعالته على المجتمع أن تقبض عليه هذه المخابرات للتحقيق معه والتنبيه عليه باحالته للمحاكم المختصة مستقبلا ليخرج بعد ذلك مدعيا (البطولة) ناسجا ما يحلو له من الادعاءات عما لاقاه في المخابرات .

ان الغرض الذى يرمي اليه المشروع من النص على هذه الجرائم هو الكشف عن مرتكبيها والعمل على تجريم من يخفي الجواسيس او يساعدهم أو يقدم لهم الاعانة أو أي وسيلة للتعيش أو السكن أو المأوى أو يعيرهم مكانا للاجتماع او يسهل لهم ذلك أو يحمل رسائل أو يخفي الادوات التي استعملوها في ارتكاب جرائمهم وقد جعله المشرع في حكم (الشريك) وأراد أن يضيف بذلك أحكاما جديدة لقواعد الاشتراك ولو لم تكن هذه الافعال مستكملة للاركان والشروط القانونية التي تتطلبها مواد الاشتراك فجاء نص المادة (٨٢) على هذا الاساس كما يلي :

يعاقب باعتباره شريكا في الجرائم المنصوص عنها في هذا الباب :

١ ــ كل من كان عالما بنيه الجاني وقدم له اعانة أو وسيلة للتعيش أو السكن او مأوى أو مكانا للاجتماع أو غير ذلك من التسهيلات وكذلك من حمل رسائله او سهل له البحث في موضوع الجريمة أو اخفائه أو نقله أو ابلاغه .

---

(١) وخير دليل على ضعف شخصية هؤلاء ومكانتهم في المجتمع هو وجود (مرشدين أي مخبرين للمخابرات) من بينهم بالذات .

٢ ــ كل من أخفى أشياء استعملت أو أعدت للاستعمال في ارتكاب الجريمه او تحصلت منها وهو عالم بذلك .

٣ ــ كل من أتلف أو اختلس او أخفى او غيَّر عمدا مستندا من شأنه تسهيل كشف الجريمة أو ادلتها او عقاب مرتكبيها .
ويجوز للمحكمة في هذه الاحوال من العقوبة معاقبة اقارب الجاني أو اصهاره الى الدرجة الرابعة اذا لم يكونوا معاقبين بنص آخر في القانون .

ومما تقدم يبدو واضحا أن المشرع انما أراد بهذه المادة بالنسبة لجرائم الإعتداء على أمن الدولة الخارجي لما لها من أهمية وخطر ــ أن يسد ما قد يتخلف من تطبيق القواعد العامة للاشتراك ومساعدة الجاني للفرار من وجه القضاء من ثغرات ومسلكه في هذا هو نوع من التحفظ والاحتياط لامكان عقاب كل نشاط يتصل بهذه الجرائم ولو كان الاتصال بعيدا عن الفعل الاصلي بما لا يجعله اشتراكا أواخفاء طبقا للقانون وحدد الجريمة فعاقب على كل المساعدات الادبية والمالية وممالأة الجاني هذا فضلا عن أنه اذا وجدت عنصر الاشتراك تطبق أحكامه .

وانما يجب أن يقع من الجاني فعل ايجابي من الافعال المنصوص عليها سابقا وهو يعلم نية الجاني الاصليه الاجرامية على وجه الترجيح ويستمان باثبات هذا العلم بالظروف والقرائن التي تلابس تقديم المعونة أو التسهيل .. الخ .

ولما كانت الصلات العائلية مما تبعث أصلا على التعاطف على من تورط في أية جريمة فيلتمس له أهله تحت تأثير العاطفة الفطرية (السلامة) وهو شعور طبيعي لانقاذ قريبهم من التهمة والوالد الى جانب ولده والزوجة الى جانب زوجها والجد والحفيدة وكل هؤلاء يسارعون الى التستر بعضهم على بعض الا أن المشرع لخطورة جرائم أمن الدولة على الدولة ترك للقضاء حق تقدير الاعفاء فأجازه ولم يطلقه وللمحكمة أن تستعمله أولا تستعمله طبقا للظروف التي تراها ان لم يكونوا معاقبين بنص آخر أو مساهمين في الفعل وذلك لان مصلحة الدولة تعلو مصلحة الاسرة وحتى يعرف القارىء الكريم من هم الاقارب الذين ينطبق عليهم النص فانهم هم (Parents) والاصهار (Allies) والقريب يكون

من جهة العصب كالاب والجد والابن والصهر في المشهور من القول هو زوج البنت أو زوج الاخت ويدخل في الاصهار الزوجة بطريق الاولى لدخول أقاربها في رتبة المصاهرة وهي أولى منهم والدرجة هي رابطة بين شخصين اثنين صعودا أو نزولا فبين الاب وابنه درجة وبين الجد وحفيده درجتان وهكذا ولا بد أن يجتمع من يراد معرفة درجته بغيره في أصل واحد كالاب والجد على ذلك يكون ابن الاخ في الدرجة الثالثة لان الاخوين يجتمعان في أب واحد وهو الاصل

وبين الاب وابنه درجة واحدة بين الاب وابنه الاخر درجة أخرى وبين ابن الاخ والاب درجة ثالثة وابن العم في الدرجة الرابعة بنسبته الى ابن عمه لأن بين الاب وابنه درجة وبينه وبين الابن الاخر أي (الاخ) درجة ثانية وبين كل ابن وأبيه درجة فيكون ابن العم في الدرجة الرابعة وابن أخ الزوجة في الدرجة الثالثة الاصل الاب وبين الاب وابنته درجة وهي (زوجة) وبين الاب وابنه (أخ الزوجة) درجة .. كل ذلك مفسر لأن القاعدة أن كل أصل وفرعه تفصلهما درجة على التوالي ..

الاعفاء من العقاب والمادة ٨٤ ــ أ :

تنص المدة ٨٤ ــ أ على ما يلي :

« يعفى من العقوبات المقررة للجرائم المشار اليها في هذا الباب كل من بادر من الجناة لابلاغ السلطات الادارية أو القضائية قبل البدء في تنفيذ الجريمة وقبل البدء في التحقيق ويحق للمحكمة الاعفاء من العقوبة اذا حصل الابلاغ بعد تمام الجريمة وقبل البدء في التحقيق ويجوز لها ذلك اذا مكّن الجاني في التحقيق السلطات من القبض على مرتكبي الجريمة الاخرين أو على مرتكبي جريمة أخرى مماثلة لها في النوع والخطورة » .

وهذه المادة هي تعديل للمادة (٢/٨٤ ، ٣) من القانون القديم الا أن صياغتها عدلت تعديلات أوفي وهي تقابل كذلك المادة (١٠٥، ١٠٧) من القانون الفرنسي وحكمة الاعفاء المنصوص عليه في هذه المادة هو الكشف عن الجرائم لانزال العقاب بباقي المجرمين الذين لم يكشفهم التحقيق وهو أمر أولى بالاعتبار لأن فيه مصلحة محققة للدولة . ولأن التبليغ يدل على التوبة والندم على ما بدر من المبلغ وعلى نزعة طيبة . فاذا وقع التبليغ قبل بدء تنفيذ الجريمة وقبل البدء في التحقيق كان الاعفاء واجبا قانونا وذلكأسوة بما نص عليه القانون في جرائم

الاتفاق والرشوة والتزوير وتزييف النقود وغيرها . فاذا نفذت الجريمة فلايعفى المبلغ وجوبا بل يترك الامر جوازيا للمحكمة وتقديرها للاستفادة من التبليغ في هذا الوقت .

والاعفاء قبل البدء في التحقيق جوازي للمحكمة وذلك لان الجاني الذى يبلّغ قبل البدء في التحقيق انما يندفع تحت تأثير اتهامه ليتخلص من تبعة الجريمة وهو في ذلك انما يرعى مصلحة نفسه قبل مصلحة الدولة وقبل المصلحة العامة.

ولذا يجب أن يكون التبليغ عن الجناة الاخرين وعن الجريمة مستكملا عناصره من جهة بيان نوع الجريمة وزمان ومكان ارتكابها وأسماء مرتكبيهـا وعناوينهم وما يعرفه المتهم عنهم ليكون التبليغ مثمرا الثمرة المرجوة ولا يعفى الجاني للتبليغ المبهم أو الغامض .

والاعفاء بعد التحقيق وهو ماورد في الفقرة الثالثة فهو جوازي أيضـا للمحكمة ويجب أن يمكن المتهم السلطة من القبض على مرتكبي الجريمة الاخرين أو على غيرها من جرائم تماثلها بالخطورة ومن نوعها ويجب أن يكون تبليغه عن أسماء كل من يعرفهم من الفاعلين أو الشركاء فاذا تستر على البعض منهـم دون البعض أو حرّف في الوقائع المسندة اليهم فانه لا يجوز اعفائه لانه يكون عند ئذ مغرضا في تبليغه ومضللا بما أبداه من معلومات .

وكذلك لا يجوز الاعفاء الا اذا كان التبليغ هو السبب في القبض عـلى الجناة فاذا عرف الجناة من قبل التبليغ فان الشرط الذي جعله المشرع مسوغا للاعفاء لا يتوافر وللمحكمة المختصة بالموضوع الفصل النهائي فيما اذا كانت

البيانات التي أدلى بها المبلغ كافية لتسهيل القبض عليهم. أما امر الحكم عليه من عدمه فلا دخل له في الاعفاء لأن الدليل عند تمحيصه أمام المحكمة قد يختلف التقدير في النظر اليه اي أنه لا يشترط للاعفاء من الحكم على المبلغ عنهم والمفهوم كذلك انه لا يمكن أن يستفيد من الاعفاء والتسامح الا لمن درأ عن الدولـه بالفعل ضررا محققا أما اذا أبلغ عن أمر لم يعد جديدا أو كان معروف أو من أشخاص معلومين للسلطات فانه لا يكون هناك فائدة من التبليغ ولا يمكن اعتبار المبلغ قد أدى أي خدمة للدولة يستحق عليها الاعفاء .

كما يشترط قطعا أن يكون الارشاد هو الذي سهل القبض على باقي المجرمين .

أما اذا كانت السلطات المختصة أو المحقق وفقوا الى معرفتهم واقتفاء أثرهم من غير هذا السبيل فلا محل للاعفاء لان الارشاد لا يكون قد كشف عن الجريمة أو فتح السبيل للمحقق وهي أمور تستقل بها السلطة الحاكمة دون سلطةالاتهام.

ولكي نقدم للقارىء مثالا حيا على تطبيق هذه البحوث القانونية التي شرحناها ليكون لديه القناعة التامة عن تطبيق هذه القوانين تطبيقا عمليا من قبل السلطات القضائية في جمهورية مصر العربية ...

اكتشفت المخابرات العربية في القاهرة عام ١٩٥٩ شبكة تجسس لحساب اسرائيل بحيث أدخلت بعض عناصر المخابرات العربية المدربين الى الجهاز السري للشبكة فاتضح ان لها فروع في روما ــ وجنيف ــ وزيوريخ ــ وامستردام ــ وان هذه الفروع تتبادل الرسائل اللاسلكية.واتضح بعد ذلك أن لاسرائيل ست اخلايا تكون في مجموعها شبكات التجسس التي تعمل بين القاهرة والاسكندرية ودمشق فشكلت لها محكمة أمن دولة عليا خاصة بموجب القرار الجمهوري رقم ٧١ لسنة ١٩٦٠ طبقا لقانون الطوارىء ويشمل اختصاصها كل ماحدث من وقائع التجسس في الخارج ــ فرنسا ــ ايطاليا ــ هولندا سويسرا وما حدث في الاقليمين المصري والسورى (أيام قيام الوحدة) وما قام به الجناة من التجسس في بغداد والبصرة ــ وليبيا ـ واستمرت المحاكمة حوالي الخمسة أشهر في حينه وصدرت الاحكام فيها في ٢٥ أكتوبر ١٩٦٠ بعد أن عقدت المحكمة (٨٣) جلسة وبلغ عدد صفحات الدعاوى ومرفقاتها حوالي ستة آلاف صفحة واستمعت المحكمة الى (٩٥) شاهدا منهم الخبراء والاختصاصين . وكان عدد المتهمين سبعة عشر متهما منهم ستة من الاجانب والباقي من المصريين وكان عددالمحامين عن المتهمين (٣٣) محاميا وجرى ندب أربعة خبراء بمعرفة المحكمة عدا خبراء مصلحة التزييف والتحليل بالطب الشرعي وخبراء اللاسلكي وخبراء التخابر بالحبر السري والوسائل الاخرى التي تم بها التجسس بالاضافة الى المترجمين لكل لغة يتكلمها المتهمون الاجانب في هذه القضية وأخيرا صدر حكم المحكمة كما يلي :

١ ــ حكمت بالاعدام على ثلاثة من المصريين (نفذ الحكم فيما بعد) .
٢ ــ حكمت على مصري آخر بالاشغال الشاقة المؤبدة .

٣ ـ حكمت على ستة بالاشغال الشاقة المؤقتة .
٤ ـ حكمت على خمسة بالسجن لمدد متفاوتة .
٥ ـ حكمت على اثنين بالسجن الخفيف .

وكان الحكم في الفقرة ٤ و ٥ بالنسبة للاجانب مشمولا بالرأفة لأنهم لا يحملون بين جوانبهم أي احساس بقيمة الوطن لأنه ليس وطنهم ولأنهم لا يشعرون بحق هذا الوطن عليهم .

وقد عرضت هذه الاحكام على الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في حينه فصدقها جميعا بدون أي تعديل وهكذا نجد في هذا الحكم العادل نهاية للمجرمين الذين انغمسوا في الخيانة وعندما نذكر كلمة (الخيانة) نكون أشد حزنا اذا كانت الخيانة سعيا لنفع العدو أو نظير أمر مادي أو منفعة أو متعة وهذه الاصناف موجودة في كل زمان ومكان ولدى جميع الشعوب وهم بذلك لا يخونون وطنهم فقط بل يتنكرون لآدميتهم أيضا ونتيجة انتهائهم بالاعدام او غيره من الاحكام الرادعة تنطبق عليها الآية الكريمة :
« وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » صدق الله العظيم .

. وللعلم نذكر أن في القطر اللبناني توجد عقوبات للتجسس ولكنها عقوبات اذا قيست بالنسبة لغيره من الدول لوجدناها لا تفي بالغرض المطلوب منها وهو الردع القاسي لمرتكبي التجسس او التعامل مع الجهات الاجنبية لان لبنان بلد اقتصادي حر يوجد لديه حرية تامة لالتقاء مختلف التيارات الفكرية والحزبية واهم سبب لازدياد التجسس في بيروت بالذات حيث اصبحت تشبه (هونغ كونغ) من جهة تكاثر شبكات التجسس وسبب هذا التكاثر هو الحرية في التنقل والاقامة أولا وسرية المصارف ثانيا اذ أن أي دولة أو مؤسسة أجنبية تريد أن تقوم بتنظيم عملية ما في بيروت ـ تجسس ـ مؤامرة ـ تخريب ـ اغتيال أشخاص مناوئين ما عليها سوى تحويل أي مبلغ الى احد المصارف اللبنانية ومن ثم تسحب هذا المبلغ بكل حرية وفي الوقت المناسب (بدون أي رقابة) مثله في ذلك مثل النظام الحر في سويسرا ابان الحرب العالمية الثانية فبينما نفس الجماعات لا تستطيع التحرك في الدول العربية الثانية ذات النظام الاقتصادي (الموجّه) فتضطر الى (اعتماد) بيروت ايضا لانجاز عمليات الدفع والقبض .

والمثال على ذلك مرّ معنا في هذا الكتاب وأخيرا موجة المتفجرات التي روعت أهالي بيروت وقد توزع الضرر الناتج من جراء هذه المتفجرات ما بين مكاتب المنظمات الفدائية وبعض دور السفارات واللبنانيين بعيدون عن الاشتراك في مثل هذه الاعمال والذين ينفذوها جاؤوا من خارج الحدود وهم مدربين لذلك تدريبا دقيقا ويقوموا بادخال متفجراتهم الى الاراضي اللبنانية بأشكال شتى واحترام رجال الجمارك اللبنانيين لشعور ضيوفهم الوافدين للسياحة أو الاصطياف يتيح لهؤلاء الفرصة في تمرير (عدّتهم)وحين القاء القبض على بعضهم يتضح أنهم انما يتمتعوا بالحصانة الدبلوماسية فتعمد السلطات الى ابعادهم الى بلادهم ومن يبقى منهم قيد الاعتقال والتحقيق والادانة ومرتكبي التجسس يجدون أمامهم ما يلي من مواد قانون العقوبات اللبناني ليحاكموا على أساسها :

١ ــ المدة ٢٨١ : كل من دخل أو حاول الدخول الى مكان محظور بقصد الحصول على أشياء أو وثائق أو معلومات يجب أن تبقى مكتومة حرصا على سلامة الدولة عوقب بالحبس سنة على الاقل واذا سعىبقصدالتجسس فبالاشغال الشاقة المؤقتة •

٢ ــ المادة ٢٨٢ : من سرق أشياء أو وثائق أو معلومات كالتي ذكرت في المادة السابقة أو استحصل عليها عوقب بالاشغال الشاقة المؤقتة واذا اقترفت الجناية لمنفعة دولة أجنبية كانت العقوبة الاشغال الشاقة المؤبدة •

٣ ــ المادة ٢٨٣ : من كان في حيازته بعض الوثائق أو المعلومات كالتي ذكرت في المادة ٢٨١ فأبلغها أو أفشاها دون سبب مشروع عوقب بالحبس من شهرين الى سنتين •

ــ يعاقب بالاشغال الشاقة المؤقتة خمس سنوات على الاقل اذا أبلغ ذلك لمنفعة دولة أجنبية •

ــ اذا كان المجرم يحتفظ بما ذكر من المعلومات والاشياء بصفة كونه موظفا ، أو عاملا ، أو مستخدما في الدولة فعقوبته الاعتقال المؤقت في الحالة المنصوص عليها في الفقرة الاولى • وبالاشغال الشاقة المؤبدة في الحالة المنصوص عليها في الفقرة الثانية •

ـ اذا لم يؤخذ على أحد الاشخاص السابق ذكرهم الا خطا غير مقصود كانت العقوبة من شهرين الى سنتين .

٤ ـ المادة ٢٨٤ : اذا اقترفت الجرائم المنصوص عنها في هـذه البنود لمصلحة دولة معادية شددت العقوبات وفقا لاحكام المادة ٢٥٧ عقوبات .

كما وافق مجلس النواب اللبناني في جلسته المنعقدة بتاريخ ٢٨/١/١٩٧٥ على قانون لتعديل المادة (٢٧٨) من قانون العقوبات بحيث أصبحت :

كل لبناني قدم مسكنا أو طعاما أو لباسا (لجاسوس) أو جندي من جنود الاعداء يعمل للاستكشاف أو لعميل من عملاء الاعداء أو ساعده على الهرب أو أجرى اتصالا مع أحد هؤلاء الجواسيس أو الجنود أو العملاء وهو على بينه من أمره يعاقب بالاشغال الشاقة المؤقتة .

ومن الواضح أن هذه العقوبات تطبق بصورة أشد في باقي الدول العربية وقد أدرجت ليطلع عليها المواطن ويعمل على تجنب الوقوع في براثن العمالة والتجسس ولكي يعرف ذوي الضمائر الضعيفة ما ينتظرهم من عقوبات ونعود الى التذكير بأن السلطات المختصة في الدول العربية مستعدة (تلقائيا) لمساعدة وحماية كل من تورط لسبب من الاسباب خارج أرادته في العمل لحساب مخابرات عدوة وما عليه سوى أن يتقدم حالا وبدون تردد ويعلم المسؤولين عن ذلك ليصار الى انقاذه وحمايته وأهم شيء يحصل عليه هو (راحة الضمير) وتفويت الفرصة على الاعداء .

عقوبة التجسس في الشرع الاسلامي الحنيف :.

وقعت جريمة التجسس في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ففي الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال :

بعثني رسول الله أنا والزبير والمقداد بن الاسود قال عليه السلام : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة (أي مسافرة) ومعها كتاب فخذوه منها . فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا الى الروضة فاذا نحن بالظعينة (الامرأة المسافرة فقلنا أخرجي الكتاب فقالت : ما معي من كتاب فقلنا : لتخرجي الكتاب

أو لتلقين الشباب • فاخرجته من عقاصها (شعرها) فأتينا به وبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة الى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم ما هذا ؟ قال حاطب يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت ملصقا(تبعا) في قريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات في مكة يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت اذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا ولا رضا بالكفر بعد الاسلام وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : لقد صدقكم وقال عمر بن الخطاب وقد كان حاضرا المجلس يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم : انه شهد بدرا ••••؟

وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم : (رواه البخاري ومسلم وأحمد)

وقد نقل الشوكاني في كتابه نيل الامطار هذا الحديث وقال ظاهر هذا ان العلة في ترك قتله ((كونه ممن شهدوا بدرا) ولولا ذلك لكان مستحقا للقتل ففيه متمسك لمن قال انه يقتل الجاسوس ولو كان من المسلمين •

وأشار ابن القيم في كتابه (زاد المعاد) جزء ٢ ص ١٧٧ الى هذا الحديث

وقال : واستدل بالحديث من لا يرى قتل الجاسوس المسلم كالشافعي وأحمد وغيرهما قالوا لانه علّل بعلة مانعة من القتل وهي منتفية في غيره ولو كان الاسلام مانعا من قتله لم يعلل بأخص منه لان الحكم اذا علل بالاعم كان الاخص عديم التأثير • وهذا أقوى •

وقد اتفق المفسرون على أن هذه الحادثة كانت سببا في نزول قوله تعالى في أول سورة الممتنة « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم المودّة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل» •

وقد ذكر الفقيه الكبير أبو بكر بن العربي في تفسيره أحكام القرآن الحادثة سببا لنزول هذه الآية الكريمة •

ثم قال المسألة الرابعة من كثر تطلعه على عورات المسلمين وينبه عليهم ويعرّف عدوهم باخبارهم لم يكن بذلك كافرا إذا فعله لغرض دنيوي واعتقاده على ذلك سليم كما فعل حاطب بن أبي بلتعة قصد بذلك اتخاذ اليد ولم ينوي الردة عن الدين .

اذا قلنا لا يكون به كافرا فاختلف الناس فهل يقتل به حدا أم لا فقال « مالك » و « ابن القاسم » و « أشهب » يجتهد فيه الامام وقال عبد الملك : اذا كانت تلك عادته قتل لانه جاسوس وقد قاله « مالك » يقتل الجاسوس وهو صحيح لاضراره بالمسلمين وسعيه بالفساد في الارض وجاء في تفسير القرطبي الجامع لاحكام القرآن مثل ذلك تماما وفي الجزء الثاني من كتاب « تبصرة الاحكام لابن فرحون المالكي » ص ١٤٣ « قال المسلم الذي يكتب لاهل الحرب باخبارنا يقتل ولا يستتاب ولا دية لورثته كالمحارب ...

وفي الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم في الكلام على مقدار التعزير (ص ١٠٦) هل يجوز أن تبلغ بالتعزير القتل . قال فيه قولان أحدهما : يجوز قتل الجاسوس المسلم اذا اقتضت المصلحة قتله وهذا قول « مالك » وبعض أصحاب أحمد واختاره ابن عقيل وقد ذكر بعض أصحاب الشافعي وأحمد نحو ذلك في قتل الداعية الى البدعة والتهجم والرفض وانكار القدر ص ٢٤٥ منه » وأبعد الأئمة عن التعزير بالقتل أبي حنيفة ومع ذلك فيجوز التعزير به للمصلحة كقتل القاتل بالمثل ومالك يرى تعزير الجاسوس المسلم بالقتل ووافقه بعض أصحاب أحمد ويرى هو وجماعته من أصحاب أحمد والشافعي قتل الداعي الى البدعة أيضا .

وفي كتاب الخراج للقاضي أبي يوسف صاحب ابي حنيفة (ص٢٦٦) قال: وسألت يا أمير المؤمنين عن الجواسيس يوجدون وهم من أهل الذمة أو هل من أهل الحرب أو من المسلمين ان كانوا من أهل الحرب أوأهل الذمة ممن يؤدون الجزية من اليهود والنصارى والمجوس فاضرب أعناقهم وان كانوا من أهل الاسلام معروفين فأوجعهم عقوبة وأطل حبسهم حتى يحدثوا توبة (أي يتوبوا).

والظاهرة من هذه النصوص أن الفقهاء قد اختلفوا في قتل الجاسوس

المسلم فذهب الامام مالك وابن القاسم وأشهب وبعض أصحاب الامام أحمد الى أنه يقتل لاضراره بالمسلمين وسعيه بالارض الفساد وخالف الشافعي وأحمده واستدل الاولون بحديث حاطب السابق لان عمر قال للنبي صلى اللهعليهوسلم : دعني أضرب عنقه ورد عليه النبي صلى الله عليه وسلم : بأن حاطب شهد بدرا وان الله قد غفر لاهل بدر ما يرتكبون من ذنوب وهذه العلة وان تحققت في حاطب واقتضت درء القتل عنه كعقوبة على جريمة التجسس فانها لا تتحقق فيما عداه ممن يرتكب هذه الجريمة فيجب قتل غيره من الجواسيس لان من القواعد المقررة في الاصول أن الحكم اذا علّل بالاعم كان الاخص عديم التاثير وقد بسط ابن القيم هذه الوجهة واختار هذا الرأي وقال انه أقوى وعلّل في بعض ما كتب في قوله « لان المصلحة تقتضي ذلك » ومما تجدر الاشارة اليه ان ابن العربي والقرطبي قد عبرا في صدد بيان الخلاف في عقوبه التجسس بقولهما : « فاختلف الناس هل يقتل به حدا أولا » : « وان ابن العربي أشار الى وجهة القائلين بالقتل بقوله«هل يقتل كما قل عمر من غير تفصيل ولم يرد عليهالنبيصلى الله عليه وسلم الا بأنه من أهل بدر . وهذا يقتضي أن يمنع منه وحده ويبقى قتل غيره حكما شرعيا .. الخ » فانه يفهم من قوله يقتل حدا أو ـ لا وقوله ويبقى قتل غيره حكما شرعيا .. ان الخلاف بين الفقهاء هو في اعتبار القتل العقوبة المقررة من قبل المشرع لجريمة التجسس أما جواز أنه يقتل الجاسوس المسلم منعا لشره وكفا لأذاه عن المسلمين وتطهيرا للمجتمع منه ولا يجوز أن يكون محل خلاف من أحد فقد أجاز الحنفية قتل المبتدع الذي يتوهم انتشار بدعته وان لم يحكم بكفره وقتل الا ـ ني والسارق اذا تكرر منهما ذلك بناء على أن المصلحة تقتضي هذا القتل وأجاز بعض أصحاب الشافعي وأحمد قتل الداعي الى البدعة والتهجم والحجة في ذلك كله منع الشر والفساد وتطهير المجتمع من عناصر الهدم والتخريب . فان الخلاف بين الفقهاء هو في اعتبار قتل الجاسوس حدًا وعقوبته مقررة شرعا في هذه الجريمة كما يفهم من عبارات ابن العربي والقرطبي المشار اليها .

فان قتل الجاسوس تعزيراً لا يمكن ان يكون محل خلاف :

واذا تجاوزنا هذا النطاق الى باب السياسة الشرعية وهو باب واسع في الشريعة نجد أن جميع الفقهاء قد حكموا بوجوب قتل أشخص ارتكبوا بعض

الجرائم التي لها مساس بالمجتمع أو آثار سيئة في محيطه كقتل المبتدع الذي يتوهم انتشار بدعته وقتل اللوطي والسارق اللذين يتكرر منهما هذا الجرم عند الحنفية • وقتل الداعي الى البدعة والتهجم في رأي أصحاب أحمد والشافعي فقد جاء في الجزء الثالث من (ابن عابدين) صفحة ٢٠٣ (وفي القهساني) ان السياسة لا تختص بالزنا بل تجوز في كل جناية والرأي فيها للامام علي كقتل مبتدع يتوهم انتشار بدعته « اذ أنه بعد أن عرف السياسة الشرعية قال » وهذا تعريف للسياسة الصادقة على جميع ما شرعه الله تعالى لعباده من الاحكام الشرعية وتستعمل أمضى من ذلك فيما فيه زجر وتأديب ولو (بالقتل) كما قالوا ذلك في اللوطي والسارق والخناق اذا تكرر منهم الفعل حل قتلهم سياسة • وكما مر في المبتدع ولذا عرفها بعضهم بأنها تغليظ جناية لها حكم شرعي حسما لمادة الفساد وبالتتبع لما عللوه به وجوب اجتثاث هذه العناصر وتطهير المجتمع منها يتضح أن العلة في ذلك هي الاضرار بالمسلمين واشاعة الفساد والشر في البلاد•

ولا شك أن مثل هذه الجرائم مهما قيل في شأن اضرارها بالمجتمع فان هذا الاضرار يبقى دائما في نطاق محصور مهما اتسع مداه• اما جريمة التجسس فان آثارها لا تقتصر على جانب واحد أو جماعة بل انها تعرض البلاد جميعها لافدح الاخطار بل للدمار والضياع فوجوب قتل الجاسوس سياسة شرعية اخذاً مما قرره الفقهاء في جرائم عناصر الشر المشار اليها وهو أمر لا يمكن أن يكون محل تردد واتباعا لقوله تعالى : انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا في الارض • ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم • وقد اختلف الفقهاء والمفسرون في هذه الآية في موضوعين •

الاول : في معنى المحاربة لله ورسوله هل هي المجاهرة بقطع الطريق للمكابرة باللصوصية وغيرها ؟ أو هي المجاهرة بما ذكره أو هي قطع الطريق واخافة الناس واظهار الفساد في الارض وان لم يحدث قتل ولا سلب •

الثاني : في العقوبات الواردة في هذه الاية وهي القتل والصلب والقطع والنفي هل هي على سبيل التخيير يفوّض الامر في ايقاعها الى رأي الامام واجتهاده يوقع في كل حالة (ما يناسبها) أو هي على سبيل الترتيب والتوزيع ــ القتل جزاء القتل والقطع جزاء أخذ المال والقتل والصلب جزاء الجريمتين معا وهكذا •

وقد اختار كثير من العلماء في الموضوع الاول ان المحارب هو الذي يقطع السبيل ويخيف الناس ويظهر في الارض الفساد وان لم يقتل أحدا ولم يأخذ مالا واختاروا في الثاني ان الآية نصت على التخيير وان الله تعالى رتب التخيير على المحاربة أشد . وقالوا اذا قبض على هذا المحارب فللامام أن يرى فيه رأيه ويستشير فيه ويوقع عليه عقوبة القتل وانلم يرتكب جريمة القتل أو أخذ المال . واذا كان العلماء اعتبروا الفساد في الارض واشاعة الفتنة والشر صورة من صور المحاربة لله والرسول وجماعة المسلمين وان لم يصاحب ذلك قتل ولا سلب وقدروا انه للامام في هذه الحالة أن يجتهد ويستشير ويوقع عقوبة القتل على مرتكب هذه الجريمة فان جريمة التجسس تكون أولى بايجاب عقوبة (القتل) على مرتكبها نظراً لأثرها في المجتمع وعدم وقوف نتائجها الخيرة عند حد فمثلا الجاسوس الذي يعطي الآن المخابرات الاسرائلية أوصافا لأمكنة العسكريين وغيرها مما يلحق الاذى والضرر البالغين نتيجة ذلك هل يوجد شك في وجوب اعدامه لذلك سألنا سماحة مفتي جمهورية مصر العربية عن رأيه في عقوبة التجسس في الشرع الاسلامي واعدام الجاسوس فكان رأيه : ان الجاسوس الذي تثبت ضده تهمة التجسس والتخابر يستحق القتل شرعا .

وقدطلبنا أيضا من سماحةمفتيالجمهورية اللبنانية الشيخحسنخالدالتفضل بالافتاء عن عقوبة التجسس في الشرع الاسلامي الحنيف وكانت هذه الفتوى من سماحته :

التجسس : هو الاطلاع على عورات المسلمين . وايصال أخبارهم للعدو ويرى الامام مالك . وابن عقيل من أصحاب الامام أحمد ، ان الجاسوس المسلم يقتل اجتهادا اذا عظم ضرره . ويحتجون بأن الرسول صلى الله عليه وسلم أقر عمر على ارادة قتل (حاطب بن أبي بلتعة) لايصاله أخبار المسلمين الى العدو لولا المانع ، وبينه وهو كون حاطب شهد بدرا ، وهذا متعذر في غيره فلو كان الاسلام مانعا من القتل لما علل بأخص منه .

وانفرد من المالكية ابن القاسم وسحنون بالقول بأن الجاسوس المسلم يقتل حدا لأن التجسس ردة والجاسوس مرتد لقوله تعالى « ومن يتولهم منكم فانه منهم » والى قتل الجاسوس ذهب ابنالقيم من متاخري الحنابلة دونالتعرض لايمانه أو عدمه .





الشيخ حسن خالد
مفتي الجمهورية اللبنانية
وآراؤه حول عقوبة التجسس



أما الائمة الثلاث أبو حنيفة والشافعي وأحمد • فقد ذهبوا الى أن التجسس لا يزيل أصل الايمان • لذا منهم يقولون بتعزير الجاسوس على أن لا تبلغ العقوبة حد القتل •

وقد لخص ابن حجر الهيثمي آراء الفقهاء المسلمين في التجسس فقال :
ان ترتب من الدلالة على عورات المسلمين • وهن للاسلام أو لأهله أو قتل أو سبي أو نهب كان ذلك من أعظم الكبائر وأقبحها لانه سعى في الارض فسادا وأهلك الحرث والنسل فمأواه جهنم وبئس المهاد • وقال بعضهم يتعين قتل فاعل ذلك •• هذا والله أعلم وأحكم •

وبذلك تنتهي فصول هذا الكتاب التي ختمناها بالبحث القانوني والشرعي عن عقوبات التجسس وانا نرجو أن تكون قدمنا خدمة للقارىء العربي لاطلاعه على بعض الاسرار التي كان يجهلها ونأمل أن تعم الفائدة مما جاء فيه على جميع المستويات من ادارات المخابرات الى المباحث ومصالح الامن في الوطن العربي وحتى الجمارك التي كأن لها نصيب في كتابنا والى الجميع نتوجه بالقول :
« اللهم اني قد بلغت فاشهد »

المؤلف
الصحفي سعيد الجزائري



الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
٦٦	من لا يستحي يفعل ما يشاء
٧١	اغراءات المخابرات الاسرائيلية
٧٥	من غرائب التورط في التجسس
٨٠	وفاء المخابرات العربية لعملائها داخل اسرائيل
٨٢	أشهر الجواسيس ـ ريتشارد سورج
٨٦	سفر سورج الى طوكيو وابتداء مهمته
١٠٤	نهاية جاسوس مخلص
١٠٦	كيم فيلبي
١٠٨	ترشيح فيلبي لرئاسة المخابرات البريطانية
١١١	زواج فيلبي في لبنان
١١٣	أسرار الهروب الكبير لفيلبي
١١٨	جورج بليك
١٢٠	وفاء المخابرات السوفياتية
١٢١	اصطياد المخابرات للعملاء من خارج جهازها
١٢٦	المطربة أسمهان وعلاقتها بالمخابرات البريطانية
١٢٨	عودة الى المخابرات
١٣١	الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وعد بنفسه حماية الذين تورطوا بالتجسس
١٣٤	خبير بريطاني عميل للسوفيت
١٣٧	**المخابرات السوفياتية منشؤوها**
١٣٨	أصل المخابرات السوفياتية
١٣٩	الشيوعيون في الحكم
١٤٠	ستالين يعتمد على المخابرات
١٤١	جهاز المخابرات السوفياتي في الخارج ومكافحة أجهزة استراق السمع
١٤٢	صفات الجواسيس السوفييت واعداد الجاسوس السوفياتي .
١٤٥	كيف يدخل الجاسوس السوفياتي الى الولايات المتحدة
١٤٦	مدرسة المخابرات السوفيتية (الأكاديمية)
١٥٢	الصدفة أيضا ـ انحراف جاسوس سوفياتي وخيانته
١٥٧	بنكوفسكي السوفياتي يعمل للمخابرات الاميركية والبريطانية
١٥٩	**معركة الكتب**
١٦٠	حصول المخابرات السوفياتية على أسرار القنبلة الذرية الاميركية
١٦٢	**الجديد في المخابرات السوفياتية**
١٦٣	صاروخ أميركي في طريقه للاتحاد السوفياتي
١٦٦	**المخابرات السوفياتية تسرق كنوز اسبانيا**

رقم الصفحة	الموضوع

رقم الصفحة	الموضوع

رقم الصفحة	الموضوع
٣٧٥ ـ	تشابك مصالح مخابرات الحلفاء مع المخابرات الاتحادية
٣٧٧ ـ	سقوط جاسوس اسمه (غونتر غيوم)
٣٧٩ ـ	مكافأة غونتر وأخطاء غونتر
٣٨١ ـ	بريجنيف يعتذر عن تجسس غونتر غيوم
٣٨٣ ـ	**المخابرات الفرنسية منذ تأسيسها**
٣٨٤ ـ	مؤسس المخابرات الفرنسية
٣٨٨ ـ	المخابرات الفرنسية تشترك في اغتيال الشهيد المناضل المهدي بن بركة في باريس ١٩٦٥
٤٠٥ ـ	مقتطفات من أقوال الشهيد المناضل المهدي بن بركة
٤٠٦ ـ	**المخابرات الاسرائيلية أو (العقد الاسود)**
٤١١ ـ	أول رئيس للموساد (المخابرات الاسرائيلية)
٤١٥ ـ	العقد الأسود ـ اختطاف المخابرات الاسرائيلية ادولف أيخمن ـ جارق اليهود
٤١٩ ـ	الارجنتين تساعد اسرائيل على نقل أيخمن عن حسن نية
٤٢٤ ـ	نهاية الطيار العراقي محمد رغلوب
٤٣٢ ـ	نتائج وصول الطائرة الميغ ٢١ الى اسرائيل مع الخائن منير روفه
٤٣٥ ـ	تقاعد ثاني رئيس للمخابرات الاسرائيلية
٤٣٦ ـ	حرب الايام الستة في ٥ حزيران ١٩٦٧
٤٤٣ ـ	استقالة الرئيس جمال عبد الناصر من آثار حرب حزيران
٤٥١ ـ	اسرائيل تمضي في تجسسها وعلينا الحذر
٤٥٤ ـ	الغاية تبرر الواسطة من شعارات المخابرات الاسرائيلية
٤٥٧ ـ	وثيقة انكليزية عن أعمال اليهود في أميركا منذ /٢٠٠ سنة/
٤٦١ ـ	المخابرات الاسرائيلية تطلب من الاسرائيليين تعلم اللغة العربية
٤٦٣ ـ	انسانية المخابرات الاسرائيلية
٤٦٤ ـ	المخابرات الاسرائيلية وسبب اسقاط طائرة الركاب الليبية في ١٩٧٣/٢/٢١
٤٧٠ ـ	**البحث القانوني لارتكاب أعمال التجسس**
٤٨٣ ـ	الوسيط وقيمته بالنسبة للتجسس
٤٨٧ ـ	أمن الدولة وتفسير معناه
٤٩٣ ـ	سر المهنة وعدم تقديم (رجل المخابرات) الى المحكمة
٤٩٧ ـ	عقوبة الموظف والظروف المشددة له
٤٩٩ ـ	القصد الجنائي في جرائم أمن الدولة
٥٠٣ ـ	حالة الحرب ومعناها
٥١٠ ـ	الاعفاء من العقاب
٥١٥ ـ	**عقوبة التجسس في الشرع الاسلامي الحنيف**
٥٢٠ ـ	**افتاء الشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية عن التجسس**
٥٢١ ـ	ختام

إنَّ نِظَامَ
المخَابَراتِ الصَّحيح هُوَ عبارَةٌ
عن مَنْشَأةٍ ذَات إمكانات هَائِلة للخير
وَالشَّرِّ، مُسْتَخدِمَةً الرِّجالَ وَالنِساءَ وَجميع
الوَسَائِل كافَةً فَهِيَ رَقيقةٌ وشرسَةٌ، تتعامَلُ
مَعَ الأبْطَالِ وَالخوَنة، ترشي وتفسِدُ وَتختطِفُ
وَأحيانًا تَقتلُ. تَقبضُ على قوّةِ الحياةِ
وَالموْتِ ... إنّها تستَغلُّ أسْمَى وَأدنى العَوَاطِف،
وَتَسْتَخدِمُ الوطَنيَّةَ حتى أعظَم مَعانيهَا
وَالنزوَاتِ حتّى أحطِّ مَدارِكهَا،
وَتُبَرِّرُ الوَسَائِلَ التي تحقِّقُ
أغرَاضَهَا.